أ. مــــوزل
أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة براغ
خلال النصف الأول من القرن العشرين

أخلاق الرولة وعاداتهم

القسم الأول

ترجمة وتعليق
د. محمد بن سليمان السديس
الأستاذ في قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة الملك سعود - الرياض

الطبعة الثانية
منقحة ومفهرسة

مكتبة
التوبة

ⓗ محمد بن سليمان السديس، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موزل، أ.

أخلاق الرّولة وعاداتهم .- الرياض.

٥٠٠ص؛ ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٨ ـ ٦٠٦ ـ ٣١ ـ ٩٩٦٠

١ ـ السعودية ـ عادات وتقاليد ٢ ـ الرولة ـ قبيلة ٣ ـ القبائل العربية السعودية ٤ ـ البدو ـ العادات والتقاليد أ ـ العنوان

ديوي ٣٩٠،٠٩٥٣١ ١٧/١٤٢٧

رقم الإيداع: ١٧/١٤٢٧

ردمك: ٨ ـ ٦٠٦ ـ ٣١ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

«لا يجوز إعادة نشر هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه، أو نسخه، بأية وسيلة ألكترونية أو غيرها بدون إذن خطي من المترجم».

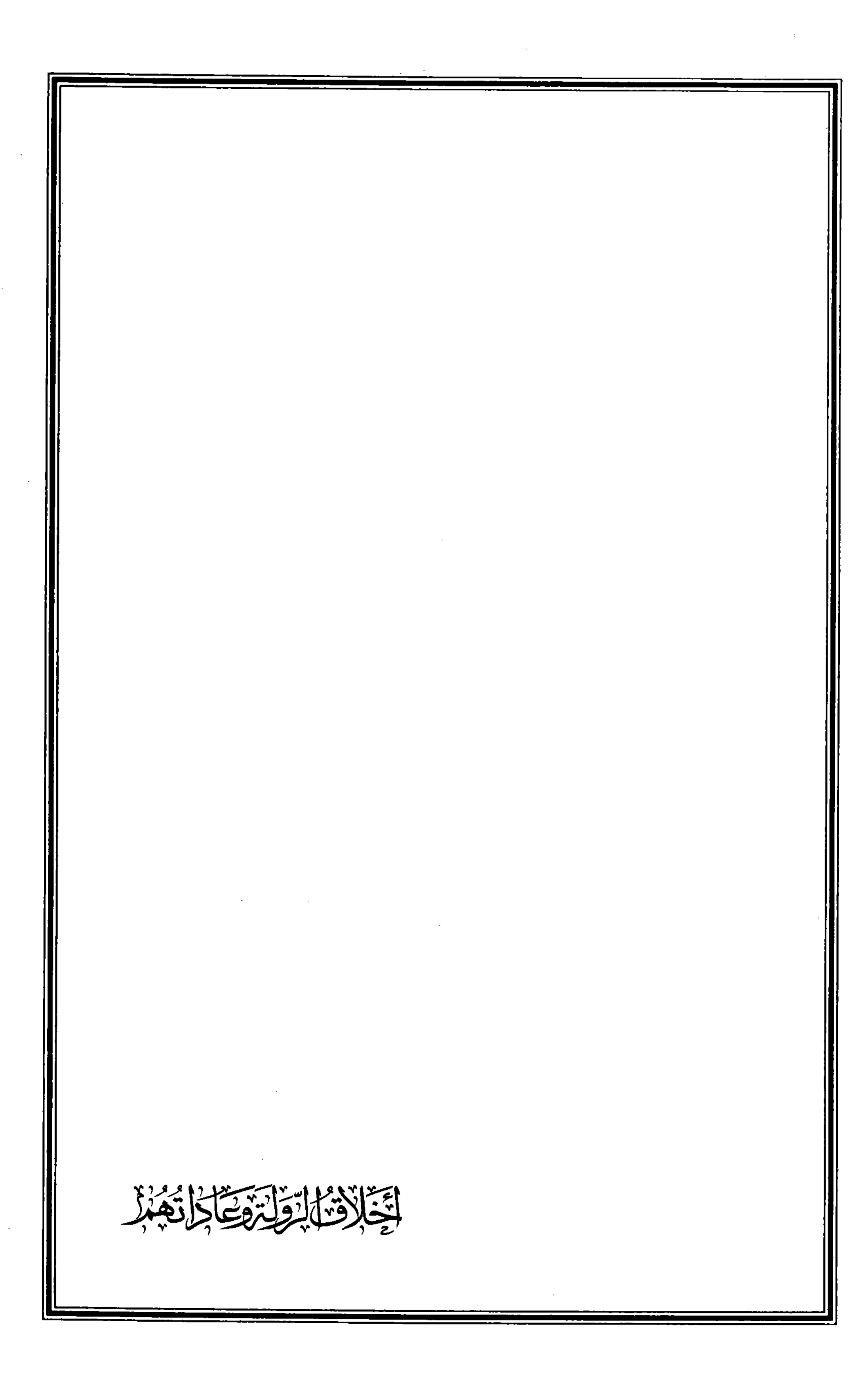
الطبعة الثانية

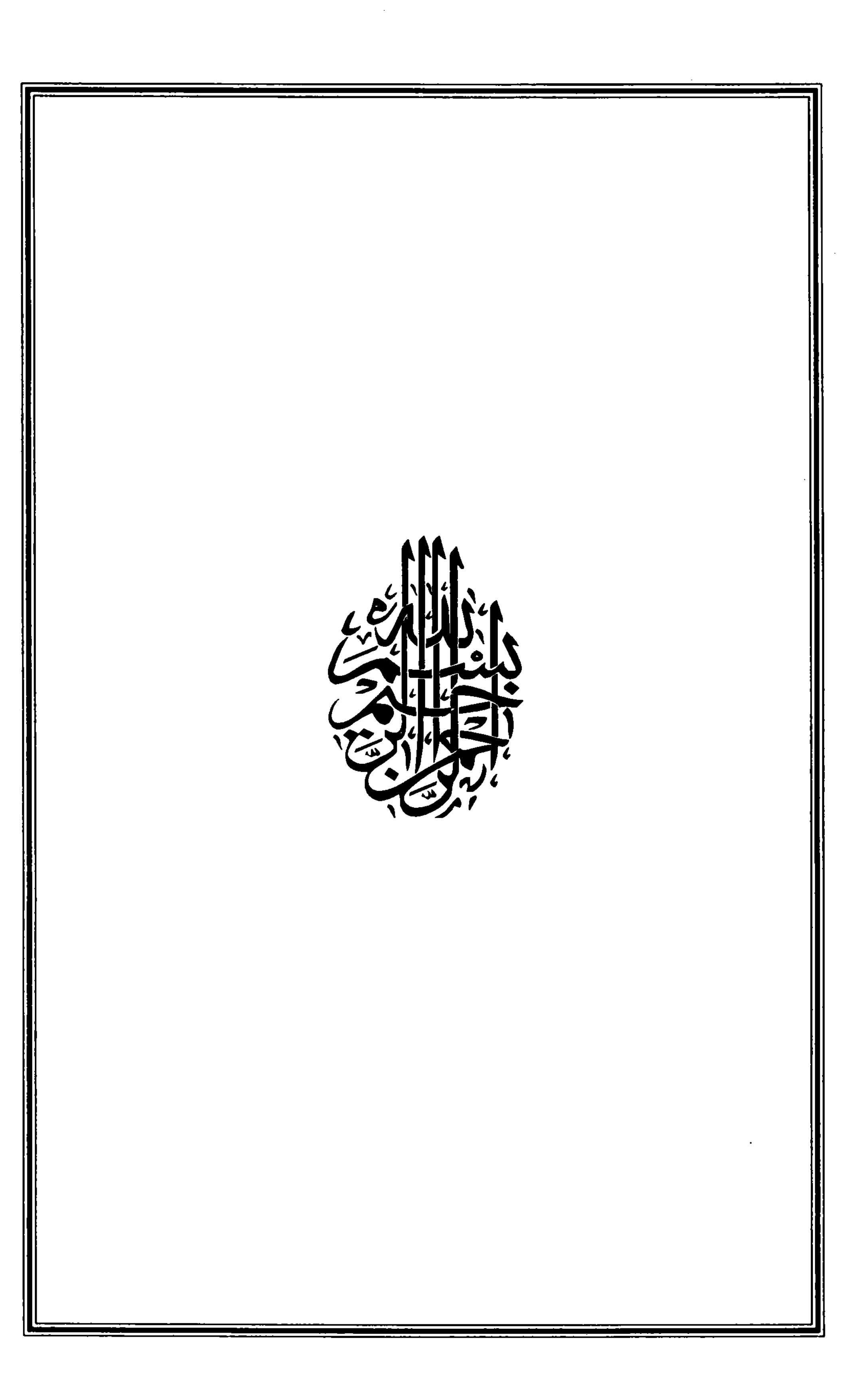
١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م



الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥


أخلاق الدولة وعاداتهم



بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

تقديم

بقلم الأستاذ العلامة الشيخ حمد الجاسر

الدراسات الواسعة التي قام بها المستشرقان الغربيان ألويس موزل التشيكوسلوفاكي Alois Musil ، وسنت جون فلبي الانجليزي ST. J. B. Philby ، عن بلادنا ، في شمولها وتنوع أهدافها ، وغزارة معلوماتها ، وريادتها في كثير من جوانب المعرفة ، تعد المصادر الأولى لكل من حاول تناول ناحية من نواحي البحث والتأليف عن هذه البلاد من الغربيين ، حتى بعد أن أصبحت هذه البلاد مفتحة الأبواب للوافدين إليها من مختلف أنحاء المعمورة ، منذ أول النصف الثاني من القرن الماضي ، حين عثر فيها على النفط . وستبقى دراسات هذين الرائدين الغربيين مصدراً أصيلاً ومرجعًا لكل مَعْنِيٍّ بالبحث والتأليف ، في أي جانب من جوانب المعرفة ، مما حاولا بحثه . وهما - وإن اختلف نهجاهما في تلك الدراسات ووسائل البحث - قد اتفقا غايات وأهدافًا ، أو كادا يتفقان ، ولاسيما في محاولة الشمول والاستقصاء ، وبذل الجهد ، مهما كلفهما ذلك من مشقة وعناء ، وعلى الرغم مما تعرضا له من مخاطر في سبيل بلوغ ما توخياه من غايات .

ولهذا طالما تمنيت أن تُعَرَّبَ جميع مؤلفاتهما على عِلاتِها - أي على ما هي عليه بدون تحوير أو تصرف - لِعَرْضِ أوضح صورةٍ لما قاما به من مغامرات أثناء رحلاتهما الشاقة في ارتياد النواحي المجهولة من بلادنا ، ودراسة مختلف أحوالها ، في وقت ما كان يخطر ببال أحد قبلهما المرور بهذه البلاد ، فضلاً عن التوغل داخلها لدراسة طبيعتها ومعرفة أحوال سكانها .

لست أجهل كثيراً من البواعث والدوافع لأكثر من اتجهوا لدراسات أحوال أمتنا من الغربيين ، منذ محاولاتهم الأولى ارتياد مختلف أنحاء الجزيرة ، في خلال القرون الثلاثة الماضية ، ولست ممن ينظر إلى ما قاموا به من دراسات وأبحاث ، وما قدموه وما توصلوا إليه من نتائج نظر من لا يدرك ما ينطوي عليه كل ذلك من مقاصد ما كان يراد بها كلها وجه العلم وحده ، وخاصة من عني منهم بالمباحث الدينية ، قبل موزل وفلبي ، ثم ما توخاه هذان المغامران الغَرْبِيَّانِ - أول ما توخياه - من اتجاههما نحو هذه البلاد ، في زمن كانت أعاصير الفتن الداخلية ، والتيارات السياسية الخارجية ، تعصف بأهلها ذات اليمين وذات الشمال ، بعنف وقوة ، فيسارع الأعداء لبسط نفوذهم حول هذه البلاد ، بتتبع مكامن الضعف من أهلها ، واهتبال الفرص المواتية للسيطرة عليهم ، والاستحواذ على خيرات بلادهم ، وتمزيق وحدتهم ، وتفريقهم إلى دويلات وشعوب ليسهل التغلب عليها وتوجيهها الوجهة التي يريد أولئك الأعداء المسيطرون .

ولكنني أدرك أن من أسس قوة أولئك ، بلوغهم أسمى مراتب العلم بأحوال هذا الكون وتعمقهم بإدراك أسرار طبيعته ، وما قامت عليه نواميس الحياة فيه ، حتى استطاعوا بعملهم وبمخترعاتهم وبآلاتهم الحديثة أن يسيطروا على وسائل الحياة كافة . إنهم لم يمتازوا على غيرهم من شعوب هذا العالم بعقولهم ولا أفهامهم ، ولكن بالجد والمثابرة والصبر وقوة التحمل والدأب ، حتى بلغوا من الغايات ما يطمحون إليه ، وبذلك يكمن سر تفوقهم .

لقد كان لنا وللغربيين نمطان في حياتنا ، لقد عشنا عيشة شظف وشدة وفقر ، ومن لازم ذلك أن نكون أقوى صبراً ، وأشد جلداً على تحمل المشاق من أولئك الذين عاشوا عيشة ترف ورخاء ونعمة ، ولكنالأمر بعكس

ذلكبالنسبة لما يقوم به علماؤهم وباحثوهم في سبيل الوصول إلى نتائج علمية، ولاسيما ما يتعلق منها بارتياد المجهول ، والتوغل في الصحارى ، فالعالم منهم إذا اتجه لذلك ، يفطم نفسه عن جميع مآربها ، ويبدو بحالة من الإقدام والعزيمة متحملاً جميع ما يعترض طريقه من مشاق في سبيل إدراك غاياته وما هكذا تكون حالة الباحث منا !

إن من يقرأ كتاب " شمال نجد " لـ (ألويس موزل) يدرك الكثير مما قاساه في سبيل العلم ، من شظف العيش وشدة التعب والجوع والخوف والمرض ، ومع كل ذلك فقد دأب مستهيناً بما أصابه في سبيل العلم ، يواصل عمله ويطالع المؤلفات القديمة من عربية وغيرها بتعمق وجلد وصبر ، حتى قدم للباحثين من خلال مؤلفاته وأبحاثه عن البلاد العربية ما لم يقدمه غيره من قبله .

ها هو في اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ وهو يجتاز رمال الدهناء يصف حالته : (وظننت أنه لم يعد بإمكاني البقاء في الرحل أطول من ذلك ، لقد كنت أشعر بالمرض ، وقاسيت الكثير من القيء والمغص والحمى ، وكانت حرارة جسمي ترتفع في الليل إلى (٧ . ٤٠) درجة وكانت نوبات المرض شديدة إلى درجة جعلتني غير قادر على تناول الدواء ، وصار البول يخرج مختلطاً بالدم) . ومضى له ثلاثة أيام لم يتناول فيها طعاماً ، بحيث أعد له أصحابه فراشاً مددوه فوقه ، وغطوه ، وكانوا يأتون بين حين وآخر ليروا إذا كان لايزال يتنفس - " العرب " ٢٧٣/٨ و ٧٣١ و ٧٩١ - .

وقبل ذلك في رحلته الأولى إلى شمال الحجاز هجم عليه أفراد من قبيلة (بني عطية) واستولوا على ما كان يحمل ، وأبادوا جميع مذكراته وكانت النسوة يضربنه حتى لايرين فيه حراكاً ، فيتوهمنه قد مات - " أرض الأنبياء " The Land of Midian ١٨٤ - .

ولا يعوز القارئ إيراد الشواهد على ما قاساه فلبي في رحلاته في مجاهل بلادنا ، ففي كتابه " المرتفعات العربية " Arabian Highlands وغيره من مؤلفاته الأمثلة الكثيرة في وصف ما قاساه من مشقة ، وما أصابه من تعب ، وما حل به من مرض ، من جراء تسلق واجهات الجبال الشامخة ، وأعالي الصخور لينقل ما فوقها من نقوش . لقد كان يزحف أثناء محاولاته الوصول إلى بعض الصخور فيصاب وجهه وأنفه بخدوش ، ويتزلغ جلد يديه وأصابعه ، وتنتشر الأورام في جسده بحيث يشل المرض طاقاته وقدرته عن العمل ، فلا يجد أية إسعافات طبية يستعملها لتضميد جراحه وأورام جسده " المرتفعات العربية " ٤٠٣ " Arabian Highlands " .

إننا إن لم نكن بحاجة إلى ما يقدمه لنا هؤلاء الغربيون من آراء وأفكار تتعلق ببلادنا - ولا أعتقد أن من بيننا من يرى هذا الرأي - فنحن في أشد الحاجة لكي نستفيد من تجاربهم ، ونتخذ من مثابرتهم وصبرهم ودأبهم نهجًا نسير عليه في حياتنا العلمية ، وفي دأبنا على الدراسة والبحث ، ولا ضير علينا أن نتعلم من أساليب حياتهم التي قد أغرقتنا .

ولقد غمرني السرور حين علمت باتجاه الأستاذين الدكتور محمد بن سليمان السديس والدكتور عبدالله بن علي الزيدان لتعريب كتاب " أخلاق الرولة وعاداتهم " لألويس موزل ، وازداد سروري حيث رأيت الدكتور السديس وقد أكمل القسم الأول من تعريب ذلك الكتاب بطريقة تمنيت أن يسير عليها المعنيون بتعريب جميع المؤلفات . إنه - زاده الله قوة ونشاطًا - لم يتكف بتعريب النص وحده ، بل أضاف إليه من التعليقات والإيضاحات ما قوم كثيراً من النصوص التي هي بحاجة إلى التقويم ، وأصلح من الأخطاء ما هو بحاجة إلى إصلاح، وبهذا أدى مهمتين جليلتين : تقديم ما جمعه هذا الرحالة من معلومات ،

لا شك أن الباحثين بحاجة إلى أن يقدمها لهم ، مما يتعلق بحياة هذه القبيلة الكريمة بلغة سهلة واضحة .

والمهمة الثانية : أن ثقته بعلم ذلك الرحالة لم تدفعه إلى الاكتفاء والاعتماد على علمه ، بل أضاف إلى ذلك التنبيه على ما وقع في كتابه من هفوات لايستغرب وقوعها من مؤلف لم تمكنه معرفته هذه القبيلة من إدراك كثير من أحوالها على حقيقتها .

وهذه الطريقة التي سار عليها الدكتور السديس هي الطريقة المثلى التي نحن بأشد الحاجة إليها فيما يقدم لنا هؤلاء العلماء والباحثون من الغربيين الذين قد تحول ظروفهم دون تعمقهم في معرفة جميع أحوالنا ، مما قد يكون سببًا لوقوع كثير من الأخطاء في أفكارهم وآرائهم ، مما يتعلق بحالة أمتنا ووصف بلادنا .

أما مؤلفات فلبي فمما يحزن حقًا أن إحدى دور النشر عهدت إلى مترجم معروف القيام بتعريب بعضها ، ولكن بطريقة ليست أمينة ، ولا يصح التعويل عليها ، فقد كان يعرب الصفحة من الكتاب بأجر متفق عليه ، ثم يقدمها للمسؤولين في تلك الدار ، فيغيرون فيها ، ويحذفون منها لتكون ملائمة ومقبولة لدى جمهور من القراء ممن يعنون بذلك الكتاب . ومن أمثلة ذلك تعريب كتاب " العربية السعودية " Saudi Arabia فلم يكتف المعرب بتغيير الاسم ، بل حذف المقدمة التي حوت ذكر مصادره وخلاصة وافية تتعلق بمؤسس هذه المملكة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في نظر فلبي ، بل إن كثيراً من آراء المؤلف في أثناء الكتاب قد حذفت منه .

كذا كتابه عن " أرض مدين " The Land OF Midian فقد سمي خطأ أرض الأنبياء ، أو مدائن صالح - مع اختصاصه ببلاد مدين ، وعدم صلته ببلاد (الحجر) التي تسمى خطأ مدائن صالح .

ولهذا فإن ما عرب من مؤلفات فلبي لا يصح التعويل عليه .

وما أحوجنا إلى معرفة ما في تلك المؤلفات عن بلادنا لنستفيد مما فيه فائدة ، ولندرك ما فيها من أوهام فيما نسب إلينا خطأ فنطرحه ونوضحه ، فقد ينظر إليه غيرنا باعتباره صحيحًا ما لم نوضح وجه الصواب فيه ، فتلك المؤلفات ينظر إليها الباحثون الغربيون أنها من أوثق المصادر عن بلادنا .

إنني ، وأنا أتصفح ما قدمه لي الدكتور السديس من عمله ، وهو النصف الأول من كتاب موزل ، أتمنى أن أرى مثل هذا العمل الوافي إزاء كثير مما تزخر به مكتبتنا من مؤلفات غربية عن بلادنا ، وإن كنت لا أحسِنُ اللغة التي كتب بها هذا الكتاب ، إلا أنني أرتاح كثيراً لسهولة عباراته ، ولدقة ملاحظات معربه الكريم ، متمنيًا له ولشريكه في التعريب دوام التوفيق .

حمد الجاسر

مقدمة الترجمة

المستشرقون الذين كتبوا عن جزيرة العرب وإنسانها فئتان : فئة الرحالين الذين يعبرون بعض أجزائها لا كتشافه ، أو ادعاء اكتشافه ، وتسجيل ما تقع عليه العين أو يلتقطه السمع عن تلك الأجزاء خلال اجتيازها ، وفئة تشد الرحال إلى بقعة بعينها لتلقي فيها عصا التسيار ، إلى حين ، فتقيم فيها أمداً ربما امتد سنوات من أجل درسها ، من مختلف الجوانب ، لا من حيث (طوبوغرافيةُ) أرضها وجغرافيتها ، ومناخها ، أو طبيعتها الصامتة والحية، وآثارها وحسب ، بل ومن حيث إنسانها المستوطن لها ، و (ثقافة) ذلك الإنسان العامة المؤلفة من شتى (موروثاته) من عادات ومعتقدات ولهجات وغيرها .

ومن الفئة الأخيرة كان المستشرق التشيكوسلوفاكي ألويس موزل Alois Musil (ت عام ١٩٤٤م/١٣٦٤هـ) الذى يمم وجهه نحو عشيرة (الرولة) الشهيرة ، ولبث فيهم ثماني حجج درس خلالها كل ما يمت إليهم وإلى حياتهم بصلة ، وتمكن من تسجيل معلومات شاملة متنوعة مفصلة حول موضوعات كثيرة شتى ضمنها كتابه (أخلاق الرولة وعاداتهم The Manners and Customs of the Rwala Bedouins) الذى نشر في نيويورك سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ) .

وهذا الكتاب الذى نقدمه لقرّاء العربية للمَرّة الأولى بعد ظهوره بالانجليزية بما يزيد عن الستين سنة قد بهرنا ما بين دفتيه منذ قراءتنا له ، قبل عشرين عامًا ، لا عن العشيرة موضع الدراسة ، وممارساتها ، ومنهج عيشها وحسب ، بل وعن قبائل أخرى عديدة سواها تشاركها في الموطن (شمالي شبه الجزيرة العربية وما حوله) ، من وصف مفصل عما دق وجل عن كل من الناس وما يفعلون، والأرض وما يظهر عليها ، أو يتحرك على أديمها ،فخصصت فصول لكل

من الحياة الاجتماعية (الحاضرة والبادية ، والجيران ، وحركة التجارة ، وأساليب القضاء ، والحكم العرفي ، والجوار وحماية المستجير ، والضيافة ، و(الخوّة) ، وحماية الرفيق ، والمروءة ، وسمات الرجولة الحق عند البدو ، والزواج وطقوسه ، والأطفال وألعابهم ، والطعام ، والأثاث ، واللباس والسلاح ، وشئون السلم والحرب وقوانين القتال ، وأخبار كثير من الحروب التي جرت بين البدو ، وأمور الإرث ، ومراسم الجنائز ودفن الموتى) ، والحياة الثقافية (الأشعار والأهازيج والألغاز) حيث حفل الكتاب بالعديد من ذلك ما بين قصائد طِوالٍ ، ومتوسطة الطول ، وأهازيجَ قصارٍ لِطَافٍ لو لم يسجلها لأُنْسِيَهَا الناس الآن ، والطبيعة الحية من إبل وخيل وحيوانات أخرى من مستأنسة ومستوحشة . وقد خُصَّ كل من الإبل والخيل بفصل مستقل ، وغير ذلك مما سيتبينه القارىء الكريم من إلقاء نظرة على محتوى الكتاب .

ولا بد من كلمة حق هنا هي أن كتب موزل تتسم ، بصفة عامة ، بالعِلْمِيَّة والجدية ، والروح المتجردة ، فلا تكاد تصادف فيها ما تستاء منه كعربي ، أو تستنكره استنكاراً شديداً ، أو يكشف لك عن روح عدائية ، أو سوء طوية ، مثلما تلقاه موفوراً فيما يكتبه كثير من المستشرقين ، وأخص هنا بالذكر واحداً منهم هو ذلك الاسكتلندى المتعصب لنصرانيته ، والمتبجح بتعصُّبه بين العرب في بلادهم حين عبرها ، هو تشارلز داوتي C. Doughty الذى كتب (رحلات في الصحراء العربية Travels in Arabia Deserta) وهو كتاب لاتفارقك فيه روح كاتبه غير المتعاطفة بتاتًا مع من لقي في رحلته من سكان البلاد التي جاء ليكتب عنها . ولا شك عندى أن لهذا الكتاب وحده أثراً قويًا جداً في (تسويد) الوجه العربي في الذهنية الغربية ، ولا سيما في الأوساط الاستشراقية أيّما تسويد.

وما قلناه عن موزل لا يعني ، بطبيعة الحال ، خُلُوَّ كتابه خلواً تامًا أو شبه تام من الأقاويل والأوصاف غير المقبولة ، فلست تتوقع من عينٍ أوربيةٍ أن ترى الأمور دائمًا بعينك ، ولا من ذهن أجنبي أن يعى كل ما توصله إليه حواسه عما حوله في محيط مختلف وغريب عن محيطه ، بمجرد ممارسته العيش بين القوم سنوات معدودات . كما إنه لابد من تبيان أن نقلنا هذا الكتاب إلى اللغة العربية لا يعني بحال استحسان كل ما جاء فيه أو استصوابه أو حتى قبوله ، بل ، بخلاف ذلك تمامًا ، في الكتاب ما لا يجد له في النفس أدنى تقبل . لكن هذا شأن طبيعي ، فالمؤلف ، كما ألمحنا آنفًا ، شخص إفرنجي لا يرى الأشياء كما نراها ، لاختلافه ، لا في (الوجه واليد واللسان) وحسب ، بل وفي الدين والتربية ، والمفاهيم الثقافية ، والقيم الاجتماعية . وأن نتوقع منه عدم إساءة الفهم دائمًا توقع في غير محله ، وتطلب في الماء جذوة نار . ولذلك تلفينا لا نكتفي ، في حالاتٍ كُثْرٍ ، بالترجمة ، بل نمضي في مناقشة المؤلف معلقين على أقواله . لكن لم يكن بممكن لنا ، بطبيعة الحال ، التعليق على كل شيء، وإلا لكان عملنا دراسة للكتاب لا مجرد نقلٍ له من لسان إلى لسان.

ولأن المؤلف عاش بين ظهراني القوم وعرف لهجتهم ، وسبر أغوار حياتهم ، وهو أمر لم يتح لنا فقد اخترنا عدم التعليق على أشياء يذكرها ونشك بصحتها ، واستعصى علينا التثبت من وجه الصواب فيها ، لخشيتنا أن يكون ما أثبته هو الثابت في ذلك الزمان ، أو لدى الرولة الذين عاش فيهم ، على الرغم من مخالفته لما عرف في أماكن أخرى ، أو لدى أقوام آخرين ، فالتزمنا الحذر في هذا الجانب ، برغم إمكان الخطأ ، تحاشياً لاحتمال تخطئة المؤلف في أمر هو فيه مصيب . ونذكر هنا مثالاً واحداً ، وإن كان هين الشأن ، هو قوله حين تحدث عن (تدخين الغلايين) في الفصل السادس إن (الغليون) تستعمله النساء ، ويستعمل الرجال (السبيل) . وعلى أن المعروف هو أن (السبيل) لا تختص به النسوة ، كما لا يختص الرجال بالغليون ، فقد آثرنا عدم التدخل

أو إبداء أية (مداخلةٍ) فيما قال المؤلف .

وأكثر ما وجدناه من عدم دقة كان في ترجمة الأشعار أو التعليق عليها ، إذ يصادف ، في حالات غير قليلة ، عدول ببعض المضامين عن وجهها . فعمدنا ، في أغلب تلك الحالات ، إلى إثبات ما بدا لنا صواباً ، مع الإشارة ، في الحواشي ، إلى ترجمة المؤلف للنص ؛ وما تلك بمشكلة عويصة ، لأن ﴿ هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا ﴾ ، فالمؤلف يكتب الأشعار كما رويت له بأحرف لاتينية ويترجمها إلى اللغة الانجليزية ، وربما لم ينقل المعنى الصحيح لبعضها ، ونقرأها فندرك مضمونها بمعزل عن ترجمته لها ، أحياناً ، لمعرفتنا بلغتها ، فما غلب على ظننا جنوحه عن فهمه قومنا عوجه ، وما لم يغلب على ظننا ذلك فيه عربنا ترجمته كما هي .

وبالمناسبة ، سيجد القارىء الكثير من الأبيات المختلة الوزن ، وقد أبقيناها على ما هي عليه ، إلا ما كان خلله طفيفًا كحرف ، أو لفظة ، فربما أقمنا عوجه ، ولو سعينا إلى إصلاح كل بيت مكسور الوزن لخرج عملنا عن طبيعته التي لا ندعي ، كما أشرنا ، أنها أكثر من ترجمة مع تعليق مقتصدٍ مقتصرٍ على ما تدعو الحاجة إليه دعوة ملحة . وعلى الرغم مما ذكرنا ، فإن ما عراه خللٌ أو خطأ هو أقل القليل في لُجٍّ بحر الكتاب الزاخر الذى يشهد لمؤلفه بالإتقان والجِدِّ الصادق .

و (الرولة) الذين درس حياتهم موزل في هذا الكتاب قبيلة عربية من فروع (عنزه) القبيلة الأم الكبرى المعروفة المنحدرة من وائل . وقد تشعبت من (عنزة) عشائر وأفخاذ وبطون بل قبائل كثيرة جداً ، وما فتئت بعض فروعها تنتسب إلي الجد الأعلى (عنزه) بينما انتسبت فروع أخرى إلى أجداد لها أدنين ، كما هو الشأن لدى غيرها من قبائل العرب[1] . ويقطن الرولة منطقة كبرى تشمل أجزاء من بادية الشام وشمالي المملكة العربية السعودية ، ويعيش كثير منهم في مختلف مدن المملكة كغيرهم من القبائل التي استقرت .

ولا يفوتني التنبيه إلى أني لم أجد بداً ، في بعض الحالات ، وإن تك قليلة جداً ، من حذف بعض أسماء القبائل ، وبعض الجمل التي وجدت فيها تجاوزاً لما يمكن أن يحتويه كتاب باللغة العربية .

هذا وقد سعينا ، ما وسعنا الجهد ، لنقل مضمون نص هذا الكتاب إلى العربية بصورة أدنى ما تكون إلى الأصل الذى كتب فيه ، مع تجاوز موقف المترجم ، أحيانًا ، بإبداء الرأى في كثير مما خاض في غماره ، فإن أحرزنا إصابة فذلك توفيق من المولى سبحانه نتوجه إليه بالحمد والشكر عليه ، وإن كانت الأخرى فذلك تقصير نُقِرُّ بِهِ ، ونستغفر الله منه ، ونبدى للقارىء الكريم صادق اعتذارنا عنه .

وأود التعبير عن امتنانٍ صادق للزميل الكريم الدكتور عبدالله بن على الزيدان ، الأستاذ المساعد في قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الملك سعود بالرياض ، لمراجعته النَّصَّ ، ومقابلته بالنَّصِّ الأجنبي ، وإبداء ملحوظاتٍ عديدةٍ سديدةٍ . كما أشكر كلاً من الأستاذ الدكتور عبدالرافع كامل الأستاذ في قسم التربية الفنية بكلية التربية - جامعة الملك سعود ، والأستاذ ناصر الرفاعى المحاضر بالقسم عينه لتَفَضُّل الأول عليَّ بإعادة رسم الشكل = ٢ = في الفصل الرابع (نَول النسيج) ، وتفضل الثانى بإعادة رسم الأشكال الخمسة الأخرى في الفصل المذكور ، لأن الرسوم الأصلية باهتَةٌ كثيراً .

وأسجل موفور الشكر والعرفان لمركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود لنشره هذا العمل .

وأخيراً لا يفوتنى شكر الأستاذ صلاح الدين حسن عمر الطابع في مركز أبى زيد لخدمات الكمبيوتر في الرياض لإتقانه طباعة هذا الكتاب على الحاسب ودقته وتمكنه من تجاوز ما اعترض سبيله من عقَبات .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الرياض في ١/١/١٤١٥هـ   **محمد بن سليمان السديس**

مقدمة الطبعة الثانية

من جَرَّاء الإقْبال الذي تلقى به القراء الكرام الطبعة الأولى من الكتاب ، التى قام بنشرها ، مشكوراً ، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود بالرياض ، عام ١٤١٥ هـ ، ولما أبداه إخوة كُثْرٌ من رغبة في الاطلاع عليه ، رأينا إعادة نشره في هذه الطبعة الثانية ليكون في متناول عدد أكبر من المهتمين بمضمونه . ووجدنا ، في هذه الإعادة ، نُهْزَةً متاحة للقيام بمزيد من تنقيحه وتصحيحه ، مُفيدين مما كُتب عن بعض ما ورد في الطبعة الأولى من مَلاَحِظَ وآراءٍ ، بالإضافة إلى صُنْعِ فهارسَ تفصيليةٍ له .

وقد أسعدنا جداً أن أبدى ، مشكوراً ، الأخ عبدالله بن دهيمش بن عبار العَنَزي عدداً من الملحوظات ، حول مسائل وردت في الكتاب ، نشرها في مجلة (العرب) التى تصدر في الرياض عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (ج ٧ ، ٨ ، س ٣١ ، محرم ، صفر سنة ١٤١٧ هـ) ، ص ٥٤٦ - ٥٥٥ . ويسرنا أن نسردها أدناه ، باقتضاب ، باستثناء الملحوظات المتعلقة بأخطاءِ تطبيعٍ ونحوها ، فهذه أجرينا تصويباتٍ وتعديلاتٍ طبقاً لها في مواضعها ، وباستثناء ملحوظاتٍ أخرى أغفلناها إما لأنَّا كُنَّا قد أبدينا ما رأيناه حول مضمونها في التهميشات في ذيل الكتاب ، ولم يفطن الأخ الكاتب لذلك كما في ملحوظته عن الأبيات التي في ص ١٠٠ وأنها لِمِحْدَى الهبداني ، وأن لها مناسبة غير ما ذكر ، فقد بَيَّنَّا ذلك في التهميشة " ٩٢ " ، وكذا الملحوظة التي عن الأبيات الواردة في ص ١٠٢ فقد أشرنا في التهميشة "٩٧" إلى أنها لعبدٍ لابن هذّال يقال له مسعود . كما صححنا في التهميشة "٢٢٦" عبارة (لا تلّجم) الواردة في بيت ص١٩٥ فقلنا أن صوابها

(لاتِنَّجم) ، وكذلك ما ورد عن أن المقصود بـ (سعدون) المذكور في ص ٣٩٤ (سَعدون العواجي) أشرنا إلى نحو منه في التهميشة ٤٧٩ . أوأغفلناها ، لأنها لا تضيف شيئاً ذا بالٍ لما تناولَتْ كالملحوظة التي في ص ٤٥٤ من العدد الموماَ إليه من العرب (س ٥ من آخر الصفحة) حول تفسير الأبيات (٢، ٣ ، ٥) الواردة في ص ٣٥٣ من الكتاب ، وأنه لا التفسير بصحيح ولا خبر الأبيات ، ثم لا يأتي الكاتب لا بالتفسير ولا بالخبر الصحيح !! ، أو لأن الصواب كان في جانب المؤلِّف أو المترجِم كالملحوظة التى في ص ٥٥٣ من العدد المُوماَ إليه من (العرب) ، س ٢ من آخر الصفحة عن عبارة (ذا جَدٍّ متعثر) ، إذ قال الكاتب : «لعله حَظٌّ ، وليس جَداً » ، و « جَدّ » في العبارة بمعنى « حظ » .وكالملحوظة التى في ص ٥٥٥ من العدد المذكور ، س ٩ ، حيث ورد : « وفي صفحة ٤٣١ الحاشية ٣٤٨ قال : كقَعُودٍ فَطيم يعنى يتيم » ، ثم فسر الكاتب معنى الفَطيم ، والفطِيم معروف المعنى ، وليس في العبارة في الأصل لفظة « يعنى » ، وعلى هذا فلا مانع من وصف (القَعُود) بأنه « فطيمُ يتيم » . على أن هتين الملحوظتين ، في الحقيقة ، استثنائيَّتان .

إشارة : أجرينا تعديلاتَ في أسلوب كتابة الملاحِظ دونما مِسَاسٍ بجوهرها .

وها هى الملحوظات :

ص (ق) = (ض في ط ٢ هذه) : قال موزل في المقدمة إن مرافقة بليهان ابن مصرب من فخذ القُمُصَة من السَّبَعَة . والصحيح أنه بليهان بن ضرى ، لا ابن مصرب ، وهو من المِصَارْبَة ، لا القُمُصَة ، من البْطَينَات ، من السَّبَعَة .

المترجم : هو (بليهان بن ضري) نَسْبًا إلى جَدٍّ أبيه ، وإلا فهو بليهان بن إبراهيم بن داغر (تنظر ص ٦١) .

ص ٤٣ : البيت الأول المكسور الوزن صحته :

الطَّيرْ عَيَّى يا القْزَيعى يطير هَدَّيتهْ وعَيَّى يصيدَ الحْبَارَى

وهو من أبيات لشاعر (رويلي) يخاطب الشاعر مشعان القزيعي النصيري.

ص ٤٧ : المحاورة بين الصقر والحُبَارَى تروى على أنها بين فتى يتقمص شخصية صقر ، وفتاة تتقمص تارةً شخصية حَيَّةٍ ، وتارة شخصية طائرٍ لا يتمكن الصقر من صيده .

ص ٥٥ : اللغز الذى عن (القْعَيسى) ، س ١٢ ، له رواية أخرى هى: « ليل ولا هو ليل ، له فنْطِلّه ولا هو عَجْيل ، يخشّ بالدار ولا هو فار ، ياكل شعير ولا هو بعير » .

ص ٦١ و ٢٦ : نُسبَ هنا لبليهان راوية المؤلف كلام يدل على عدم معرفته بتسلسل نسب قومه (المصاربْة) ، وذلك مدعاة للعجب ، لأن جدهم أشهر من أن يجهله أي فرد منهم ، وهو (عيد عزيز الطَّنايب) . فلعل ذلك الكلام لم يك محمولاً محمل الجدّ من جانب المُمْلي .

ص ٧٢ : ورد ذكر (الدريعى بن جندل) على أنه قائد الرولة فى أوائل القرن التاسع عشر ، وأنه من السَّوَالْمة ، بينما المعروف أن اسمه (الدريعي ابن مشهور) ، وهو من الشعلان .

ص ٩٨ و ٩٩ : الأبيات التى أولها :

يا دار يا دار اريش العين ودِّى عقب المَحَلْ يا دار خِلّى مْرِيفهْ

هي من قصيدة للشيخ عقيل بن معثم بن غَبَين ، وليست لزنجيّ كما ورد في قصة الأبيات ، ولها قصة أخرى ، ومعها عدد من القصائد . ولصَدْر البيت الأول رواية أخرى هي (يادار يا ديَرةْ مْرَادي وْوُدّي) . انظر مجموعة قطوف الأزهار ، لصاحب هذه الملحوظات ، ص ٢١٤ .

ص ١٠٤ : المقطوعة التى أولها (يا عيدْ واوَجْدي على رَبْعَنَا العامْ) للشاعر داني بن عيد الدهمشيّ ، الملقب بالمطوطِح ، وهو من أهل الأسياح بالقصيم ، و (عيد) المخاطَبُ في البيت ابنه ، وفيها يَحنُّ إلى عشيرته (الدَّهامْشَة) بعد ظَعْنهم .ولصدر البيت الأول روايةَ أخرى هي (يا عيدْ ما عَيَّنتْ رَبْع لَنا العامْ ؟) ، ينظر قطوف الأهار ، ص ٤٧ .

ص ١٠٥ : ورد أن الشيخ جديع بن هَذَّال قاد (الدَّهامشة) و (الصقور) و (السَّلْقَا) من ناحية خيبر حتى حدود الفرات الأسفل . والشيخ جديع لم يخرج من القصيم طوال حياته (ت سنة ١١٩٥ هـ قتيلاً) . أما الذى قادهم بعده فهو ابن أخيه الشيخ مشعان بن مغيليث ، ثم الشيخ الحميدى ـ ابن عبدالله الهذَّال .

ص ١٢٧ ك « قمْ سَوّ ما يَصبَغْ على الصِّينْ لذْيابْ » لا « يا ذياب » . يوجه قائل هذه الأبيات الشيخ هايس بن جبر المِجْلاد ، الملقّب بأبى ضِلْعين ، الخطاب إلى الفارس ذياب بن رميزان .

ص ١٥٥ : معنى (منبوز) في البيت - ٢ - (حقير) ، لا كما ورد في شرح المؤلف لها هنا وفي الصفحة التالية . ونص البيت التاسع :

كَمْ قالة هَمَّهْ بَالاضْلاعْ مكنوزْ تَمْضى وهى بَالكَبْدْ مثل الْهَرَاسهْ

ص ١٥٧ : (العَتِل) : وتدٌ تُعَلّقُ به الذَّبيحَة ؛ لا « القدر الضخمة » كما فسرت هنا .

ص ١٥٧ أيضاً : ورد أن الأبيات التى أولها (يا شارْبَ التِّنْبَاكْ شارِبْك لا طال) قالتها امرأة من قبيلة (العجْمان) لزوجها .. إلخ . وهذا صحيح ، ونضيف هنا أن المرأة هي مْوَيضِي الدَّهْلاوية العَجمية ، وهي من أهل الرّسّ بالقصيم ، وزوجها هو الشيخ جديع بن هذّال الآنفُ الذكر ، لا فْهَدُ ، كما ورد بعد ذلك (ص ١٥٨) .

ص ١٧٩ : المقطوعة : (يا راكْبٍ مَلْحًا تِبُوج اشْهَبَ اللأّلْ) قائلتها مويضى الدَّهْلاوية المذكورة آنفاً ، وكانت زوجاً للشيخ جديع ، كما ذكرنا ، ثم إنه طلقها ، وبلغها ، بعد ذلك ، نَبَأُ إصابته ، في معركةٍ ، بكسرٍ في ساقه ، فأرسلت إليه هذه المقطوعة تبدى فيها مُشَاركتها إياه فى مصابه ، وتسأل عن صحته ، وتدعو له بالشفاء . وقد عُزيت هذه المقطوعة ، خطَأً ، لتشابه الاسمين ، للشاعرة مويضى بنت (أبوحناياَ) البَرَازِيّة .

ص ١٨٧ : صحة صدر البيت - ٦ - من قصيدة محمد بن مهلهل الشعلان الجيمية (سَلَبْ لي قلبى سلب كابون سرجى) لا (سلب عديلى ....) .

ص ١٩٠ : للبيت الأول الرواية الأخرى :

مَرْحَبَا يا نُوَى   يا هَنُوف البناتْ

وهنالك بيت ثالث هو :

والثَّنَايا سُوَا   كلهن مُرْهَفَاتْ

ص ١٩٢ : صدر البيت : (يا عَمّ جَنَّا ثلاث ركاب) صحته (... ثلاث ركبان) .

ص ٢١١ : ورد أن كنعان الطيار عاش بصفة دائمة مع الحضر ، وهذا خلاف المعروف عنه . وعزا المؤلف المقطوعة اللامية التى في ص ٢٠٩ له ،

وعندنا أنها للشيخ نواف بن النورى بن شعلان .

وفى الصفحة نفسها تفسير (الهوش) بأنه (الرعب أو الخوف عن هجوم) خطأ ، و (الهوش) ، كما هو معروف ، القتال .

ص ٢١٦ : ورد « المناهج : الرجال الذين يهيئون السبل .. إلخ » ، والصواب أن المناهِج هى الفجاج الواسعة .

ص ٢٢٠ : الأبيات للشاعر بصْري الوُضَيحى الشَّمَّرى . وصواب صدر البيت الأول : « يا محْسِن الويلَانْ عَنكم غَدوا بى » ، لا « الويلاد » . والأبيات من قصيدة مطلَعها :

حَنَّيتْ أنا حَنَّةْ خَلُوجٍ تْهَوبِى   على ولدها مَضَّتْ الليل ساعاهْ

(ينظر قطوف الأزهار ، ص ١١٦).

وليست القصيدة لشاعر (من قبيلة السَّبَعَة ، عشق ابْنَةً لمحْسن رخيص الروح شيخ (العبْدة) ، فأبى محسنٌ تزويجه إياها ، وأرسلَهَا إلَى أختـه التى كانت زوجاً لَشَيخ من (الوَلْدة) .. إلخ ، كما ورد روايةً عن بليهان.

وقد قالها بِصْرِى لما تَقَدَّم في السِّنِّ ، و (محسن) المخاطب في مطلعها ـ هو أخوه (مَحسن الوُضيحي) ، وكان عند (الموايقة) من (العبْدة) . أما محسن رخيص الروح فكان شيخاً لعشيرة (السارى) من (الفدْعان) ، لا (العبْدة) ، وكان عقيماً توفى ولم ينجب ، ولا أخت له متزوجةَ من أحد مشايخ (َ الوَلْدة) . وبليهان ، راوية موزل ، قد عاصر محسنًا رخيص الروح المذكور ، كما أنه قريب عهد بعصر الوضيحى ، فَغَريبٌ أن يروى هذه الرواية المهزوزة بل غير الصحيحة ، وأغلب الظن أنه روى هذا الخبر على سبيل الهزل مع المؤلف الذى انطلى عليه ذلك لعدم معرفته ، معذوراً ، بأنساب القبيلة ورؤسائها ، لبعده عن محيطهم .

ص ٢٥٠ : ثمة رواية أخرى لعجز البيت الخامس هى : (ولا انْتِن على دِين الاشْرَاف) . وثمة بيت سادس هو :

اللِّى قَريب تزَهَّنْ لَهْ والِّلى بعيدٍ لَلاذْلاف

ص ٢٦٢ : وردَ أَن « الفَضول » قومٌ « من عشيرَةِ الظفير » ، والصحيح أنهم ليسوا منها ، والقبيلتان المذكورتان كلتاهما من بنى لام .

ص ٣١٤ : (مذْمَحْ ساره) لعله تحريف صوابه (عظيم ضاح) ، وفى لهجات أخرى (عظيم سرا) ، والمعنى واحد .

ص ٣٣٢ : الأبيات الأربعة التى أولها :

الّله ومَعْ هذا لِكَ الّله لنَا كارْ عَنْ جَارِنا ما قَطّ نخفى الطِّرِيفهْ

قائلها مقحم الصقرى ، من (الصقور) من عنزه . وهى من قصيدة تدعى (الشيخة) تبلغ نحو ٣٠ بيتًا . ينظر قطوف الأزهار ، ص ٨٤ .

ص ٤١١ : قال المترجم في التهميشة ٧٤ التى علق بها على أحداث قتال بين الكواكبة وشمر من جانب ، والرولة من جانب آخر : « هذه الروايات للأحداث ... ربما لا تكون شديدة الدقة ... » إلخ . والواقع أن ما رواه المؤلف صحيح . وقد جرت الوقائع المذكورة فى عهد الشيخ كنعان الشّرَيفى شيخ الكواكبة ، ودامت سنوات سَبْعًا ، ثم عادت المياه إلى مجاريها .

ص ٤٣٦ : في التهميشة ٤١٠ علّق المترجم على الأبيات التى في ص ٣٥٣ لمحمد بن مهلهل وأشار إلى مقطوعة أولها :

يا خَلَفَ الآذانْ بَالكْ تَغَبّى يْذكَرْ لنَا عنْدكْ قعُود جْلاَبهْ

وقال ، اعتماداً على ما ورد في كتاب (أبطَال مَن الصَحراء) لمحمد بن أحمد السديرى، إنها لمحْدَى الهبداني ، وأن الذى رد عليها هو خلف الاذن . والواقع أن المقطوعَة التى مطلعها (يا خلف الآذان) التى رد عليها خَلفٌ ليست لمحْدَى الهبداني ، بل لشاعر آخر من أحلاف القبيلة . أما الأبيات التى فَي ص ٣٥٣ وأولها (يا مكيِّل الحَمْلات ...) فهى ، كما ذكر موزل ، لمحمد بن مهلهل .

وفي الختام يود المترجم أن يعبر عن امتنان وعرفان بالجميل للأخ الكريم عبدالله بن عبار على تفضله بإبداء هذه الملاحظ الدقيقة المفيدة ، وعلى إلقاء نظرة على فهرس القبائل وفروعها ... إلخ وإبداء ملحوظات مناسبة حول بعضها . كما يود التعبير عن عميق شكره لمركز البحوث بكلية الآداب ، وسعادة عميد الكلية ، والمجلس العلمي بجامعة الملك سعود رئيساً وأعضاء ، للإذن بنشر طبعة ثانية للكتاب ولما تَنْتَه المدة التى يكون حق نشره ، خلالها ، في يد الجامعة وحدها ، فجزى اللهُ الجميع خيراً ، ووفقهم لخدمة الجامعة والأمة ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

١٤١٧/٥/٧ هـ **د . محمد بن سليمان السديس**

مقدمة [المؤلف]

الرولة مشهورون بين كافة مجاوريهم بأنهم العشيرة البدوية القُحَّةُ الوحيدة في شمالي بلاد العرب[٢] ؛ وقد سنحت لى فرص عدة لدراسة حياتهم بالحل معهم والترحال شهوراً عديدة ، فدونت نتائج تلك الدراسات في هذا الكتاب .

ورأيت ، على أية حال ، أن من المجدي إضافة تفاصيل علمت بها من مرافقي بليهان بن مصرب الذى لم يكن رويلياً ، لكنه من فخذ القمصة The Kmuṣah من عشيرة السبعة ؛ وكلتا العشيرتين السبعة والرولة تتبعان مجموعة عنزه ، والقمصة جيران للرولة ، ويكادون يتفقون معهم اتفاقًا تامًا في العادات والتقاليد .

وقد حاولت عند كتابة الكلمات والجمل والتعابير والأناشيد والقصائد العربية بأحرف لاتينية أن أنقل بدقة ألفاظ من أستشهد بأقوالهم ، وكان هؤلاء ، في معظم الحالات ، رولة ، ولم أصحح مخالفاتهم النحوية والتلفظية العديدة . وقد فسرت لى معاني كل الأناشيد والأغاني والقصائد في الصحراء ، ولم أستعن على ترجمتها بالمعجم .

واستخدمت عند كتابة الكلمات العربية بأحرف لاتينية العلامات التى استعملتها في كتبي : شمالي الحجاز (نيويورك ، ١٩٢٦) ، والصحراء العربية ، وأواسط الفرات (نيويورك ١٩٢٧) ، ومنطقة تدمر ، وشمالي نجد (نيويورك ١٩٢٨) ، محاولاً أن أعبر عن كل صوت بحرف واحد ، أو رمز واحد .

ولابد لى أن أشكر ، مع اختتام طباعة نتائج اكتشافاتي ودراساتي منذ سنة ١٩٠٨ ، كل من أعانوني معنويًا وماديًا في الشرق والغرب كليهما ، ومن بينهم : أكاديمية العلوم - فينا ، رئيس الأساقفة الدكتور فرانتشك بوير - أولوموك ، الحاج داود بن سليمان بن صالح - دمشق ، خليل فتال - دمشق، الدكتور اوتوفيلتشنفلد براغ ، الجمعية الجغرافية - فينا ، الدكتور ماكس رترڤن جتمان فينا ، رئيس الدير الدكتور جلبرت هلمر - تبلا (Tepla´) الدكتور جوزيف رترڤن كرياسك - فينا ، جندرش كلنجر - براغ ، صندوق لاكنباتشر التابع للكلية اللاهوتية في جامعة فينا ، الأمير الحالي يوهان ڤن اندزوليشتنشتين - فينا ، الدكتور Melchior Mlcoch - أولوموك ، الأمير النوري بن شعلان ، البارون لويش روتشيلد - فينا ، فيليب ألويس شويلر - فينا ، رئيس الدير الدكتور مثود زاڤورال - براغ .

وقد اعتنى المحرر الدكتور جون ك . رايت بأعمالي وكأنها له ، والآنسة آنابلشوڤا ، أمينة سر الندوة الشرقية في جامعة تشارلز في براغ ، فرغت نفسها طوال ما يربو عن ثمانية أعوام بحماسة منقطعة النظير لمهمة إعداد هذه المجلدات والخرائط للطباعة .

وينبغي الإشارة إلى أن طباعة هذه السلسلة كلها ، وبخاصة هذا الكتاب ، قد أبرزت صعوبات طباعيةً استثنائية . وقد نَفَّذَت العمل مطبعة ستاتني تسكارنا Státni Tiskárna في براغ ، وأشرف عليه إشرافًا قديراً السيد كارل دايرنك Karel Dyrynk ولم يكن لدى منضدي الحروف ألفة بكلتا اللغتين الإنكليزية والعربية . وقد استوجبت كتابة اللغة الأخيرة بأحرف لاتينية استعمال أحرف لا حصر لها بحركات ورموز . إنه لرائع أن العمل قد تحقق على هذا النحو الدقيق والسريع .

مايقابل الأحرف العربية في هذا الكتاب[٣]

تدل الشَّرْطَة ، أو القوس ذو الفتحة المتجهة إلى فوق ، على تلفظ بملء النفس[٤] ، وتدل النقطة (̣) على صوت مفخم ، وتدل العلامة (̆) فوق الحرف على تلفظ من أعلى باطن الفم .

ط	=	ṭ	أ	=	,
ظ	=	ẓ	ب	=	b
ع	=	c	ت	=	t
غ	=	ṛ	ث	=	ṯ
ف	=	f	ج (مثل gem أو (dsh) أو (dj) أو y في yoke)	=	ğ
ق	=	ḳ			
(مثل az فى azure)	=	ž			
			ح	=	ḥ
ك	=	k	خ	=	ḫ
(ch)	=	č	د	=	d
			ذ	=	ḏ
ل	=	l	ر	=	r
م	=	m	ز	=	z
ن	=	n	س	=	s
هـ	=	h	ش	=	š
و	=	w	ص	=	ṣ
ي(y في yoke)	=	j	ض	=	ḍ

الفصل الأول

الأجرام السماويَّة والمناخ

* الشمس والقمر *

يتصور الرولة أن القمر ينظم حياتهم ، فهو يكثف أبخرة الماء ، ويجذب السحب الممطرة ، ويستقطر الطل النافع على المرعى ، ويتيح للنباتات - ولاسيما المعمرة منها التى هى جليلة الأهمية للإبل - النمو والحياة المديدة[٥] وهو يجود على البدوي المتنقل بأمان نسبي وهجوع منعش .

ويتصور البدو ، من ناحية أخرى ، أن الشمس تتحرق لتدمرهم ، فهى تسرع في إيباس كل رطب ، لا من مكونات الأرض وحسب ، بل من النبت والحيوان والإنسان ، إنها لتقضي على الحياة بمظاهرها كافة ، وتمكن الأعداء من الغزو بإتاحتها لهم الرؤية الجَلِيَّة . وهى تنتقم من الناس والأنعام الهالكة بإحالة الأجساد الميتة سمًا زعافًا . والشمس أنثى قوية نحيلة ممتلئة شبقًا وغيظًا . وهى ، لأنها عقيم ، توجس ، في قلبها ، غيرة من الحياة ، بمختلف ألوانها ، وتقضي عليها في مهدها . وكانت الشمس (الأنثى) ، مذ عرفها البدو ومافتئت ، مُسِنَّةً بقدر ماكانت غيوراً وشحيحة . أكانت فى أى وقت مضى أصغر سنًا مما هى عليه الآن ؟ وهل أنجبت ذرية ؟ هذا ما لا سبيل إلى معرفته . ولكن الرولة يرون أن لو عادت الشمس فتية وحملت الأطفال لأضحت ، فى الحال ، أرَقَّ وأكْثَرَ حنانًا .

أما القمر ففتًى مبتهج ، مفعَمٌ بالنشاط والحيوية ، والشمس زَوْجُهُ ، لكنه لا يشاطرها عش الزوجية فهو يبقى معها في آخر أيامه وهو سرار ، وأول أيامه وهو هلال ، من أجل المعاشرة الزوجية ، لكنه غير قادر على إشباع رغبتها .

فيهزل جسم القمر جداً لخوفه منها ، ومن إضاعة قوته بلا طائل . لقد امتنع ، في بادي الأمر ، عن تلبية رغبات زوجه العجوز التي ، على الرغم من ذلك ، لايمكن إشباعها ، لكن هذا أثار حفيظتها ، فحدث بينهما صراع اقتلع فيه كلٌ منهما عين ندِّه . ومذ ذاك فإن في ذلك الموضع من كل منهما بقعةً قاتمةً أو نَدبًا ، ويَحِنُ كل منهما إلى عينه المفقودة : القمر يَحِنُ إليها ليحسن إلى الرولة ، وتَحِنُ الشمس إليها لتلحق بهم مزيداً من الأذى . يقول القمر أحيانًا : (والله لولاك فِضَخْتِ عيني لا خلّي الصَّقَّارْ يِهِدّ بْقَمْرَايَهْ) ، أي : والله لولا أنك اقتلعت عيني لتركت الصائد يطلق صقره على الصيد في القمراء . فتجيبه : (والله لولاكْ فَضَخْتْ عيني لا خَلّي حِقّةَ البلِ تشْوَى برمْضَايَهْ) ، أي : والله لو لا أنك اقتلعتَ عيني لجعلت الحِقَّةَ من الإبل (أي الناقة التي بلغت السنتين) تُشْتَوَى في الرمضاء .

وللقمر والشمس عدو واحد ، إنها غولة شبيهة بالسمكة تدعى "الحوتة "[٦]. لقد اضطهدتهما منذ أمد موغل في القدم ، لكنها نادراً ما أفلحت في خداعهما . وما برحت متى ما فعلت ذلك تفتح فكيها ، وتحاول ابتلاعهما ، فيروغان أحيانًا ، فلا تحظى إلاّ بفلذة صغيرة منهما ، لكنها ، في أحايين أخر ، تزدردهما عظمًا ولحمًا . لكن الشمس على درجة من الحرارة والهزال بحيث لا تستطيع حتى الحوتة هضمها فتقيئها سريعًا دون أن يمسها مكروه . لذلك فالرولة غاضبون لأنه ، حتى الحوتة ، لا تستطيع تخليصهم من الشمس القاتلة . أما القمر فإنهم جدٌ به حفيون ، وإذا ما لحظوا أن الحوتة قد عضته إبّان فتوته فإن جل المخيمات تضطرب ، وينبعث الرجال والنسوان من البيوت مسرعين لنجدته . النساء يضربن قدورهن النحاسية ، ويُلَوِّح الرجال برماحهم ، ويشهرون سيوفهم في الهواء ، ويطلقون عيارات نارية صائحين بصوت واحد : (ياحوته ، اطلقي القمااااار) ، فإن لم يُجْدِ ذلك قفز الرجال على صهوات جيادهم ،

والنساء على الجمال ، وهبوا جميعًا نحو المكان الذي تهدد فيه الغولة القمر . وهم ، حتى الآن ، يفلحون دائمًا في إنقاذه ، لكنهم ما برحوا يخشون انتصار الحوتة . ولهذا السبب فإن لكل حي رقيبًا ليليًا لا ينحصر واجبه في حراسة الممتلكات وحدها ، بل وحراسة القمر وَلِيِّ نعمة الرولة أيضًا .

ويحس البدو بغير قليل من عدم الارتياح أيضًا في الليلة الأولى التي يهل فيها الهلال (ليلة السرا) . ولأن القمر لا يرى في تلك الليلة في شرق أو غرب فإنهم يتطلعون في اليوم التالي تجاه غربي السماء بلهفة أملاً في اكتشاف ولو جزء صغير ، في الأقل ، من دائرة وليِّ نعمتهم القمر الهزيل (لاقْمٍ من قَرْصِتِهْ) . فإذا رأوا الهلال أراه بعضهم بعضًا ، ورفعوا أيديهم إليه صائحين : (ياهْلال (....) ياسِعيد (...) [ياالله] يااللي فكيتنا بْهَلّيَ زَلّ تفكنا بهلي هل) ومعنى الجملة الأخيرة : [ياالله] يامن سلمتنا في هذا [الشهر] الذى زل (أى مضى) ، سلمنا في هذا [الشهر] الذى هل .

ولايعرف الرولة معرفة مؤكدة أبداً كم ليلة مضت على الهلال ، وإذا تباحثوا في ذلك تشاجروا ، ثم اضطروا إلى التسليم بما يقوله أكبرهم سنًا وأكثرهم تجربة . لكن الثقة في كبار السن تضعف جيلاً بعد جيل . فالشباب أذكياء ، ولايعيرون نصائح آبائهم وآراءهم آذانًا صاغية . ومن هنا جاءت شكاية أب مُسِنٍّ لابنه بقوله : (ياولدي يطلع جيلٍ واني ، يقول للهلال ابِنْ ثاني) ، أى : سيأتى جيلٌ عاصٍ يقول : إن الهلال ، وهو في ليلته الأولى ، في ليلته الثانية !! . ويضيف جار له : (يطلع جيل مِدْفَع ، ليا عزمته ما يروى وما يشبع ، وليا نخيته ما يفزع) ، أى : سيأتى جيل عنيد إن دعوته إلى مأدبة فإنه لا يرتوي من شرابٍ ، ولا يشبع من طعام ، وان استنجدت به لم ينجدك ! .

ويكون البدوى أسعد ما يكون فيما بين الليلة الثامنة والثامنة عشرة ، لأن القمر في هذه الليالى ، يظل حيًا حتى تطلع الشمس (تطلع الشمس والقمر

حى) . وتدعى هذه الليالى " البيض " (ليال البيض) ، فلا يمكن بها رؤية البدوى من بعيد ، ولا مهاجمته بغتة من قريب ، لأنه يرى أبعد من مرمى البندقية . وابتداء من الليلة الثامنة يستطيع النوم قرير العين ، ومن الليلة العاشرة فما بعد لا يكون مضطراً لجمع إبله الباركة منتشرة حول بيته هنا وهنالك (ليلة ثمان نم بامان ، وليلة عشر لا ترد النشر) . فبالإمكان في هذه الليالى ، ترك نار المسافر الوحيد متقدة . وفي الغارات الحربية لا حاجة لقنديل ينير الطريق ، فلا غرو ، والحال هذه ، أن يتمنى الشاب الفتي قائلاً : أريد أن يظل الليل مقمراً كل ليلة ، وأن يظل الروض دائم الاخضرار ، وأن أظل حيًا دون أن أصغر أو أكبر (أبغي أن الليل اقمر والروض أخضر ، وانا حي لا ازغر ولا اكبر) .

ولكن يبدأ الشر في المجيء بعد الليلة الثامنة عشرة ، فاللصوص يجوسون خلال الحي ، ويخترق الأعداء المكان ، وترى النار الخافتة من بعد شاسع ، ويُحْدِق الخطر بالقاصي والداني . لهذا فإن التحذير يسمع مرة تلو مرة: (ليلة عشرين احفظ مالك يامسكين) . إن ظلام الليل البهيم ليفعم أفئدة الأرقين بالرهبة فيجأرون بالهتاف : (الله يكفينا شر الظلما والظالمين)[٧] .

وفي الشتاء يعبر القمر كبد السماء ، ويظل في حافتها صيفًا (مع بطين السما) . وترسل الشمس وهجها فوق الرؤوس تمامًا .

ويقسم البدو الزمن إلى مُدَّتَيْن : إحداهما عندما يحكم القمر ، والأخرى عندما تحكم الشمس ، الأولى تدعى " الليل " ، وتدعى الثانية " النهار " ، ويؤلفان معًا يومنا ذا الساعات الأربع والعشرين (يوم) . والبدو ، على أية حال ، لا يستعملون هذا الاسم ، فهم يذكرون الليل أو الليالي فقط ، أما النهار ، حكم الشمس ، فيعد تابعًا لليل أو الليالي بغروب الشمس ، وينتهي بشروقها . ويسمى وقت غروب الشمس " المغرب " ، وأول الليل " العشا " ،

وما بين غروب الشمس وانتشار الظلام " العتيم " ، ثم يجى " العتيم الاخير " ، وأخيراً منتصف الليل " نص الليل " ، وما بين منتصف الليل وشروق الشمس هو " تالي الليل "، ثم تأتى " شقة العمود " أو حين تبدأ نجمة الصباح في الارتفاع فوق الأفق المظلم ، وأخيراً الفجر " طلعة الحَمَار " ـ بفتح الحاء ـ . ويدعى وقت شروق الشمس " الصبح " ، والوقت الذى ترتفع فيه الشمس وتجفف الندى ، أو تكون في منتصف الطريق بين الشروق والظهر هو "الضحى" ثم الظهر ، وتليه " القايلة " أو " صَكّة العْمَيّ " : وقت القيلولة[8] . وماكان نحو منتصف الوقت بين الظهر والغروب فهو العصر ، ثم يأتى " العْصَير " .

وليس تقسيم اليوم إلى ساعات معروفًا . ويستعمل الرولة كلمة " ساعة " لكن بمعنى " على التّوّ " ، أو حالاً ، أو " بعد دقيقة " .. مثلاً : (أشعل النار بساعة) ، أى من فوره . وأيام الأسبوع لا تعد ، فإن " سبوع " لاتعني سبعة أيام وحسب ، بل خمسة أو حتى ، تسعة أيام ، أو أكثر . ولا يعلم الرولة آلشَّهْرُ ثمانية وعشرون يومًا أم ثلاثون ، ولا يبالون بذلك ، لأنهم يعدون الليالى وحسب .

وليس لديهم أسماء معينة للأشهر كُلٌ على حدة ، لكن " حمار " العبد الأول للأمير النوري أصر على أن الأشهر المتتالية تسمى على هذا النحو : عاشور – صفر – الأربعة الأشهر التوام[9] – الغرا – القصير – رمضان – شهر الأفطار – وأخيراً : الضحية . لكن لا أحد من عامة البدو ، بل ولا من شيوخ العشائر الشبان يعرف هذه الأسماء كلها ، وكل يعرف " رمضان " و " الضحية "، وكل يستطيع ذكر بعض باقى الأسماء ، لكن دون معرفة النسق .

ويبدأ العام بالخريف حين ينكسر كل عود (يطق العود) ، وتلك أمارة على كونه تام النشوفة واليبس . ثم يظل البدوى يترقب متطلعًا إلى الغيوم منتظراً المطر والعام الجديد اللاحق .

★ الغيوم والمطر ★

الهلال هو الذى يجلب المطر ، فحالما ينتهي موسم المطر يمتص الهلال الماء من البحر العظيم في قطرات متناهية الصغر بحيث تستطيع القطاة جرع مائة منها دفعة واحدة . ويصف الهلال هذه القطرات صفوفًا متماثلة ، ويصوغ منها أبخرة وسحبًا خفيفة (غيم) في موضع ما بعيد في الغرب - في (الخضرا) أو تونس ، كما يظن .

ثم لا يكاد سهيل يبدو في الأفق في الخريف (" الهريف " مستخدمة بمعنى " الخريف ") ، حين لا يكون لدى البدو ماء لهم ، ولا مرعى لقطعان ماشيتهم ، حتى يرسل الله الملك إلى الغرب الأقصى (أقصى الغرب) فيأمر القطرات أن يلتئم بعضها مع بعض . وهكذا تؤلف السحب الداكنة (سحب) ، فيجرها إلى الشمال حيث يصفدها بالسلاسل ، ثم يضيف إلى هذه السحب سحبًا صغيرة (غيم) أكثر فتضحي السحب كثيفة (يحجج) ، وأخيراً يستاقها (يشلها) أمامه ، وهو قابض على العصا (المحجان) الذى يسوق به مطيته ، فوق أراضي الرولة وغيرهم من البدو ، ويأمرها أن تسقط أمطارها على الصحراء التى سفعتها الشمس بأشعتها . وإن قاومت أية سحابة هذا الأمر ضربها الملك (بمحجانه) محدثًا البرق والرعد ، فتتخلى السحابة الوجلة ، عندئذ ، عن كل ما تحمله من مياه ، ثم تتبدد وتتلاشى ؛ لكن " ما كل بارقة تجود بمائها " . وأحب الغيوم إلى البدو ما يسمى " سِحْب " و " مِزِن " . و " السحابة " أو " السحاب " تكون رمادية كثيفة يصفر لونها ، في الغالب ، فلا تتبدد حتى تمطر (ليا رَقِّطَتْ نَقِّطَتْ) . و " المزنة " : سحابة صغيرة بيضاء أصلاً ، تنضم إليها سحب كثيرات أخر شبيهات بها (يتفازعن) فترتفع السحابة الكبيرة الناتجة عن ذلك ، وتَسْوَدُّ بعض أجزائها ، وتلمع

البروق في حواشيها ، وتزمجر بالرعود ، ثم تثمر مطراً غزيراً (صَنَّعَتْ) .

يقول البدو عادة : (انت المزنة الغَرّاً اللى غشانا هَلَلْها ، واهَلّي بك هلوتين هلوة الأرض ببللها) أي : أنت أيتها المزنة الغراء التى قد أدهشنا[10] مطرها ! أرحب بك ترحيبين كترحيب الأرض ببللها .

وإذا أمطرت السماء بغزارة ابتهج البدوى وقال : (هلل المطر هلل ! سَيِّلت الدنيا !) . وإذا رؤي المطر متساقطًا عن بعد قال الرجال : (استهلت الدنيا) ، أى : لقد صلى العالم من أجل مطر وافر ، وأفلح في صلاته[11] .

وتسمى زخة المطر التى تستمر قليلاً فقط " رهاشيه " أو " مرهاش " ، والمطر الوافر الذى يسقى بقعة صغيرة من الأرض " هملول " والجمع " هماليل " . وإذا كان المطر كثيراً على أرض واسعة سمي " ديم " . وقد يمطر السحاب أغزر مطر ، لذلك قد يسمع المرء غالبًا قولهم : (سحاب نهاب .. يرمى على روس الحزوم قشاش) أى : السحاب نهاب يلقى على ذرى التلال خليطًا من الحصى والحصباء .

والمطر الشديد الانهمار يجرف التربة الخصبة لشتى ضروب النبت من الروابي العاليات ذوات المتون المتوجة ، فلا يبقى هناك سوى أحجار كبار ، أحجامها متنوعة ، لا يجد البعير بينها إلا نزراً يسيراً مبعثراً من العشب .

ويصف البدو السماء الملبدة بالغيوم تلبيداً تامًا بأنها " مْطَوّسة " . والسحب نصف الشفافة الشبيهة ببيوت العناكب المعلقة تحت السحب الكثيفة العليا هى السحب المطرة " رويات المطر " .

والسحب ، عن بكرة أبيها ، تطيع أمر الله (سبحانه وتعالى) ، وهو يرسل ملكه إليها ، فيمسك بعصا (محجان) بيده ، ويحث السحب على المسير ، ويصيح بها ، ويضرب العاصيات . وضربة " المحجان " هى درب البرق المتعرج " عقربه " ، والصياح والضرب هما هزيم الرعد الذى يسمع من

مسيرة يومين (تقطع خلالها مائة كيلو متر) . وإذا دنا الرعد (ليا أرعدت السحابه) فإن البدوي يصيح في توقع مستبشر للمطر : " اعمر يا كريم ! يازين الوَحَيْ !) أي : أنبت لنا مرعى جيداً يا كريم ! ما أجمل الصوت ! . ومع كل ومضة من ومضات البرق يهتف البدو : " عزك يا عزيز الوجه ! " أي : ما أعزك يا عزيز الوجه ! . وإذا أصاب (لعج) البرق شيئًا ما حول الحي فإن البدو يخشون أن تهبط قطع من السحاب وتدفنهم ، ولذلك يصيحون : " ارفع العرش عن الفرش يا مانع قوي ! " أي : ارفع السماء عن الأرض يامانع ياقوي ! .

وتنفصل أحيانًا قطعة من السماء مؤلفة من نار وحديد وتسقط على بدوي فتقتله " فلان طاحت عليه الصاقعة " .

وإذا أمطرت سحب مرتفعة جداً فإن الماء يغرق بعض النجوم الصغار التى يعوم آلاف منها في الجو في الليالي الباردة . يتقد كل نجم منها اتقاد الجمرة ، وإذا أصابها المطر انطفأت ، وأخذت تهسهس ثم تفتتت ، وسقطت على الأرض ، وهى تصرخ أثناء سقوطها طالبة النجدة . ويشق مثل هذا النجم الساقط في الصحراء أخدوداً (مَطِيح النجم) يتراوح طوله بين أربعين خطوة وستين ، ويختبيء في أقصاه . وأي شخص يلاحظ سقوط نجم فإنه ينطلق في الحال مسرعًا بِقِرْبَةٍ ممتلئةٍ ماءً إلى مختبئه ، ويصب عليه الماء ، ويهيل عليه الرمل والحصباء ، وينتظر عامًا كاملاً ، وعند انقضاء تلك المدة يزيح الرمل والحصباء ، ويخرج النجم ، ويذهب به إلى صانع سيوف حاذق فيذيبه ويطرقه ، ويصنع منه سيفًا ذا حد واحد تصل قيمته إلى مائة ليرة تركية (٤٥٠ دولاراً) .

وحين يبدأ السحاب في التلاشي ، مع وجود البرق والرعد ، فإن الرولة يدعون قائلين : (يامن يرسل السحاب ، يرسل له ثمان اركاب ، ويقول له عطوى يجي) . أي : يا من يرسل (الملائكة) إلى السحاب ! أرسل له (ملائكة) على ركاب ثمان ، وقل له : عطاء (الله) سيهطل .

وإذا نشر الله الرحيم السُّحُب ، لكن لم يسقط من المطر سوى قطرات قليلة ، فإن البدو يندبون (حظهم) قائلين : " من عقبه غَدَينا ذَهَاب ، مثل ضحضاح السَّرَاب ، عقب الله ما حنَّا شِين " . أي : من بعده (أى هذا المطر) فقدنا ماكان قد يجلب لنا الذهب[١٢] (لقد فقدناه) كضحضاح السراب ، إننا لسنا شيئًا بدون الله ! . (أي : لا نستطيع عمل شيء بدون عون الله) . ولو نزل المطر غزيراً لوفر للإبل مرعي طيبًا . والإبل التى تحظى بمرعى طيب تباع على " عْقَيل " بالذهب[١٣] .

ويدل ظهور قوس قزح (سيف المطر) نهاراً على انتهاء المطر ، وحالما يختفى تهدأ السحب (ليا سَيِّفَتْ كَيِّفَت) .

* الفصول ومواسم الأمطار *

السحب ، في الصيف ، كثيرة لكنها غير ممطرة ، وفي الخريف فقط يرى قوس صغير (مدة الشمس) إما عن يمين الشمس أو عن شمالها ، وهي أمارة لا تخطىء على أن المطر آت عما قريب . وفي هذا الفصل يأخذ العراف (صاحب السر) عراف عشيرة (النصير) مبارك بن هويمل حفنة ملح ، ويقسمها أقسامًا خمسة[١٤] صِغَاراً مبينة الأمطار الرئيسية ، ويجعلها على هيئة صليب (صلب) هكذا :

• سهيلاوى

• صيفى • ثْرُوِى • شتوي

• جوزاوي

ثم يضطجع بقربها ، وينتظر ما سيخبره به مبعوث الله خلال الليلة المقبلة[١٥]

وفي الصباح التالي يفتش هو والآخرون الأكوام . والكوم الذى ذاب أكثر ملحه هو الذى سيجود بالمطر الوفير .

وتبدأ سنة البدو مع أول مطر غزير بعد ظهور (سهيل) في أوائل اكتوبر : (طلعة سهيل نْشَرِّق) أى : لقد أرانا سهيل نفسه فلنمض إلى الصحراء الداخلية ،هذه هى صيحة البدو الذين يجوسون خلال البراري الداخلية بعد أن يبرحوا حدود الأماكن المأهولة والمزروعة مع ما يملكون ، انتجاعًا للمراعي. ومدة سهيل أربعون ليلة ، وبعده الثريا ، ومدتها خمس وعشرون ليلة (ثروي) ، ثم تتبعها الجوزاء ، ومدتها كمدتها . وهكذا فإن ليالي سهيل والثريا والجوزاء تسعون ليلة - ثلاثة أشهر - وهذا الفصل من فصول العام يسمى (الصّفِري) ، وهو يوافق أكتوبر ونوفمبر وديسمبر على وجه التقريب . ثم تدخل الشعرى وتلبث أربعين ليلة . وهذا الفصل من فصول العام يسمى (الشتا) . وبعد الشعرى يدخل (السماك) ويظل خمسين ليلة ، ولكن في منتصف أبريلنا ينتهي حكم النجوم ، ثم يدخل الصيف الذى يستمر حتى بداية يونيه تقريبًا ، ثم يخلفه الفصل الجاف (القيظ) ممتداً أربعة أشهر حتى نحو أوائل أكتوبر . وهكذا فإن البدوي يعرف للعام فصولاً خمسة : الصفري :تسعون ليلة (من أول أكتوبر إلى أول يناير) ، والشتا : أربعون ليلة (أى نحو من ٢٠ فبراير) ، تتبعه فترة تسمى أحيانًا الجزء الثاني من " الشتا " وتنتهي في الرابع من مارس تقريبًا ، ثم السماك : خمسون ليلة (إلى منتصف أبريل) ، فالصيف (إلى أول يونيه) ثم أشهر القيظ الأربعة . ويجهل عامة البدو أي تقسيم للعام غير هذا التقسيم .

ويقسم البدو الأمطار إلى : الوسم ، والشتوي ، والسماك والصيفي . ويتضمن الأول منها أمطار " السهيلاوى " و " الثروي " و " الجوزاوى " أي أمطار سهيل والثرياء والجوزاء ، أو أمطار " الصّفِري"، أي الأمطار الخريفية .

وحالما يظهر سهيل يغادر البدو مخيماتهم المقامة في الأودية ، وفي بطون الشعاب الواسعة الجافة التى غالبًا ما يتجاوز طولها المائتي كيلومتر . وبعد سقوط أمطار وفيرة في أعالي هذه الأودية يندفع الماء اندفاعًا عنيفًا عبر القنوات ، حاملاً معه المخيمات ، ومغرقًا الناس وماشيتهم معًا ، ومن هنا قيل : (ليا طلعت السهيل[١٦] ، لا تامن السيل ، وتلَمّس التمر بالليل) ، لأن التمر يكون في ذلك الحين ناضجًا ولا حاجة للانتقاء . ويسمى المطر " السهيلاوى " أيضًا ، " الخرفي " أو " الهرفي " وإذا كانت الأرض قد تشربت به تمامًا (أرض موسومه عليها الخرفي) فإنها تتفتق عن وريقات النباتات الحولية الصغيرة ذات الخضرة الشاحبة .. فتظهر هذه الوريقات سريعًا في كل مكان ، ويدعوها الرولة أعشابًا (عشب) ، كما يسمون النباتات المعمرة نباتات خشبية (شجر) . وإذا كان الموسم الثروي " أو مطر الثريا وفيراً أيضًا فان النباتات تبلغ أقصى نمو لها ، وترعى الإبل عشبًا جديداً حتى قبل حلول الشتاء .

والوسم " الثروي " أهم الأمطار كلها ، فهو العامل الحاسم للرعى في المستقبل . ويضمن المطر " الجوزاوى " الوافر الممتد على مناطق واسعة نمو الأعشاب والأشجار ، ويطرد شبح الجوع . ويأتي ، أحيانًا ، بعد انقضاء مدة المطر " الجوزاوى " مطر يدعى " التوبيع " في وقت ظهور " الدبران " ، فيتم الخصب الذى جلبته أمطار " الجوزاء " ، على أنه غير كاف وحده ليحل محل تلك الأمطار حلولاً تامًا .

ولا يضمن المطر (الشتوي) الذى يسمى " النقضان " نمواً جيداً للأعشاب إن لم تكن قد نبتت بعد أمطار الوسم . وثمة في السماك ، وبخاصة في فصل الصيف ، أيام كثيرة شديدة الحرارة حتى إن الأعشاب التى تكون قد نبتت بعد المطر (الشتوي) تصفر قبل اكتمال نموها . ولكن المطر " الشتوي " يملأ

الخزانات كلها بالماء الصحي النقى الذى يتبخر ببطء خلال أيام الشتاء ولياليه الباردة ، ويظل ، نتيجة لذلك ، نقيًا أمداً طويلاً .

ولا يكون مطر " السماك " نافعًا ما لم تكن التربة قد ارتوت بأمطار خريفية ارتواءً تامًا ، لا سيما أمطار الجوزاء ، لأن أمطار " السماك " ، في هذه الحالة ، تنمي كلاً من الأشجار والأعشاب سريعًا . وتكاد تكون رفاهية البدو ، في ذلك الفصل بخاصة ، مضمونة . ومع ذلك ، فإن مطر السماك ، وإن جاء أوفر ما يكون ، يمسي ضئيل الجدوى إن هطل على أرض يابسة ، لنقص الرطوبة من أمطار الخريف السابقة ، لأن شمس الفصل التالي (الصيف) الحارة ستستهلك كل شيء قد نفخ فيه السِّماكُ الحياة .

ويؤدى المطر الصيفي الوفير إلى هلاك النباتات الموسمية ، ويقوى النباتات المعمرة (الدائمة الخضرة) ، ويُتْرِعُ الآبار ، بلا استثناء ، بالماء . وتضحى الأعشاب التى انعشها مطر الصيف الغزير وافرة النماء فتمد، بسرعة ، أوراقًا جديدة وأزهاراً ، لكن بعد أيام معدودات ، تمتص الشمس السافعة كل ما فيها من ماء ورواء ، وتذويها أبكر مما لو لم يوقظها المطر الصيفي من مرقدها . أما الشجيرات ، من الناحية الأخرى ، فإنها لتمتعها بِأمَدِ اخضرار أطول ، تنال رطوبة كثيرة جداً من مطر الصيف الغزير تمكنها من بلوغ نموها التام . إن وفرة نماء النباتات المعمرة في الخريف أمارة لا تخطىء على أن المكان الْمُعَيَّن قد زارته أمطار صيفية جيدة ، ولذا قيل : (يا عين الْخُشَيفِ ترعى الخِرْفِى عقب الصيفي !) . أى : يالعين ذلك الْخُشَيفِ (الغزال الصغير) سترعى مرعى الخريف بعد مرعى الصيف ! . ويملأ مطر الصيف الوافر أيضًا البرك الطبيعية والمعدة معًا ، ولكن لا تلبث الضفادع " الدغاليص ، "ومختلف ضروب الديدان ، أن تغزو مثل هذا الماء ، وسرعان ما تحيله كريه الرائحة وغير صالح للشرب .

⋆ الاستغاثات من أجل المطر ⋆

إن لم تحظ الأرض بمطر خـــريف وافـــر فـــإن خطر الجـــدب (المحل ، أو المخطي) يلوح في الأفق ، ولدرئه تؤلف بنات البدو وزوجاتهم موكبًا مع " أم الغيث " فَيُمَدُّ ثوب امرأة على عصوين ليتألف شكل صليب ، وتحمله فتاة عذراء على رأس الموكب تطوف من بيت لآخر مغنية[17] :

يا ام الغيث غيثينا	بلي بشيت راعينا
يا ام الغيث غيثينا	من المطـــر ازينا
يا ام الغيث غيثينا	من مد الله مدينا
يا ام الغيث غيثينا	من الوبل انطينـا

المعنى :

يا أُمَّ الغيث أغيثينا .. بلى عباءة راعينا (أى راعي مواشينا).

يا أُمَّ الغيث أغيثينا .. من المطـر أسقينـا

يا أُمَّ الغيث أغيثينا .. من مد الله أمدينا[18]

يا أُمَّ الغيث أغيثينا .. من الوبل أعطينـا

البيت -١- : تدل كلمة " غيث " على مطر يستمر أربعة أيام ، في الأقل ، على أرض واسعة . بشيت :عباءة ورقاء اللون ، رقيقة زهيدة الثمن ، تغزل من الصوف ، أو من رديء القطن .

البيت -٢- : تزيد الفتيات دعواتهن شيئًا فشيئًا من أجل المطر ، فيردن في أول الأمر مطراً يبلل عباءة الراعي وحسب ، ثم يدعون من أجل مطر يدوم عدة ساعات

البيت -٣- : إذا صب الله سبحانه وتعالى المطر من مكياله ، أو إناء المطر ،

فإن هذا يعني مطراً غزيراً مباغتًا .

البيت -٤- : وبل : الوبل مطر يستمر عدة أيام ، ويغمر أراضي شاسعة ، " نطى " تستعمل بمعنى " عطى " : أعطى .

١.	يا ام الغيث غيثينا	دايم شـــــرك بالينا
٢.	يا ام الغيث غيثينا	دايـــم عج عامينـــا
٣.	يا ام الغيث غيثينا	وحي المحــل يتلينـــا
٤.	يا ام الغيث ياتقعه[١٩]	قتلنا البرد والصقعه

المعنى :

١. يا أُمَّ الغَيْثِ أغيثينا ! إن شرك لمتسلط علينا ، معذب لنا دائمًا!

٢. يا أُمَّ الغيث أغيثينا ! فثمة رياح دائمة قوية تعمينا !
(بما تحمله من تراب وغبار) .

٣. يا أُمَّ الغيث أغيثينا ! فشبح المحل يتتبعنا !

٤. يا أُمَّ الغيث ياجائعة ! لقد قتلنا البرد وصقيعه !

البيت -٤- : " البرد " أضعف من " الصقعه" ويسمع في الصيف غالبًا القول : " برد اليوم " أى : الجو بارد اليوم . ولكن " صقعه " لا تستعمل إلا عندما تخترق العظام ريح الشمال الثلجية الجافة .

١.	اللي تعطينا بالغـربال	جعل وليده خيـــــال
٢.	اللي تعطينا بالمنخـــل	جعل وليده يدخــــل
٣.	اللي تعطينا بالحفنـــه	عسى عدوته للدفنـــه
٤.	اللي تعطينا بالكمشه	جعل عيونها الرمشه

المعنى :

١. التى تعطينا بالغربال .. جعل الله ابنها فارسًا !
٢. التى تعطينا بالمنخل .. جعل الله ابنها يدخل (على زوجة) .
٣. التى تعطينا بالحفنة .. عسى أن تدفن عدوها (أى عساه يموت).
٤. التى تعطينا بأطراف الأصابع .. عسى أن تكون عيناها طويلتى الأهداب .

البيت -٣- : حفنة : هى قدر ما تمسكه اليد ، وقد أميلت راحتها إلى أعلا ، وثنيت أصابعها .

البيت -٤-: كمشه : هى قدر ما يمكن قبضه بين الراحة والأصابع ، واليد مقلوبة.

اركبوني الحاشـــــي	وابعـــدوا بكماشي
دمـــع عيني نواش	على اللي فارقوني

المعنى :

أركبوني الجمل البكر .. وأبعـــــدوا من يقـــودنى

دمع عينى قد فـــرغ .. لبكائي على من فارقونى[٢٠]

حاشي : بعير لما يبلغ بعد من العمر ثلاث سنوات . والناقة التى أكبر منه تسمى " جل " . يعانى الجمل البكر من نقص الماء والمرعى ، وتعانى الفتاة من الحزن لفقد حبيبها ، وكل منهما سيهلك إن لم يلق رعاية .

اركبوني الحمرا واطعموني تمره   الله يطـــــــــــول عمره
يوم هم خلصوني

المعنى : أركبوني فرسًا كميتًا ، وأطعموني تمرة ، أطال الله عمره !
لأنهم حرروني

إنهم - أى أقاربها - أنقذوها من الموت بأن أعادوا لها عشيقها الذى لم يمت عطشًا في الغارة .

ياذيب ياطارد الهيف	اطرد هبوب الشمـــال
عيِّنت عَلْيَا وأبوزيـد	اهل القصور العوالي

المعنى : ياذئب ! يا من تطرد ريح الجنوب الحارة ! اطرد هبوب ريح الشمال البارده. لابد أن قد رأيت " عَلْيَا " و " أبا زيد " اللذين كانا يسكنان القصور العالية[٢١] .

الذئب لا تضره الرياح على اختلافها ، ولذلك بلغ من الكبر عتيًا بحيث استطاع أن يقص كثيراً مما يتعلق بساكني القصور الخربة التى رآها من أخبار
الهيف : الريح الحارة الجافة التى تهب في الصيف من الجنوب الشرقي محدثة الكثير من المعاناة ، لاسيما للأطفال والنسوة .
الشمال : الريح الشمالية الشديدة البرودة ، التى تقضى على النّبت والحيوان والكائنات البشرية كلها . وإذا هبت ولَبِثَتْ مدة تجمد العشب ، واعْتَلَّ الناس والبهائم معًا .

ولا تأتى الأمطار بعد ريح " الهيف " في الصيف ، ولا بعد ريح " الشمال" في الشتاء .

والذئب يقاوم ريح الجنوب (فهو طاردها) ، ويغلب ريح الشمال ويقصيها .
أبوزيد وحبيبته عَلْيَا : بطلا قصص تُحْكَى بين الحضر . ويفترض أنهما يملكان المدن الخربة في الوقت الحاضر ، وأنهما عاشا في قصور ترتفع حيطانها المتهاوية على الأفق ، على حدود الصحراء .

وتقدم هدية ما من كل بيت للصبايا المرافقات لأم الغيث ، ويعد أن يَزُرْنَ بيوت الشعر كلها يختلفن مع " أم غيثهن " إلى خباء قد ضُرِبَ جانبًا حيث يقتسمن أى شيء أعطينه ويأكلنه ، ويخلعن العباءة عن شكل الصليب ، ثم يعدن مساءً من حيث أتين .

★ حقب الرَّخاء والشِّدَّة ★

إن مطر (الوسم) الوافر ، وبخاصة المطر " الثروي " أى مطر الثريا ليضمن للبدو ، كما قلنا ، مرعى غنيًا من النباتات الموسمية أو الأعشاب "عشب " ، ومن ثم رخاء يدعى عمومًا " ربيع " . وفي البراري الداخلية لا تدل كلمة " ربيع " على فصل من فصول العام ، فيستحيل لذلك ترجمتها بكلمة " Spring : فصل الربيع " كما قد نفعل حين نتعامل مع المناطق المأهولة والمزروعة .

ويتمتع الفلاحون ، سكان المناطق المزروعة ، بـ " الربيع " من عام لآخر ، ولأنه يبدأ دائمًا في الفصل نفسه ، فإن الربيع لديهم يعنى " فصل الربيع " . إن الملك جبرين - هكذا - الذى يحكم سحب المطر لا يكن حبًا لبلاد الرولة ولا للصحراء ، ولهذا فهو يصفّ أجنحته فوقها حتى لا تمطر إلا على بقع ضيقة هنالك وحسب ، أى حيث ينزلق المطر من جناحيه . وبخلاف ذلك ، حين يطير فوق أراضى الفلاحين يقبض جناحيه إلى جسده قدر إمكانه ، فتهطل الأمطار في كل ناحية . إن جبرين في رحلته فوق البراري يضرب السحب ليضطرها إلى الإسراع الشديد في حركتها ، لكنه يدعها وشأنها فوق الأراضي المأهولة فتمطر هناك مطراً غدقًا[٢٢]. ويفسر علماء القرآن سلوك جبرين قائلين إنه غاضب على البدو لعدم تقيدهم بالتعاليم التى نقلها إلى النبي ﷺ[٢٣] .

وإذا لم تتشرب الأرض أى أمطار خريفية فلا ربيع إذن " الارض اللي ما تنوسم ما تربع .. مخطيه) . ويكون " الربيع " أعظم وأطول إن نالت الأرض قسطًا وافراً من مطر " السماك " بعد تشربها أمطار الخريف ، فتتحول السهول قاطبة ، وحتى الصحراء إلى مروج بهيجة . وتغطي ، في الحال ، ضروب تفوق الحصر من النباتات الموسمية والشجيرات المعمرة كل واد وغور ومنحدر ناعم والسهول المكونة من الرمال الدقيقة الحمراء كلها ، إضافة إلى الصدوع والمرتفعات . وتقضم الإبل من النباتات الشهية دون سواها ، وتسمن حتى لا تكاد

تقوى على الحراك . وكثيراً ما كان الحليب يسيح من ضروع الخلفات (النوق الحلائب) المكتظة بالحليب . وتطوف الأفراس ذكوراً وإناثًا في أثخن عشب ؛ ويملك البدو رجالاً ونساء ، شيوخًا وأطفالاً ، من الحليب الحلو والحامض وشحوم الإبل أكثر مما يعرفون ماذا يصنعون به ، وأكثر من ذلك يحيا لديهم الأمل في ربح مؤكدمن بيع النوق الفاضلة عن الحاجة ، أو المسنة ، أو العقيمة ، للمشترين من " عقَيل " الذين يدفعون أثمانًا طيبة عوض الحيوانات السمان .

وفي الأراضي التي بها ربيع " ترى بيوت الشَّعَر مبعثرة في مختلف الأنحاء . ولوجود كثير من المراعي الطيبة القريبة من بيوت الرعاة فإنهم لا يعزبون بإبلهم إلى المراعي النائية . ويتوفر ماء المطر البارد النقي في كل منخفض ، أو صدع في صخرة ، أو حفرة في بطن واد . وكلّ يستحم ، وتُغْسَل الملابس ، ويقضى على شتى أنواع الطفيليات . ويهرع الشبان في أواسط النهار ، وفي المساء ، إلى الغدران في قيعان الأودية للتوضؤ ، ويستحمون كل على حدة ، الفتيان في مكان ، والفتيات في مكان ، وتسمع في كل صوب صيحاتابتهاجهم وأغانيهم المنوعة . ويطبخ في البيت الفطر ، والكمأة ، والبصل البري الغَضُّ والخُضَرُ الطازجة ، ويستمتع بها .

واسم الفطر المحلي هو " الهوبر " وهي تنبت بعد أمطار الليل الدافيء : (امْطِر بالليل وراح يْتجَنَّى الهَوَبْر)[٢٤] . ويخرج صباحًا ، بعد مثل تلك الليالي ، الرجال والنساءمعًا بحثًا عن ذلك الطعام الشهي الذي ينمو خير نمو قرب الترع ، في حين تفضل الكمأة التربة المختلطة بالرمل ، وتكون الأخيرة عند اقترابها من السطح كتلاً صغيرة شبيهة بالقبعات تسترعى عين الملتقط ، فيقلب التراب الذى يغطيها عندئذ باليد أو بعصًا ، ويحفر عن الكمأ . وتغلى عند طبخها بالماء المالح ، وتقدم مع الزبدة أو شحم البعير . وهنالك طريقة

أخرى هى خبزها بالملة بعد تمليحها تمليحًا تامًا .

وثمة ضروب ثلاثة من الكمأة (الفقع) : الكمَا والزّبيدي والخلاسي . بعد أن جمع بدوى كومًا منها صنفها في بيته حسب أنواعها قائلاً : (الكُمَيّه لام البنيه ، الزبيدى لام وليدي ، الخلاسي لراسي) أى : هذه هى الكمأة ستنالها أم البنية ، وهذه " الزبيدي " وسأعطيها أم بُنَيّ ، وخيرها " الخلاسي " سأبقيها لنفسي .

ويستمتع البدو جميعًا أيما استمتاع بالبصيلات الصغار لبعض النباتات البرية وخاصّةً الطِّيطَه ، والرُّبحْلَه ، والكراث ..الخ . وتبعث الأمهات بنيهن للبحث عنها بقولهن : (عيالي يا عيال الطِّيطَه ، وامُطّ لكم مُطِيطَه !) أى : يا بني الصغار أحضروا لي الطيطه ، وساعد لكم مطيطه (طعام من البصل البري المدقوق) ! .

وينمو " السمح " بأصنافه المتفرعة منه : " الدَّعاع " و " الحُوَّا " في السهول التى شوتها الشمس شَيًّا ، والمدعوة " الحَمَاد " في سنة الخصب . وإذا نضجت هذه النباتات وكانت ما برحت غضة فإن البدو يطلبونها ، ويضعونها في حُفَر بعيداً عن الماء أو في أكياس ، فإذا جفت ضربت بالعصِيّ ، ونخلت ، ووضعت البذور " الكعبر " التى سقطت على الأرض في أكياس " عدول " وجيء بها إلى الغدران حيث تترك إلى حين ، أو تنقع في الماء ، في الأقل ، حتى تسقط قشورها اليابسة . وأحيانًا تملأ أحواض الماء الجلدية الكبيرة ماء وتوضع فيها القشور بثمارها ، وبعد حين تنتفخ وتنفجر فيرمى بالقشر الذى يطفو على السطح بعيداً ، وتنشر البذور النظيفة على بساط وتترك لتجف ، أو يضع البدو الأكياس الملأى وهى لما تزل رطبة في الشمس ، ويهزونها حتى تَسَّاقط البذور إلى القاع ، ثم يلقون القشور بعيداً ، وينظفون البذور ثانية لتكون صالحة للأكل في موسم مجدب . ويدعى هذا " سِمَحْنَه " أو " سبيب " .

وتعتمد الخصوبة أو الوفر " الربيع " اعتماداً تامًا على نمو الأعشاب

والنباتات الموسمية نمواً جيداً ، لا على نمو الشجيرات أو النباتات المعمرة فهذه تخضر حتى بعد مطر صيفي جيد ، إذا كانت الأرض قد سقيت سقيًا حسنًا " مصيوفه " ، لكن المطر الصيفي لا ينفع النباتات الموسمية لأن حرارة الشمس لا تلبث أن تحرقها . وفي سنة واحدة ربما لا يكون لدى قبيلة " ربيع " بتاتًا ، ويكون لدى قبيلة أخرى ، بل ومجاورة ، وفرة من كل شيء . ويكون التباين أوضح إذا كانت القبيلتان متعاديتين . يقولون في مثل هذه السنة : (هذي السنه ولها سنون ، ناس يعيشون وناس يموتون) .

ويقسم البدو " الربيع " إلى أنواع منها " ربيع الماش " ويعنى فصلا يتألف منه " الربيع " برمته من رقع نباتية مشتتة لا تكفي حتى لإطعام أصغر الإبل . و " ربيع الصفارى " حين لا ينمو إلا " الصفارى " بأزهارها الصفراء . و " ربيع الدمنه " حين لا تهطل أمطار سماك على الأعشاب مع أن براعمها ربما تكون قد بدت ، ونمت نمواً حسنًا ، بعد مطر الوسم والمطر الشتوى ، فتصفر مبكراً ، أى في آخر مارس . و " ربيع النفجان " حين تغطى السهول والأغوار جميعًا بسجادة كثيفة من العشب . وأخيراً " ربيع الطفحه " حين لا يتوافر مرعى خصب في المنخفضات وحدها بل في المنحدرات كلها .

وكما يحن البدو حنينًا قويًا لسني " الربيع " فإنهم يخشون سنوات العوز أو " الخوا " . وإذا لم تتوافر الأمطار في أشهر الخريف بقدر كاف مدة عامين أو ثلاثة فلا عشب ، وعلى الإبل ، حينئذ ، أن تقتات الشجر وحده . إن أمطار الشتاء " الشتوى " لتضخم هذه النباتات ذات الخضرة الدائمة ، لكنها تجف خلال أيام " السماك " الحارة فلا تشهيها الإبل ، ومن ثم تبدأ " أيام الخوا " أو " أيام العوز " الحقيقية ، وهى مدة تهلك فيها إبل كثيرة . لكن إن لم تهطل الأمطار الصيفية " الصيفي " أيضًا لم تورق شجرة واحدة ، وتتساقط فروع الشجر التى نمت في السنة الفائتة لتكسرها الريح وتفرقها ، وسرعان ما تتحول

الأرض إلى صحراء ميتة ومتعاملة مع الموت . ذلك هو عمل الشمس الأنثى التى غايتها الوحيدة التحريق والتدمير .

* المناخ الحارّ والبارد والطّلّ والرّيـــــاح والضَّباب والسّراب والعواصف الرَّمْليَّة *

يحدث أشد الحرارة المسمى " حَمّ الكليبين " في فصل القيظ . وأشد الحرارة بعد ذلك " حَمّ سهيل " وهو الفصل الذى يأتى قبل طلوع سهيل مباشرة. وإذا اختفت الثريا ء في السماء جف كل عود " اليا غابت الثريا كل عود يبس ".

وأبرد الفصول كلها فصل الشتاء مع بضعة أيام قبله وبضعة بعده . ويكون الشتاء الحقيقي " المربعانيه " من ١١ ديسمبر حتى ٢٠ يناير . وتتبع برد الشتاء سبع ليال سامة " سبع سم " ، ثم تليها سبع دموية " سبع دم " ، وأخيراً سبع إما أن يزداد فيها شحم الإبل أو أن ينقص " يسير الدسم ولا يسير " . ولتبيان ذلك يجمل القول بأن ليالي الأسبوع الأول والثاني بعد " المربعانية " غالبًا ما كانت من البرودة بحيث تحيل حياة الإنسان والحيوان معًا بائسة . إن أنوف الجمال لتسيل دمًا من أثر البرد . ولا تبدأ الليالي الباردة بالتناوب مع الليالي الحارة قبل الأسبوع الثالث أى نحو منتصف فبراير ، فتكون الأرض دافئة أثناء النهار ، لكن تبرد ، في الليل ، طبقة الهواء إلى أعلى من متر واحد فوق سطح الأرض حيث يعاني العملاقان " أى الجمل والنخلة " كثيراً من البرد " برد الطّوِيلَين " .

وتغطى في الشتاء " المربعانية " منطقة تدمر كلها ، ومناطق الحَمَاد ، والودْيَان والحْجَرَه ، والخُنْفَه ، وحِسْما كلها ، وحتى النفود بالصقيع الأبيض " الحليت " ؛ وتبيض حينذاك الأشجار والشجيرات في تدمر والحماد وحسما بالجليد على هيئة رقائق كبيرة " ثويرات " بانتظام في كل عام ، لكنه لا يمكث على الأرض ، بصفة عامة ، أكثر من يوم واحد ، إلا في تدمر فيظل أحيانًا مدة أطول من ذلك مسببًا خسائر جسيمة لمالكي الأغنام والمعز .

والطَّلّ " أو النَّدَى ، أو الطُّفَل " كثير طوال العام ، لا سيما خلال أشهر الصيف . ويرسله القمر[٢٤ب] لينعش كلاً من النباتات الموسمية أو الأعشاب " عشب " ، والنباتات الحولية أو الشجر التى إن لم تنعش على هذا النحو فإنها لا تقوى على تحمل حرارة الشمس . ويسقط البَرَد - بفتح الراء - أحيانًا بدلاً من المطر أو معه ، وغالبًا ماكان البَرَدُ من كبر الحجم بحيث يجرح ، بل ويقتل الإبل الفتية .

ولا أحد يجرؤ على سب الريح لأن كل نسمة هواء قد أرسلها الله [سبحانه وتعالى] . وتدعى الريح الخفيفة " هَوَا " وأيضًا " هَبُوب " والقوية " صَلْف " . وأكثر ما يهب من الرياح الجنوبية الغربية . وتنشط في الصيف كل يوم بانتظام ساعتين بعد الظهر فتبرد حرارة اليوم ، وتدعى " بَرَّاد " - بتشديد الراء - أو " ذَعْذَاعِي " . وتكاد ريح الشمال " الشمالي " لا تهب إلا خلال فصل الشتاء مشتتة السحب ، ومتشربة ماءها ، ولذلك تسمى " السّلاته "[٢٥] .

ويحب البدوي في الشتاء ريح الجنوب " القبلي " حبًا جمًا ، لأنها مصحوبة دائمًا بالمطر " السّقَيّه " .

وتهب ريح الشرق " الشرقي " أو الشرقيه " في العادة ثلاثة أيام أو أربعة فقط ، وتتبعها دائمًا الريح الغربية . وعند انتهاء فصلي " السماك " و " القيظ " تكون هذه الريح قوية قوة متميزة فتظل هابة مدة قد تصل إلى سبعة أيام

بلياليها . إنها تدعى " سموم " ، وهى جافة جفافًا مفرطًا وساخنة ، وتسبب الكثير من المعاناة لاسيما للنِّساء والأطفال ، ولو ظَلّت هابة أكثر من سبعة أيام لهلكوا عن بكرة أبيهم .

وتهب في الشتاء أحيانًا الريح الشمالية الغربية " النَّكْبَا " ويكون ذلك عادة في الليالي التى لا يظهر فيها القمر حيث تتلألأ النجوم فقط . وتدعى الليلة من هذه الليالى " جِرْد " - بكسر الجيم - ، إنها مشرقة جداً[٢٦] ، لكنها باردة برداً قارسًا وإذا هبت ريح غربية قوية لكنها باردة سميت الليلة " شَلْتَا " ، وتعرف الليلة الدافئة التى تكون فيها السماء صَحْواً بـ " قَمْرَا زِرِيق " وتُدْعَى الليلة الدافئة التى تكون السماء فيها غائمة " ظلما دِلْقِسْ " ، والليلة المظلمة الممطرة " غَدْرَا " . وإذا كانت الرؤية في يوم مشمس غير جلية ، وعلى الأفق ضباب خفيف قيل عن اليوم بأنه " غَطَاط ما يَعْطِي الشوف " . ويكون الطقس معتمًا نوعًا ما في الظهيرة خلال أيام القيظ ، وتشبه الشمس أسطوانة يميل لونها إلى الصفرة ، هذه هى " الكَتْمَه " أو " الكتَام " . وينتشر فوق الأرض في الخريف والشتاء ضباب رطب كثيف " قُبَيس " أو " كُبَيس " ويظن البدو أن الضباب يسمع كما يسمع البشر ، ويخشى الثعلب ، ولذلك يصيحون به : " يا با قْبَاسْ عَنْكَ الثّعَلَب " أى : يا أبا الضباب ! اهرب[٢٧] .

إن الرولة ليعدون الضباب عن عمل الجن ، لأنه يبدو ، في العادة ، للعيان متصاعداً من الأخاديد والصخور المصدعة ، حيث يلبث مدة أطول . وإضافة إلى " القبيس " في الفصول الباردة ، فإن " العجاج " " والسراب " اللذين يكونان في الفصل الحار ، كالقبيس " ، عمل الجن . وفي الأيام الحارة المشرقة ، وبخاصة في الظهيرة ، تبدو في سهول الحَمَاد التى لفحتها الشمس برك كثيرة قد أحاطت بها سياجات من الشجيرات والأعشاب الطويلة فيحث المرء الغريب ، مخدوعًا بالمنظر الذى بدا له ، مطيته النَّصِبَة إلى الماء القريب جداً ، ويعجب لِمَ

لا يحث الحيوان خطاه . لكن البهيمة ، في هذه الحالة ، أذكى من الإنسان الغريب الذى تعوزه التجربة ، فهذه البرك والمستنقعات ليست بمستقرة على اليابسة ، إنها تتبخر في الهواء وحسب فإن هى إلا سراب .

وفي أحايين أُخَرَ أيضًا يثير الجن ريحًا عاصفة تصحبها غيومُ غبارٍ وتراب يسوقونها نحو البدو محاولين إعماءهم وإسقاط بيوتهم فتدفن كل شيء حي . وتدعى مثل هذه العاصفة " عجاجة " .

إن الأيام التى تهب فيها عواصف الرمل لمفزعة ، وإن الليالي لأكثر منها إفزاعًا : تبدو في الأفق من جهة الجنوب سحب صغار قاتمة ، وتسكن الريح ، وتتلفع الشمس بأقنعة مرتعشة ، ويهيمن على الناس شعور غريب محزن ، وتكون الإبل هائجة مستفزة فتتجمع جماعات وتكف عن الرعى ، ثم تكبر تلك الأقنعة الصغيرة إلى أن تضحي سحابة ذات علو كبير فتسد الأفق ، وتمضي في العُلُوِّ باعثة إلى الأمام ضجيجًا ذا حفيف عنيف ، وقبل مضي طويل وقت يظهر أمامها حائط أسود يظل متقدمًا نحو الوجهة عينها ، ويزداد الحفيف ، ويتحول إلى زئير وحشي ، ويأتي الحائط ملتفًا يغطي كل شيء بالغبار والتراب حاملاً أى شيء يعترض طريقه ، ودافنًا كل ما لم يستطع حمله .

الفصل الثاني

الحيـــــوانات

* الحيوانات الآكلات اللحم *

تستوطن المراعي التى يرتادها الرولة حيـوانات شتى ؛ فيعيش الفهد خاصة على المرتفعات شمال شرقي منخفض السرحان ، وكذلك في نواحي (الحَزِل) .

والقرطة حيوان مفترس شبيه بالقط الوحشى لا يختلف عنه إلا في كونه أضخم حجمًا ، ولونه أصفر قاتم ؛ وله أذنان مصلومتان تنتهيان بخصلة من الشعر الطويل المستقيم ؛ يستوطن " الحجرة " و (اللبه) . وهو يتربص بالغزلان ، ويخفي نفسه عادة في شجرة (الحمري) . وإذا حرك النسيم الشجر اهتزت الشعيرات التى على أذنيه ، فتنخدع الظباء وتدنو منه ، فيقفز على متونها ويغرس براثنه في حناجرها ، ويمتص دماءها .

وتسكن أعداد كبيرة من الضِّباع (المفرد : الضَّبْعَه) جحوراً في سلسلة (الطَّوِيل) . وهى تجبن في النهار ، لكنها تجوب الأرجاء كلها ليلاً ، فتفتح الأجداث ، وتلتهم الجثث ، وتهاجم الإبل الجرحى أو العليلة ، بل وتفترس الرضع وهم يبكون . ولها ثلاثة فراعل أو أربعة[٢٨] . وإذا رأى البدو أثراً جديداً لضبع قرب جحر أحاطوا به ، وأحضروا رشاء طويلاً ، وعقدوا في طرفه أنشوطة ، وطلبوا من أحدهم دخول الجحر للبحث عنها . فيدخل الصياد يده اليسرى في الأنشوطة ، ويزحف على بطنه ، ويجر الحبل ، ويتحسس بيديه في كل جهة حذراً بحثًا عن الحيوان . وحالما يمسك بها يصيح : (إنها ليست هنا ! هذه ليست هى ! ليست هنا ! لقد عثرت على قطعة شن بال، لكنها ليست هنا)[٢٩] . ويضع

، في الوقت نفسه ، الأنشوطة في عنق الضبع ويزحف خارجًا ، وبعد إيماءة متفق عليها يجر رفاقه الضبع خارج الجحر ويذبحونها ويأكلون لحمها . ولحم الضباع الصغار التى يكون عمرها نحو ستة أشهر ، وتعيش مع أمها بخاصة ، شهي . وأسنان الضبع إذا علقت حول العنق تحمي الأطفال من الأسقام المختلفة[٣٠]، وإذا مزجت مرارة الضبع بماء وشرب خفف حرارة الحمى ! .

والذئب مولع أيما إيلاع بزيارة الكهوف والصدوع الصخرية . وتزحف الذئبة داخل جحر الضبع المهجور حين تكون على وشك ولادة وحسب . أما من حيث اللون فإن الذئب يكيف نفسه للمحيط الذى يستوطنه . فهو بني غامق (أسحم) في المناطق البركانية، بني خفيف مشرب بخضرة (أزرق) في صحراء النفود ، أورق مشرب بزرقة (أشهب) في سهول الحماد والأودية . وتستخدم جلود الذئاب لعمل " الربابات " (المفرد : الربابة) أو الفيولات " ذات الوتر الواحد[٣١] التى يضحي لها عندئذ نغمة مرتفعة . وتجلب عين الذئب سعراً باهظًا جداً لأنها تحمي من أعظم الأخطار[٣٠] .

ـ والذئب يفهم كلام البشر فهمًا تامًا ، فقد كان هو ، في وقت ما ، إنسانًا ، وكان اسمه " سرحان " . وكان يمتلك الأغنام والمعز قاطبة فاقترف خطيئة كبرى مسخ بسببها ذئبًا ، واستولى الإنسانعلى ماشيته ، لكن الذئب ما فتىء حتى الآن يعد المعز والأغنام ملكه الذى لا يشاركه فيه مشارك ، ويكن عداء للرعاة وكلابهم لأنهم يحولون بينه وبين الاستمتاع به . قال ذئب ، ذات مرة ، لكلب غنم : " الليلهْ عَشَايَهْ رَاسْ مَال " أى : (سأتعشى الليلةمن مالي) ، فأجاب الكلب : (الْيَا عَشُّونِي هَلِي اَفكَّهَا لا تِذُوقَهَا) أى : إذا عشاني أهلى فسأمنع مالهم من أن تذوقه) ! . أما إن لم ينل الكلب عشاء كافيًا فإن الجوع يضطره للعس في أرجاء الحي التماسًا للطعام فيتمكن الذئب من نهب كل ما تطلبه نفه .

خرج بدوى مرة على جمله طلبًا للغنيمة ، فلقي ذئبًا منطلقًا مثله في

التماس غنم ، فاتفقا على أن يتعاونا كأخوين (تخاووا هو والذيب) ، فأقعى الذئب على البعير خلف الراكب ، وحينما نام الراكب تولى الذئب رعي البعير .
ولما دنوا من تل عال (مرقاب) ترى من قمته أماكن قصية ، زحف الذئب إلى أعلا التل وأجرى (مسحًا) شاملاً للأرض من شتى نواحيها . وأخيراً لمح إبلاً لقبيلة معادية ترعى ، فيمما شطرها حذرين ، ثم ترك الراكب جمله في أخدود منزو وانسل مع الذئب نحو الإبل ، عدا الذئب على الرعاء الذين ما إن رأوه حتى قبضوا على أسلحتهم ، وانطلقوا إثره ، وقد تعالت صيحاتهم . وما إن اختفوا عن الأنظار حتى انتقى البدوي أفره الإبل وركبه قاصداً الأخدود . أما الذئب فمضى قائداً الرعاة بعيداً عن قطيعهم ، ثم عاد إليه مسرعًا ، وغرس براثنه في حلق قعود كان مغطى بجلد قعود آخر ، ثم جره إلى الأخدود (يسمى القعود من هذا النوع " بَوّ "[٣٢] . وإذا ولدت ناقة قوية ، كانت تحلب مدة طويلة حليبًا وافراً ، حواراً ضعيفًا ، فصله المالك عن أمه ، وذبحه ، وربط قطعة من جلده حول رقبة قعود آخر ونحره ، فتشم أم القعود الذبيح الجلد وتخاله ابنها ، وتمكنه من الرضاع ، وبذلك لايجف لبنها مع حزنها ، بينما تستمر أم البعير الحي في معاملته كما لو كان ابنها فتتبنى كل من الناقتين الحوار وترضعانه، وللمالك أن يجلب كلا منهما) ، وحالما لمحت الناقتان حوارهما وقد مضى به الذئب ، انطلقتا في أثره ودخلتا الأخدود وخيداً[٣٣]، حيث عقلهما البدوي ثم ساقهما غنيمة باردة إلى قطينه . أما رفيقه الذئب ، الذى لم يشأ أن يجازف بحياته بدخول القطين ، فكمن في صدع صخرة قريب ، وانتظر أن يأتيه البدوي بنصيبه ، وذلك ما غفل الأخير ، على أي حال ، عن فعله ! . وبعد يومين شرع الذئب يَعْوي : " عَوَّوْ ، عَوَّ ، عَوّشني !) . فنحر البدوي في الحال إحدى الناقتين ، وأحضر الأمعاء والنحر والقوائم ووضعها للذئب وراء القطين .
وبعد أن تحدث البدوي في بيت الشيخ عن هذا الأمر أبلغ الحضور بأنه

سوف يعاقب من يمس رفيقه الذئب بأذى .

وكان في الحى فتى يتعلم الرماية . فلما رأى الذِّئب نسي التهديد وصوب بندقيته نحوه فأرداه صريعًا . فما كان من البدوي إلا أن انتقم لأخيه الذئب وقتله به . وقد قال كبار السن جميعًا إنه كان مصيبًا . وقد شرح البدوي (موقفه قائلاً) : (تَخَاوَيْتْ أنا وْذِيبٍ سِرْحَانْ ، ياوا خَوِيّي ما خَلَّى خَوِيِّي) أى : (لقد تآخيت وذئبًا سرحان ! فيا ويلى إن أخي الآخر لم يدع هذا الأخ)[٣٤].

والشِّيب " هو ولد الضبع من الذئب . ويعيش في الأراضي المتاخمة لبئر (الشِّقِيق) . وهو يهاجم البشر وإن لم يهيج .

والظَّرِبان (الظَّرْبُول) حيوان أصغر من الكلب ، له متن أصفر باهت ، وبطن أسود ، ورأس كلب ، وأسنان كأسنان الإنسان ، وذيل طويل ، ولجلده رائحة مميزة ، وهو يقيم في جحور يحفرها لنفسه ، ويلتهم اليرابيع والفئران والحرابي ..الخ . ولحمه يؤكل . وإذا وجد بدوي ظربانًا مختبئًا فيجحره صاح به : (كر الظربول كر الظَّرْبُول) أى : " فر أيها الظربان ، فر أيها الظربان ! " .

ويعيش الثعلب (ابا الحْصَين ، الثعلب ، أو الغْرَيرِي) في كل مكان في منطقة الرولة ، وإذا رؤى أثره في الصباح في الطل أطلق كلب صيد (سْلُقِه) في أثره . ويؤكل لحم الثعلب المصيد[٣٥] .

ويحمل الثعلب ضغينة شديدة لبني البشر لمطاردتهم إياه ، ويتهمهم بنكران الجميل ؛ فقد وجد آدم الأب الأول لبني البشر كلهم ، ذات مرة ، أفعوانًا نصف متجمد خلف جنة عدن . وقد هزته الشفقة فوضعه في صدره وعاد به إلى جنته . ولما شعر الأفعوان بالدفء ، وأبلّ من سقمه ، صاح بآدم : (عد بى حالاً إلى حيث أخذتني ! إن عائلتي هنالك ! وإن لم تحملني وتعد بى الآن فلألدغنك !) . ولم يستطع آدم تذكر البقعة التى التقط الأفعوان فيها بعينها . فظل يسير تارة إلى الإمام ، وتارة إلى الخلف ، ومعه الأفعوان الذى ظل يصيح:

(ليس هذا موطن أسرتى ! عد بى إلى هناك حالاً ، وإلا لدغتك !) .

وقد سر آدم ، الذى بلغ به الإعياء والخوف مبلغهما ، أن لقيهما ثعلب، فعرض على الأفعوان أن يكون الثعلب حكمًا بينهما ، فوافق . جلس آدم أمام الثعلب مجلس المدعي ، وشرع في إيضاح القضية ، لكن الثعلب قاطعه قائلاً: (اصمت حتى يحضر خصمك) . (قال) : " إن خصمي هنا " قال الثعلب : (إنى لا أراه !) قال الأفعوان : " أنا هنا ، أنا مضطجع على بطن آدم تمامًا !) قال الثعلب : (إذا كنت خصم آدم (قِبِيلِهْ) فعليك أن تجلس في مواجهته (قْبَالِهْ) ، وإلا فلن أعترف بك بهذه الصفة) . " حسنًا " قال الأفعوان : " إذن سأزحف خارجًا " .

خرج الأفعوان من تحت ثوب آدم وجلس أمامه . ثم قال الثعلب : " سأسميك أيها الانسان " " نيصوب " فتيقظ لتفهم كل شيء ، أمسك برأس الأفعوان يانيصوب ، به) لكن " يانيصوب به " تعنى " أوه . ضربة عليه " . فهم آدم ما أراد الثعلب، وقبض على هراوته التى كان لها عجرة ثقيلة (قنا)، وهشم بها رأس الأفعوان . ومذ ذلك الحين وأبناء آدم يقتلون كل أفعى يقع عليها نظرهم . لكن لما بدأوا يطاردون ذرية الثعلب أيضًا ، ويأكلون لحومها ، اشتكي الأخير قائلاً : (أخْسْ يا اسيودِ الرَّاسْ ، ليه أتْناكر ، تِسْلَى المِلِيح ؟!) أى : (ياللعار عليك يا أُسَيْوِدَ الرَّأْسِ ، لِمَ أُطَارَد ، أذلك لأنى جوزيت لعملي المعروف ؟)[٣٦] .

ويعلن الثعلب أنه يود مسالمة الجميع ، لكنه في الحقيقة يرغب في خداع الجميع ، فقد قام مرة ، مثلاً ، ببعث رسالة للغراب : " أبغي أكْرُمْ لك " أى : (يسعدنى أن أقيم وليمة لك) . قال الغراب " زين أكْرُم " أى : (حسنًا اصنع لى (كَرْمَة) أى (وليمة) . فقام الثعلب بغلي عصيدة وصبها على صخرة منفرشة ، ثم دعا الغراب فجـــــاء ، فحثـــــه الثعلب قائلاً : (أفْلِحْ ياصاحبي)

أى : " تفضل يا صاحبي ! " . وبدأ في الحال يلعق العصيدة السائلة على الصخرة (الصفا) في حين لم يستطع الغراب الجائع رفع شيء بمنقاره . فقال في نفسه : " هذه إذاً هى ضيافة الثعلب الحسنة ! " . لكنه لم يُبْدِ للثعلب استياءه ، ودعاه للتشريف بزيارته لتناول تمرات حلوة الطعم . فسال لعاب الثعلب ، إذ كان شغوفًا بالتمر الحلو ، لكنه لم يجد إلى جنيها سبيلاً لكونها مدلاة من علو لا يستطيع الوصول إليه ، ولطالما كان يرغب في عقد صداقة مع الغراب من أجلها وحسب ! . ألقى الغراب أطيب التمرات وأنضجها في جوف شجرة متشابكة الأغصان ، ذات أشواك طوال حداد (قتادة) ، وقال عندئذ للثعلب : " أَفْلِحْ ياصاحبي " فأخذ الثعلب يطوف بالشجرة محاولاً استخراج ولو تمرة واحدة بلسانه أو بقدمه دونما طائل . لقد جرحت الأشواك قدميه ، فظل يرقب الغراب الذى كان " يستدني " التمرات تمرة تلو تمرة بمخالبه ، ثم يلتقطها بمنقاره . ومنذ ذلك الحين اعترف الثعلب بالغراب على أنه ند مساو له .

والثعلب مغرم بأكل الحبوب ، لذلك دعا القنفذ (القمفذ والجمع القنافذ) لمشاركته في حرث حقل وبذره قمحًا ، فوافق القنفذ ، وشرع مع أفراد أسرته (لديه أربعة وعشرون طفلاً) في العمل ، فحرثوا التربة وبذروا القمح ، وتولوا حراسته من المعتدين . وكان الثعلب يأتي من حين لآخر ضابحًا ليلقي نظرة عليهم وهم يكدحون ، ولم يعنهم أية إعانة . لقد قطع لهم على نفسه وعداً بأن يتولى حصاد القمح ودوسه وذرايته ، لكنه ترك هذا العمل أيضًا للقنفذ . فلما ديس القمح وذري ، قال الثعلب للقنفذ : " سنتسابق ومن يسبق صاحبه من جحري إلى كوم القمح فالقمح كله له . نحن صديقان فَلِمَ نقسمه ؟ " فهز القنفذ رأسه موافقًا . وكان شروق شمس اليوم التالي هو موعد بدء السباق . وفي الليل أحضر القنفذ زوجه وصغاره الأربعة والعشرين إلى كوم القمح وأسند زوجه عليه ، ومضى رأسًا إلى جحر الثعلب ناصبًا أطفاله في

أماكن بعينها على طول الطريق حتى وصل إلى الجحر وحده .

– " ياوالدى الثعلب ، لقد طلعت ذُكَاءُ ، ألن تَعْدُوَ ؟ "

– " أُعْدُ أنت فسأدركك " .

– " حسنًا ، سأعدو " .

ولما عم الدفء وجف الطل – أى في وقت الضحى – قفز الثعلب من وجاره وصاح : " أين أنت يا قنفذ ؟ " .

– " هنا . قدام وجهك " .

وقد دهش الثعلب لرؤيته القنفذ أمامه . وانطلق مهرولاً بكل ما استطاع من قوة ، وكان القنفذ مافتىء أمامه ، فاشتد عاديًا ، لكن القنفذ مافتىء أمامه ، وكان جسم الثعلب يتفصد عرقًا عندما دنا من كوم القمح ليلفي القنفذ قاعداً عليه . وهكذا انتصر القنفذ على الثعلب ! .

وشاءت الثعالب يومًا مصادقة الكلاب ، وبعد أن اجتمعت وتحدثت معًا ، كتبت رسالة طويلة وصفت فيها حبها للكلاب وإخلاصها ، لها إضافة إلى شغفها بالسلام ، وتعلقها به . وبعثت تتفلاً " ثعلبًا شابًا " ليسلم الرسالة إلى زعيم الكلاب . وماكادت قدما الثعلب الموفد تطآن حدود بلاد الكلاب حتى لحظه الحرسي . فانطلقت إثره خمسة كلاب . فصاح الثعلب قائلاً إنه أتى ليفاوض الكلاب من أجل السلام ، وأراها الرسالة ، لكنها لم تصدقه . فألقى الرسالة إليها لعلها تقرؤها ، لكن الكلاب مضت في الهرير والاندفاع خلفه غاضبة دون إعارة الورقة البيضاء أدنى اهتمام . لقد ابتهج الثعلب المندوب لأن نجا بجلده ، وفر لا يلوى على شيء ، ووصل إلى أصحابه ، والدم يسيل من الجروح الكثيرة التى أصابته ، والعرق يغطى جسده كله . ولما استعاد نشاطه سألته الثعالب : " وماذا عن الرسالة ؟ " فأجاب : " لم تصدقها الكلاب " قالت الثعالب : (ماذا ؟ لم تصدقها ؟ ، لم إذن ختمناها بختمنا ؟!) قال : " إن الكلاب لاتحفل بختمكم . لقد أريت خمسة منها الرسالة ، ولم يك من بينها من يحسن القراءة أو الكتابة لكنها جميعًا تحسن أن تهر وتعض كما ترون منى !) .

* الحيوانات الكبار الآكلات العشب *

يعيش (البدَن) أو (الوَعَل) ذو القرون الطِّوال القوية في جبال (الرّواق) و (الشامَه) و (الطّويل) و (الهُوج) . وإن هبط إلى السهل لم ينج من الكلاب ، لكنه في الجبال لا يبارى . ويتقفّر الصيادون آثاره الجديدة في طريقه ليلاً إلى المرعى ، فيكمنون في صدع صخري وينتظرون مروره . ويخرج أحيانًا خمسة نفر أو أكثر لصيده ، فيتقدم أحدهم في موازاة قمة الجبل ، ويسير الباقون بحذاء جانبه ، ويكون بين كل منهم والآخر مسافة معينة ، ويجدون البحث في النهار عن المكان الذى تأوي فيه الوعول إلى الراحة . وللوعل بصر كليل جداً ، لكنه يتمتع بحاستي سمع وشم جيدتين . وتحمى الأنثى صغارها بقرنيها .

ويصل حجم (بقرة المها) أو (بقرة الوحش) إلى حجم عجل قد أتم عامه الأول . وهى بيضاء ، ولها قرنان مستطيلتان حادتان تذود بهما عن نفسها الكلاب . وهى شديدة الولع بزيارة الحفر الشبيهة بالقموع (المحاقن) الموجودة في صحراء النفود نهاراً . أما في الصيف ، حين لا يقطن البدو النفود ، فإنها ترعى بحرية تامة حتى في وضح النهار ، في حين لاتخرج للرعي في موسم الأمطار إلا ليلاً وتكون خائفة تترقب ، وإن هيجت شردت يومًا تامًا دون توقف . وبصر المها كليل ، فيستطيع القانص الذى يرتدي لباسًا أبيض أن يدنو منها إلى أن يصبح على مرمى بندقيةٍ إن تقدم في اتجاه مضاد للريح ، وخلف جواد أبيض أو بعير . ويدعى الذكر منها (ثور) ، والأنثى (بْقَرَه)، والصغير(عِجِل) . ولحمها ذو طعم لذيذ جداً . وتتخذ من الجلد القرب والألحفة ، ويتخذ البدو قفازاً (دَرَقِه) من الجلد السمين الذى في قفا عنق المهاة (المعروف بالعَرْعَرَه) لحماية اليد من جراحات السيوف .

وتؤلف الظباء (الظِّبي) أسرابًا كبيرة (جمِيله) في الحَمَاد ، وفي منطقة (المناظر) في حد تدمر الجنوبي بشكل خاص . ويسمى الذكر (تيس) ، والأنثى (عنز) والصغير (خِشْف) أو (غزال) . وإن كان الغزال أبيض فهو (ريم) ، وإن كان بطنه أبيض وظهره يميل إلى الصفرة فهو (عِفْري) ، وإن كان ذا صبغة قرنفلية فهو (حِمْري) .

وخير قناصي الظباء رجال قبيلة الصليب . وطريقة قنصهم المفضلة أن يشترك في عملية القنص رجلان يقوم أحدهما بالحوش (حَوَّاش) ، والآخر بالصيد (قَنَّاص) . والذى يتولى تهييج الظباء وحوشها يلف حول ركبتيه ومرفقيه جلوداً (حَبَّايات) ، ويزحف نحو سرب الظباء محاولاً حوشها نحو الرامي الكامن . ويصيدان عادة من عشرة إلى عشرين ظبيًا في اليوم الواحد .

وتحاش الظباء في (المناظر) نحو حظائر عديدة ، فيبنى حائط حجرى يبلغ ارتفاعه نحو متر ونصف على شكل العدد ثمانية (8) دون ملاط . ولا يبنى من الدائرة السفلى إلا نصفها ، وتترك فتحة ضيقة (ثِنيِّه) أو (ضيق) حيث تلتقي الدائرتان . وتكون أجزاء الحائط التى تغلق الحلقة العليا أقصر قليلاً في أماكن متعددة من أجزاء الحائط الأخرى . وتحفر حفرة يتراوح عمقها بين المترين والثلاثة عند كل من هذه الأماكن خارج الحظيرة . ويحاش سرب الظباء بحذر إلى الدائرة السفلى التى لم يتم بناؤها . ويجرى ذلك سريعًا لأن أحد الحائطين على بعد نحو ألف خطوة من الآخر . فتتقدم الظباء بهدوء في بادىء الأمر ، لكن بعد أن يصيبها الذعر ، فيما بعد ، تعدو بحذاء الحائطين محاولة أن تنفذ بأسرع ما يمكن من خلال الفتحة الضيقة في الدائرة العليا المقفلة إقفالاً تامًا ، وحالما تعدو داخلة تنقفل الفتحة الضيقة ، ويهجم عليها كلب صيد (سُلُقَه) ، فتظل الظباء المذعورة تعدو حول الحائط ، وتقفز عليه من لدن أقصر موضع منه فتتساقط في الحفر التى خارج الحظيرة .

ويقال إن الظباء تحلم بالفتحة الضيقة التى تمرق من خلالها إلى هلاك محقق (الضِّيقْ)[٣٧] ، وإذا شاء بدوي إيقاف ظبيٍ فارٍّ صاح به : (الضِّيقْ ياغَزَال) أى : (إن الفتحة الضيقة أمامك أيها الغزال !) فيتوقف الغزال في الحال ويلتفت.

وإذا لمح بدوى ، وهو يؤدى عملاً هامًا ، غزالاً فإنه يَفْرَقُ من سوء الطالع، ويصيح : " غزال ! غزال ! وشَرٌّ زال !)[٣٨] .

* الحيوانات الصغار *

تستوطن الأرانب أنحاء بلاد الرولة كلها ، وتكون بِيضًا بياضًا قرنفليًا في صحراء النفود ، وسُوداً في الأراضي البركانية ، وصُفْراً صفاراً رماديًا في الحماد ، ومن هنا لا يمكن تمييزها عن محيطها . ويسمى الذكر (خُزَز) والأنثى (عِدْنه) ، والصغير (خرنق) . ولا يصل حجم الأرنب إلى مثل حجم الأرنب البرية الأوروبية . وهى تطفىء ظمأها بالطل فقط كالغزال وبقرة الوحش .

وإذا دنا إنسان من الأرنب التصقت بالأرض ، أو اختبأت وراء جحر في مرج كثيف الشجر ، ولا تبدي حراكًا حتى إن اقترب إنسانٌ منها اقترابًا تامًا . لكنها إن تبينت أن الإنسان قد عاد فإنها تلتمس النجاة بالاندفاع كالسهم .

قيل إن الأرنب تفتخر قائلة : (انا الشَّرْمَا ، بْقَاعْةَ القَرْمَا ، مشبع اثنين ومْلَغّم الثالث) أى : أنا الشَّرْمَا (أى ذات الشفة المشقوقة)[٣٩] ، في السهل ذى النبت الجاف ، مشبعة اثنين ، ومسيلة لعاب الثالث " . أو قائلة : " أنا شُجَيرِتي خَفِيِّهْ ، ووبيرتي ضَفِيِّهْ ، ولا يشوفني كود راعي البلِيِّهْ " أى : أنا شجيرتي - أى التى أختبىء تحتها - خفية ، ووبيرتي - تصغير (وَبَرَة) -

دافئة[٤٠] ، ولا يراني سوى من يريد ابتلائي "[٤١] .

وإذا نفرت الأرنب صاح بها الرولة : " وَبْرَهْ وَبْرَهْ وبالنار مِنْشَبْرَهْ " أي : (أيتها الأرنب ! أيتها الأرنب ! النار مأواك) .

وإذا عرضت الأرنب للقانصين بالصقور صاحوا : " عَرَّضْتِينا لْخَير وَعَّرضْنَاكْ لَلّطيْر "أي : إن اعتراضك سبيلنا لفأل حسن ، لكنا سنعرضك للبازي " .

ويستوطن الخنزير البري منطقة تدمر وضواحي " الازرق " دون غيرها ، حيث يكمن في الأجمات الموحلة . ويدعى الذكر (شِهِل) ، والأنثى (شِيبَهْ) ، والخنزير الرضيع (قرنوص) . ويستخدم الرولة كلمة (تهزير) بدلاً من (خنزير) . ولحم الخنزير الوحشي يؤكل على وجه العموم[٤٢] .

و (صيد الطَّسْعَه) حيوان آكل للعشب ، حجمه حجم حَمَلٍ عمره ستة أشهر ، ولونه أورق ، ويقال إن أسفل رأسه يشبه أسفل رأس الكبش ، وأعلاه يشبه أعلا رأس الإنسان . ولا يكاد يوجد إلا في حد (النفود) ، ولحمه لذيذ جداً .

ويستوطن الوبر الجبال نفسها التي يقطنها الوعل .

و (النِّيص) متوافر بوجه خاص في المناطق المحيطة بـ (القَعَره) حيث تكون الكهوف والفجوات الصخرية العديدة ذات الأحجام المتنوعة مأوى له ، وهو إذا جرح هاجم الإنسان عضًا وجرحًا ، ولحمه لذيذ جداً .

ويصاد القنفذ أيضًا لأن لحمه ذو طعم شهي جداً . ويربط جلده حول أعناق الإبل السريعة الإجفال ، ويقال إنه بعد شهر من ربطه لا يعود الفزع يعرف طريقه إلى قلوبها[٤٣] .

والجردي - بالدال المهملة - نوعية من اليرابيع (هكذا) كثيرة الأصناف ، وهو يحفر حفراً عميقة في المرتفعات ، ويصنع لها ممرات على شكل يمنع الماء من اختراقها حتى خلال أغزر الأمطار . وليس لحمه بلذيذ[٤٤] .

والجربوع (أو : اليربوع) نوعية ذات أصناف عديدة ، وهو أصغر من سابقه حجمًا . ويُؤثِرُ حَفْرَ جُحْرِهِ في الأراضي المنبسطة ذات التربة الرملية الناعمة . ويصنع ممرات طِوالاً يصعب تمييزها تحت السطح مباشرة ، وتعرف هذه الممرات بـ (النِّطَّاقه) ، وإذا دخل جحره سَدَّهُ من فَوْره بكوم صغير من الطين (قَصْعَه) خوفًا من الثعابين ، فكوم الطين هذا أمارة لا تخطىء على أن اليربوع في بيته .

وإذا أراد البدوي صيده ثبتعصِيًّا أو أعواداً في الممر في مواقع متعددة ، ثم انتظر إلى أن يتحرك أحدها ، وهذا يبين له أن اليربوع يحاول الخروج زحفًا فيقتله بعصاه ، أو يطؤه . وإذا لم يستطع الانتظار وطيء الممرات (فهدم سقفها) ليخرج اليربوع . فإذا أخفق البدوي في إصابته بالعصا التى يرميها فإنه غالبًا ما يخترق سقف الممر مذعوراً ويفر . ولحم اليربوع لذيذ جداً فهو كلحم الفروج . يسلخ الجلد ، ثم تشوى " الذبيحة " كلها مع الأمعاء ، ويلقى بأسفل القدمين وحسب .

فاخر اليربوع (الجردى) فقال : (أنا الجَرْبُوعْ ابْنَ المَرْبُوع مُعَشِّي عْشَرَهْ مَعِ عْشَرَهْ ، وقَصَالِيمي على الشْجَرَهْ) أى : " أنا الجربوع ابن المربوع مُعَشِّي عَشَرَةً [مع عَشَرةٍ آخرين] مع أن قوائمي ملقاة على الشجرة " . وقال أيضًا : (لو ايديَّهْ طُولْ رِجْلَيَّهْ مـا تَلْحَقْني كلّ عْبَيَّهْ) . أى : " لو كانت يداي بطول رجلي ، لما استطاعت عتاق الخيل أن تدركنى " . فقال الجردى : (أنا الجردي ابن الجردي رَمَّاي المِلْبِس بالخَبَارِي) ! . أى : " أنا الجرذ ابن الجرذ ! أنا الذى ألقى الفارس المستلئم في جحور الفئران)[٤٦] . ذلك أنه إذا وقعت حوافر الحصان على جحرِ جرذٍ عميق تعثر وطرح راكبه أرضًا .

كانت أنثى اليربوع توصى صغارها . فمما قالته :

فز بنفسك إن شفـــت ضيم　　وخل الدار تنعى لمن بنـاها
الدار تجد داراً أخـــير منها　　وروحك لم تجد روح سواها

أي : أُنْجُ بنفسك إن رأيت ضيمًا ، واترك الدار تبكي على من بناها ، أما الدار فستجد خيراً منها ، وأما نفسك فلن تجد نفسًا سواها .

الياحل الثقيل بدار قـــوم　　وما للساكنين الا الرحيل(٤٧)

ويعيش الفأر في كل مكان . وهو يدخل البيوت ويذهب بالطعام ، بل إنه أحيانًا ليقرص حتى الناس وهم نِيام . وأنشد بدوي :

١. أنا اسهرتني تالي الليـــل فاره　　تاخـذ زهابي يم جحـــره(٤٨) توديه
٢. ضربتها قصـــدي لها بالفقـاره　　من جـــود ملحي راح دمهـا يباريه
٣. وادخل على حَصْنَان وشيخ الوباره　　والله يضيـــع من خلى عوانيــــه
٤. اما انت ياظربول مابك حمـــاره　　أقصى جودك بطارف الجحـر تفليه

أي :

١. لقد أسهرتنى في آخر الليل فأرة تأخذ طعامي وتنقله إلى جحرها .
٢. ضربتها (برصاصة) قاصداً إصابة فقارها ، ولجودة ملح بندقيتى فقد أصابتها الرمية وذهبت بدمها مع الملح .
٣. وسأستجير بالثعلب والوبر ، أضاع الله من يتخلى عمن يستجير به .
٤. أما أنت أيها الظربان فلا خير ولا شجاعة فيك ، وأقصى ما تصل إليه

شجاعتك حد جحرك حيث تحمل صغارك إلى المرعى .

كان بدوى نائمًا في الخلاء خلال غارة له ، وكان زاده موضوعًا على مقربة منه . فاستيقظ ووجد فأراً يسرق منه ، وليخوفه صوب فوهة بندقيته ، التى كانت محشوة ملحًا فقط ، نحو أعلى ظهره لكى يسفع شعر جلده ، لكن الملح كان جديداً ، فاخترق الجلد ، وانسفك الدم في الحال . ولخوف البدوي من انتقام الفئران لجأ إلى الثعلب طالبًا جواره ، وإلى رئيس الوبور (جمع الوبر) المشهورة بعدم التخلي عن محميها (عوانيه) الذين يشملون الجار (القصير) ، والرفيق في السفر (الخوي) ، والضيف ، بالإضافة إلى اللاجىء إليهم المستجير بهم (الدخيل) ، فعاتبه الظربان (الظربول) لعدم لجوئه إليه في الفلاة ، لكن البدوى ازور عنه ساخراً بقوله إنه (أى الظربان) حتى حين يسرح إلى المرعى لا يجرؤ على الذهاب إلى أبعد من حدود جحره ، فمن أين له الشجاعة ليحميه بها من انتقام الفئران ؟!

وتتحسر الفأرة قائلة : " أنا الفاره بنت الفاره ، قطعت أيديه المحفاره " ...

أى : (............. شوه يدي المعول !) .

وألد أعداء الفئران ، بلا منازع ، الهر .

كانت أم الفئران تخشى أم القطط . وذات مرة كانت تزحف في سقف بيت فلمحت القطة في أسفله ، ولشدة ذعرها تخدرت أقدامها ، وذكرت اسم الله كما يذكر الأطفال اسم الله إذا عثروا تمامًا[٤٩] ، وقالت : " لئن حميتني يارب من هذا الكائن ، فلن أطلب حمايتك مرة أخرى" . ومن أجل ذلك غضب الله عليها ، وازدردتها القطة في غمضة عين ! .

ومرة عقدت الفئران اجتماعًا عامًا ، واتفقت بالإجماع على أنه يجب أن يُقَلَّدَ كل قط جرسًا صغيراً يحذر الفئران . فابتاعت أجراسًا صغيرة كثيرة ، ودعا رئيسها (كبير الفار) أشجعها للتقدم لتعليق الأجراس في أعناق

القطط . وحتى الآن لم يتقدم (لأداء هذه المهمة) فأر واحد ، وظلت الأجراس ملقاة في مخزن الفئران ، وما برحت القطط تعذب هذه المخلوقات البائسة .

ويستوطن حيوان الخلد (الخلند) منخفض السرحان على وجه الخصوص ، وهو ذو لون أورق قليلا .

كان خلد قاطنًا مع بومة و (رقيعي)[٥٠] وضفدع (ضفعه) وعثة أو فراشة (شراره) ، ونزل بهم مرة ضيف ، فظلوا ساهرين على راحته قيامًا بواجبه لأنه كان ضيفهم جميعًا . ولما ظهر نجم الصباح ، سرقت مطيته ، وما كاد مضيفوه يطبقون أجفانهم حتى أيقظهم عويله . فانطلقوا للبحث عن البعير المسروق في كل مكان ، فبحث عنه الخلد تحت الأرض ، والبومة في الأماكن الخربة ، و (الرقيعى) بين قطعان الإبل في المراعي ، والضفدع في الماء ، والعثة (الفراشة) بين الثياب والسجاد . ولم تكن العثة سعيدة لإخفاقها حتى الآن في العثور على أى أثر للبعير ، فألقت نفسها في النار قائلة : " النّار ولا العار " ! .

*الطير الآكلة اللحم *

يقسم الرولة الطير إلى : (طيور) و (حُمَّر) . ويقصد بالطيور كل ما يأكل اللحوم من الطير :

الصقور والبيزرة[٥١] :

أهم ممثل للطيور " الصقر " الذى غالبًا ما عرف بأنه (طير) . ويبتاع الرولة صقور الصيد من الحضر المقيمين في (الشيخ مسكين) و (الرحيبه) الذين إما أن يختاروا الصقور الصغيرة ، أو يصيدوا التامة النمو . وخير صقور الصيد (الحر) ، ولونه بني مشرب بحمرة (أشقر) ، وعلى ذيله نقط بيض عديدة (ثريوات) ، أو بني غامق (أدبس) ، أو حتى أسود . ويدعى الصقر الذكر (شبوط) والأنثى (شيهانه) .

ويرى البدو أن الصقر الصغير يمكث جنينًا أربعين يومًا ، وأربعين يومًا قبل تفقيسه من البيضة ، ولا يتبين ما إذا كان سيطير أوْ لا إلا بعد أربعين يومًا أخرى : (اربعِينْ يَومْ فَيضْ ، واربعِيْنْ يَومْ بَيضْ ، واربعين يَومْ يِطِيــرْ ولا يِطِير) . ويدعى أحسن الصقور الصغار أي القرانيس (الزين النادر) ، ويليه في الأصالة (لِزيزَ النَّادر) ، ويأتي في الدرجة الثالثة من حيث الأصالة (القَطْعِيِّه)، والذى لا خير فيه بتاتًا هو (التِّبْع) . ويزود الذكر الأنثى والصغار بالطعام ، ويجلب الحباريات (الحَبَارِي) والأرانب إلى وكره . وإن سقط الصقر الصغير خارج العش لم يقمه من سقطته ويعتن به إلا الذكر . وإن مات الذكر فحسب الأم سعادة أن تتمكن من إمداد صغارها ونفسها باليرابيع والفئران التى ليست بمطعم طيب للصغار .

وخير حين للخروج بالصقور الصغار هو حين تمسي قادرة على إطعام نفسها ويقدم بائع الصقور لها القوت إلى أن تَتِمَّ بنية أجسامها فيبيعها البدو. ويتطلب صيد الصقور التامة النمو جهداً أقل : يبحث صائد الصقور (الطراح) عن بقعة بين الصخور ملائمة ، ويعد فيها لنفسه مخبأ ، ويَضَعُ أمامه حجرين أو ثلاثة ، ويربط بين الأحجار شبكة صغيرة ، ويلقى عليها طينًا ويصلها إلى مخبئه بخيط ، ويربط غرابًا وقليلاً من ريش وحمامة في حبل دقيق . ويربط الغراب بخيط دقيق إلى حجر كبير بين المخبأ والشبكة ، ويوفر لها ماء وطعامًا . ويبقى هو في مخبئه مع الحمامة منتظراً إلى أن يسمع نغيق الغراب الذى ينبيء بأن الصقر يحوم فوقه ، فيجر الغراب بحذر ورفق إلى الداخل ، فيبقى الريش في مكانه مربوطًا بالحبل ، في حين تقعد الحمامة قرب الشبكة، فإذا طرح الصقر نفسه على الحمامة جر الصائد الخيط فسقطت الشبكة على الصقر ، وخاط جفنيه في الحال (يْقَطّب الطير) . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة يستأنس الصقر بعض الشيء (يْوَالِف) فيمكن حينئذ فك الخيوط .

ويبيع صياد الصقور منها ما لم يك مدربًا بمبلغ يتراوح بين ثماني مجيديات وعشرين مجيدية للصقر الواحد (أي من ٢٠ . ٧ من الدولار إلى ١٨ دولاراً) .

ولابد أن يدرب البدوي الصقر بنفسه . ويكون لدى الشيوخ بصفة عامة عبد يدرب لهم الصقور ، ويصيد معهم . وإذا رغب الشيوخ في الصيد بأنفسهم فعليهم أن يكثروا من الاشتغال بالصقور ، وإلا فلن تألفهم ، ولن تعود إليهم بصيدها .

ويحتاج الصقار إلى قاعدة خشبية يصل علوها إلى نحو ٤٠ سم ولها رَزَّةٌ حديدية في أسفلها ومغطاة بالجلد من أعلاها . ويعيش الصقر على هذه القاعدة (المركابه) . ويربط في كل من ساقيه أنشوطة جلدية (سبْق) ، تمتد منها سلسلة (مَرْبَط) تصل إلى نحو منتصف القاعدة . ويستطيع الصقر التحليق قليلاً ، وهو على قاعدته ، لكنه لا يمكنه الطيران بعيداً . ويرتدى الصقر خوذة جلدية صغيرة (برقع) على رأسه يمكن سحبها إلى أسفل لتغطي عينيه وربطها تحت منقاره حول عنقه لئلا يخلعها بمخالبه .

وقبل غروب الشمس بقليل يلبس القناص قفاز جلد خشن (دِسّ) بيده اليمنى ، ويحل أنشوطات السلاسل ، ويولج فيها حبلاً دقيقًا طويلاً ، ويضع الصقر على يده اليمنى ، ويظل يدعوه باسمه ، ويؤرجحه إلى الأمام وإلى الخلف محاولاً إغراءه بأن يطير . فيرتفع الصقر ويأخذ يدور فوق القناص . ويربط الرجل طرف الحبل الآخر بوتد مثبت تثبيتًا قويًا ، ويأخذ خرجًا بيده اليسرى ، وقطعة لحم بيده اليمنى ، ويومىء باللحمة إلى الصقر داعيًا إياه باسمه . فإن لم يقع الصقر على الحبل وطىء الرجل الحبل إلى أن يندفع الطائر نحو اللحم .

وإذا عاد الصقر بنفسه بعد تدريبه عدة أيام فإنه يدعه حراً طليقًا كما ولدته أمه ، ثم يأتي بأرنب تكون قد رميت وجرحت ، أو كسرت إحدى رجليها ، ويطلق (يهد) الصقر وكلب صيد (سلقه) عليها . فإن أنشب الصقر فيها براثنه تركها كلها له .

وإذا صاد الصقر عدة أرانب جرحى بمعاونة كلب الصيد وأكلها خرج القناص به للصيد ، فَرَبَطَه بسلسلة صغيرة خلف رجل البعير ، وأخذ معه خرجًا ، ودَعَا كلب الصيد ، وركِبَ البعير ذاهبًا وراء القطين . فاذا ما أثار الكلب أرنبًا أو حبارى فإن الصياد يحل رباط الصقر ويأخذه بيده اليمنى ، ويركب بعيره ، ويمضى منطلقًا وراء الكلب ويرسل الطائر على الصيد . ويظل الصقر يتلفت يمنة ويسرة ، ويرفرف بجناحيه (يفرفر) ، وحين يلمح الفريسة تخرج يطير إثرها . فيمسك بالحبارى في الحال ، لكن الأرنب تنسل ، في العادة ، بعيداً وتختبىء ، وبذلك تنجو من منقاره .

فإذا انقض الصقرعلى الأرنب من عَلٍ عُبِّرَ عن ذلك بـ (الطير يدْله)[٥٢]، فإن أفلح في إنشاب براثنه في متنها (عَلَق) ، ركب القناص إثره بكل ما استطاع من قوة ، وغطاه هو وفريسته بعباءته ، وربت (يطبطب) على ظهره صائحًا : (كِشْ كِشْ) ، وأخذ يحاول نزعه من على ظهرها (تْنَشْنش) . ويتسلم الصقر قسطه من الفريسه داخل البيت ،ولا يتسلمه أبداً في البَرِّ (خارج) .

ويستطيع الصقر المدرب تدريبًا جيداً أن يصيد في اليوم عدداً من الحباريات يصل إلى العشر ، وعدداً من الأرانب يصل إلى العشرين ، لكن ذلك عند وفرة الصيد وحسب .

إن قلة من القناصين تستطيع الاحتفاظ بصقورها ثلاثة أشهر أو أربعة ، لأنها جميعًا تتيه ، ولا تعود في شهرى فبراير ومارس ، ولا سيما إن لَقِيَتْ صقوراً برية .

والشاب البدوى شغوف بالصيد بالصقور والكلاب السلوقية . إنه حينئذ يستطيع التمتع بحرية أكثر ، ويدنو من حبيبته ويحادثها ، أو يقدم إليها ما لديه من هدية ، ولذلك فهو يتغنى قائلاً :

ياليت لي جروا وياليت لي طير	وقعيد ينسف عليه الشداد
[حتى] نجي بين السلف والمظاهير	ونشلى الجروا والطير غادي

أى :

يا ليت لى كلبة صيد ويا ليت لى صقراً ، وقعوداً نشد عليه الرحل ، نأتي راكبين بين جنود الشيخ والعشيرة الظاعنة ، ونرسل كلبة الصيد ، ويكون الصقر قد سبقها .

الجروا : أنثى عائلة الكلاب السلوقية .

يتقدم جنود الشيخ المحاربون (السلف) في العادة ، أمام القافلة بنحو كيلومتر أو كيلومترين . وتعدو (الجروا) في المقدمة مهيجة الأرانب وطير الحبارى التى تفر من الخطر خلف السلف ، لكن القبيلة الظاعنة تصدها . وبهذا يكون للصقر الجيد خير فرصة للصيد بين الركب من الجنود والجمال حاملة الأثاث

الطير عيي يا القزيعي يصيد   يااللى عيي يصيد الحبارى [كذا]

لو حسايف نقلتى له على ايدي   ممسح الريضان عفن الطيارا

أى :

لقد امتنع الصقر أيها (القزيعي) أن يصيد . يامن امتنع عن صيد الحبارى ، يا أسفاه على نقلي إياه على يدي . إنه كـ (ممسح الريضان) ذلك الطائر الردىء الطيران .

يمسك القناص بالصقر ، ويضعه على يمينه التى يغطيها قفاز من جلد ، ويحل السلسلة من قدمه ، ويَحْمِلُهُ على الطيران بتحريكه إلى الأمام وإلى الوراء بيده ، وإذا كلت يد نقله إلى اليد الأخرى . ويعيد الكرة .

(ممسح الريضان) : طائر من آكلات اللحوم شبيه بالصقر .

الطير ياعمار ياكاسب الثنا   تايه ولاله جرة نهتدى به

غدت بِيْه عردا من القرانيص حايل   عامين شات مخها بيجريده

معنى البيتين :

(أعَمَّارُ ياكاسب الثناء ! ، لقد ذهبت بصقرنا شيهانة قوية (قرناصة : قرناسة) ، حائل لم تفرخ ، فمخها ما فتىء بساقيها صيفين وشتاءين . وليس للصقر أثر " كالحيوانات التى لا تطير " فنهتدى به " على مكانه ") .

القرناصة : (الجمع القرانيص) : هي أنثى الصقر ذات النمو المكتمل ، الجريد : سيقان الصقر من المخالب إلى الركب .

ظلت أنثى الصقر هذه دون إزواج (حائلاً) عقيمًا سنة (صيفين وشتاءين) . ويرى البدو أن المخ ، وبخاصة ما تجمع في الساق وحوله يخرج من جسم الطائر أثناء التزاوج .

طير أخر آكلة للحم :

(الجِلْمِه) : طائر من آكلة اللحم ، أصغر من الصقر ، لكنه أكبر من (الباشق) . وتعرف (الجِلْمِه) أيضًا بـ (الكحلا) . وهى من ضروب الصقور (هكذا) وتصيد الحُمّر بمختلف أنواعها - انظر ص ص ٤٦ - ٥٢ - وتبحث عن القطا بصفة خاصة .

مْمَسِّح الرِّيضَان[٥٣] : وهو ضرب من الصقور ، شغوف بصيد (الجربوع) ، الباز : وهو صقر العصافير . والحدَيَّه : الحدأة .

العقاب والنسر :

إنه لا الباشق ، ولا الجلمة ، ولا حتى الصقر نفسه ، بمأمن من ذلك الصنف من العقبان المسمى (الجردان) .

ويقتنص النسر (الجمع : النسور) وبخاصة أصناف (الحبشي) ويؤكل

لأن لحمه مفيد ، فأكل سبع قطع منه مجففة في الشمس خير علاج للرثية (الروماتزم) والبواسير . وينبغى أن يزدرد المريض هذه القطع السبع معًا ، ثم يلتحف بسبعة ألحفة ويَعْرَق ، وسوف يعينه الله[٥٤] .

وتهاجر (الرخمة) عند ابتداء هطول أمطار الخريف ، ولا تعود حتى ابتداء موسم (السماك) . ويرحب البدو بعودتها مسرورين ، لعلمهم أنه ، خلال عشرة أيام أو خمسة عشر ، سيكون ثمة مناخ أدفأ . ولا تقبل (الرخمة) التخلي عن غنيمتها ، وتبذل كل ما أوتيت من قوة للإبقاء عليها ، ومن هنا قيل : (تَوَخَّم توخِّمَة الرَّخَمَه) أى : فلان يحرص على الشيء حرص الرخمة .

(السعدي) أو (أبو سعد) : هو اللقلق .

(الغَرْق) - بسكون الراء - : طير الماء .

وثمة من الغربان نوعيات ثلاث : (زاغ البَقع) - بتسكين القاف - : وهو أصغر الغربان ، ولونه أسود ، ويميل لون صدره إلى الزرقة أو الخضرة ، و (الجبعا) : أكبر قليلا ، وله ذيل قصير ، ولحم لذيذ الطعم (هكذا !) ، وغراب (العقعق) ، وهو أكبرها .

وتصحب هذه الأنواعُ الثلاثةُ كلُّها الإبِلَ متوغلة في الخلاء ، وتلتقط من أجسادها القردان (القراد) والحلم (بفتح اللام - جمع الحلمه) ، وهى صغار القِرْدان[٥٥]. لكنها أيضًا تحفر الدَّبَر أى القروح التى تحت القَتَب ، ولهذا السبب يطردها الرعاة ، فإذا رأوا غرابًا على بعير صاحوا به : " غَرِّبْ ! ، غَـرِّبْ ! " أى: طِـرْ إلى الأراضى غير المقطونة . أو : " مْخَيرِزْ يِبِطّ لِهَاتَكْ " أي : عسى أن يخز مخيط حلقك "[٥٦] .

وإذا قام إنسان برحلة مهمة ورأى غرابًا واحداً ، فإنه يندب حظه قائلاً: (يا قِرْدَ العين جاه الغراب وحيد !) أى : آه . إن العين التى يأتيها الغـراب

وحيداً ستنهك من البكاء ! ، إنه يَجْزم أن سيلاقي حظًا عاثراً ، ولذا فإنه يَوْثر العودة من حيث أتى"[٥٧] . أما إن رأى غرابين فإنه يهتف : ياحظ عين من جنّه الغرابين "[٥٨] ، أي : ما أسعد عين من يأتيه غرابان ! .

وصغار الغربان أكثر احتراسًا من كبارها ، فقد كان غراب هرم يوصي ابنًا لِحَفِيدٍ له قائلاً : " يابني ، لا تثق بالبشر ، فإذا رأيت امرأ يدنو منك فطر حالما ينحني ، فربما التقط حجراً ورماك به " ! فأجابه : " لاتخافَنَّ علي من الإنسان يا جدي ، فإني لن أنتظر إلى أن ينحني ، بل سأطير حالما يقع عليه بصري . لماذا ؟ لأنه ربما يكون حاملاً حجراً في يده فيستطيع إذن رميي به دون أن يحتاج إلى الانحناء ! " .

* الطير غير الآكلة اللحم *

إن الطير غير الآكلة اللحم المعروفة بـ (الحُمَّر) هي :

* (الحُبَارَى - الجمع : الحَبَارِي) : نوعية من الـ Bustards لونها أورق قاتم ، وبعض ريش جناحيها وذيلها بيض ، وهى كالدجاجة المتوسطة الحجم ، وهى تعدو عدواً سريعًا لكن طيرانها سيىء ، وهى مولعة بزيارة السهول والوديان المغطاة بالنباتات المعمرة (الدائمة الاخضرار) ، وأكثر ما تقتات البذور والبراعم الطرية .

وإذا خافت اختبأت تحت شجرة .

وهى لا تطير حتى يدنو منها عدوها . وتطير قريبًا من الأرض مسافة مائة خطوة أو مائتين ، ثم تقف هنيهة ، وتقلع ثانية عدة خطوات ، ثم تستكن مرة أخرى تحت شجيرة أو لوح مائل . وإنه لعسير على المرء الدنو إلى أن يكون على مرمى منها ، لأنها تطير طيرانًا متواصلاً ، ولا يستطيع إعياءها إلا راكب

فرس شديد التحمل .

وعَدُوٌّ الحبارى اللدود الصقر الذى يرقب حركاتها وسكناتها من عل ، فإذا استقر قرارها انقضَّ عليها كالبرق الخاطف .

وقد كانت الصقور في بادىء الأمر تخشى الحبارى[٥٩] ، لأنها أكثر منها عدداً . وحل صقر جريح ، ذات مرة ، ضيفًا عليها فاستقبلته بترحاب ، وأطعمته ، وعالجته حتى أبل من دائه . وقد لحظ الصقر أن الحبارى لم يعقدن أي اجتمعات معًا ، لذلك سأل ربة مثواه مستغربًا : " إلى أية قبيلة تنتمين ؟ "

- " نحن (قوم) الزِّنَّـارَه "
- " ومن شيخكم ؟ "
- " أنا الشيخه " .

لكن جارة لها ، سمعت الحوار فهتفت : " كلا ، بل أنا الشيخة ! " فاعترض عليها طائر كان ، في تلك اللحظة ، صافّا جناحيه في الفضاء ، قائلاً : " ماذا ؟ كيف يكون ذلك ؟ بل أنا الشيخ ! " .

لقد سعد الصقر أيما سعادة ، لأنه قال في نفسه : "حتمًا لن أخشى هؤلاء ، فلن يهاجمنني جميعًا أبداً ، وسوف أقوى على افتراسهن واحدة تلو واحدة . إن ذلك سيكون أيسر علي من صيد صغار الطير وحسب ، كما هى عليه الحال حتى الآن " . ومذ ذاك والصقر (الطير) يأكل (الحباري) .

وتسخر الحبارى من الصقر قائلة : " أنا الحْبَارَى ، بَارْضْ قْفَارَا ، حِسّ الرِّعْيَانْ يْقَزِّنِي ، ما تَقْوانِي يامَسْكِينِ ! " أى : أنا الحبارى ، بأرضٍ قَفْرٍ ، أصوات الرعاة تؤرقني ، لن تستطيع قهرى أيها المسكين ! .

فيجيب : " أنا حرٌّ لِكْ ، مَذْكُورٍ لِكْ ، مَكْحُول العَيْنْ بْلا نِيلِ ! " أى : أنا الآمر عليك[٦٠] ، لي عينان حادتان جداً مع أنى لا أكحلهما .

الحبارى :" انا الحَيِّه ، تحت الصّفَيِّهْ ما تَقْوَانِي يامَسْكِينِ !" أى : أنا الحَيَّةُ ،

تَحْتَ الصُّفَيَّةِ (تصغير الصفاة ، لن تقهرنى أيها المسكين) .
الصقر : " أنا القَرَّايْ ابن القراي ، أقرا الحيه ما تجيني ! " .
(أى : أنا القارىء ابن القارىء ، أقرأ القرآن على الحية فلا تمسني بسوء)[61] .
الحبارى : " انا السّحَلَه[62] ، براس النّخَلَهْ ، ما تقواني يا مَسْكِينِ " . أى :
" أنا التمرة برأس النخلة ....الخ " .
الصقر : " أنا الرَّقَّايْ ابْنَ الرَّقَّاي ، أُحَسْكَ الشَّوكْ بْسِكِّيني ! " .
أي : " أنا صعاد نخل ، ابن صعاد نخل ، أخضد الشوك بسكيني " .
أي : " وأصعد إليك : .

* وتستوطن النعامة النفود ، بصفة رئيسية ، ولا سيما الجزء الشمالي الغربي منه ، وكذلك غرب (العلْيم) ، وفي ضواحي (الطُّوِيل) ، وفي (العرْيَق) ، وفي (الغوَيطَه) . وتذهب النعام في الفصل الجاف بعيداً إلى الشمال ، فتصل إلى أماكن نائية كضواحي تدمر مثلاً . ويدعى الذكر (ظليم) أو (مْظَلّل) لكون ريشه أورق قاتمًا ، وتدعى الأنثى (رَبْدَا) ، والصغار (رِيلان) .

وتبيض الأنثى في فصل السماك من عشر بيضات إلى ثلاثين في أداحي غير عميقة في الرمل ، ويدعى كوم بيض النعام (دِحُو) . وحالما توضع البيضة الأولى تبدأ حراسة الأُدْحِية . ويقول الرولة إن الذكر يحرسها نهاراً ، في حين تطعمها الأنثى ، وتقوم هى ، خلال الليل ، بالحراسة . وإذا وضعت البيضة الأخيرة دحرجت ثلاث بيضات أو أربعًا على بعد خطوة واحدة من الأدحية . ولا يعير الطائر هذه البيضات اهتمامًا ، بل يقلب البيضات الأخر ، ويجثم عليها خلال الليل ويدفئها . أما الذكر - الذى يظل عند الأدحية أثناء النهار - فلا يجثم على البيض لأن الشمس تدفئها ، لكن الأنثى تقيها برودة الليل بجسمها وريشها . ويقال إن البيض يفقس بعد واحد وعشرين يومًا ، وإذ ذاك يَنْقُرُ الذكَر البيضات المتروكة جانبًا فيفتحها واحدة واحدة ، ويدع الطير الصغار تطعم

محتواها ، فإذا فرغت من أكل ما في تلك البيضات ذهبت إلى المرعى تحت حماية أبويها ، تقودها دائمًا أمها ، ويسير أبوها وراءها ، ويحميها من الذئاب والضباع والنسور .

وللنعامة حاسة سمع كليلة جداً ، لكنها ممتازة البصر ، ويكون صيدها أيسر قرب أداحيها . وإذا لم تكن ثمة ريح فإن أثر النعامة يكون بينًا جداً في الرمل . ويَتَقَفَّرُها الصياد ، مختبئًا وراء كل شجيرة ، زاحفًا على بطنه ، وبذلك يدنو منها . وإن أحست الأنثى ، من بعيد ، بأية حركة مشتبه بها من الشجرة أو القانص فرت بالخيط[٦٣] كله ، فلا يكون ، حتى لأسرع الجياد ، طاقة باللحاق بها في الرمال . أما قرب الأدحية فإن القانص يرمي (الطير) الذى يطاردها خلسة . وشحم النعامة المعروف بـ (الزِّهِم) علاج لأسقام شتى .

* (القَنْدَرَه) : طائر قرنفلي اللون . في نحو حجم الدجاجة . يطير طيرانًا رديئًا ، ويعدو عدواً أخرق ، ويستوطن النفود وحسب ، وبخاصة المنحدرات ذات الميل الشديد المحيطة بالحفر .
* (القَطْرَه) : أكبر من الحبارى ، وهى قليلة الطيران جداً ، وإن هاجمها الصقر استلقت ودافعت عن نفسها بمخالبها .
* (الطَّرْشَه) : طائر قاتم اللون ، في مثل حجم البطة الصغيرة ، تعيش أزواجًا وحسب في (الحماد) ، وهى صماء لا تسمع ألبته .
* (البَوَّه) : في مثل حجم نصف القندرة . وثمة نوعيتان منها تستوطنان الحماد ، (الكدري) منهما هو الأكبر والأكثر سواداً .
* القَطَا : وتعيش داخل الصحراء طالما كانت الغدران والبرك الطبيعية مترعة بمياه السيول ، فإذا جفت هاجرت إلى طرف الصحراء على مسافة مائة كيلومتر من الماء العِدّ (الدائم الذى لا ينقطع) .

والقطا ، و (الحَجَل) - انظر الصفحة التالية - والحمام هى الطير

الوحيدة التى ترد الماء وروداً منتظمًا بعد شروق الشمس وقبيل غروبها.

ولا تضع القطاة بيضها قرب مَنْهَلٍ ، بل في واد ناء تغطيه الأعشاب والشجر ، فتحفر حفرة صغيرة قرب شجرة ، وتضع ثلاث بيضات أو أربعًا وُرْقَ اللون ، وعليها نقط قاتمة ، وتكون في مثل حجم بيضة الحمامة . ولا تبرح هذه الطير أفاحيصها إلا حينما تطير صوب المنهل ، وإلا فإنها تمكث دائمًا على مقربة منها . ويكون في مثل تلك الأودية عادة ألف أفحوص في الأقل . وإذا فقست الصغار شرعت تعدو هَهُنَا وهَهُنالك كالفراريج الصغيرة التى تفوق الحصر ، وتبحث عن البذور .

ولا تطير القطاة وحدها أبداً ، بل دائمًا ضمن سرب . وإذا لم يحتو السرب أكثر من عشرة من الطير ، فإنه يعرف بـ (فِرْس) وإلا فهو (رَفّ) .

ويعبر البدو عن دهشتهم من أن القطاة حين تطير نحو منهل ، حتى إن كان على بعد مائة كيلومتر ، لا تتيه أبداً ، ولا تنحرف عن الخط المستقيم ، ولذلك يقولون عن الدليل البريت الحاذق الذى يعرف الفلاة المنبسطة معرفة ممتازة إنه (دِلِيلْ قِطَاوِي) .

والقطاة مغرمة كثيراً بدخول الأحياء حيث تبحث عن الحبوب . ويعلم بوصول القطا مباشرة في طول الحي وعرضه ، لأن سماع هتافها : (قِطَا قِطَا) ممكن دائمًا . ويقول البدو : (جانا القِطَا له فَرْقِطَه ، لا بارك الله بالقِطَا) أى : جاءنا القطا له صياح شديد ...الخ) .

و (القيروان) ضرب من القطا ، لكنه أصغر منه ، والنصف الخارجي من جناحه أسود .

* الحَجَل : ولا تستوطن ، إلا منخفض السرحان حيث يتوافر الماء في كل مكان ، وتكون أسرابًا من ثمان إلى ست عشرة ، وتكمن تحت الأشجار في الأيام الحارة . ويدعو الذكر سربه كله بصياحه : (قُور ، قُور ، قُور)

وبذلك يتنبه السرب ، فيخرج طائراً ، لكنه سرعان ما يعود ثانية ويختبىء.

وإذا أراد بدوي منعها من الفرار : صاح " حوجلوا ، حوجلوا !!) .

ولا يختبىء الذكر أبداً ، بل يقفز من صخرة إلى صخرة ، ويرقب العدو ويحذر هجومه .

* (المْرَيعي) : ضرب من الحجل ، صغير الحجم ، ولا تعيش هذه النوعية في أسراب بل أزواجًا ، وتطير طيرانًا حسنًا .
* (السِّمَقْمَق) : طائر ذو لون أورق قاتم ، في مثل حجم الحمامة الصغيرة ، وهو طويل العنق والساقين ، ويقتات السمك في البحيرة القريبة من (الأزرق) .
* (الصَّبْري) : يجمع الحبوب والحشرات ، لكنه ينقر صغار الجرذان واليرابيع أيضًا .
* (ذَبَّاح امِّه وابوه) : أى قاتل أمه وأبيه ، وهو الهدهد .
* (السَّمُّونه) : طائر صغير أورق قاتم ، يتسلل بين الشجيرات .
* (البْسَيسي) : طائر صغير ذو بطن أبيض وظهر أسود . يطير على رؤوس الشجيرات والأشجار وحسب .
* (الصَّعَو) : طائر صغير شبيه بطائر الحسون (أو العصفور الدورى Finch) عندنا (أى في شرقي أوربا) . ويميل ضرب منه للصفرة ، ومنه ضرب أسود وآخر أبيض .
* (الجَرْجَرَة) .
* (الشّعَيله) .
* (الرّقَيعي) : الخطاف ، أو السنونو .
* (الصُّفَارَى) .
* (الذّهَيِّن) : طائر بني اللون قاتمه . أصغر من الهدهد .

* (السِّمَرْمَر) .
* (مْلَهّيَة الرِّعْيان) .
* (أم طْوَيْق) : القمرية . وتستوطن الواحات دون سواها .
* (الخْضَارِى) : يستوطن بساتين النخيل دون سواها .
* (المقَطَّع) : يأكل الرطب .
* (أم سالم) : طائر صغير أورق اللون ، وهى تطير دائمًا قرب الإبل ، وإذا طارت على ارتفاع عشرة أمتار أو خمسة عشر بدأت تَشْرَقُ فتهبط في الحال . وصوتها جميل جداً .

جاءت أم سالم مرة إلى النملة ، وسألتها : « أعطيني عشاء لأطفالي » ! فتخلصت النملة منها قائلة : ([إليك عني] أنا همي الحَصَايِدْ ، وانْتِ هَمِّك القَصَايد !) أى : حين كنت مهتمة بجمع الحبوب من الحقول الحصيدة كان كل همك الغناء وترديد القصائد ! . فأجابتها أم سالم : " أنا يومٍ من اَيّامْ طْرُبِي ، يِسْوَاكْ يامَحْزُوقَة الذّنب ! " أى : إن يومًا واحداً من أيام أنسي لخير منك ياذات الذنب المشدود ! .

الزواحف *

يبدى الرولة اهتمامًا أكثر بما يلي من الزواحف :

* الضّبّ : ويعرف أيضًا بـ (ابو حمد) . وكثيرون لا يعدونه من الزواحف ، لأن له أربع أقدام يستطيع استعمالها جيداً . والضب ضرب من السحالي كبير الحجم ، وله سبع فقرات وخمسة أظافر في كل قدم ، وذيله أطول من جسمه الحقيقي . وهو يقتات النباتات وحسب ، ويهوى الاضطجاع في الصدوع التى بين الصخور . ويحرص البدو حرصًا شديداً على تقفره ، وإذا

صادوه قلبوه ظهراً لبطن ليذكوه ، فيرفع يديه ليحمي نفسه ، ويظل لحم الضب الذبيح يرتعش طويلاً ، وطعمه لذيذ . ويدفن البدو ، في العادة ، الضب في رَمْلٍ ، ويوقدون عليه ناراً ، وبعد نحو ساعة يزيحون النار والتراب عنه ، ويقلبونه ويدفنونه مرة أخرى ، ويوقدون ناراً أخرى عليه .

وقد كان الضب أصلاً رئيس الزواحف قاطبة ... ولما بدأ البشر في التكاثر بث الضب عيونه في ديارهم ، ليعرف ما لديهم من عتاد حربي ، وما الطريقة المثلى لخوض الحرب معهم ، فأبلغته العيون ، الذين لم يكونوا غير أبنائه الحقيقيين ، ما رأت وسمعت ، فأدرك أن ليس في استطاعتهم محاربة بني آدم ، وأن من الخير له الاختباء عنهم . وتطبيقًا لذلك طفق يحفر جحوراً عديدة لنفسه ولأسرته الكثيرة العدد ، ولم يخبر سائر رعيته بشيء من ذلك . وكان جبينه كله ، حين يعود من عمله إلى المجلس ، أورق اللون لما عليه من طين وغبار ، فلما سأله صحابه : " ما الذى جعل جبينك أورق ؟ " أجاب : " الصلاة الدائمة التى أسجد أثناءها كما يجب " . وذات يوم أقبل حرس الحدود يعدون صائحين : " لقد أقبلت العرب بكلابها وعتادها " فاختبأ أبو حمد وأسرته في الحال ، في الجحور المعدة ، فلم يَمَسَّ أيًا منهم سوء .

* الأفاعي : يقسم الرولة الأفاعي إلى : (حيه) و (دَابّ) . وتطلق الكلمة الأولى على أية أفعى قصيرة ، والأخرى على أية أفعى طويلة سامة كانت أو غير سامة ، ويستعمل الاسم الأخير دائمًا في الشعر للثعابين السامة . ومن بين الحيات القصار يخشى الرولة (الافاعي) التى تستوطن المناطق الصخرية ، بالإضافة إلى (البترا) و (الحَضَف) اللتين تستوطنان الصحراء الرملية ، ولا تزحف الأخيرة إلا في الليل ، وتدفن نفسها ، خلال النهار ، في الرمال فلا تظهر إلا أطراف رؤوسها . ويختص (

الْحَنِيش) من بين الحيات الطوال بكونه سامًا جداً ، وطوله متر ، وتغطيه بقع ملونة ، ومن عادته العوم في البرك والغدران .
ويفيد الجلد الرقيق (السِّلْب) الذى تخلعه الحية في علاج أدواء العين المختلفة .

ويأكل الرولة كلهم الحيات الطِّوال[٦٤] ، ويطعمون الإبل التى تعانى من آلام المعدة المعروفة بـ (الغش) ، ومن نخر العظام (الرَّسِيس) لحم الحيات القصار .

* (الحَرْذُون) : وهو الحرباء . ويتشمس في الأماكن المشمسة ، ويهز رأسه للمارة .
* (ابا الطَّحَيح) : وهو أصغر من الحرذون ، ولا يستوطن إلا النفود ، حيث يختبىء في الرمل مبرزاً رأسه دون سائر جسده .
* (الْمَلَس) : زاحف شبيه بالحرذون . يوجد أيضًا بالنفود ، وعليه بقع سود وحمر . والشيوخ الذين يعانون من العنة يأكلون لحمه بعد تجفيفه في الشمس وسحقه .
* (السليماني) أو (الجليماني) ، و (الحَبَنَنِيِّه) : ضروب من السحالي غير مؤذية .
* (البَعَرْصِي) أو (البْرَيَصي) : سحلية سامة من سحالي النفود ، وإذا عض إنسانًا بات الإنسان ضجراً ، فلا يستطيع اللبث في مكان واحد ، فإن كان مضطجعًا في الظل حن إلى الشمس ، فإذا حمل إلى الشمس أراد الظل ، ومن هنا يقولون فيمن يعدو من مكان لآخر : " هو قِريص البْرَيصِي ؟ " أى : أَلَدَغَهُ بريصي (سامّ أبرص ؟) .
* العقرب[٦٥] .

الحشـــــــــرات *

تزور الحشرات التالية بلاد الرولة :

* العنكبوت : وهى سامة .
* النحل : وتكون في الأقاليم الصخرية خاصة ، وهى مخلوقات ضئيلة الحجم ، ولدغتها ضعيفة ، ولعسلها طعم حامض .

وإن وجد شخص خشرمًا من النحل[٦٦] حاول الوصول إلى العسل .

وهناك لغز شائع : (قافر الارض مرعاها ، وما ذاق الناس لحمها ، إلا ولدها ياكله كل مِنْ جَاْه) أى : قَفْرُ الأرض مرعاها ، ولم يذق الناس لحمها ، لكن ولدها يأكله من جاءه .

الجواب : النحلة .

* (القْعَيسِي) : صنف من كبار النمل ، ويعرف أيضًا بـ (شيخ النمل) ، وهو موضوع اللغز التالي : (يأكل الشعير ولا هو بعير ، يأكل التبن ولا هو حمار ، يخرق الدار ولا هو فار ، اسود الليل ولا هو ليل) .
* النمل : وهو النمل الاعتيادى ؛ وهناك منه ثلاثة أصناف : (طيار) و (فَرْسِي) و (ذَرّ) .
* الارضه : قارضة الخشب : حشرة صغيرة أكبر من النملة قليلاً ، وتأكل كل ما تصل إليه .

الفصل الثالث

بنيـــة المجتمع

* حضر وبدو *

يقسم الرولة البشر إلى : " حضر " ، أى أولئك الذين يقطنون مساكن ثابتة ، و " عرب " أى أولئك الذين يقطنون بيوت شعر منقولة . لذلك فإن " العربي " هو الاسم الذى يطلق في أنحاء الصحراء كافة على ساكني الخيمة السوداء دون غيرهم . وتستخدم عبارة (عَرَبْنَا ارْحَلَواْ ، عَرَبْنَا انْزَلَواْ) للإشارة إلى أفراد العشيرة الواحدة . و (عرب القبيلة) هم أفراد القبيلة الواحدة ، و (عرب الدِّيرَه) هو الاسم العام للبدو الذين يستوطنون البلاد المزروعة وتخومها ، بغض النظر عن القبيلة التى ينتمون إليها .

وتعبر كلمة (عربان) عن الانتماء لعشائر أو قبائل شتى ، فعبارة : (عُرْبَانْ على ضْمَيرْ) مثلاً تعنى أن ثمة أفراداً من عشائر وقبائل شتى يخيمون في ضواحي (ضْمَير) . وإذا قابل الرعاة أو الصيادون بدويًا غير معروف في أرضهم سألوه : (انْتْ من اين ياولد ؟)[٦٧] أى : من أى قبيلة أنت يا رجل ؟ فإن قال : " من هالْعَرَب " أى : من هؤلاء العرب . سألوه : (فاهمين انك من العرب مار من اى العربان ؟) أى : نعلم أنك من العرب ، لكن من أي قبائل (العربان) المختلفة ؟ .

ويقسم قاطنو المنازل (الحضر) إلى : (قراونه - ويعرف الواحد كقرواني) أى ، أولئك الذين لايبرحون مسكنهم الدائم أبداً ، و (رَعُو) أو (رِعِيه) أى أولئك الذين يستبدلون بمساكنهم الثابتة خلال موسم الأمطار بيوت شعر منقولة .

وبعد بذر المحاصيل في الخريف يبرح (الرَّعو) أو (الرِّعيّة) قراهم ويُيَمِّمُون بقطعان أغنامهم ومعزهم ، صوب السهوب ، حيث يقطنون في البيوت السود المنسوجة من شعر المعز ، وفي الخيام الوُرْق المنسوجة من القطن . ويقفلون ، في أواخر أبريل ومايو ، حين يدنو موسم الحصاد قافلين من السهوب إلى مساكنهم .

ويتألف (العرب) من البدو و (الشوّايا) أو (الشُّويان) . وللشوايا شيئان أسودان " لِهُمْ سْوَادين " : البيوت السود المنسوجة من شعر المعز ، والقطعان السود من ضأن ومعز . وهذه القطعان لا تمكنهم من التوغل داخل الصحراء " ما يْشَرّقُون " ، فتقصر إقامتهم على الأراضي ذات الماء الوافر ، التي تنمو فيها الأشجار الحولية كل عام . وهم يخيمون على شفا الصحراء ، ولذا يعرفون بـ (رُحْم الدِّيرَه) أي : أقارب (سكان) البلد المأهول . ولا يقومون بغزوات مكثفة (غزو) ، ويُسَلِّمُونللبدو ، على اختلافهم ، بالتفوق ، ويدفعون لهم إتاوة (خاوة) لحمايتهم .

والبدو عرب يربون الإبل دون غيرها من الحيوان ، أو ، في الأقل ، بشكل رئيسي ، ويمكثون داخل الصحراء مدة عشرة أشهر (يشرقون) ، وينتقلون في آخر يونية إلى حافة الصحراء (يْغَرّبُون) ، ويسكنون بين الحَضَر حتى منتصف أغسطس أو أوائل سبتمبر ، فيتزودون بالقمح والألبسة والأسلحة ، ثم يعودون إلى الصحراء .

وفي حافة الصحراء تلحظ زيادة السكان الدائمة ، أو نقصهم الدائم . وإن ضمنت الحكومة لسكان المدن والقرى أمنًا تامًا للحياة والممتلكات حُوِّلَ رعاة المعز والضأن مزارعين نشطين ، فيبنون الأكواخ في كل صوب ، وتظهر قرى صغيرة للوجود ، ويمسي (الرعو) و (الشوايا) أناسًا مستقرين مسالمين ، فيكلون الاعتناء بمعزهم وأغنامهم إلى عشائر بدوية متنوعة ، لا تعود إلى الصحراء ، بل

تظل في الحد بين القرى والمستوطنات ، وتتحول إلى (شوايا) . وإن لم يك ثمة حكومة قوية في الأقاليم المأهولة اختفى الأمن على الحياة والأموال ، وتلا ذلك نقص في عدد السكان ، واستبدل بالمنزل الثابت بيت شعر منقول ، وغدا الفلاحون (شوايا) . وعلى أية حال ، لا يضحي القوم الذين سبق أن استقروا بدواً أقحاحًا البتة ، لأن البدو الأقحاح لا يعاملونهم على قدم المساواة معهم أبداً ، ومن هنا فإن لفظ (بدوي) أضيق كثيراً من لفظ (عربي) .

وماكُلُّ سكان شبه الجزيرة العربية ، في رأى الرولة ، بالعرب الأقحاح ، بل العرب هم أولئك الذين يتخذون من البيوت المنقولة سكنًا ، وحسب ، لكن ما العرب جميعًا ببدو ، بل البدو هم أولئك الذين يقضون معظم العام في جوف الفلاة ، ويقومون بتربية الإبل ، في الغالب ، دون سواها .

وتعترف القبائل كلها بأن الرولة بدو أقحاح وخالصون . إنهم : " بِعِيدِينْ الظَّعَنَه ، واسْعِين الطَّعَنَهْ " أي : بعيدو الظَّعْنَة .. واسعو الطَّعْنَة . يعنى : إذا ظعنوا وصلوا إلى ديار نائية ، وإذا طعنوا أصابوا ممن يطعنونه مقتلاً[٦٨] . وهم : (أهل السِّنَانْ والعِنَان) أى : أهل الرماح والخيل .. فهم محاربون على صهوات جيادهم لقدرتهم على حمل الرماح والتحكم في الخيل .

* قَــرَابَة الــــدَّم *

بنو العم

ينتمي الرولة لتلك المجموعة الكبيرة من القبائل المسماة بـ (عنزه) المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة كلها تقريبًا ، التى تنقسم إلى فرعين جنوبي وشمالي . وتؤلف عنزة الجنوبية القبائل التى ينتمى إليها آل أبا الخيل ، وابن

صباح ، وابن سعود ، وعشائر شتى من قحطان والمنْتفق[٦٩] . أما عنزه الشمالية فهم : ضَنَا مِسْلِم ، وضَنَا بِشر . وتشمل العشيرة الأخيرة : السَّبَعَة ، والفِدْعان ، والعْمَارات . كما تشمل الأولى : وِلْد علي ، والرولة الذين يعرفون أيضًا بـ (آل جْلاس). وفي رأى الرولة أن لقبائل عنزه وعشائرها جميعًا جد واحد ، ولذلك فهم بنو عمهم .

ولا يُضْفَى حقٌّ (ابن العم) إلا على القرابة من جانب الأب . وكثيراً ما تسمع العبارة : (من قَديم جِدَّه ما هو ابِنْ عَمّ كيف يِصِيْر لِنا ابِنْ عَمّ ؟) أى : لم يك جده قديمًا ابن عم لنا ، فكيف يصير هو لنا ابن عم . أو : (بني صخر أغلى لنا من العْمَارات ، ولكن بِالقُرْبَهْ هَذُولْ أقربْ لِنا من هَذُولَكْ ، بني صخر أجناب ما لنا ولِهُم جِدٌّ واحد) أي : بنو صخر أحب إلينا من العمارات ، لكن من حيث القرابة هؤلاء أقرب إلينا من أولئك ، بنو صخر أجانب ليس لنا ولهم جد واحد) .

نزل ضبيعان بن خشمان السرحاني مع الرولة طوال ما ينوف عن ثلاثين عامًا (في سنة ١٩٠٩م) ، وتزوج امرأة (رويليه)[٧٠] وتزوجت أخته (مها) الأمير (سطام) الذى أنجبت له ابنًا هو (طْرَاد) . وكان ضبيعان يشترك مع الرولة في الغارات الحربية ،ويرتدى زيهم ، ويتحدث أبناؤه كما يتحدث الرولة ، وعلى ذلك فقد بقوا منتمين للسرحان . وما يؤلف (الأهل) هم الأعمام (العَمَامْ) لا الأخوال (الخَوَال) . ولو قتل أحد أبناء ضبيعان أحد الرولة للجأ الابن إلى (أهله) السِّرْحان ، ولابد من أن يُقْتَصَّ لِدَمِ الرُّوَيْلِيٍّ بدمِ رجلٍ سِرْحانِي .

وغالبًا ما يحتاج إلى الأقارب من طرف الأب أكثر من الاحتياج إلى الأقارب من طرف الأم : (عَمَامِهْ أَلْزَمْ من خَوَالِه) - " عَمَامِهْ عَصَبِهْ وخَوَالِهْ أَرْحَام "[٧١] .

ويحظر بين من يربطهم دم القرابة (أبناء العم) ربط اللص الأسير . (ما عليه رِبَاط) ، أو الإغارة بعد منتصف الليل ، أو قبيل شروق الشمس الذى هو أطيب وقت للراحة " ممنوع عليهم البيَات والصَّباح " .

والدية محددة بخمسين بعيراً ، وفرسٍ ، ومعداتِ أسلحة .

وتُمْنَحُ العشائرالتى لا تمت إلى القبيلة بوشيجة الدم ، ويعود أصلها إلى أجداد مختلفين تمامًا ، قرابة الدم (بني العم) أحيانًا إذا شاء الشيوخ . فإذا كان شيخا قبيلتين لا قرابة بينهما ، أى أن كلاً منهما (براني) أو (أجنبى) عن الآخر ، لكنهما متحابان ، أعلنا أن كلاً منهما سيمنح الآخر حق القرابة (حق البني عم) أو (حق البنعم) قائلين : (بيننا وبينكم صداقة البنعم سواة البنعم) أى : بيننا وبينكم صداقة ابن العم لابن عمه . وعليه يكون واجبهما حماية جار (قصير) كل منهما وضيفه ، ورفيقه في السفر (خَوِيِّه) ، حتى إن كان عدوهما الحقيقي ، كما إن واجب كل منهما إطلاع الآخر على حركات الأقوام المعادين . ولا قيمة ، في الواقع ، لمثل هذه الصداقة إن لم يلتزم بها الشيوخ ، (إنها تكون) " تصليح الحكي من غير منفعه " . وإن قتل أحد أفراد هتين القبيلتين رجلاً من القبيلة الأخرى لم يدفع الدية التى يبلغ قدرها خمسين بعيراً ، كما هى العادة مع (بني عمه) الحقيقيين ، لكنه يدفع سبعًا وحسب ، كما في حال القبائل التى لا قرابة بينها (أجناب) . وإن قبض على لص من مثل هذه القبيلة فيجوز تقييده . وأكثر من ذلك يجوز مهاجمة مثل هذه القبيلة بعد منتصف الليل ، وهو أمر محظور مع (بني العم) الحقيقيين .

(آل) و (أهل) :

يقول الرولة إن قبيلتهم تعرف بـ (قبيلة) أو (بدِيدة) أو (عشيرة) الرولة ، ولكلمة (عشيره) معنى (بديده) أو (قبيله) نفسه . ويشار

إلى العشيرة ، وأحيانًا إلى الأسرة بكملة (آل) التى غالبًا ما بدلت بها الأداة (أل) ، على أن كل رويلي يعرف معنى الكلمة الأولى . وتدل كلمة (آل) عمومًا على ما تدل عليه (بني) أو (ابن) ، ومعناها أوسع من معنى (أهل) . و (فريق) هو الاسم الذى يطلق على جماعة من الأقرباء الذين ينحدرون من جد واحد ، و (الفريق) أوسع أيضًا من (الأهل) . و (الأهل) جماعة محددة بالنسبة للفرد وحسب ، فأهل الرجل يختلفون عن أهالي أبيه أو ابنه (مع أن الأهالى الثلاثة في هذه الحالة يضمون أفراداً كثيرين مشتركين) . ويؤلف أهل الرجل خَلَفُهُ حتى الجيل الثالث - أى أبناؤه وأحفاده وأحفاد أبنائه - ويتضمنون أيضًا سلفه حتى الجيل الثالث - أى أباه وجده وجد أبيه - ، ومن ينحدرون من هؤلاء الأسلاف حتى الجيل الثالث من كل .

والنسب معدود عبر سلسلة الذكور وحسب ، وإن أبعد الفروع التابعة لـ (أهل) المرء هم أبناء ابن عم أبيه .

وثمة طريقة ميسرة لتقرر فيما إذا كان " س " من الأهل نفسهم الذين منهم "ي" ، هى أن تعد من " س " حتى الجد المشترك لكل من " س " و " ي " ، ومن هناك تبدأ في العد التنازلي لـ " ي " . سيكون " س " و " ي " من (الأهل) نفسهم شريطة ألا يعد بين " س " و " ي " أكثر من ثلاثة أجيال أيضًا .

وتفسر فكرة (الأهل) هذه معرفة البدوي بجد أبيه ، في حين يرجح أن يكون على جهل تام بجد جده . وقد أخبرنى رفيقي بْلَيهَان بالإيضاح التالى لأهله هو : " أنا ابن ضِرِي الذى انحدر من مِصْرِب . خَلّف (ضِرِي) داغراً وصالحًا . وخلف داغر إبراهيم و (بَغْري) . وإبراهيم أبي خلفني ، أى بليهان ، وجيعان ، وعشوان ، بينما كان أبناء بَغْرِي هم : دفران ، وراشد ، ومرْشِد . وأبناء صالح هما نِدِي ، وجليدان . خلف نِدِي (نيتول) وذياب ، وكان لجليدان (نجيب) و (صياح) ، كل هؤلاء أقاربي ... أهلى . ولا أحد غيرهم . وصل

(أهل) أبي إلى الوراء حتى نصار أبي ضري وعبدالله ، لكنى لا أحفل بذرية عبدالله بتاتًا ، فلن يحمونى ، ولن أحْمِيَهم " .

ولم يعرف بليهان أي شيء عن أبي نصار خلا أنه ينحدر من أهل مصرب ، ولذلك عرف بابن مصرب ، وأن له أخًا اسمه (معروف) . لكن لا بليهان ولا أى من أهله استطاع معرفة عدد الأجيال بينه وبين مصرب . كان بليهان يعد نفسه بعيداً من ابن عمه دفران بثلاث درجات (أى : بـ : ١ = أبيه ، ٢ = جده ، ٣ = عمه) وعلى نحو شبيه بذلك ، كان يعد نفسه بعيداً بخمس درجات من ابن عمه غير المباشر (نجيب) .

وكلما كبر الرجل اتسعت دائرة أقاربه ، شريطة أن يخلف أبناء ، بطبيعة الحال ، لأن (أهله) عندئذ لا يؤلفون أباه وجده ، إن كانا على قيد الحياة ، وفروعه وحسب ، بل أبناءه وأحفاده أيضًا .

و (أهل) الرويلي يحمونه من الجور ، كما ينالهم أذى ما يرتكبه من جريرة . ومثل هذه القرابة العرقية يعرف أيضًا بـ (أهل) ، وهذا المثل ، أى (الأهل) بمدلول الكلمة الضيق ، يعنى عادة إما الأب أو العم ، أو الأخ الأكبر .

كان لسعود ابن الأمير النوري بيته الخاص به ، ولم يكن إذا قال : " سأذهب إلى أهلي " يدخل ذلك البيت أبداً ، بل بيت أبيه الأمير النوري . وإن لم يكن الأخير حاضراً ، أسرع إلى أخيه الأكبر نواف .

والإعلان الجاد بأن شخصًا ما قد قبل في (الأهل) الفلاني قد يحل محل قرابة الدم .

و (أهل البيت) تعنى : امرأة صاحب البيت ، أو امرأة أخيه ، لكون البيت بكل من فيه تحت إمرتها . وترادفها عبارة (راعية البيت) أى : سيدة البيت . ويدعو الضيف (أهل البيت) إن أراد لحافًا لفراشه . ويدعو البدوي الذى يقطن بيتًا له زوجَهُ (أهل البيت) و (أهل بيتي) أو (راعية بيتي) .

وإن كـان له أطفـال فـإنهم تابعـون أيضًا لـ (أهل البـيت) . ولا تدعـو الزوجـة زوجها أبداً (أهل البيت) أو (أهل بيتى) ، بل (راعي البيت) أو (راعي بيتنا) : رب الدار ، رب دارنا . وإن كان لها ولد صغير فإنها تدعو زوجها (أبو فـلان) . وطالما كـان الرويلي يقيم في بيت أبيـه فـمحـال أن يتـكلم عن (أهل بيتـه) ، ولو كان متـزوجًا وله أطفـال ، فهـو ومن يعـول يتبـعون أسـرة (أهل) أبيه . وإن توفى الأب وظل أبناؤه وأسرهم في بيتـه عرف ببيت أبناء فلان (بيت عيال فلان) ، أو بيت أمهم إن كانت على قيد الحياة . و (أهل البيت) في مثـل هذه الحالة ، إمـا أن تكون الأم العجـوز ، أو زوج أحد الإخوة المسؤولة عن البيت . وإن لـم تستطع زوج الأخ الأكبر الانسجـام مع أزواج الإخوة الآخرين قـال لهـا زوجهـا : " من الآن فـصاعـداً ستـمكثين في هذه الزاوية ، وستـكون فـلانـة (أهل البـيت) أو (راعـيـة البـيت) " . و (أهل البـيت) عند الرولة تـطابق (العيله) عند القبائل الأخر .

وتعنى كلمـة (أهل) ، في مـدلولهـا الأوسع ، القـبـائل المتـمـيـزة ، التى تتـوحد ، فـي الغـالب ، من أجل تأمين الحمـاية المشتركةلنفـسهـا . وعلى هذا يمكن التحدث عن (أهل الجبل) ، وهى عبـارة يفـهم منهـا القبـائل المتفـرقة ذات الأصـول المختلفة التى تخيم في الأجزاء الشرقـية والجنوبية من سلسلة جبال حوران . و (أهل الديرة) هم سكان القرى المختلفة الذين لا يبرحون أرضـهم ألبتـة ، فأهالي الكرك هم القبائل المختلفة التى تؤلف سكان مدينة الكرك ، وهكذا .

و (العيله) تعنى : " الأسرة التى لهـا مـسكن وموقد مستقل " : " العيله أهل الجدار والنار " ، وأي رجل مـستـقـر ، له مـسكن خاص به ، وفـيـه زوج تطبخ له الطعام ، يقال : إن له (عيله) .

ويسـتـبـدل الرولة بكلمـة (ذريه) كلمـة (ضَنَا) التى تدل على الأشـخـاص المنحدرين مـن أرومة واحدة انحداراً بعيداً جداً ، بغض النظر عما إذا كانـوا قد انحدروا حقيقة من جد واحد ، أو أن القرابة كانت ثمرة تَبَنٍّ .

الشـــــــيوخ *

تعنى كلمة (قوم) : " البدو الذين يحكمهم شيخ " . لذلك لك أن تقول : " قوم ابن شعلان " أى : هو من قوم ابن شعلان ، - " قوم ابن مِعْجِل مخيمون هنالك " - " قوم ابن جندل اشتركوا في الغارة أيضًا " . لكنك لن تسمع أبداً عبارة : " أولئك (قوم) الرولة " أو : " أنه ينحدر من (قوم) الفْرِجه " .

وإذا تحدث الأمير ابن شعلان عن " جماعتي " ففي ذهنه مختلف العشائر التى تلبي أوامره ، وتهب لعونه (يِفْزَعُون) . وتكاد كلمة (جماعة) تعنى ما تعنيه كلمة (قوم) .

ورتبة الشيخ وراثية في أسرة محددة (آل) . ومن المعتاد أن يكون الشيخ المعترف به هو الفرد الأنسب جسمًا وعقلاً ، وليس ضربة لازب أن يكون أكبر أفراد الأسرة الحاكمة سنًا . وتظلّ الأسرة الحاكمة عند العشائر والقبائل حاكمة حتى تنقرض ، مع أن سلطتها قد تَهِنُ وَهَنًا شديداً ، وقد تتخلى عنها عشائر عديدة . ويطاح بالشيخ العام أو الأمير الذى يمثل قبيلة برمتها أو عدداً من القبائل ، ويخضع له الشيوخ الآخرون طوعًا أو كرهًا ، أسرع مما يطاح بالشيخ الاعتيادي ، وتتحول رتبته إلى عشيرة أخرى . وأكثر ما يجري ذلك إذا لم يتميز الشيخ العام وارث الرئاسة بمقدرة حربية ، فيدير ، عندئذ ، شئون قبيلته الخارجية بصفته (شيخ الباب) ، وتوكل أمور الحرب إلى رجل معروف بالإقدام وحصافة الرأي وإن كان من عشيرة أخرى . ويعرف مثل هذا الشيخ بـ (شيخ الشّدَاد) أو (شيخ الحرب) . وإن أفلح في قهر العدو ، وتوصل إلى فرض سلام لصالح القبيلة انضمت إليه عشائر أخر عدة تطيعه في زمن السلم ، ثم تتبع ذلك حروب يخضع فيها الشيخ العام الوارث ، وتعترف أسرته بتفوق الحاكم العسكري السابق ، الذى يضحي إذ ذاك (شيخ الباب) أيضًا .

تقاليد تتعلق بشيوخ الرولة :

كان الشيخ العام للرولة كلهم ينحدر ، طبقًا للعرف ، من عشيرة القعاقعه . وكان شعلان ابنًا لأبوين وجيهين ، وعلى إنه لم يك يملك لنفسه من قطمير ، فقد كان مسؤولاً عن رعاة عشيرة آل مرعظ بصفة (فداوي) أى : أجير حر .

وكانت القطعان ترعى في ضواحي إحدى المستوطنات في نجد . وذات مرة ، نهب القعاقعة قطعان الضأن والمعز من الحضر ، وساقوا إبلهم عبر حقولهم ، فانطلق الحضر نحو إبل القوم ومضوا بها ، وخبؤوها في بساتين النخيل المسورة ، فأحاط الرولة بالمستوطنة ، لكنهم لم يتمكنوا من تحطيم وسائل الدفاع ، وهدد الحضر الرولة بأن الإبل المحتجزة ستنفق جوعًا إن لم يرفعوا الحصار . لذلك جنح شيخ الرولة العام للسلم ، وعرض الصلح على أكبر الحضر سنًا ، فأعلن الشيخ أنه لن يباحث في الأمر أحداً سوى " شعلان " الذى كان يعرفه ، ولن يخلى سبيل الأباعر إلا له ، فدعا الشيخ العام شعلان إليه ، وقال:

- إن صديقك كبير الحضر لن يخلي سبيل الإبل إلا لك ، فَامْضِيَنَّ إليه ، واتفق معه باسمى .
- أنت شيخنا ، ولك الأمر ، ولك الرأى .
- امضين إليه عاجلاً ، واتفقن معه باسمى ! .
- لن تنفذوا ما أبرمه معه من اتفاق ! .
- لَنُنَفِّذَنَّه ! .
- أستعيدون إلى الحضر الشاء والمعز التى استوليتم عليها ؟
- نعم سنعيدها !
- فلتبعث ممثلي عشيرتي الفْرِجة والرِّبْشَان ليتكفلوا بذلك .
- أنا فلان أضمن بأن الفْرِجة لن يسمحوا بأن يقطع للحضر خيط واحد .
- حسنًا (زَين) . أعطنى الآن ختمك .
- لأى شيء تريده ؟

- كيف أستطيع أن أسوي أي أمر باسمك بدون ختمك ؟

ناشد ممثلو (الفرجة) و (الربشان) الشيخ بأن يسلم شعلان الختم ، وتم ذلك ، فذهب شعلان إلى الرجل ، وتوصل معه إلى اتفاق أعاد الحضر بموجبه الإبل المحتجزة (أدوا النواقص) ، وتسلموا ضأنهم ومعزهم ، وتخلوا عن المطالبة بالتعويض عن القمح الذى أفسد .

وأثنى الجميع على شعلان ، وقالوا : إنه لرجل شهم (صاحب المرجلة). و (صاحب المرجلة) يجب أن يكون ذا قلب جرىء (قلبه قوي) ، وأن يكون له عقل حاد الذكاء ليتغلب على الصعاب (راعي فَتِل) ، وأن تكون له دراية بالأمور واسعة (لِهْ عرِف) ، وأن يكون بعيد النظرة في المستقبل (شَوفتِهْ بِعِيدِه) ، وأن يتحلى بالأناة والصبر (لِهْ صَبِر) .

ظل شعلان في المستوطنة ، ولم يعد الختم للشيخ العام ، وآزره الحضر والفرجة والربشان ، وبعد أربع سنوات أطاح به ، وتولى هو قيادة مصير الرولة عن بكرة أبيهم .

وقد تلا ذلك صراع على الأحقية بالرئاسة بين الشيخ العام (ابن شعلان) ورولته ، وبين الشريفي شيخ الكواكبه ، وهم من فخذ قحطان من عنزه[٧٢] . وكان الكواكبه أصلاً مستقرين في نجد ، وتقدموا تحت إمرة شيخهم الشريفي إلى أراضي الرولة ، وضربوا بيوتهم إلى الشرق من الجوف ، وأرداوا التمتع بالاستقلال التام (العمَال والقوَال لهم) ، لكن الرولة أعلنوا أن عليهم إما الخضوع لسلطتهم أو الانسحاب . فاتحدوا مع شمر والظفير ، وقاموا بغارة عظيمة على القبائل الموالية لابن شعلان ، وتولى قيادتهم أبناء الشريفي السبعة .

وكان مع الشريفى إذ ذاك ، رجل من عشيرة الفرْجَة اسمه (مِحِي) يعمل راعياً للإبل . وفي الليل ، بعد ذهاب المحاربين ، قال له الشريفي : " أي

رويلي أنت يا مِحِي ؟ تتعشى فارغ البال وقومك معرضون للسحق " ؟! فأجاب مِحِي : " المقدر كائن " . وبعد أن فرغ من عشائه اضطجع ، ومكث حتى نام القوم جميعًا ، فقام وشد الرحل على أسرع النوق ، وانْفَتَل بأقصى سرعة إلى قومه محذراً إياهم ، ومحبطًا خطة العدو . فأخفى قومه قطعانهم في وادٍ آمن ، وفتحوا أكياس الجلد التى أودعوها دروعهم ، وتأهبوا للقتال . وكانت قد لفت على الدروع أوراق نبتة ذات عَرْفٍ قوي تسمى (جْعَدَه) حتى لا تُفْسِدَ قِطَعُ المعدن الأكياس الجلدية ، ولئلا تأكل العثّةُ والأَرْضَةُ الجِلْد .

ولما ارتدى المحاربون دروعهم تضوع ما حولهم بِريحِ الجْعَدَة ، وخرجوا بعد وهنٍ من الليل ، من مخيماتهم راكبين متجهين إلى بقعة بعينها في الجهة التى توقعوا أن يأتي الهجوم منها ، ثم نزعوا عن الإبل رحالها وأعادوها ، وأخفوا الرِّحَال ، واحتلوا الصخور التى تكاد تحيط بحوض ذي عشب وفير إحاطة السوار بالمعصم . وبعد شروق الشمس ساق الرعاة الركاب ونحو مائتين وخمسين بعيراً أخرى داخل هذا الحوض ليرعوها ، وصدحوا بأهزوجة مرحة ليجلبوا انتباه عيون العدو .

اكتشف العيون القطعان ، وأنبأوا بهذه الحقيقة أبناء الشريفي السبعة الذين أمروا بمهاجمتها ، فامتطى المحاربون صهوات جيادهم في لمحة عين ، وخرجوا عدواً إلى الشِّعْب المؤدي إلى الحوض . كانوا آتين من الجنوب الشرقي ، وكانت الريح هابة من الشمال الغربي . وعند دنوهم من الشِّعْب صاح بأبناء الشريفي السبعة شمري يمتطى جواداً نشطًا : " أَشُمُّ رائحة (جعده) ! أشم رائحة (جْعَدَه) ! الفرار ! " .

- كذاب ! من أين لك أى (جعده) هنا ؟
- لقد أتتنى الريح برائحة (الجعده) ! الفرار ! .

ثم انحرف ولاذ بالفرار ، وهرب معه مَشْلان أصغر الأبناء السبعة ، وسار

سائر الأبناء مع الكواكبهجميعًا ومعظم شمر والظفير عبر الشعب داخل الحوض ، وثبتوا على متون خيلهم ، وفي الحال احتل الرولة الشعب وسدوه ، وأحاطوا بالعدو ، وتلا ذلك قتال عنيف . وكان الذين برز تميزهم في المعركة أكثر من سواهم من الرولة هم : الدريعي بن مشهور ، ومجول آل مجول ، وفهيد بن معبهل . وسقط أبناء الشريفى الستة جميعًا صرعى . ولم ينج من سائر الأعداء إلا بضعة محاربين التمسوا النجاة بالفرار على أقدامهم ، لأنهم لم يكونوا يستطيعون الخروج على صهوات خيلهم بسبب الصخور .

وبعد أن تخلص الرولة من الفارين ، شدوا الرحال على نياقهم وأغاروا على شمر والظفير الذين كانوا يحرسون الإبل والماء والمؤن ، فلم ينج منهم سوى عشرة رهط ، وبات الباقون جميعًا بين قتيل وأسير . ولم يسلم من الكواكبه كلهم إلا مشلان ابن الشريفي الأصغر ، فقد انطلق به شمري على مطيته التى كانت فائقة السرعة ، نحو مخيم أبيه . ولما دخل الشَّمَّرِيّ بيت الشريفى قعد جانبًا مع مشلان ، وبعد هنيهة سأله الشريفي :

- ما الأخبار (العلم) ؟
- لا أخبار (ما مِنْ علوم) .
- والله لئن لم تخبرنى بالأخبار لأقطعن رأسك الآن ، (والله اليا ما عَلَّمْتِني لاقْطَع راسَكْ بالسيف !) .

لم يُلْقِ الشريفي على ابنه مشلان ولو نظرة واحدة أو يخاطِبْه .

فلما قص الشمرى عليه القصص ، وأبلغه بأخبار نتيجة المعركة ، قال الشمرى : " يا الشريفي ألا ترى حبيب عينيك ؟ " .

كان الشريفي صامتًا . وبعد قليل دعا امرأته أم الأبناء السبعة كُلِّهم ، وكانت قاعدة من وراء الحاجز ، وقد سمعت الأخبار كلها ، وسألها : " ياراعية بيتى ، أين مشلان ابنك الأصغر ؟ " ، فأجابت ، وهى تنظر إلى مشلان ، : " لم

نَحْمِلْ ، ولم نَلدْ ، ولـم يأتِنا ابْنٌ اسـمـه مـشـلان " (لا حَمَلْنا ، ولا ضَنَينا ، ولا جانا وَلَدٍ اسْمِهْ مَشْلان !) .

برح مشلان منطقة الكواكبه ، ولم تقع عليه ثمة عين أبداً ، أما أمه زوج الشريفي فلم يمض أَمَدٌ يسير حتى قضت نحبها أسى .

وقد أراد الكواكبه وشمر أن يمحوا عار هزيمتهم المنكرة وينتقموا .. فزحفوا في العام التالى على الرولة . وكان سيقرر في تلك الجولة نهائيًا من ينبغي أن يحكم ، لذلك زحف الكواكبه مع أسرهم وبيوتهم وقطعانهم ، وأقاموا معسكر حرب (مناخ) ضد الرولة الذين كانت بيوتهم قد ضربت حول آبار " جَوّ مْغَيرا " و " الخَوعا " إلى الشرق من مستوطنة سكاكا .

وقد سبق أن احتل الرولة الآبار كلها وأراضيَ واسعةً نسبيًا حولها من قبل . وقام الكواكبه مع شمر بعدة هجمات على حي الرولة ، لكنهم كانوا يُصَدُّون في كل مرة .

أما الرولة الذين كانوا تحت إمرة القائد (عقيد الحرب) المشهور فهيد بن معبهل ، فلم يكونوا يقومون بهجوم أبداً ، بل يضغطون على خصومهم ، ويدنون منهم شيئًا فشيئًا حتى لم يعودوا قادرين على الاستقاء من أي مكان . ولم تقتصر مقاساة الظمأ على الحيوانات بل شملت الناس أيضًا ، وقد عانى النساء والأطفال خاصة . وكان الكواكبه يقدمون بعيراً لقاء الدلو الواحد من الماء (نحو عشرة لترات) ، وكانوا ينحرون الإبل وينتفعون بما في أجوافها من ماء .

وكان للشريفي ابنة اسمها (قوت) جمعت بين الحسن والجرأة . وقد عزمت ، بعد أن استشارت نساء الكواكبه الأخريات ، على أن تَمضِيَ إلى بئر (مْغَيرا) طلبًا للماء (بوجه) أمير العدوّ فهيد . فأعدت النساء القِرَبَ وحملنها على الجمال ، وركبن إلى بيت الشريفي ليرافقن ابنته قوتًا في رحلتها

المغامِرَة . فلما استوت على متن بعيرها هتفت : " يا فهيد ، يا فهيد ، فلتعلم أنني أركب (بوجهك) ! تحت حمايتك " . وكانت النسوة اللواتي يرافقنها يرددن هذه الكلمات بعدها . ولما رأى حراس الرولة أن أكثر من ألف ناقة تدنو، تقودها امرأة وتركبها نساء ، نسوا ، لفرط دهشتهم ، إبلاغ قادتهم بالأمر ، وانتظروا ليروا ما يجرى .

ولما دنت قوت بحيث باتت على مسمع من القوم هتفت :" يا فهيد يا فهيد ، فلتعلم أنني أركب (بوجهك) " " يا فهيد تراني بوجهك "[٧٣] . فسمع الحراس ذلك . وانطلق الفتية الصغار منهم نحو الإبل المقبلة ، وعلى الرغم من صوت كبارهم المحذر ، قبضوا على خير الإبل والنساء القاعدات عليها . وانطلق من المخيم شبان آخرون ، وخلال ساعة واحدة أضحت حاشية قوت كلها غنيمة لمحاربين شتى .

لم يك فهيد حاضراً في المعسكر ، فقد خرج في جولة على المنطقة المحيطة به . ولما سمع عبده المسن قوتًا تعلن أنها ركبت (بوجه) فهيد وضع سرجًا على أسرع جواد لديه وامتطاه ، وانطلق ليلتمس سيده ، فلقيه غير بعيد لأنه كان عائداً لتوه . وما إن علم فهيد بأن قوتًا قد ركبت (بوجهه) ، وأنها تعرضت للنهب والسبي ، حتى احتدم غيظه وحنقه ، وأطلق صيحة حرب مجلجلة معلنًا أنه سيحرق، قبل شروق شمس اليوم التالى ، كل بيت يجد عنده إبلاً لحاشية قوت . ومن يرغب في النجاة من هذا العقاب فعليه إحضار ما سرق من أباعر مع كامل عدتها ، وما سبى من نساء ، أمام بيته قبل أفول الشمس . وركب قوم فهيد وعبيده دون تريث ، وطافوا بالأحياء وأعلموا الناس بما طلب .

ومضى فهيد نفسه هو وأكبر عبيده إلى البيت الذى تقيم فيه الأسيرة قوت . وأمر أن يشد الرحل على ناقتها ، وطلب منها أن تحل ضيفًا عليه ، وقادها نحو بيته ، حيث خصص لها فيه أفضل مكان . وبناء على أمره ، نَحَرَ

عبيده خمسة جمال ، وأعدوا وليمة عشاء كبرى لقوت ولكل صحبها من النساء اللواتى اجتمعن فيها قبل الغروب .

ولم يفقد بعير واحد ، ولا قربة واحدة ، ولا رحل واحد . وقام عبيد فهيد وأقاربه يسقون الإبل ، ويملأون القرب الليل كله ، وبعد الغروب أخذها النساء ، ومضين راكبات مع قوت إلى أسرهن العطشى . وقد رافق فهيد قوتًا حتى باتت على مرمى حجر من بيت أبيها .

وكان الماء المجلوب كافيًا لخمسة أيام ، وبعد ذلك شرع الصبية يبكون من جديد طلبًا للماء ، وتهاوت إبل كثيرة فتية عطشًا ، فطلب النساء من قوت أن تذهب ثانية من أجل الماء ، لكنها ، هذه المرة ، لم تستجب ، بل دعت إلى عقد السلام مع الرولة . وتحت إصرارها بعث كبار الكواكبه رسولاً إلى فهيد يحمل طلبًا للسلام ، وقدم للرولة نصف قطعانهم فوافق فهيد ، وتوصل إلى حل سلمي . وتعرف هذه الحرب العنيفة بـ (مناخ الضيرين) أى : معركة المجاعتين .

أما شمر حلفاء الكواكبه فلم يقبلوا الاتفاق وهددوهم بالحرب . فقرر الشريفي عندئذ أن يعترف بسلطة الرولة وينضم إليهم انضمامًا تامًا . وتزوجت ابنته قوت فهيدًا ، وأقام كواكبته مع الرولة في حي واحد[٧٤] .

وظل بيت الشريفي بعد انتقال قوت إلى بيت فهيد بلا امرأة مسؤولة عنه ، لذلك وضع الجوارى تحت إمرةِ أرملةِ محاربٍ شَمَّرِيٍّ كان قد سقط في الميدان ، جاءت الأرملة لبيته بأرزاق كثيرة .. زبد وتمر وأرز ، وقالت له :

- تزوجنى وسأخدمك ليل نهار .
- حسنًا سأرى .

وكانت المرأة الشمرية تصنع له وجبات طعام شهية ، وتنظم البيت ، وتحثه على التزوج بها ، لكن الشريفي تجنبها . ولما كان مخيمًا مع الرولة في (النقره) إلى الجنوب من دمشق ، جاء بغتة بفتاة من أقاربه (بنت عم له) وأدخلها بيته

. ولم تفه الأرملة الشمرية بكلمة ، لكن لما اضطجع الشريفي ، في اليوم التالى ، في وقت القيلولة الحار ، أخذت مدية وجبت بها مذاكيره ، ثم فرت إلى بيت بعيد حيث طلبت الحماية (دخلت عليه) ، فرافقها صاحب البيت إلى قافلة كبيرة ماضية نحو نجد ، ووصلت أهلها سالمة .

وتدل سيرة الرولة التاريخية أن قسم (ضَنَا مِسْلِم) كانوا قديمًا مقيمين في ضواحي خيبر ،حيث ما برحوا يملكون نخيلا (حلال) في وادى (الجْلاس). ويقال إنهم انتقلوا من هناك إلى الشمال . وكانت أول قبيلة تهاجر هى (الحْسِنه) التى ينحدر شيخها من عشيرة ابن ملحم ، وقد وكلت إليه إدارة طريق الحج من دمشق حتى العلا ، وكان يتسلم من الحكومة مبلغًا كبيراً من المال لقاء ذلك . ومافتئت عدة أسر من (وِلْدْ سليمان) و (وِلْدْ علي) تملك نخيلها في واحة خيبر . وللسراحين التابعين لقبيلة السّبَعَه ، الذين يخضعون لشيخ عشيرة (أبو شامه) ، فلاحوهم هناك .

وكان قائد الرولة (شيخ الشداد) في أوائل القرن التاسع عشر من عشيرة (السوالمه) ، وكان اسمه الدريعي بن جندل[1] .

وقد آزر بطن ابن بنيه من عشيرةالمرعظ الرويلية الوهابيين (هكذا) الذين انتصر الأمير محمد بن علي بمعونتهم على خصمه عبدالله بن رشيد ، وأخرجه من مستوطنة حائل مدة . وتملك أسرة ابن بنيه آبار (الهَبْكِه) و (الشّقِيق) المهمة . ولما تبعت ذلك ثورة عامة ضد الوهابيين (هكذا) أبلت عشيرة ابن شعلان من المرعظ بلاءً حسنًا ، وكان على رأس العشيرةنايف ، وهو ابن لعبدالله ابن شعلان الذى أخذ القيادة من عشيرة ابن جندل في الحرب ، وكان له سبعة أبناء ماتوا جميعًا ميتات عنيفة ، وصار الشيخ العام بعد وفاة (حمد) الذى خلف ابنًا واحداً هو (سطام) . وقد كسب فيصل ،الابن السادس لنايف ، شهرة طبقت الآفاق ، وثبت سلطة الرولة حتى جنوبي دمشق في إقليم (الجيدور) ، أو كما يقولون في

(النِّقْره) ، وحارب (ولْد علي) تحت قيادة محمد بن دوخي بن سمير . وقد شاء عدد من شيوخ قبيلة الرولة مثل ابن معجل ، وابن جندل ، وابن مْجَيد(٧٥.) أن يتحالفوا مع (ولْد علي) ، لكن فيصلاً أحبط خططهم ، وقتل قائدهم بَرْجَس بن مشهور عام ١٨٥٩م بيده ، وسرعان ماهزم حلفاء محمد عن بكرة أبيهم بعد ذلك قرب مستوطنة بصرى . ولم يكن فيصل يتوقف عن شن الحروب ، وكان ينتصر فيها . فأمسى سيد شمالي بلاد العرب الأكبر . غير أنه لقي مصرعه في ١٤ يناير ١٨٦٤م على يد طالبى ثأر بَرْجَس (بن مشهور) ، وهما أخوه نهار وابن أخيه حمدان[2] .

وكان الشيخ العام الآن (أى بعد موت فيصل) هو طلال بن فيصل ، وكان القائد العسكري حَمَدْ بن بْنَيِّه . وقد تميز تميزاً فريداً بين المحاربين سطام بن حمد بن شعلان ، وهزاع الابن الأخير (السابع) لنايف .

وكانت زوج هزاع هى ثَقْلا ابنة الشيخ فايز بن جَنْدَل ، التى ولدت ابنيه النُّوري و (فهد) ، أما ابنه محمد فأنجبته أم أخرى . وبعد وفاة هزاع تزوج سطام أرملته التى أنجبت له مشعلاً ، فيما بعد . وتزوج سطام بن حمد ، عن حب ، (تِركِيِّهْ) وهى من أسرة (ابن مْهَيد) التى انحدر منها شيخ مشايخ الفدعان . وقد ولدت له ولديه خالداً وممدوحًا . وفي شتاء عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ كان سطام قد أضحى شيخًا عامًا لمشايخ الرولة[3] ، وتوفى عام ١٩٠٤م ،وقد نصب فهد بن هزاع خليفة له ، لكنه اغتيل ، على أية حال ، بتحريض من أخيه النُّوري[4] .

النُّوري بن شَعْلان

يُسَمِّي الرولة رئيسهم العام ، أو أميرهم (شيخ) و (شيوخ) أيضًا . وقد

يسمع المرء عبارة (طَبَّيت على الشيوخ وهو كان نايم) أي : جئت الشيخ وكان نائمًا .

والشيخ العام النوري بن شعلان يعلن الحرب ، ويعقد الصلح ، ويتكفل ، تحت نظام الحكم التركى ، بالضريبة التى تطلبها الحكومة من الرولة خلال إقامتهم السنوية في النقره . وقد دفع في عام ١٩٠٧ مبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة تركية (١٥٧٥٠ دولاراً) ، وفي عام ١٩٠٨ مبلغ ألفي ليرة (٩٠٠٠ دولاراً) فقط لأن عشائر عديدة من قبيلة الكواكبه نَزَحَتْ إلى العراق . وكان النوري يزيد الضريبة النصف ، ويوزع النصف حصصًا بين مختلف الشيوخ الذين يزيدونها ، بدورهم ، ويجبون من مالكي البيوت المختلفة حصصهم حسب عدد إبلهم . وبعد حين ، كان يخرج النورى ، أو ابنه ، راكبًا مع عبيده إلى مختلف الشيوخ ، ويجبي الضريبة ، ويعاقب مَنْ يَفِرُّون ولا يؤدونها ، إذا قبض عليهم ، بأن يغرموا بعيراً .

وكان الأمير يحول الضريبة المجبية في موعدها المحدد إلى الحكومة ، ويحتفظ بالنصف الذى أضافه . وكان يدفع ، من هذا المبلغ ، مخصصات إلى أفراد الأسرة الحاكمة وبعض الشيوخ ، فوزعت المبالغ التالية :

لخالد بن سطام ١٥٠ ليرة تركية (٦٧٥ دولاراً) .

لعَذُوب بن مجْوَل ٢٠ ليرة تركية (٩٠ دولاراً) .

لفهد بن مشهور ٥٠ ليرة تركية (٢٢٥ دولاراً) .

وكان يبقي لنفسه مائة وخمسين ليرة تركية (٦٧٥ دولاراً) في الأقل ، ويبيع ، بالإضافة إلى ذلك ، ثلاثة جياد أو أربعة ، وثلاثين أو أربعين بعيراً سنويًا .

ويَبْتَاعُ الأمير لخيله ، التى يتراوح عددها بين ثلاثين وخمسة وثلاثين ، خمسة أحمال شعير ، ثمن كل حمل ليرة تركية واحدة (أربعة دولارات ونصف) . ويبتاع أربعين حِمْلَ دقيقٍ لِضَيْفِهِ وعبيده وأسرته ، سعر الحمل الواحد أربعون

مجيدية (٣٦ دولاراً) ، وعشرين حِمْلَ قَمْحٍ ، ثمن الحِمْل خمس عشرة مجيدية (١٣.٥٠ دولاراً) وسبعة أحمال برغل ، ثمن الحمل ليرتان ونصف (١١.٢٥ دولاراً) ، وثلاثة أحمال من الأرز ، ثمن الحمل أربع ليرات تركية (١٨ دولاراً)، وحملاً ونصفًا بنًا ، ثمن الحمل مائة مجيدية (٩٠ دولاراً) ، وحملين سكراً ، سعر الحمل خمس ليرات تركية (٢٥ دولاراً) ، وزبدة بخمس وخمسين ليرة تركية (٢٧٤.٥٠ دولاراً) ، ومائة خروف أو نعجة ، في الأقل ، لتؤكل ، ثمن الواحد ثلاث مجيديات (٢.٧٠ دولاراً) ، وخمسة جمال لتؤكل ، ثمن الواحد منها عشر ليرات تركية (٤٥ دولاراً) ، وملابس وأغطية لتكون هدايا لأسرته وعبيده ، تكلف مائة وثلاثين ليرة تركية (٥٨٥ دولاراً) .

ولديه ثمانون بندقية . ويحتاج كل عام ستة آلاف طلقة ، في الأقل ، من الذخيرة بما يساوى ما بين عشرة سنتات واثني عشر لكل طلقة .

ويكلف إصلاح البيوت وصيانة موادها وحبالها خمسين ليرة تركية (٢٢٥ دولاراً) سنويًا .

وعليه أن يرسل ، من حين إلى حين ، جعائل لشيوخ العشائر ، وأن يطعم عشرين شخصًا يوميًا في المتوسط .

ويعاقب الأمير الخارجين عن الطاعة ، أينما وجدوا وكيفما استطاع ، فقد رحل ، ذات مرة ، (بْهَيدِر) أحد شيوخ الفْرجَه مع عشيرته ، لما حان حين عد الإبل لتقدير العدد الذى ينبغي أن يجبى من كل شيخ ضريبة ، فأرسل إليه الأمير النوري أن يحضر دون أدنى تلكؤ ، لكنه لم يعر ذلك أذنًا صاغية ، ولم يأت إلى النوري من تلقاء نفسه إلا بعد ستة أشهر ، فقيد حالما وصل بقيود كقيود قوائم الخيل ، ولبث مقيداً شهراً تامًا .

وتضطر القبيلة الأضعف إلى الاعتراف بتفوق القبيلة الأقوى ، وتؤدي لها ضريبة خاصة تعرف بـ (الخوة) ، ويجبي الرولة الخوة من (هْتَيم) كلها، ومن

سكان قرى كثيرة مختلفة أيضًا . وكلما كانت الحكومة أقوى قلت القرى التى تؤدي لهم (الخوة) . وتؤدى (القريتين) و (تُدْمر) و (السُّخْنَه) و (كَوم) و (الطِّيبه) الخوة أداءً منتظمًا .

ولكل مستوطنة وقبيلة مؤدية للضريبة أخوها (أخ) أو (خوي) عند الرولة ، تؤدي له نحو خمس وعشرين مجيدية سنويًا . والأخ ملزم بأن يعيد للمستوطنة الممتلكات التى نهبها رجال قبيلته منها ، وأصل (الخوة) هو (القوة)[٧٦] . ويجبر الأقوياء مستوطنات عديدة على أداء الخوة لهم ، أما أولئك الذين لا (أخ) لهم فعليهم الاعتماد على السيف المشهور (سَيفٍ طايِلْ) وحده .

ويجب أن يَحْمِيَ من يتسلمون الخوة أولئك الذين يؤدونها إليهم ، أو ، كما يقول الرولة : " اللّي ياكُلَ الجَدِي يَحْمِى أُمِّهْ " أى : من أَكَلَ الجَدْيَ حَمَى أُمَّهُ " .

الفصل الرابع

بيت الشَّعَر وأثاثه

* بناء بيت الشَّعَر *

يُوَلَّفُ بيت الشَّعَر من قطع من القماش الأسود الخشن تعرف إحداها بـ (شقه) - الجمع شقاق - . ويكون عرض (الشقه) عادة من ستين سنتيمتراً إلى سبعين ، وطولها من خمسة عشر ذراعًا إلى ستين (أي من ٤ . ١١ متراً إلى ٦ . ٤٥ متراً).

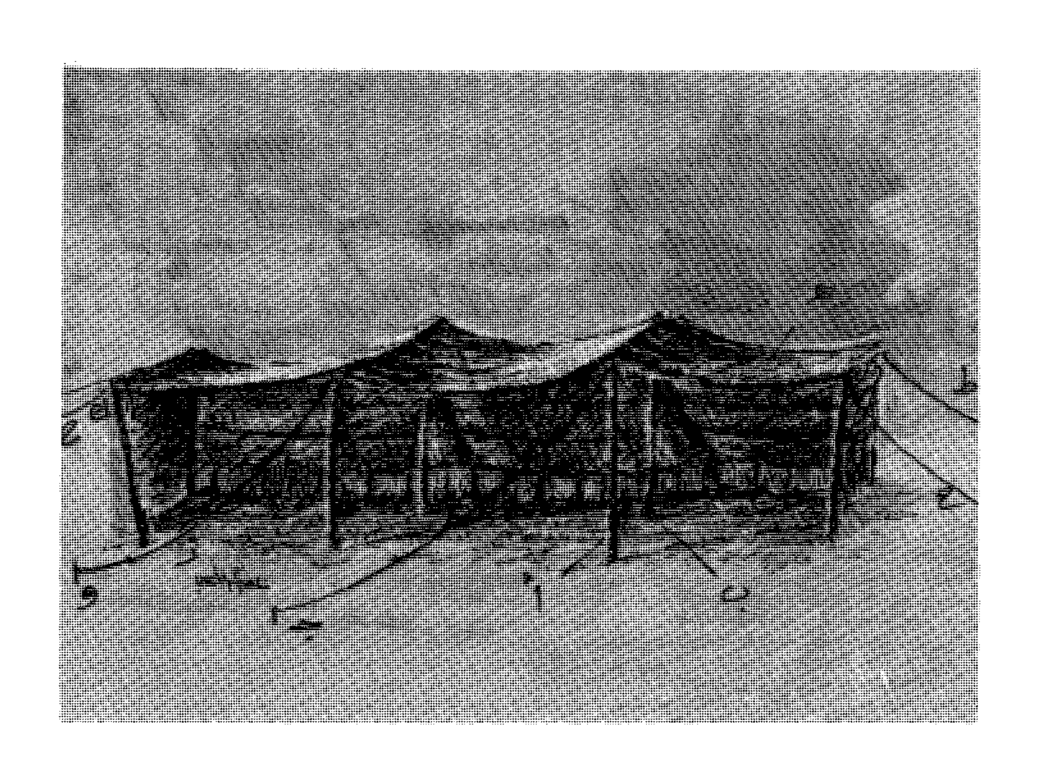
ويُنْسَجُ قماش بيت الشعر إما من شعر المعز الأسود الخالص - وتستخدم كلتا النوعيتين : الثقيلة (الشعر الصافي) ، والخفيفة (النُّول) - أو من القطن الذى لا يمزج معه إلا قدر قليل من شعر المعز . ويسمى هذا : (كُمُبْك) . ويقوم كثير من سكان المدن والقرى بنسج مادة بيت الشعر . ويشتريه الرولة من التجار المتجولين (الرحيباوات[٧٧] أو القبيسات)[٧٨] ، أو من يعملونه .

ويحتاج بيت الشعر الاعتيادي ذو العمود الأساسي الواحد ، الذى طوله اثنا عشر متراً ، وعرضه نحو أربعة أمتار ، ثماني (شقاق) ، في الأقل ، طول كل منها خمسة عشر ذراعًا (٤ . ١١ متراً) . ويبلغ ثمن " الشقة " ثماني مجيديات (٢٠ . ٧ دولاراً) إن كانت شعر المعز الخالص (الشعر الصافي) ، وثلاث مجيديات (٧٠ . ٢ دولاراً) إن كانت من (الكمبك) . ويبلغ ثمن الحائط الخلفي (الرواق) لمثل هذا البيت ثلاث مجيديات ، ثمن أسفله (السفلة) مجيدية واحدة (٩٠ سنتًا) ، وثمن القطعة الصفيقة من شعر المعز لتبطين نسيج بيت الشعر (الطرايق) التى طولها خمسة عشر ذراعًا (٤ . ١١ متراً) مجيديتان (٨٠ . ١ دولاراً) . ويبلغ ثمن العمودين تسعة قروش (٥٠ . ٤٠ سنتًا) . ثم تأتي الحبال وتباع بالوزن كل رطل ٥٦ . ٢ كيلوغرام (بثلاثة عشر

قرشًا (٥٨٫٥٠ سنتًا) .

وهكذا يبلغ ثمن أصغر بيت شعر مصنوع من شعر المعز الثقيل ٣٣ مجيدية (٢٩٫٧٠ دولاراً) في الأقل . ولابد من بناء بيت شعر جديد كل أربع سنوات أو خمس في الأكثر .

وإذا اشترى الرجل مواد بيت الشعر سلمها للنساء ، فيَخِطْنَها تحت إشراف امرأة مسنة ذات خبرة . وتقدم تلك المرأة التوجيهات التالية : قربن القطع المنفصلة (الشقاق) بعضها من بعض (صَفِّنْهِنْ) - خطنهن بخيوط من شعر المعز الخشنة (خيطنهن) - خطن (القطب) في الوسط [وهو] لوح صغير مستدير قياس قطره نحو عشرة سنتيمترات ، وله فتحة مثقوبة مستديرة في الوسط ينفذ خلالها رأس العمود) - خطن خيطًا من شعر المعز الخشن (الطرايق) على طول حواف البيت - وفي آخر هذه (الطرايق) خطن أناشيط الجلد (الخرب) (ى)[79] (شكل ١)[80] ، واربطنه بالأوتاد القوية (نحو ١٠ سنتميترات طولاً) - اجررن الحبال التى تمسك بالبيت من جوانبه الطوال (الاطناب) (ز) خلال الأناشيط الجلدية واعقدنها ، وكذلك التى تمسكها من جوانبها القصيرة (التى يعرف الحبل الأمامى منها باليد (ح) والخلفي بالرجل (ط) - (حطن اطناب ، حطن ايدين ورجلين) - اثنين طرف الرواق (و) الأعلى إلى أسفل ليكون حافة ، وخطن على هذه الحافة (التى هى نحو عشرة سنتيمتراتعرضًا) " مَخَلَّه " خيطًا قويًا (جِرِير) ليمكن ربطها بالأخلة القوية (الخِلّه) - خطن خيطًا ذا مادة أقل جودة (نحو خمسين سنتيمتر عرضًا) على الطرف السفلي للرواق (السفله) - خطن قطعًا ذوات مادة أخف (نحو متر ونصف طولاً) لكلا الجانبين القصيرين (المسافة ٥٠ سنتيمتراً من الطرف) . هذا الحد الذى قوي إلى عرض خمسين سنتيمتراً يعرف بـ (العَمَارة) ، والمادة المخيطة لتؤلف الرواق الجانبى (الرُّفَّه) .



شكل (١) بيت المؤلف

وعند إرادة ضرب البيت ، يدعو صاحبه أبناءه وخدمه وعبيده ونساءه : " فِلُّوا البيت " أي : ابسطوا البيت ، " مَغّطوا الاطناب " ، " اثبتوا الاوتاد بالميجمه " أي : دقوا الأوتاد بالمطرقة الخشبية - " لفوا الحبال على الأوتاد " - " اكربوا الحبال بالمِقْدِم والقفَا والكَسرِ " أي : شدوا الحبال شداً وثيقًا في المقدمة والمؤخرة والجوانب ، بإرخاء أطرافها في الأناشيط (الخربه) ، وشدها شداً محكمًا (عَليط أو علِيط) (شكل ١ ك) - ارفعوا الأعمدة (العمدان) إلى أعلى بدءاً بالأعمدة الأمامية وفي الجانب البعيد من الريح ، (اسِمْكوا المقاديم- شكل ١ أ -) ، ثم العمود الأساس " اسمكوا الواسط (ب) فأدخلوه في فتحة القطب في وسط البيت، وأخيراً العمودين في الزاويتين الخلفيتين (الكسر) (جـ) . وإذا أقيمت الأعمدة كلها فشدوا الحبال جميعًا شداً وثيقًا (كربوا الاطناب) ، اربطوا الرواق الخلفي إلى الجانب المواجه للريح بدبابيس حديدية (رَوّقوا البيت)، وثبتوا الجزء السفلي منه (السفله) بأوتاد إلى الأرض لئلا ترفعه الريح ، واصنعوا الشيء نفسه أيضًا بالأورقة الجانبية (الرُّفّه) - علقوا حاجزاً (قاطعه) في الوسط ينطلق من العمود الرئيسي ومن الأنشوطتين المخيطتين في أطراف خيط (الطريقه) . يقسم هذا الحاجز الفاصل الذى علوه ١.٦ من المتر بيت الشعر إلى قسمين يكون الأيمن منهما للنساء (مقعد الحريم) ، والأيسر للرجال (مقعد الرجال) أو (الرَّبْعَة) . ويدعى هذا الحاجز الذى له ثقب يغري النساء بالنظر من خلاله للضيوف : (ساحه مفجوجه) أو (قاطعه مفجوجه) .

والحبال المسماة: (الاطناب) ، بالأضافة إلى تلك التى تسمى (مقوط - جـ - مقط) من القنب . وإذا كان الحبل منها دقيقًا فهو (مَرَس) . ويطلق الرولة كلمة (حبل) - الجمع : حبال - على الحبال التى يفتلونها بأنفسهم من أوبار الإبل وحسب .

أثاث قسم الرجال :

موقد النار :

حين يضرب بيت الشعر على هذا النحو ضربًا محكمًا ، يدخلون فيه العدة كلها (الحِلّة) ، ويأمرهم المالك قائلاً : ضعوا الأثاث في مكانه (افهقوا الحلة) .

وفي قسم الرجال ، تغطي الأرض التى أمام الحاجز سجادة إما مشتراة (قَطِيفه) ، أو تنسجها نساء الرولة (مَعَنْقَه) ، وتفرش عليها طنافس محشوة قطنًا ومخيطة (فَرْشَه) - الجمع : فراش - إما من النمط الأوربي (لِحف) ، أو من نمط شرقي (طَرّاحه) ، وتوضع على هذه وسائد طول إحداها متر ، وعرضها ثلاثون سنتيمتراً ، محشوة صوفًا أو أوبار إبل ، وأحيانًا تغطى أيضًا بشال صوفي عريض (شاف) ، وغالبًا ما وضعت الوسادة على رحل بعير حيث يكون الاتكاء عليها أيسر . ويخلع صاحب البيت وضيفه نعالهم فيضعونها وراءهم مسندة على الحاجز ، ويعلقون بندقياتهم على عمود البيت في غرفة النساء ، ويجلسون على السجاد ثانين أرجلهم عليها . وإذا جلس امرؤ هكذا فهو، عادة ، يتكىء على جانبه (مُرْتَكِي) ، أو على ظهره (مُتَسَنِّد) على وسادة أو رحل . وإذا كان رجل يروي قصة قعد متربعًا ، وفي أثناء تناول الطعام يميل على ركبته اليسرى ، ويجلس على عقبه الأيسر (قاعد على ركبه ونص).
وعند فحص أى شيء ، أو اختبار سلاح ، ينحني على ركبتيه كلتيهما ، ويجلس على عَقِبَيْه (بارك على رِكُبه) ، وحين يغسل يديه يقعي (مقعي) ، وإذا جلس وذراعاه حول ركبتيه قيل إنه (مُفَحِّقْ) . وحين يكون الطقس حاراً يضطجع على وجهه (منبطح) ، وإذا نعس (يسَكِّعْ) أو (يِنُود) ، وإذا استلقى على قفاه (مستلقي على ظهره) ، أو يرقد ووجهه في يديه (مْفَنِّس) ، أو ينقلب على جنبه ، ويضع يديه تحت وجهه وينام (نايم مِنْجِدِع) .

وإذا جلس مالك البيت مع ضيفه دعا أبناءه وعبيده : " احفروا للنار ! " أي : احفروا موقداً للنار ، ويَحْفِرُ موقد النار عند الشيوخ الأهم عبد يوكل إليه إعداد القهوة . ويتكون موقد النار من حفرة مستطيلة أو مستديرة عمقها نحو عشرين سنتيمتراً ، ومن حجم الحفرة وشكلها يمكن أن يعرف المرء ، بعد سنين ، معرفة قاطعة لأي شيخ كان البيت ، ويحفر الموقد بآلة تدعى (فاس) لها نصاب خشبي طويل ، وتدعى المعزقة المزدوجة (قَدُّوم) أو (تُبَل) .

ويحفر الرويلي الاعتيادي موقد نار أصغر ، يكون قريبًا من الطرف الأمامي للبيت . ويكون الموقد ، في الفصل البارد ، قريبًا من السجاد للأضياف ، كما يكون في الفصل الحار في منتصف مجلس الرجال . ويلقى الطين المستخرج قرب الحفرة التى تشكل الموقد (حفرة النار) مكونًا كومًا تحت طرف البيت مباشرة ، ويلقى على الكوم الرماد المأخوذ من الموقد . وكلما كان الكوم (المعروف بـ " النِّثيله ") أكبر كان مالك البيت أكرم ، لأن القهوة تعد للضيوف في موقد النار في مجلس الرجال لا في غيره ، ويستدفىء الضيوف قرب النار ، وتوضع قرب الموقد حزمة وقود مؤلفة من جذوع يابسة ، وأعواد أشجار مختلفة (حطب) ، وبعر إبل جافّ . وأحسن الوقود خشب شجر الغضا اليابس إذ لايكاد يكون له دخان ، وتنبعث منه حرارة عظيمة الأوار ، ويظل جمره ساعات عدة دون أن يخمد ، وأردأ الوقود (الشِّيح) اليابس الذى يشتعل له لهب أحمر وَضَّاء ، ويطقطق كما لو ذر عليه بارود ، لكنه لا يكون جمراً ، ولا يحتفظ بحرارته .

ويجمع الوقود العبيد والنساء . وإذا لم يكن لدى الشيخ إمداد من الوقود كاف طلبه من أرباب البيوت المجاورة ، أو أحضروه هم إليه .

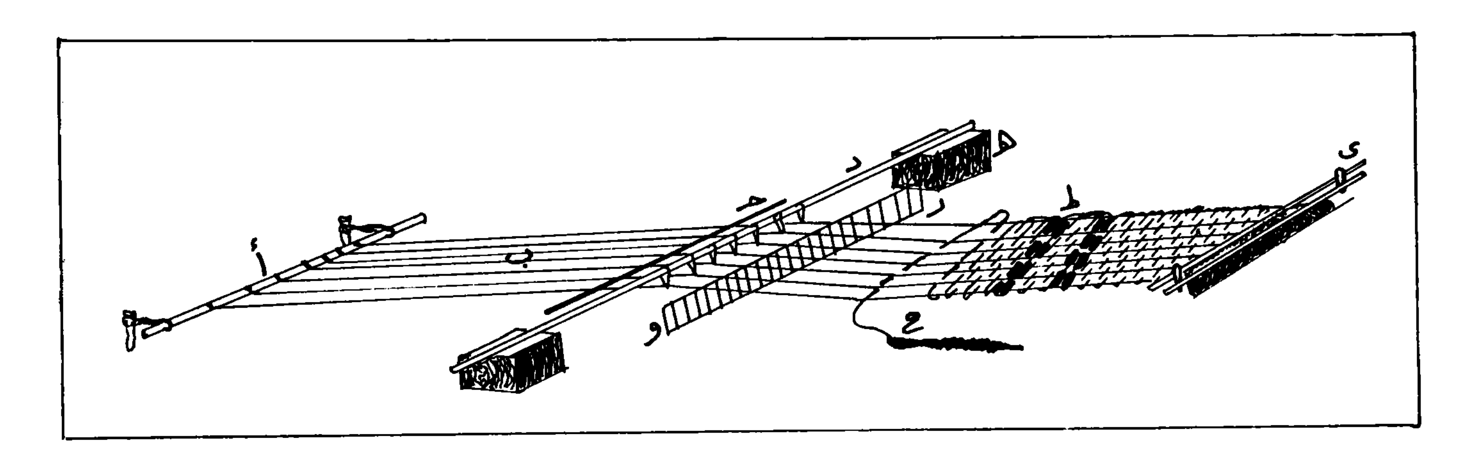
أثاث قسم النساء :

تدخل النساء والعبيد الأواني والقدور كلها في قسم النساء ، وتوضع السجادات وألحفة النوم في الزاوية مسندة الحاجز . وتخزن الأكياس التى تحتوى القمح والشعير والتمر والزبدة والملح والسكر والبن والأرز والتمن (نوع من الأرز) في مؤخرة البيت مسندة على الرواق الخلفي . والأكياس سودٌ ، وهى من شعر المعز المنسوج(الخَرَس) ، أو وُرْقٌ منسوجة من الصوف ووبر الإبل (العِدِلْ) ، وثمة أيضًا ضروب ملونة تنسجها نساء الرولة وتعرف بـ (غَفَّارِيِّه) .

والمغزل على شكل نجم رباعى قطره نحو تسعة سنتيمترات ، وله فتحة في وسطه ، ويظهر من هذه الفتحة طرف عود طوله ٣٥ سنتمتراً ، وربط به خطاف حديدى صغير (سناره) ، وتأخذ المرأة الغازلة وبر الإبل أو صوف الغنم ، تحت إبطها الأيمن ، وتثنى بيدها اليسرى خيطًا طوله نحو ثلاثين سنتيمتراً ، وتربطه بالجزء السفلي من عود الغزل ، وتولجه تحت الخطاف ، ثم ترفع ركبتها اليسرى ، وتضع طرف العود السفلي عليها ، وتدير المغزل على ركبتها براحة يدها اليسرى ، بينما تبرم الخيط بأصابع يدها اليمنى ، ويمر هذا خلال الخطاف ، وقد لف حول العود الدائر الذى ترك مرة أخرى ليتدلى دون أى عائق . وإذا توقفت حركة المغزل أدير ثانية بالطريقة نفسها .

وتغزل النساء في أثناء ركوبهن الإبل ، وأثناء سيرهن على الأقدام أيضًا ، ويضعن الصوف أو وبر الابل في حجورهن ، وإذا رغبن في الحصول على خيط قوى غزلن خيطين معدين أو ثلاثة معًا في المغزل .

وتغزل الأقمشة على نول (نطو) . وأسماء أجزائه (كما هى موضحة على شكل (٢) هى : أ/ رأس النطو ، ب/ السَّدَى ، جـ/ الحَفَا ، د/ النِّيرة ، هـ/ عود النِّيره ، و/ المنشاز ، ز/ العاقبة (أو اللَّحَمَة) ، ح/ المِنْشَع ، ط/ الحَتْوَه ، ى/ القاعه ، ك/ الشِّيصة .



شكل (٢) - نول (نطو)

وتحفظ أحسن المناديل والملابس في صندوق صغير عليه بطانة رقيقة من الصفيح .

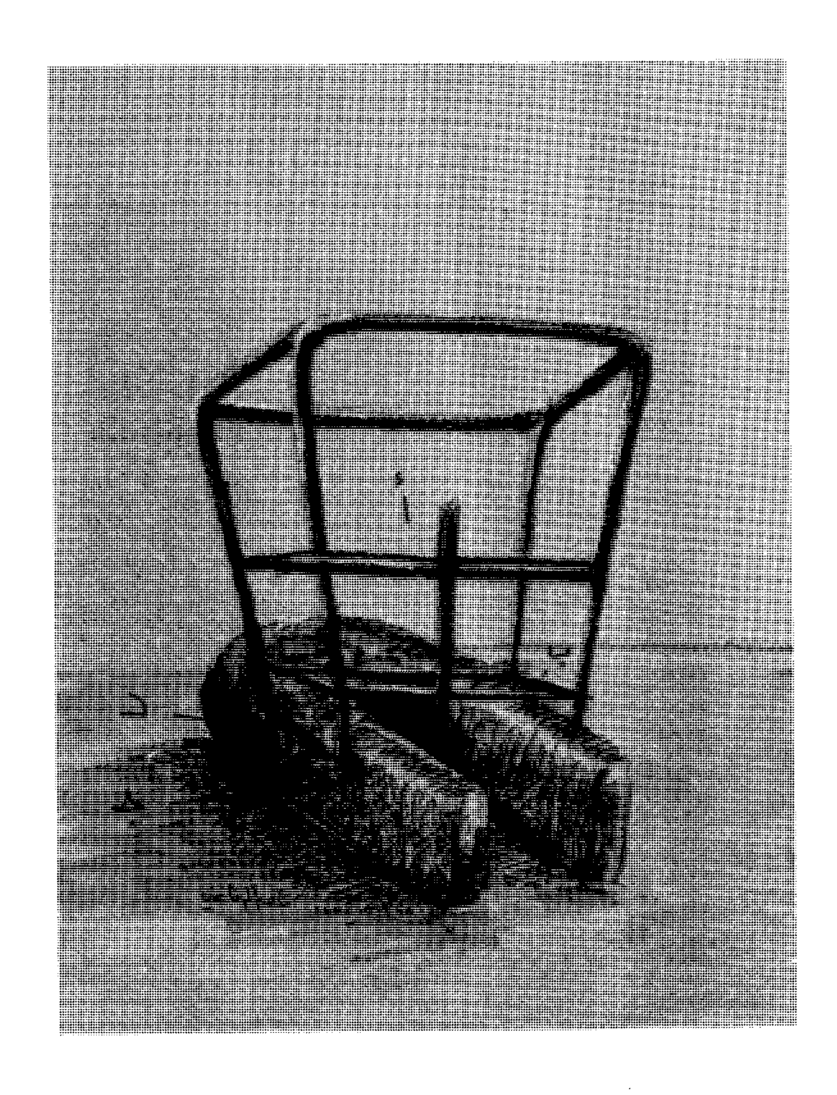
وتوضع الرحال قرب الرواق الجانبي سواء (القَتَب) أو (القِنّ) ، والخروج (جمع الخِرْج) ذوات الزخارف الملونة ، والأهداب الطوال (مِزْوِدَه) .

ورحال " القِنّ " - الجمع : قْنِنِه - شكل ٣ - تشبه الأقفاص المستطيلة ، ويكون أسفلها ضيقًا ، وتصنع من العصي ، وتدعى العيدان الرئيسية التى تؤلف الإطار (عصيان) - شكل ٣ جـ - ، وتسمى العيدان الأربعة المتقاطعة التى تربط العيدان الأصلية (مبطاح - ب -) . وينتهى العود الرأسي الذى يقوى العودين الخلفيين المتقاطعين من الوسط بعقدة خشبية تدعى (رويعي) - أ - . ويربط (القن) إلى الرحل المعروف بـ (بِدّ) أو (وِثِرْ) - د - .

وتزخرف رحال (القتب) - شكل ٤ - أروع زخرفة .

ويوضع على ظهر البعير رحل يسمى (وِثِر) ، تقويه وسائد (بْدُوده) ، ويوضع على هذه الوسائد دعامتان من خشب (ظلاف) - شكل ٤ و - تنتهي كل منهما بمخروط (رويعي) - أ ، ي - . ويدعم هتين الدعامتين عودان مرنان (عصفور) - د - ، و (قِعَده) - ز - طول كل منهما أكثر من خمسة أمتار ونصف ، وتربط المخروطات بأوتاد (حصره) - هـ - ، ويربط العودان بقطع متقاطعة (جنب) - ح - ، و (ساموك) - ط - ، ويكونان مقوسين ليؤلفا جناحين بأوتاد خشبية (لبد) - ك - ، و (حَنِي) - ل - .

ويثبت في منتصف الرحل بين الأجنحة مقعد جلدى (سُفُّه) - جـ - كالطبق العميق بعيدان تدعى (مبطاح) - ب - . ويلف جلد ، أو قماش حول الأجزاء العليا التى تكون الأجنحة ، وحول الأطراف الخارجية للأجزاء السفلى ، بالإضافة إلى جزء المخروطين الخارجي ، فتكون مزخرفة بالأصداف الصغيرة زخرفة متألقه . وهنا ثَمّة مربعات صغيرة على (أرضية) قاتمة ذات أطراف



شكل (٣) : القِن

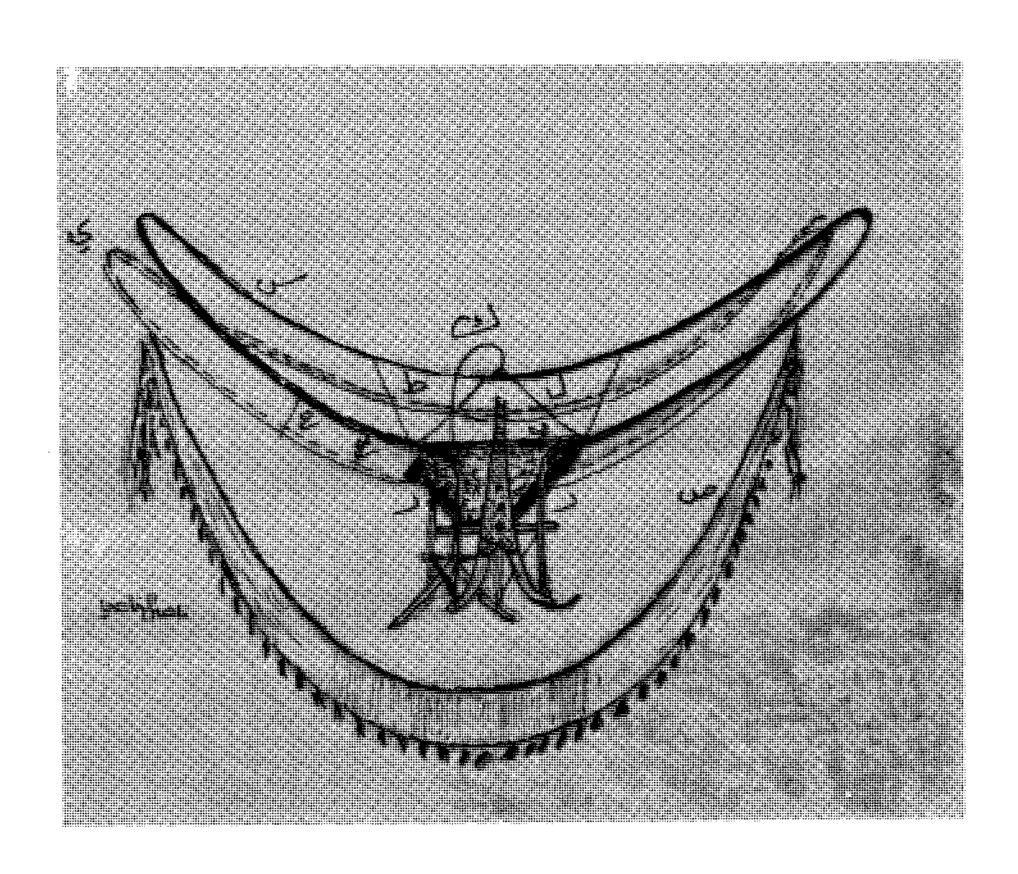
حمر ، وفي وسطها وردة زرقاء ، حمراء الأوراق ، مصنوعة من الصدف ، وبين المربعات نجوم صغار " بيض " مصنوعة من الصدف أيضًا . وقد علق خيط أحمر قان (خْوَات - ص) ، عرضه نحو عشرين سنتيمتراً ، وله أهداب في كلا طرفيه تتدلى حتى عنق البعير وذيله ، كما ربطت بالأجزاء العليا من الأجنحة خرق حمر أو أشرطة من قماش .

ويوضع (القتب) على الرحل مع الوسادة المعروفة بـ (البد) ، ويؤمن بحبال دقيقة تحت الصدر (الحَقَب) ، والبطن (البطان) ، والذيل (الثَّفَر) .

إن ظهور عدد من هذه الرحال ، أثناء مسيرة قافلة ، لشديد الشد للانتباه ، وإذا تراءت من بعيد ، وسط رياح صفر محملة بالرمال ، ويحيط بها قتام أزرق شفاف ، أشبهت فراشات كبيرة جداً تتأرجح عائمة في الهواء هنا وهنالك .

وفي صحراء الحَمَاد ، التى تكاد تكون كلها مسطحة وذات لون أبيض أورق ، يتوارى عن الأنظار البعير الأبيض الأورق الذى يحمل (القتب) ، المغطى بزينات شتى ، في حين تبرز الرحال الرائعة على الأفق ، وتمر كأنها فوق أمواج متألقة منتظمة التكون .

وتحتوى غرفة النساء ، علاوة على ذلك ، آنية خشبية ونحاسية . وما يلى (منها) مصنوع من الخشب : هاوَن خشبي كبير لدق الحبوب (مهباش) له يد خشبية (عمود) - (مغرافة) أى : وعاء صغير له فم (ثِعْبَه) ويد - (قدح) أى إناء خشبي مستدير - (دِقِّيَه) أى صحن مستدير - (قديحه) أى طبق صغير من مكه (مكانيه) - (قروة) أى صحن كبير يسع من الطعام ما يكفى عشرة أشخاص - (علبه) أى إناء مستدير لتخمير العجين - (مُخْمَر) أى إناء قطره ستون سنتيمتراً ، وعلوه عشرون يعجن به الدقيق - (مسواط) أى ملعقة كبيرة لمزج الطعام - (مثعابة) أى إناء عميق له فم يمكن الشرب منه ، ويستعمل في كيل الزبدة .



شكل (٤) : القتب

والآنية التالية من النحاس :(قدر) قدر كبير له حلقتان يحمل بهما ، ويسع ٨٠ لتراً - (طاسه) : كالقدر ، لكنها تسع ٢٠ لتراً وحسب - (طُوَيسَه) : وتسع ثمانية لترات - (غلاية) : صحن صغير له يد لتسخين الزبدة - (سْحَلَه) : صحن عمقه ٢٠ سنتيمتراً ، وعرضه ٤٢ سنتيمتراً - (صَحِن) ، أو : صَحَن) : طبق غير عميق يؤكل منه .

وينصب القدر دائمًا على ثلاث أثافي (هوادِي) .

وتعمل النساء آنية جلدية منوعة أيضًا . وهن يمسحن نصف جلد البعير (الصفحة) بملح (تَمْلَحها) ، وعجين دقيق بر أو شعير (تَتْمُرْها) ، ثم يدعنه خمسة أيام أو سبعة مطويًا في مكان ظليل ، وبعد ذلك يزلن بقايا اللحم والشعر كله ، وبعد بسط الجلد يضعنه في خليط دباغة معد من عروق الأرطى و (النِّجيب) ، وتجمع الأول النساء بأنفسهن ، وأما الآخر فيشترى . وأخيراً يدهن الأديم المهيأ بشحم بعير (ودك) ، أو بمخ عظامه ، ويقطعن منه سيوراً ، ويخرزن روايا الماء (قِرَب الماء الكِبار) ، وهذه الروايا (رواي ، جمع راويه) تشبه حقائب الجلد الكِبار التى يحملها المسافر على ظهره . ويخاط في زاويتي الراوية العُلْيَاوَيْن أنشوطتا جلد ثابتتان (الواحدة : خُرْبَه) ، وبينهما فتحة (فم) قطرها نحو ٢٠ سنتيمتراً ، تملأ عبرها الراوية ، فإذا ملئت مد الجلد على هذه الفتحة وربط ، ويترك منفذ في الزاوية السفلي اليمنى قطره نحو سنتيمترين ، وحوله قطعة متينة من الجلد (عزله) ، ويسد هذا المنفذ بعود ، ويربط بخيط دقيق من الوبر ، وتجر خلال الأناشيط (الخرب) حبال خشنة (عصب) تربط بها دائمًا راويتان إلى رحل البعير (المِسَامَه) . وتتسع مثل هذه الراوية لمقدار من الماء يبلغ ١٢٠ لتراً .

وأكياس الماء الصِّغار تسمى (القِرَب) ، وتُعْمَل (القربة الكويتية) من جلد البقر ، وتسع نحو ثمانين لتراً ، وتعمل (القربة البغدادية) من جلد المعز

الكبار ، وتسع ستين لتراً ، وتُعْمل (القربة الشامية) في دمشق ليستخدمها الحجاج من جلد المعز أيضًا ، وتسع خمسين لتراً ، في حين تسع (القربة النجدية) المعمولة من جلد المعز أربعين لتراً . و (الجود) أصغر من القربة ، ويتسع لعشرين لتراً من الماء ، ويحمله راكب بعير واحد .

(الصميل) : سقاء من جلد للبن .

(الشكوه) : كيس جلدي صغير ، يحتفظ الرعاة بالحليب فيه .

(الظرف) أو (النّحو) : كيس من جلد ، يسع نحو خمسة عشر لتراً ، ويحفظ فيه التمر أو الزبد .

(العِكّه) : كيس أصغر يتسع لما بين خمسة لترات من الزبد وسبعة .

وتعمل النساء أيضًا الدلاء (دلو ، الجمع : دلي) ، الجلدية . وتسمى الدلو التى تتسع للترين أو ثلاثة (قَلَص) . و (السفره) تحتوى من عشرة إلى خمسة عشر لتراً ، وتحتوى (الدلو الكبيرة) عشرين إلى ثلاثين لِتْرَ ماءٍ ، حتى إنه لابد من رجلين ليقيماها .

وحياض الماء الجلدية التى تعملها النساء أيضًا ، تتألف من صحن جلدى (طَوْرَه) عمقه نحو سبعين سنتميتراً ، وقطره تسعون سنتيمتراً ، وقد خيطت أطرافه على عود محني ليؤلف دائرة ، ولويت ثلاثة أعواد أخر على هيئة أنصاف دوائر ، يحيط الصحن الجلدى بأطرافها المربوطة بالدائرة الخشبية (الحَنِيّه - الجمع : الحنايا) ، وتسند الدائرة ثلاثة عيدان متفرعة أو أربعة (شاغور ، الجمع شواغير) علو كل منها تسعون سنتيمتراً ، وهى ترفع الحوض عن الأرض .

ويصب الماء من دلو ، وهي وعاء صغير قطره نحو أربعين سنتيمتراً ، وعمقه ما بين الثلاثين سنتيمتراً أو الخمسين ، وقد خيط إلى إطار خشبي دائرى ، ربطت به قطعتان خشبيتان متقاطعتان (عَرْقَه ، والجمع : عَرَاقي) ، بـ (وِذْمِه ،

الجمع : وذم) وقد ربط طرف حبل صغير (رشا) حيث تتقاطع القطعتان ، وبهذا الحبل ينزل الدلو إلى البئر .

وهنالك ، قرب موقد النار في غرفة النساء (صاج) ، أو صفيحة حديدية محدودبة مقعرة قطرها ستون سنتيمتراً يخبز عليها الخبز . ويتدلى ، معلقًا ، على العمود الرئيسى قفص كبير (منساف) يوضع فيه العجين .

* استعمال البيوت ونقلها *

فى رحلات الصيف الطويلة لا تنصب البيوت ، بل يضطجع الكبار في العراء ، ملتحفين السماء . وأحيانًا ينصب بيت شعر صغير (طُز) للأطفال وحدهم ، ولهذا البيت عمود واحد علوه نحو ١.٢ متراً ، ومساحته أربعة أمتار طولاً ، ومتران عرضًا . وعى الفقراء المقيمين في الحي من غير الرولة أن يقنعوا أيضًا ببيت صغير كهذا .

ويدعى البيت الذى لا عمود أساسي له ، بل يعتمد على أربعة أعمدة في الزوايا ، فلا يرى من مقدمته سوى عمودين ذوي علو متساو ، (خَرْبوش) ، وطوله من أربعة امتار إلى ستة ، وعلوه متران ، وعرضه يتراوح بين مترين ونصف إلى ثلاثة أمتار .

ولبيت الشعر الاعتيادي عمود رئيسي واحد ، في الأقل ، يدعى (قَطْبَه) طوله اثنا عشر متراً ، وعلوه أكثر من مترين ، وعرضه ثلاثة أمتار ونصف .

ويدعى بيت الشعر ذو العمودين الرئيسيين (بيت قرنين) ، أو (مدوبل) ، ويدعى ذو الأعمدة الثلاثة (مثولث) وذو الأربعة (مروبع) ، وذو الخمسة (مخومس) ، وذو السبعة (سبعه وسط)[٨١] .

وإذا لم يكن الشيخ مزمعًا البقاء في المخيم أكثر من ليلتين أو ثلاث

لم ينصب بيت شعر كاملاً في البر الداخلي حيث يقل الضيوف بل جزءاً منه وحسب، ويقال لهذا : (أثلث) .

ويبنى البيت دائمًا ملائمًا لاتجاه الريح ، فيغلق الجانب الطويل المواجه لها تمامًا ، ويدعى (قفا البيت) ، ويفتح الجانب الطويل المقابل له ، ويدعى (وجه البيت) ، وتقفل الجوانب القصيرة بانتظام ، ويقال لها : (كسور البيت) .

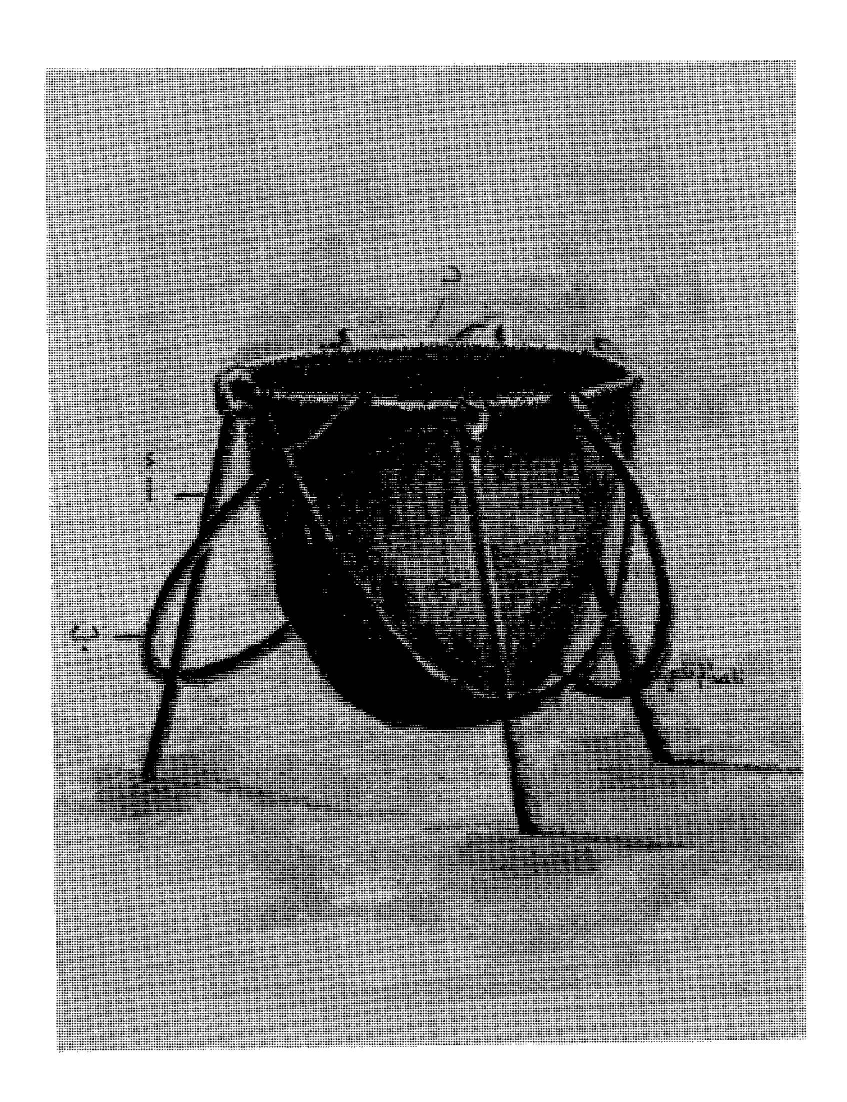
وإن استرخى حبل البيت " الطنب شلع (أو انقلع) " شده المقيمون في البيت (يكربونه) .

والضيف الذى يرغب فى أن يبيت في بيت ينيخ نياقه قرب رواق قسم الرجال ، لا قرب قسم النساء (المحرم) دائمًا .

وإن هبت ريح نحو الجانب الأمامى المفتوح صاح مالك البيت : " قبلوا البيت ، جانا الهوا " أى : غيروا الرواق الخلفي . فتحل النساء والعبيد الرواق من فَوْرِهِمْ ، ويلقون الأعمدة الأمامية ، ويثبتون الرواق في مكانه ، ويدخلون تلك الأعمدة حيث كان الرواق معلقًا من قبل .

وإن كان الجوّ ساكنًا شديد الحرارة ، أمرت ربة البيت بإزاحة الرواق " شَورْعُوا البيت " .. فتحل النساء الرواق ، ويطوينه ، ويضعنه في أحد أركان البيت ، ويدخلن الأعمدة تحت الحبال الأمامية والخلفية (الإيدين والرجلين) التى ترفع بها الأورقة الجانبية (الرُّقّة) لدى كل زاوية ، فيضحى البيت مفتوحًا من كل جانب ، ويدور الهواء فيه دونما حاجز . والأفضل أن ينام المرء ، عند اشتداد الحرارة والرّواق الجانبى مرفوع فيتحرك إلى الأمام وإلى الخلف ، ويكون للنائم كالمروحة . وفي الفصل البارد يسدل رواق على الجانب الأمامي أيضًا ليكون البيت تام الإغلاق (مْحَجَّر) .

وينام كلب الأسرة قرب الرواق الجانبي لقسم النساء ، ولعله لا يخلو بيت واحد من بيوت الرولة من كلب حراسة واحد في الأقل . وهذه الكلاب بهائم قوية



شكل (٥) : حوض

متينة البنية ، ذات شعر قصير أشعث ، ورؤوس عريضة وهى في اعتقاد الرولة نجسة[٨٢] " مـا هنا أنجس من الكلب " . فـهى ، لذلك ، يجب ألا تأكل من أي إناء معد للطعام أو الطبخ ، وتلقى لها ، عادة ، على الأرض لقمة من الطعام (عـيش) ، أو يصب لهـا الحليب الخـاثر في حـديدة مكفـوءة مستعملة للخَبْز - بفتح الخاء - (صاج) .

وتحرس الكلاب البيت والإبل ،لا من مختلف الوحوش المفترسة وحسب ، بل ومن اللصوص الذين يتسللون إلى الحي ليلاً ليسرقوا حيوانًا أو شيئًا من أحد البيوت . وويل للضيف الذى يضطر لمغادرة البيت عدة مرات في أثناء الليل ، إنها ستقطعه إربًا إربًا إن خرج بدون صحبة صاحب البيت أو أحد تعرفه .

وإذا أريد نقل المخيم ، واقتلاع البيوت ، طلبت ربة البيت أن تقلع الأوتاد " مِسُّوا الوتد " ، فيتقوض البيت . " خوذوا العمد " ، أى : خذوا الأعمدة ، " اصفطوا البيت " أى : مدوا البيت . ثم اطووا البيت بحيث يكون قطعة طويلة " عرضها نحو متر " (اطووا البيت) .

وتحل حبال البيوت الكبار التى قد يصل طول أحدها إلى ثلاثين متراً ، ويربط كل منها على حدة ، أما حبال البيوت الصغار فتوضع في باطنها ، ويطوى البيت طيًا متناسقًا من طرفيه ، بعد أن يثنى إلى عرض متر ، ليكون حزمتين ، وعندما تطوى هتان الحزمتان (دَرَجَوْا) إلى قدر مسافة مترين من كل منهما ، يعرض عمود تحت كل حزمة وتطوى بعد ذلك ثانية لتكون الأعمدة في أعلاها ،ويطوى حبل (الكْرَاث - بتسكين الكاف) حول إحدى الحزمتين ، ويجر طرفه ، ويطوى حول الأخرى . ثم يؤتى ببعير قوي عليه رحل ذو (مسامه) ، ويناخ (نَوّخُوا البعير) ، وتمسك النساء أو العبيد بالعمودين معًا ، ويرفعون حزمتي البيت ، ويُحَمِّلونهما البعير ، ويتأكدون أن البيت حمل على نحو متناسق تمامًا ، ويرفعون الحزمتين ليستطيع البعير النهوض (ثَوّرُوا البعير) ، ويشرعون

في الرحلة .

وتحمل أعمدة البيت والحبال على رحل (الجِنْدِب) الذى له على جانبيه الأمامي والخلفى أوتاد قوية تمسك الأعمدة .

وتسمى قوافل الإبل التى تحمل ممتلكات الأسر المختلفة (مظهور) - والجمع : مظاهير . ويكون الشيخ دائمًا راكبًا في المقدمة مع مقاتليه المنتقين (السَّلَف) . ويمتطى المقاتلون النوق ، لكن الأفراس المسرجة تكون مربوطة بالنوق ، أو يمتطيها الصبية .

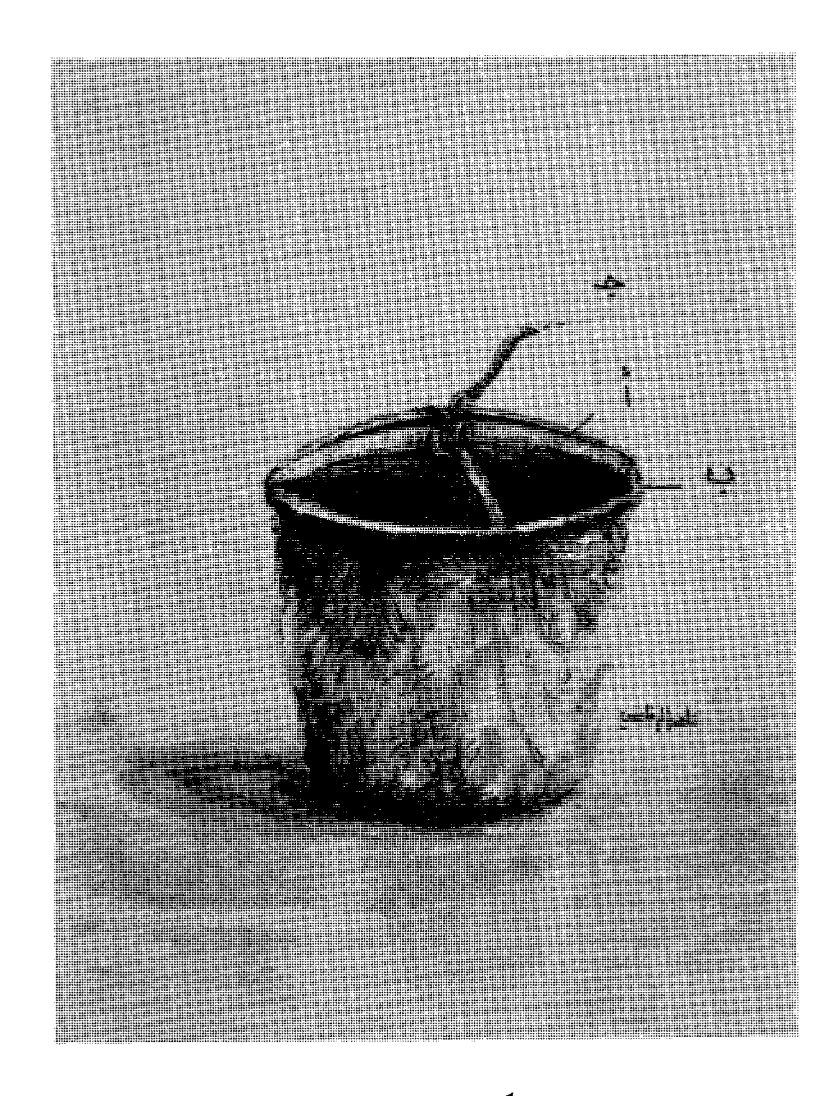
وإن أعلن الرقيب وجود عدو ، قفز المقاتلة من النوق إلى الأمهار ، وانطلقوا يطاردونه .

وتدوم الرحلة المعتادة من الساعة الثامنة أو التاسعة صباحًا حتى الثانية أو الثالثة بعد الظهر ، وتدوم الرحلة الجيدة من شروق الشمس حتى غروبها .

* أماكن النزول (المنازل) *

الشيخ هو الذى يختار المنزل دائمًا . وهو ينصب بيته حيث وَقَفَ مَطِيَّتَهُ وألقى رحله . ويجمع حواليه عبيده وأقاربه ، ويجتمع الباقون كذلك بحسب القربى . ويدعى مكان النزول منزلاً . والشيخ آخر من يبرح المنزل ، وهو يسبق الآخرين جميعًا في الرحلة ، ويكون الأول في المنزل الجديد . وتوقف أذواد الإبل ، ويطلب من الرعاء أن يدعوها ترعى رعيها المسائي (معشو)[٨٣] .

ولا يضرب الرولة بيوتهم على هيئة شكل بَيْضيٍّ كما تصنع بعض القبائل الأُخَر ، بل لكل أن يضرب بيته حيث شاء ، فقبيلته عزيزة وقادرة على صد أي عدو.



شكل (٦) : دلـــو

ويقال للحي الذى لا يتجاوز عدد بيوته العشرة (فريق) ، والذى تزيد بيوته على العشرة لكنها دون الثلاثين (نجِع) ، والذى ينيف على الثلاثين (نَزِل) .

وقبل الارتحال إلى منزل جديد يرسل الشيخ رجلاً أو رجلين من قبيلة الصليب عادة ، ليرتادوا المرعى والمناهل في المنطقة التى يحب النزول فيها ، والعبارة هى: " قَلَّطْ لِهْ قَلاطٍ من زِلْمِهْ " أى : أرسل رسولاً من رجاله ، ليطلع على المنطقة .

وإذا كثرت الأمطار فإن الرولة مولعون بالنزول في أراضٍ معينة خلال مختلف الفصول ، وخير المشاتي (جمع مشتى) في ضواحى الخور خور (خَبْرًا عَنْقا) ، بالإضافة إلى ضواحى (لاهَهْ) .

يسأل شخص ما الرولة : (وين شَتَّيتو هالسنه ؟) أى : أين قضيتم الشتاء ، هذه السنة ، (لرعى ماشيتكم) ؟ فيتلقى دائمًا الإجابة : " مَشْتَانا بالخَور " .

وأحب شىء إليهم في فصل الربيع أن يرعوا مواشيهم (مَرْبَع ، والجمع : مرابع) في (الجُوبه) ، وفي الحد الشمالي للنفود .

وفي الصيف (أى من نحو منتصف أبريل إلى منتصف يونيه (مصيف) يجدون مرعاهم في منطقة (البياض) بين الجوبه و (تل عمود) والأماكن البركانية . ويرعون ماشيتهم ، منذ آخر يونيو حتى آخر اغسطس (مَقِيظ) ، في منطقة النقره جنوبي دمشق .

ومنتجعهم المفضل في الخريف (مَصْفَرْهُمْ) في ضواحي وادي السرحان . وإن لم تكن قد هطلت أمطار في الحَمَاد و (الوديان) اتجهوا إلى ضواحي تيما ، أو إلى الحد الشرقي للنفود ، حيث يهطل المطر هطولاً أكثر انتظامًا .

ويسمى المخيم في الأرض الخطرة المعرضة للغارات : (صاقَهْ) ، والبيوت المنصوبة في طَرَفِهِ (طوارف) عرضة لأفدح الأخطار .

وبعد سنوات ، يظل تمييز المنزل القديم (مِرْح العرب) ممكنًا ، وكذلك موقد النار المحفور في مجلس الرجال ، وأكوام الطين والرماد الصِّغار ، والأثافي الثلاث التى سفعتها النار قرب موقد نار غرفة النساء ، وأكوام الحجارة أو الأخشاب التى كانت توضع عليها فرش النوم ، وأبعار الإبل (دمنه ، والجمع : دمان) ، والنباتات الموسمية المزدهرة التى تتجنب الإبل رَعْيَها لأنها تنمو على الدمن .

كل هذا يوقظ الذكريات في ذهن المسافر الوحيد .

قصائد ذات صلة بالمنازل

لدى الرولة أغان كثيرة يخاطب فيها ابن السبيل المتوحد المنزل القديم (الطلل) :

١.	يادار يادار اريش العـــين ودي	عقب المحـل يادار خلي مريفـــه
٢.	أنا انشدك عن صاحبي وين مدى	ضايفك انا لمهزهز الصدق ضيفـه
٣.	قالت : عشيرك مد صوبي وجدي	دونه ديـــار للركـايب مخيفـــه
٤.	إن طعتني عن صـاحبك تِسْتِجِدٍّ	تلقـــى مع البـدوان بنـت نظيفـه

المعنى :

١) أيها المنزل ! ، أيا منزل الحبيب ذي الأهداب الطِّوال الجميلة ، لقد كنت مهجوراً ، ثم بت مكسواً بالنبات الكثيف[٨٤] .

٢) أسألك عن حبيبي أين مضى . إنى ثاو لديك ضيفًا حقيقيًا ، وأصافح يمناك ، متوسلاً لديك بأن تُنْبِئنى بالحقيقة[٨٥] .

٣) أجاب المنزل : لقد ظعن حبيبك إلى الجهة التى أواجهها ، وأسرع في

مسيره .. وإن دونه لمسافات تخيف الركب (لطولها) .

٤) إن أطعت نصحى فالتمس لك حبيبًا آخر عوض حبيبك . وستلفى مع البدو فتاة حسناء لائقة لك .

[قصة الأبيات] :

كان زنجي يعمل لدى أحد الشيوخ ، فعشق زنجية كان تعمل عند الشيخ نفسه ، لكنه انتقل ، بعد أمد قصير ، ليعمل لدى شيخ آخر ، وظعن إلى أرض أخرى مع سيده الجديد ، لكن حبه لم يَخْبُ ولم يَهُنْ ، فشرع ، بعد مضي عام ، في البحث عن عشيقته ، ووصل إلى المنزل الذى رآها فيه آخر مرة . عرف المنزل الذى كان ، منذ عام ، مهجوراً قد أنهكت أرضه آثار أقدام الناس والماشية ، وغطاه غطاء كثيف من الأعشاب والنبت ، لقد خصبه الرماد وبعر الإبل ، فازدهرت النباتات من جديد بعد المطر الوافر . نزل الزنجي عن مطيته ، وأوقد ناراً في المنزل - وهو أمر ميسور جداً ، لأن أكوامًا من الحطب ودِمْنِ الإبل الجافة ، كانت مبعثرة هناك - وجعل نفسه كأنه ضيف للمنزل ، وحاول معرفة الجهة التى ظعنت حبيبته نحوها .

البيت -٢- : رغبة في معرفة الحقيقة ، توجه إلى المكان توجهًا جاداً " حرفيًا : قبض على اليد اليمنى للمنزل (هكذا) وجرها " ، وتوسل إليه أن يخبره بالحقيقة (مهزهز على الصحيح) ، هذا ما يفعله البدوى عندما يرغب في الحصول على أنباء موثوق بها .

البيت -٣- : يواجه المنزل اتجاهًا واحداً ، وقد رحلت حبيبته في ذلك الاتجاه (صوبي) ، ولكنها مسرعة (جد) ، وتمتد بين منزلها الجديد وهذا المنزل القديم أراض شاسعة (ديار) تتهدد الأخطار فيها المطايا (مخيفه) ، إما لنقص المرعى أو من غارات الأعداء .

البيت -٤- : " اطعني عن "[٨٦] تعنى : " استمع إلي . ثق في فى هذا الأمر".

١. يادار وين اللى بك العـــام كاليوم ولاكن وقف بجنابك نجـــــوع

٢. وين الجهام اللى بك العــام مردوم وظعـــون بيقدوة سلفها تزوع

٣. أهل الرباع مزبنين[٨٧] كل مضيوم طوال الرماح مظفرين الدروع

٤. وان صاح صياح من الضد مزحوم تجيه نثرات السبايا فـــزوع

٥. صفــر يعالكن الاعنه بهــن زوم يدعن سكرانين المجانين يــوع[٨٨]

٦. واحلو عرضتهم لياجوا يعرضـــون عرفا سبيعي ما خلطهم فزوع

٧. صاروا لنا عدوان صرنا لهم قــوم ولا ظنتي عقب التفرق رجوع

معنى الأبيات :

١) يا دار أين قـاطنوك في مـثل هذا اليـوم من العـام الفـائت ؟ لم يقف رحل عشيرتى بقربك[٨٩] .

٢) أين قطعان الإبل التى كانت مزدحمة في ربعك العام الماضى ؟ أين الجمال المثقلة بالأحمال ، التى كانت تتبع خطى راكبي الخيل والإبل غير المحملة ؟

٣) لقد كـان هنا مـالكو البيـوت الرحـبة ، الذين يحمـون كل مظلوم .. طوال الرماح ، ذوو الدروع السابغات[٩٠] .

٤) وان صاح صائح قد أرهقه عدوه ، هبت لنجدته (منهم) أفواج من الشبان .

٥) على أفراس صفر شديدة النشـاط ، تعلك أعنتـها ، وتدع مجانين المحاربين الذين أسكرتهم شهوة الحرب يصحون من سكرتهم .

٦) مـا أجمل رقـصهم رقصة الحرب (العـرضة) وكلهم (عـرفـا سبيـعى) لم يخالطهم منجد من سواهم .

٧) لقد بات الذين حاربونا أعداء لنا كما بِتْنَا لهم أعداء ، ولا إخالنى سأعود بعد الانفصال (عنهم)[٩١] .

[قصة الأبيات] :

حل شاعر من عشيرة (السبعة) مع عشيرة من الرولة عدد بيوتها أقل من الثلاثين ، فعشق امرأة رولية (رويليه) . وبعد زمن قصير اندلعت الحرب بين السبعة والرولة ، فعاد السبيعي إلى قومه . وبينما كان مجتازاً ، في أثناء القتال ، بالمنزل القديم ، وهو ممتط جواده ، سجل ذكرياته في هذه القصيدة التى سمعتها من رفيقي بليهان بن مصرب[٩٢] .

البيت -١- :القِنّ : رحال مستطيلة قصار للنساء والأطفال[٩٣] . النِّجْع : مخيم يكون عدده أقل من ثلاثين بيتًا .

البيت -٢- : قِدْوَه : القدوة : الأثر (السلف يقدي المظاهير) : المحاربون على متون الخيل والإبل يبينون السبيل ، ويعدونه للأظعان ، أي الإبل التى تحمل بيوت الشعر والمؤن .

البيت -٣- : أهل الرباع : مالكو البيوت التى لها قسم للرجال خاص . في البيوت الصغار هنالك زاوية مخصصة للرجال لا أكثر من ذلك ، في حين يقطع البيوت الكبار فاصل يقسم البيت إلى قسم للرجال (الزوار والضيوف) ، وقسم للنساء .

البيت -٥- : يعالْكِنّ الاعنِّه : يعلكن الأعنة لنشاطهن . زوم : قوة أو تحمل . كان راكبو تلك الأفراس سكرى بشهوة القتال حتى نبههم صهيل أمهارهم .

البيت -٦- : العَرْضِه : صف من المقاتلين يركبون أمام الشيخ ، ويهتفون بصيحة الحرب (النخوة) التى هى لدى السبعة : " خيال العرفا سبيعي " أى : الراكب الذى يحمى العرفا سبيعي . السبيعي : أحد أفراد قبيلة السبعة الذين يسمون قطعانهم (عرفا)[٩٤] .

١.	أبكــى هلي ياناس مانـــى بمليوم	واظـــن من يبكى هلــه مايلامِ
٢.	جيت المراح وصــار بالقلب ملغـوم	منازل الخلان هم والعمــــــامِ
٣.	هذا مشـــب النار والحفر مثلـــوم	مركى دلال متعبـــات شوامى
٤.	وهذى مرابــــط خيلهم دايــم دوم	حقب العيون مرويعات الهـوامِ
٥.	اقفوا كما طير قلـــب راسه الحوم	بفــج عميق ولايندرى وين حامِ
٦.	أدنـــــى منازلهم شثاثا وململـــوم	وأقصى منازلهم مداح النعــامِ
٧.	اليا لفيت لديرة أصحاب من قوم	اهرج ترى حمضالرجال العلومِ[٩٥]

(معنى الأبيات) :

١) إنى أبكى ، أيها الناس ، لفقد أهلى ، فلا أستحق أن ألام ، ولا إخال من يبكي أهله ينبغي أن يلام ! .

٢) لقد وردت مراح إبلهم (وحيث كان فؤداى ممتلئًا وجداً)[٩٦] . وزرت منازل صحبى وأعمامى .

٣) هنا موقد نارهم ما برحت حفرته بادية للعَيَان حيث توضع آنية البن (الدلال) الشامية الأصل .

٤) وهنالك مرابط خيلهم دائمًا وأبداً ، تلك الخيل التى تحيط بحدق أعينها دوائر بيض ، وتكاد رؤوسها تكون مربعة الشكل .

٥) وَلّوْا كما يولى باز ضل سبيله لكثرة حومانه في فج عميق ، ولا علم لأحد أين ذهب .

٦) إن أدنى منازلهم (الآن) : هى (شـثـاثا) و (لململوم) ، وأقصاها أداحي النعام (أى الأماكن التى يضع فيها بيضه) ، أى قلب الصحراء .

٧) إذا قدمت إلى بلدة فيها صحب ذوو حسب كريم ، فأنبئهم بما سمعت من

أخبار (ترددت حيث كنت) ، فإن الأنباء للرجال كشجر (الحمض) للإبل .

الشاعر زنجي حل مع العمارات ، وعشق امرأة بدوية ، فطرده أهلها ، وهددوه بالقتل إن عاد إلى حيهم[97] .

تلا القصيدة حمار أبو عواد . وقد تفسر كالتالى : يعبر الشاعر عن شوقه لرفاقه ، فيزور المكان الذى كان قد نزله معهم آخر مرة ، فيتذكر ويندب (خسارته) غير عالم متى سيلقاهم وأين .

البيت -٢- : خلان : تعنى هنا أصحاب الزنجي الأوفياء ، وحبيبته أيضًا .

العَمَام : هم البدو الذين كان يقيم معهم ، وكان يخدمهم ، لأن لكل زنجي بين البدو أسرة يخدمها ويدعو أفرادها أعمامه .

البيت -٣- : تحفر في قسم الرجال حفرة للنار تختلف شكلاً وحجمًا ، حتى إنها لتبين بعد مضي عدد من السنين من سبق أن حل في ذلك المكان .

البيت -٤- : تفضل بعض العشائرالخيل التى تختفى أعينها في دوائر بيضاء ، ويدعونها (حوقا) .

البيت -٦- : شِثَاثًا ولِمْلُوم : مستوطنتان في العراق . تحتضن النعام بيضها في النفود جنوب شرقي شثاثا .

البيت -٧- : تدعى النباتات التى تسمن الإبل أكثر من غيرها بكلمة واحدة : (حمض) .

١.	عيني قزت عن نومها بان الاصباح	وعيني قــزت عن نومها واسهرتني
٢.	جيت لمنـــــازل ربعنا وجيت المراح	ولقيـــــت مركى دلالهـــم ذكـرتني
٣.	يادار لاتبكين عمر مضـــــى وراح	دور السنـــــه يادار أرجيهم اتنـي
٤.	فارقتــــني يادار كالـبدر وان لاح	يــــوم رحلت يادار ماشـــاورتني

(معنى الأبيات) :

١) لقد شبعت عينى من النوم ، وتنفس الصبح .. لقد شبعت عيني من النوم وأسهرتنى[٩٨] .

٢) جئت منازل صحبنا ، وجئت معاطن ماشيتهم .. ووجدت مكان آنية قهوتهم[٩٩] (دلالهم) ، وقد ذكرتنى تلك بذكريات كثيرة .

٣) لا تبكي أيتها الدار على زمن انصرم وانقضى ، بل انتظريهم راجية أن يعودوا إليك بعد عام .

٤) لقد فارقتني ، يادار ، وهى كالبدر إذا طلع ، ولم تستشرنى يادار ، أتظعن أم تقيم .

كان الشاعر من قبيلة (الفدعان) الذين خرجوا في غارة على شمر ، فجرح وأسر ، ولما برىء تمامًا عاد بعد زهاء ستة أشهر ، وفي هذه الأثناء مرضت زوجه التى كان متيمًا بها ، وقضت نحبها . فلما علم بخسارته المحزنة هب إلى آخر حي كان قد أقام فيه هو وزوجه ، ووصف ذكرياته في قصيدة طويلة روى لى بليهان هذه القطعة منها .

في البيت -٤- : " يوم رحلت " معناها كمعنى " يوم ماتت " أو " راحت " .

١. ياعيد واوجدى على ربعنا العام	هذي منازلهم على العين خلوات
٢. تسمع ضبيح نجورهم تقل دمام	نيرانهم من كثر الاوقاد حيات
٣. مسلافهم عسر على ربع غنام	مايلحق المطلب سلفهم ليافات
٤. قطعانهم يرعن لياخب لزام	تبرى لهم سرد المهار الاصيلات
٥. متحزمين ببلقا مثل عزام	كم فارس دربوه والخيل عجلات
٦. مايلبسون إلا قماش من الشام	ومشالح من عمل داود زينات

معنى الأبيات :

١) ما أشد وجدى ، ياعيد ، لرؤية رفاقنا في العام الماضي ! .. هذه منازلهم تراها العين خلواً من آهليها .

٢) كأنك تسمع أصوات هاوناتهم[١٠٠] ، فكأنها طبول تدق[١٠١] ، ونيرانهم لاتخمد لكثرة مايلقون فيها من وقود ! .

٣) لا يستطيع قوم غنام اللحاق بقوافلهم التى تتقدمهم ، ولا يستطيع أحد إدراك (سَلَفْهُم) إذا مضى فى مهمته .

٤) وقطعان ماشيتهم ترعى حتى " خَبّ لَزّام "[١٠٢] ، تباريها الأفراس الاصيلة

٥) لقد تمنطقوا بأسياف مرهفة مثل ذلك السيف المسمى (عزام) .. كم من فارس دحرجوه وخيلهم تغذ السير .

٦) لا يرتدون من القماش إلا ما كان (جيداً) من الشام ، وعباءات (مشالح) جميلة من صنع داود[١٠٣] .

قال هذه القصيدة رجل من عشيرة (الدهامشه) . وسجلتها ، كما سمعتها عدة مرات من رفيقى طارش بن مِلْفِي .

البيت -١- : مر ركب بأرضٍ خالية فسيحة ، ودنوا من عين كانوا قد قطنوا بقربها قبل ذلك بعام مع أهلهم ، وكانت كل أسرة قد نصبت بيتها على مقربة من الأسر تلتقي عند المضي لسقي الإبل . والشاعر يحن إلى معارفه .

البيت -٢- : يرى البدو أن الهاون مغتاظ لأن البن يدق في جوفه ، فهو يطلق أصوات الغضب والجزع " ضِبِيح " . الدمام : طبل كبير يأنس سكان القرى بصوته طوال الليل .

البيت -٣- : الدهامشة من قبيلة العْمَارات . ويقال إنهم جميعًا كانوا يقطنون ناحية خيبر ، ومن هناك قادهم إلى الأمام شيخهم (جديع بن هذال) هم

و (الصقور) و (السَّلْقا) ، وتقدموا سريعًا حتى حدود الفرات الأسفل . وقد عاد (ربع غنام) أي : قوم غنام ، الذين خرجوا معهم ، قبل مرور زمن طويل ، إلى خيبر لعدم تمكنهم من مجاراتهم في السير . وكان (الغنام) يعملون بوجه عام في تربية المعز والضأن ، وكان الآخرون يربون الإبل . وقطعان المعز والضأن لا تقوى على تحمل الرحلات السريعة الطويلة التي تقوم بها الإبل .

يشير الشاعر إلى إنجازات الدهامشه ، وفي الوقت نفسه ، يتذكر أن ليس من بين القبائل العديدة التي تخيم على ضفاف الفرات ، ولا تكاد تعمل في غير تربية المعز والضأن ، من يستطيع أن يتفوق عليهم . فالقبائل عن بكرة أبيها مضطرة أن ترسل إليهم هدايا ، كل عام ، إن كانت لا تريد أن تكون ضحايا لغاراتهم.

البيت -٥- : البلقا : سيف مَرِن من صنع فارسي ، تغطيه خيوط ورقع رمادية وداكنة . عزام : اسم سيف جديع .

البيت -٦- : داود : صانع من أصل يهودي كان يصنع خيرة الدروع[١٠٤] .

الفصل الخامس

الطعام

قد عرف الرْوَلَة جميعاً السَّغَب حق المعرفة ، ولذلك فهم يخشونه . ولعلمهم أن من العسير أن يقهر الجائعون الشباع قالوا : " فَتّ الشبعان على الجيعان فَتٌ قُوِي " ، أى : هجوم الشبعان على الجائع شيء خسيس "[١٠٥] . لكن ليس في وسع أحد أن يرى الجوع ، ولذلك فلا أحد يستطيع أن يسخر من جائع كما يسخر من العاري ، أو من يرتدى لباسًا لا يستر جسده كله . وإذا جاء رجل ، وهو نصف عار ، إلى صديقه المخلص فإن ذلك يسوء الصديق ، لأنه إما أن يكون الرجل قد سُلِبَ كساءَه ، أو أنه لا يعبأ بما تمليه الحشمة ، ومن هنا قيل " إيت رفيقَكْ جيعان ولا تاتيه عريان " أي : زر صديقك وأنت جائع ، ولا تزره وأنت عارٍ " . ويعلم الرولة أن الله الذي يحوطهم برعايته ويرزقهم في السماء ، في حين يسكن الأرض التى نمشى عليها العدو البشري الذى يحسدهم على كل شيء . ويذكِّر الأب غالبًا ابنه (قائلاً) : " الرَّزَّاق بالسما والحاسد بالوطا " . ولا جدوى من الطمع فيما نتمناه جميعًا .. فالله ينادى الإنسان دائمًا : " ياعَبْدِى !، إنت تريد وانا أريد ولا لك إلا ماريد " أي : ياعبدى ! ، أنت تريد وأنا أريد وليس لك إلا ما أريد .. فالإنسان يعزى نفسه بالمثل : " أنا ريد ، والله يعمل مايريد " .

وربما حدا الجوع بالمرء إلى السرقة ، على إنه لا شيء في أن تسرق من عدو أو غريب كل ما معه ، بل العار فى أن تسرق أي شيء من الجار أو القريب[١٠٦] ، والله لا يبارك فيما حرم " مابارك الله بالحرام " .

ويتناول الرولة وجبتين يوميًا بانتظام . وأهم وجباتهم وأعمرها بالطعام العشاء . ويأكلون هذه الوجبة بعد الغروب ، وثمة ، قبل الظهر بقليل ، غَدَاءُ ،

وفيه يشربون الحليب وحسب ، أو يأكلون ما بقي من العشاء ، أو كسرة خبز من اليوم السابق " بايت " . ولا يخبزون خبزاً جديداً ، أو يعدون ما قد يعد وجبة أو كالوجبة ، إلا لذوي الشأن من الضيفان . وإذا كان لدى رويلي كسرة خبز يابسة " حُمْش " ، ويستطيع أن ينقعها بالماء ، فإنه يتباهى بأنه قد طعم جيداً .

ولا يعرف الرولة وجبة الإفطار . ولكى يَحلُوا الرِّيق (فَكّ الرِّيق) فإنهم يتناولون قليلاً من الملح ، أو لقمة خبز ، أو جرعة حليب . هذا هو إفطارهم المعتاد " صبوح " - " اصطبح : اشرب صبوحك " . ويستطيعون في رحلاتهم الطويلة أن يظلوا على هذا الإفطار إلى الليل ، لأنهم لا يتغدون . والرولة يعلمون أنهم لن يذوقوا الطعام إلا بعد غروب الشمس ، ويشكرون الله أن هيأ لهم شَبْعَةً واحدة في الأقل أسبوعيًا . وفي الغالب لا يكون ثمة حتى ولو كأس من حليب بارد أو حامض ليكون عَشاءً . ويدعى مثل هذا العشاء المؤلف من قليل من الحليب غبوقًا .

الحليب وطرق إنتاجه

الحليب هو الغذاء الرئيسي للرولة . وليضمنوا إمداداً منه لعامٍ كَرِيتٍ (كامل) فإنهم يفيدون من سبل شتى . فإن كان الحُوَار ضعيفًا عقروه ساعة يولد، ولم يحلبوا الناقة (يِغَرْزُوها) مدة سبع (سمح)[١٠٧] ليال لكى يجف ضرعها (وهى تْغَرَّزْ) . وبذلك تقوى وتمسى قادرة على حمل الأثقال . فإن كان ما عندهم من الحليب قليلاً مسحوا ضرعها مسحًا رفيقًا في الغداة والعشي فتدر بعد بضعة أيام . فإن كان لديهم حُوَارٌ قادوه إليها . ولكى تسمح له بالرضاع يعمدون إلى شد أنفها بحبل (يحزموا خشمها بالعقال) أو يغرزون مِخْيَطًا قويًا من خلال فتحتي أنفها[١٠٨] . وبذا يخدعونها " يَظِيرون عليها ظَيّار "[١٠٩]

فلا تعود تستطيع شم الحوار المربوط بها ، وتحن إليه (تَرَام) ، وتجود له بالحليب (تدر) .

وربما ذهبوا بالحوار الوليد (جَرَّوْا لها) قبل أن تدرك الناقة وجوده وتشمه ، ثم ذبحوه ، وعقلوها ، وربطوا إليها حواراً أكبر يلطخونه بدم قليل من الحوار الذبيح ، فتلعقه الناقة وتحبه (رَامَتْ) وتدعه يرضع . وبهذه الطريقة التى تدعى (جْرَار) يرضع حوار واحد ناقتين . وغالبًا ماكانوا يعقرون خمسة وحتى - سبعة - حيران ، ويأتون بالحوار نفسه لكل الخلفات ، وكل منها تدعه يرضع ، وهذه تدعى (مْجَمَّعَه) . يتركون الناقة ذات الحليب الأقل للحوار ، ويضعون على ضروع النوق الأخر شبكات سميكة (شَمْلِه) تربط فوق الورك وتحت الذيل ، أو يربطون بكل حلمه عوداً مدبب الطرفين فلا يستطيع الحوار الرضاع[١١٠] . وإذا أرادوا احتلاب النياق أزالوا الشبكة أو الأعواد (يَبْهِلُونَها) ، وتركوا الحوار ، وانتظروا إلى أن يدر الحليب.

وفي الصباح تجود الناقة بحليب أكثر . وحالما تحل يدها اليسرى تنهض ويعدو البَكْرُ الفتي . ويمكن إذ ذاك حلبها . ويدعو رب الإبل الراعي من البيت : (يافْلاَن ! النَّاقه الفلانهْ ثارت . احْلِبْها) . فيقف الحالب في الجهة اليسرى ، ويحاول الحوار أن يرضع من اليمين ، فتدر الناقة إذا تبين لها أن الحوار قد دنا من الضرع (عَطَّفَتْ الناقة على وَلَدْها) ، ويسمى ذلك (تَعْطيف) أو (يِحِنّ القلب على القلب) . والحالب لا يسرع ، يمسك بالحلمة بثلاثة أصابع ، ضاغطًا بالإبهام دون جر ، والضغط يجعل الحليب يندفع على دفعات قوية (شُخْب) في إناء خشبي (قِدَح) . ولابد في أثناء الحلب من تهدئة الحوار وإيناس الناقة ، ويحقق ذلك الحالب بأن يدعوها باسمها مثلاً ، " هَيى يا عَلْيَا ، هيى يا عَلْيَا " . ولو فَرَّ الحوار لحبست الناقة لبنها " فَوَّتَت الناقه " .

وإن شاء مسافر أن يصطبح على عجل ، حلب بيده ، وإلا فإنهم دائمًا

يحلبون في إناء خَشَبي (قدح) ، أو سقاء جلدي صغير (شَكْوَه) . ويراعى الحالب ألا يندفع الحليب إلى الأرض ، فذلك يعنى خسارة لا مسوغ لها . ويشبه كل من يُبَذِّر شيئًا نافعًا أو ضروريًا بالحالب الذى يدع الحليب يسيل على الأرض . وهنالك قول سائر : شُخْبٍ طَفَحْ لابِيدِى ولا بِالقِدَحْ " . ويتراوح مقدار الحليب الذى يمكن الحصول عليه من ناقة واحدة يوميًا بين لتر واحد وسبعة لترات، ويكون أكثر كلما كان المرعى أجود ، لاسيما إذا احتوى أعشابًا موسمية جيدة . وتدر الناقة الحامل الحليب مدة اثني عشر شهراً . أما الحائل فتظل تدره مدة أطول حتى من ذلك . وتعرض الناقة بعد سنة على الفحل ، فإن لقحت جف ضرعها وبدأت تعض حوارها وترفسه إذا حاول الرضاع .

ويتوقف الحوار ، بوجه عام ، عن الرضع بعد عام ، لكن كثيراً من الحيران تود مواصلته حتى بعد العام . ومثل هذا الحوار يدعى " عَبِث " . وحتى لا يسرق حوار من هذا النوع الحليب يغرز تحت منخريه عود مدبب حاد (خْلال) ، فإذا حاول الرضاع نخس العود الناقة فتطرده في الحال .

والحليب إما أن يشرب دافئًا حالما يحلب " مَحَض " ، أو يسخن " سِخِين ". و " الحليب " ما حلب حديثًا ، فإذا حقن في سقاء (صِمِيل) دعي " لبنًا "، وإن كان ما برح حلواً ؛ وفي السقاء يَحْمَضُ (يطعم أو : مطعم) سريعًا جداً . والرولة لا يمخضون حليب النوق ، فإن كان لديهم فضل غلوه وعَمِلُوا من خثارته أجبانًا صغاراً (أقط أو مضير) يأكلونها جافة أو مُغْلاةً مع الخبز .

وتدعى الناقة التى تحلب " حَلابَه " . وهى لا تباع بأي ثمن كان لأنها تطعم الأسرة كلها . وكلُّ رويلي يحب الحليب جديداً أو مخيضًا ، وأولئك الذين لا يستطيعون التعود عليه يلقبون " فِلْح " . وتذكر المرأة الرويلية ابنتها باللبن الأبيض حالما توقظها صباحًا هاتفة : " يابْنَيَّه يا لِبَنْ وَضْحَا والغْزَيِّلْ بِالمَنَامْ اَضْحَى " أى : " أي بُنَيَّةُ . يا من تشبه لبن ناقة بيضاء ، والغزال الصغير

الجميل قد أدركه الضحى وما فتىء نائمًا " .

وللحليب الجديد طعم مالح لأن الإبل تحب رعى نباتات الملح ، ولذلك فإن له تأثيراً مسهلاً ، لاسيما على من لم يعتده ، لكنه لا يلبث أن يعتاده ويحبه كثيراً ، ولا يعاني من أية تأثيرات سيئة . وإن كانت الناقة قد رعت نباتات عطرة أو قوية الرائحة مدة طويلة فقد تُشَمُّ الرائحة في الحليب .

إن الحليب لأهم غذاء للرولة ، وتظل كثير من الأسر أشهراً ولا قوت لها سواه ، ويَعَضُّها الجوع بنابه إذا بات المرعى نزراً فلم تجد الإبل إلا قليلاً من العشب ترعاه ، ولكونهم لا يستطيعون الحصول على طعام آخر داخل الصحراء فإنهم يلتمسونه في المناطق المأهولة . يقول الرولة : " مْسَقّمِين عْيَالْنَا من لِبَنْ حَلالْنَا " أي " نطعم أطفالنا من حليب إبلنا " .

القمح والحبوب الأخر

يرى البدو أن الفلاحين ملزمون بإمدادهم بالميرة ، وتسمع في كل مكان عبارة " البدو عيشتهم على الفلاح " . وإن لم يُعطِهِمْ الطعام طائعًا مختاراً حق لهم أن يستولوا على كل ما يجدون . ولهذا فهم يعلنون : " خذ من الفلاح ما لاح " .

ويتزود الرولة بالقمح اللازم للقوت قبل أن يظعنوا متوغلين داخل الصحراء (يْشَرّقون) . وقدر الحصة حمل واحد لكل شخص ، والحمل المقدار الذى يحمله الجمل ، أى نحو ١٥٠ كيلو غرامًا ، ويحمل البدوي حملاً إضافيًا لضيفانه . وللشيخ عادة من خمسين إلى ستين حملاً من الدقيق والبر لأنه لن يضطر إلى إطعام ضيفان لا حصر لهم وحسب بل وإطعام كثيرين من قومه يكون العدوّ قد سلبوهم مؤنهم ، وهؤلاء يدعون (ضعوف) أو " حَلال "[١١١] . ويتنقل الرجال من بيت إلى بيتٍ ، ويَطْعَمون - بفتح الياء - ضِيفانًا . أما النساء

فيدعون ربة البيت هاتفات " عَشِّيني يا خَيِّهْ عَشِّيني " ، فإذا قبضن القمح حملنه إلى الأطفال والعَلِيلين .

ومن القمح يعد يوميًا طعام يدعى (عيش) لا تكاد النار تكون قد مسته . ويطحن رجال القبيلة الحبوب بأنفسهم . ويأخذ الشيوخ وحدهم الدقيق إلى داخل الصحراء . ولايؤمن الرولة بأن الدقيق الجاهز قمح أصلي ، لأنهم يقولون : " القمح اللي بَعَدْ حَبّ صحيح "(١١٢) .

ويسحق القمح بهاون خشبي " مهباش " له يد " عمود " ، أو يطحن بِرَحَى " رْحَى " ؛ وهذه الرَّحَى تصنعها نساء الرولة فينحتن قطعتين من حجر البازلت أو اللابة على شكل الرحى ، ويثقبن فيها ثقبًا ، ويضعن لها محوراً حديديًا (قلب) ويداً خشبيه (هادي) ، وبذلك يتم صنع الرحى . فإذا شاءوا استعمالها للطحن ، فرشوا نطعًا أو نسيجًا محكمًا (ثْفَال) على الأرض ، ووضعوا الرحى فوقه وشرعوا يأخذون الحب باليد اليسرى ويضعونه في الثقب الذى في الحجر الأعلى (الفوقا) ، ويسقط الدقيق في الحجر الأسفل (التحتا) ، وعلى النسيج المبسوط (يقع على الثفال) .

ويرددون ، وهم يطحنون ، بعض الأغاني الخفيفة ، مثل : " عُود الرّحَى ما ادِيَرهْ .. كِلٌّ تاخُذْ عَشِيرَهْ " . أي : " كما يدور عود الرحى (ومع ذلك لايبرح الحجر السفلي ، ليت هذا يكون كذلك بين البشر) ليت كل امرأة تتزوج حبيبها " . أو : (اليوم انا وجعانه ، عبدالكريم موصانا) . أى : اليوم أنا حزينة ، لكن عبدالكريم (عَيِّنَهُ هو) حارسًا لنا " .

وهم لا يطحنون القمح أبداً من أجل تخزينه مؤنًا ، بل لا يطحنون أكثر مما يكفى لصنع خبز يقدم طعام إفطار للضيف في الغد . وإذا أرادوا أن يخبزوا وضعوا الدقيق في صحن (أو علبه) ، وملحوه وأضافوا إليه الماء وعجنوه في (مُخْمَر) ، وجعلوه على شكل رغيف كبير ، وأخرجوه من (المخمر) ،

ووضعوه على قطعة جلد أو عباءة ، وقلبوا (المخمر) أو الصحن . وتشد قطعة من عجين ، وتصنع منها كعكة رقيقة كبيرة (تِطَحِّن) في الصحن . فإذا غطت الصحن كله أَمْسَكَتْها بها امرأة بكلتا يديها وقذفت بها في الهواء إلى أعلا ثم شدتها أكثر وأكثر حتى تضحي أحيانًا كالورقة رقة (تْنَسِّفْ تَنْسِيف) . وتَضَعُ الكعكة الجاهزة في (منساف) ، وتأخذ قبل ذلك لوحًا حديديًا عميق الانتفاخ (صاج) ، قطره زهاء ٦٠ سنتيمتراً ، وتقلبه على ثلاث أثافي فوق نار ، وتضع قطعة العجين بحركة خفيفة على الجانب المحدب ، وَتَرْقُبُها بحذر لئلا تحترق . وتدعى الخبزة من هذا الضرب (رغيف) ، فإن كانت كالورقة رقة فهى (رَهِيف) ، وإن كانت سميكة فهى (جرِيم) .

ويُعدُّون ، أحيانًا ، لإفطار الضيفان مزيجًا من عدة عناصر على شكل عجينة لينة تصب في جانب (الصاج) المقعر وتخبز . هذا الخبز يدعى (مَصْلِي) ، ويكاد مذاقه جديداً يكون كفطائرنا المحلاة .

وإن أريد خبز الخبز سريعًا ، فإنهم يعجنون كعكة واحدة كبيرة ويضعونها على الرماد الحار ، ويغطونها به ، ويشعلون ناراً أخرى على الرماد ، وهى تقلب مرة أو مرتين ، وتدعى (جَمْرِيِّه) .

ولا يؤكل الخبز الخمير إلا في الفصل البارد ، وهم يعدون الرغيف مساء فيضيفون خميرة (خامر) صغيرة إلى العجينة ، ويخبزون الخبز في الصباح. ويؤثر الرولة الخبز (الفطير) أي غير المخمر ، ويحبون دائمًا أن يتناولوا الخبز طريًا . أما ما مر على خبزه يوم (البايت) فيجب ألا يقدم للضيف . وهم لا يخبزون في فصل الربيع أبداً ، ويندر أن يخبزوا في الفصول الأخر ، وإن فعلوا فذلك ، في العادة ، للضيف وحسب . وفي ثلثي البيوت لا يخبز خبز على مدار العام ، وكثير من النسوة لا يذقن طعمه خلا مرة أو مرتين طوال حياتهن . ولديهم عبارة ثناء تقول : " هذه خيمة الخبز . هنا يخبز الخبز ، فلان غنى جداً

ووافر المال ، لديه خبز ، هو " راعي الخبز " .

ويعيش الرولة على (العيش) ، بالإضافة إلى الحليب ، وهو قمح مكسر أو مدقوق في الرحى ومُغْلَى . وعند الشيوخ يطحن الدقيق طحنًا خشنًا فيتحول إلى كسر (جريش) ، ويصب الماء على القمح المكسر أو المطحون ، ويضاف الملح، ويُغْلَى إلى أن يضحي عجينة سميكة .وإن كان لدى النساء وفرة من اللبن صببنه على العيش " تبيض العيش " - تصنع " بياضه " ، ويتم إعداد " العيش " للعشاء كل يوم تقريبًا ، وما بقي " السؤر " يقدم لغداء اليوم التالي ويؤكل بارداً (بِرِيدِه).

وإذا كان الرولة سائرين في رحلة قصيرة(١١٣) ، ويعلمون أن لن يجدوا بيوتًا طوال يومين أو ثلاثة فإنهم يشوون قليل قمح في (الصاج) ، ويرجُّونه في مزادة جلدية ويتغذون به ، وهذا يدعى (حَمِيسه) .ويأخذ كبار السن قبضتين من الدقيق دون أي إعداد ، ويتناولونها عوضًا عن حبوب القمح المشوي ، لأنه لا أسنان جيدة لهم ، ويسمونها (لِهْمِه) .

ويشترى فقراء الرولة ، عوضًا عن القمح ، ذرة بيضاء ، وهى تشترى بنصف ثمن القمح ، ويمكن استعمالها فيما يستعمل فيه القمح تمامًا ، ومنها يعملون الخبز المسمى (طُرْمُوذ) ،ويُغْلُون (العيش) المعروف بالـ (غَضِيضَة)، ويشوون الحب (الحميسه) ، ويأكلون الدقيق الصرف كـ (لهمه) .

والسَّمْحْنَة أو السِّبِيب ، هو بذور نوعيات نبات (السمح) المختلفة ، وهى تحل محل كل من القمح والذرة ، ويمكن إعداد طعام منها على الطريقة نفسها التى يعد بها من ذينك النوعين .

ويُنْظَر إلى أولئك الذين لا يجدون طعامًا إلا حب الدَّعَاع (ضرب من السَّمْح) أو عشبة (الحَوًّا) فلا يذوقونهما ، ولو عضهم الجوع بنابه ، على أنهم رجالٌ أشداء ، على وجه العموم ، : " هُوَهْ وَلَدْ ما ذاق الدَّعاع ، ولا أكل الحَوًّا يوم جاع " .

الجراد والتمر والملح والماء والنباتات الصالحة للأكل

يَعُدُّ فقراء الرولة الجراد صنفًامن القوت مُهِمًّا ، وغالبًا ماكانت عشرات الألوف من أنواع الجراد الكِبارِ الخُضْرِ تغطى الشجيرات ، ولا تتحرك إلى أن يتبخر الطل . وتأتى نساء الرولة ، ويلقين حفنات من الجراد في الأكياس ، ويربطنها ،ويَحْفِرْنَ زبية (بُورَهْ) عميقة ضيقة ، ويشعلن فيها ناراً ، فإذا غطى الجمر المتوهج قاع الحفرة ألقين الجراد فيها هاتفات : " يا ابا الحَمْسْ احِمْسِهْ ! " .. أى " ياأبا الشيِّ اِشْوِه ! " . ويجفف الجراد المطبوخ في الشمس ، ويطحن مباشرة إلى أن يضحي مسحوقًا ، أو يشك في خيوط طِوالٍ ، أو يغرف باليد في المزاود . وطعم الجراد كطعم ذيول الإربيان . وهو يؤكل إما دون أي إعداد (نِجْضَان) ، أو يعمل منه طعام كما يعمل من القمح .

ويأكل الرولة ، بالإضافة إلى الخبز (العيش) والجراد ، التالي :

العصيده : وتُعْمل من الحليب وشيء من الدقيق .

البِكيله : معجون تمر ودقيق .

البِسيسَه : معجون رقيق للأطفال الصغار ، معمول من دبس العنب ودقيق القمح.

المدروسه : معجون رقيق معمول من التمر والقمح المُغْلَى والزبد.

المطبوخة : تمر مُغْلى بزُبْد .

الخميعا : خبز مُغْلَى بحليب ، ومغطى بشحم إبل .

والبرغل : وهو قمح مقشر .

ونادراً ما وُجِدَ الأرز لدى عامة الرولة .

ويبتاع الرولة الملح في مستوطنات منخفض السرحان ، ويمكن الحصول على

كميات كبيرة منه في مناطق (كاف) و (إِثْرَهْ) . فَيُجْرِي الأهالي الماء المالح في برك غير عميقة ، ثم يجمعون (يْزَبّرُون) الملح الباقي ، بعد تبخر الماء ، في زنابيل مُتَّخَذَةٍ من ليف النخل (زِبِيل) ، ويكومونه أكوامًا (حواصل) . ويزنونه كما يزنون القمح ويبيعونه . وثمن حمل البعير (نحو ١٥٠ كيلوغرامًا) ربع أو نصف (مجيدية) ، حسب الصنف ، إضافة إلى ضريبة الشيخ .

وخير أصناف الملح ذلك الذى يدعى (عقيق) و (إثراوي) . وتعرف الأصناف الأدنى جودة بـ (صبخاوي) ، وهو الذى يؤخذ من السبخات اليابسة ، و " طْحَينِي " أى ملح الصخور المسحوق المتوافر في عدد من الأماكن .

وتحتاج النساء إلى الماء لإعداد الطعام ، وهن يجلبنه بأنفسهن إن كان ثمة بئر قريبة ، أو يحضره الرعاة من الآبار النائية . ولا يفرط في الماء بأى حال . ويهتم الرولة به أبلغ اهتمام ، لاسيما إذا كانوا ظاعنين . ويحرص القائد في الحروب ، وخلال الغارات ، على أن ينال كل فرد قدراً من الماء مساويًا لما ناله سواه ، فيأخذ عند غروب الشمس حجراً ، ويضعه في إناء خشبي ، ويصب عليه الماء حتى يغطيه . ويكون هذا سهم كل رجل (مِقْصَاد الزِّلِمهْ) . وإذا اضطر الرولة اضطراراً شديداً ، ذبحوا أسمن الإبل ، وأخرجوا كرشها ووضعوها في عباءة ، وعصروا ما بها من سائل في إناء جلدى ليبرد ويصفو . فإما أن يشربوه ، أو ، إن كان ثخينًا جداً ، يُسَرِّبُونَه إلى حناجرهم خلال مناخرهم . وقد ذاق دليلي منديل القطعى مثل ذلك الماء ثماني مرات . وليس من بين الرولة من لم يذقه ولو مرة واحدة في الأقل .

والأمر أدهى وأمر على أولئك المسافرين رجالاً ، الذين لا ناقة لهم ولا جمل ليذبحوها عند الضرورة .. كما حدث لأربعة رجال من (آل بْنَيِّه) من الرولة طردوا في أثناء إحدى الغارات ، فخسروا إبلهم وأسلحتهم ، ونجوا بجلودهم ، ولا شيء سواها . وقد شد أحدهم على جسده تحت ثوبه " شَكْوَه " بها

نحو ثلاثة لترات ماء ، واتجهوا إلى موطنهم عبر الصحراء ، متخذين الأعشاب المختلفة زاداً . وكانوا دائمًا يشربون قليل ماء بعد غروب الشمس ، ولم يبق معهم في اليوم الثالث إلا ربع لتر ، وكانوا جميعًا عطشى ، وعلى ذلك كان كل منهم يحث صاحبه على الشرب ، لكن لم يشرب أى منهم ، لأن الماء لا يكفيهم جميعًا . وأخيراً رأوا أن يسكبوه على الأرض ، وأخذوا يمتصون الندى ، وساروا يومين من غير ماء ، وكان الوقت هو موسم السّمَاك " مارس وأوائل أبريل " ، وبعد يومين (آخرين) لم يستطيعوا السير إلى أبعد مما ساروا ، وبمشيئة الله رآهم بعض (الصّلَيب) وأحضروا لهم دُهْنًا وصبوه في حلوقهم ، ولما استطاعوا ابتلاعه أسقوهم ماء ، وبذلك أنقذوا حياتهم .

ويستطيع الرجل في فصلي الصّفِري والشتا - (من ١ أكتوبر إلى ٢٠ فبراير) أن يمضي ثلاثة أيام بدون ماء . أما في القيظ فيمكنهالبقاء يومًا واحداً وليلة ، أو ، في الأكثر ، ليلتين ويومًا ، ثم تجف حَنْجَرَته ، في اليوم الثاني ، ويقضى نحبه .

ويعرف الرولة جيداً ، أي النَّبات يصلح للأكل . وغالبًا ما كانوا يجوسون خلال البراري ، غِبَّ غارة مُخْفِقَةٍ ، سيراً على الأقدام ، ويقتاتون مختلف الأعشاب ولا شيء غيرها . وهم يحبون حبًا جمًّا أكل ثمرة شجيرة (المصع) الشوكية إذا كانت ناضجة حمراء قاتمة (طِلْع) . وهذه الثمار حلوة جداً تشوبها مرارة ، يجمعها الرولة ويغلونها حتى تصير سائلاً ثخينًا .

ويخرج من أعواد شجرة (الرمث) الطويلة في الصيف سائل حلو " قْضَامَه " يجمعه الرولة أيضًا . ويجتثون ثمار شجرة (البُطُم) الناضجة ، ويجففونها ، ويسحقونها ويمزجونها بدقيق القمح ، كما يستخرجون الزيت من هذه الثمرة . ويأكلون الأوراق الغضة للنباتات التالية أو ثمارها : بَخَتْرِي ، بْصَيِّل ، طُمَّير ، جرْجِير ، حارَّة ، حُمْبَيض (أو حُمَّيض) ، حَمْصِيص ، حَوًّا ،

ذَعْلُوق ، رُبَحْلَه ، رشَاد ، رْغَيـلا ، أم رويس ، شَحُّوم ، طِيطَه ، ضُرَّيط النعـام ، قُرَّيص ، كراث ، كْسَيْبرَه ، لُبِّينَهْ ، لَحْيَة التيس ، مْشَع .

والتالية تخبز : زِبَّ الذيخ ، طَرْثوث ، ومْحَرُوت .

اللحـــم

ليس اللحم من الطعام المعتاد لدى الرولة بل هو ترف كالخبز ، ولا يكادون يذوقون سوى لحم الجزور . وإذا أرادوا ذبح ناقةٍ أناخوها (يْنَوّخُونَها)، وعقلوا كل سوقها ، وجذبوا رأسها بقوة نحو الأرض ، وصاح القصاب : " رُدّ رَاسَهَا " أي : نَحِّ رأسها إلى الجهة الأخرى ، ثم يغرس سكينًا حادة في نحرها (مَنْحَر)، ويقطع حلقها ذات اليمين وذات الشمال ، فترتعش الناقة ، وترغو ، و (ترتعد)، ويَسِيح الدم إما في إناء أو على الأرض .

ويقطع البدو ذيل البعير الذبيح ، ويشقون جلد ظهره من أصل الذيل عبر السنام حتى مؤخر العنق (الغارب) ، ثم يسلخونه ، فإذا نزع الجلد قطعوا يديه ورقبته فالرجلين ، ثم فتحوا البطن . ولا يطرح سوى ما تحويه الكرش والأمعاء (الفرث) ، وكل ماعدا ذلك ينظف وينتفع به ، وترسل قطع من لحم البعير الذبيح هدايا إلى الأصدقاء المقربين والمعارف .

وألذ الأجزاء طعمًا لحم (الصرايد) أي الجانبين القريبين من السنام ، ولحم (الرِّيَاشِي) أي ما بين السنام والذيل . ولحم اليدين ذو طعم سائغ جداً أيضًا ، وكذلك لحم (المنيحر) أي جانبي الحلق حيث يتصلان بالزَّوْر . ودائمًا يتلقى العبيد والحدادون من الشيوخ لحمًا من إحدى الرجلين أو من الأضلاع والرأس بما فيه الحلق .

واللحم إما أن يطبخ أو يشوى . ولسلقه يُقَطَّع مع العظام قطعًا صغيرة ، ويلقى في قدر ثم يضاف إليه قدر من الماء يغطيه ، ويملح ، وينصب فوق النار على ثلاث أثافي ، فإذا نضج صاحت سيدة البيت : " أَنْضُوا اللَّحَمْ " أى " أخرجوا اللحم " . فيخرجون القطع المنفصلة بمغرفة خشبية (مخشاقه أو مسواط) ، ويضعونها في (قَرْوَه أو صحن) مليء بالقمح المطبوخ (عيش) ، ويدعونها تبرد قليلاً ، ثم يصبون عليها مرقًا غليظًا (صَفْيَا) أزيل الدسم من سطحه ، ويحملونها إلى الضيوف (يْقَلّطُونه) . أما باقى المرق فيخلطونه (بالعيش) لينتفع به أهل البيت أو الضيوف الأدنى مقامًا .

ويطلق (المشوي) على اللحم المملوح الذى يشوى على لوح حديدي مُحَدَّب (صاج) ، أو على لوح معدني اعتيادى ، أو على الجمرات الحمر الحارة.

(الهَبيط) هو اللحم المقلي في الدُّهن ، والمقدم مع الخبز .

(السَّهْر) قطعة من شحم البعير تشك بعود صغير ، وتشوى على النار ؟ وشحم البعير المقطع والمغلي حتى الذوبان يعرف بـ (مخلوع) أو (ودك) ، وتترسب في قاع القدر الذى يغلى فيه الشحم على هذا النحو ثفالة كالعشب تدعى (خَلِيع) .

ويصب (الودك) في نِحْيٍ (ظَرْفْ أو نِحْو) ، ويترك مدة قد تصل إلى ثلاث سنوات ، ويؤثره الرولة ، فى الفصل الحار ، على الزبد لبرودته . ولا يبيع شحم البعير إلا شخص شديد البخل . و (الودك) علاج ناجع للبواسير والجروح المتقيحة .

وخير اللحم لحم الناقة السمينة (العَدْله) التى تتراوح سنها بين الرابعة والعاشرة ، أما الناقة الهرمة ولاسيما العجفاء (الهَلِيمَه) فلايمكن طبخه طبخًا جيداً ، إذ يبقى دائمًا قويًا وغير ذي طعم .

وللحم البعير الصغير الذى يقل عمره عن ثلاثة أشهر (حوار) تأثير سيء

على المعدة .

ويستـهلك الرولة الدم أيضًا [١١٤]. ولا يلقـون سـوى قلب الطائر حِذَاراً من أن يُمْسُوا جبناء كالطير ، فعبارة " قَلْبِهْ قَلْب طير " تعنى أنه جبان .

الـوجبـــــات

يتناول أفـراد أسرة ربِّ الدار وجباتهم في حجرة النسـاء . ويحمل الطعام إلى الأضياف في مجلس الرجال حيث يَطْعَمُ معهم ، أحيانًا ، مضيفهم هو وأكبر أبنائه .

وإذا جهز العشاء أمر المضيف أهله بأن يصبوا الماء للرجال ليغسلوا أيديهم (غَسّلُوا الرّجال) . فيأخذ عبدٌ ، أو ابْنٌ ، أو قـريبٌ شابٌّ ، إناء خشبيًا (قدح) به ماء ، ويمضي من رجل إلى رجل ، ويصب بضع قطرات على الأصابع المقبوضة لليد اليمنى .

وإذا كـان السـيد منتظراً هو ومعـارفه العَشَاء ، فإنه يدعـو ابنه أو ابنتـه أو عبداً أو أمـة : " قَلِّطْ لنَا العَشَا " أى " قدم لنا العـشاء " ، فـيضع الشـخص الذى يحضر الطعـام الطعام أمامـه قـائلاً : " هاهو العـشا " . فإن كان ضيف من علية القـوم حـاضراً ، فـإن المضـيف يذهب بنفسـه ليـجلب العـشـاء ، ويرافق الأبناء أو العـبيد وهم يحملون الصـحن ، ويضعه أمـام أَجَلِّ الضيفان قدراً ، أو بجـانب مـوقد النار . ويدعـو المضـيف أولئك الذين سـيتـعشـون أوّلاً بـأسـمـائهم (تَفْوِيت) .. فـيقـوم الشـخص المدعـو ، ويذهب إلى الوليـمة ، وينحني على ركبتـه اليسـرى ، ويجلس على عـقبه الأيسر ، ويزيـح كمه عن ذراعـه الأيمن (يْفَسِّر عن الذراع) ، وينتظر دعـوة المضيف : " سموا ! الله يحـيـيكم " ، ومع عبـارة " بسم الله " يمسك كل من القـوم بالصـحن ، ويدير لقـمًا صغـاراً من العيش أو الخبز ، ويلقـيـها واحدة

تلو الأخرى في فيه ، ويزدردها دون مضغ . وإن كان ثمة كوم لحم في وسط الصحن حاول كل واحد بأسرع مايمكنه حفر حفرة في العيش أو الخبز إلى أن يصل إليه . ولا أحد يتناول اللحم مباشرة .. فذلك معدود إخلالاً بآداب المائدة . فإذا شق الآكل طريقه تحت الكوم فله أخذ ما يتساقط في حفرته . وعلى الرجل ذي المكانة الرفيعة ألا يعرش اللحم من العظم ، بل ينزع اللحم منه بأصابع يده اليمنى دون رفع يده من الصحن ، وما لاينزعه يدعه على العظم الذى يزيحه إلى جانب الحفرة . ولا يسمح لأحد بالانصراف إلى أن يفرغ الرجال جميعًا من تناول العشاء من الصحن الواحد . وتدعى الجماعة التى تأكل في صحن واحد (قلطه). فإذا فرغوا من الأكل قالوا : " خلف الله على المعازيب "[١١٥] . فيجيب المضيف : " صحه وعافيه " . وكل يلعق أصابع يده اليمنى " يِلْحس إيده " ، ويتجه نحو رواق البيت الجانبي ، ويدعك أصابعه به الواحد تلو الآخر (يِمْحَشْ يدِه) ، وينظف أسنانه (ينقش سنونه) ... ثم ينظم المضيف جماعة أخرى (القلطة الوسطى) ، وحينما تفرغ هذه الجماعة من الأكل ، يزيد الطعام ، فإذا كان اللحم قد ذهب مزج العيش بمرقة ، ودعا جماعة ثالثة تعرف بـ (القلطه المحليه) . ويتسلم الأطفال الفقراء الذين يقفون حول البيت ما فضل من الطعام (العزيمه) .

ويقولون للنهم الذي لا يشبع : " رَاسْ ورِوْيَس ، وارْنَبْ رَاسِهْ بِهْ ، وقِدَحْ بِكَيلِهْ ، وتْقُول ما تَعَشَّيت " !

القهوة وإعدادها

تتولى النساء فى حَرَمهن ،ً فى الحى ، إعداد الطعام بمختلف أصنافه . أما في مجلس الرجال فلا يصنع إلا القهوة . وبعد سماع الطلب : " شِبَّ النَّار

وسَوّي القـهـوه " يشـعل النار عَبْدٌ أو الابـن أو الزوجـة أو البنت أو ، في بعض الأحيان ، حتى صاحب البيت نفسه . يضع الصوف الْمُدَخَّن في شيء من الشيح الجاف ، ويديره فوق رأسه إلى أن ينفجر لهبًا ، فيضعه تحت الوقود في موقد النار وَيَنْفُخُه إلى أن يشتـعل هذا أيضًا ، ثم يَضَعُ صانع القـهـوة بجانب موقد النار (مِلْقَاط) جمرٍ طويل ، ويخرج أواني القـهـوة من سلة مستـديرة منسوجة من قش أو خوص .

ويكون عدد أوعية القهوة (الدلال) أربعًا ، في العادة ، وتدعى أكبرها (مطبخه) أو (كُمْكُم) . وتفرغ فيها لعدة أيام الرواسب التى تستخلص منها القـهـوة بغليها ، ويصب قِنٌّ الماء عليها ، ويضع الإناء (الدلة) قـرب النار ، ويغسل (يْشَرِّب) الأواني (الدلال) الثلاث الأخر ، ويصب المحتويات في كبراها ، ويمسحها بمنفضة من وبر الإبل ، ويصفها على الجانب الأيمن من موقد النار حيث ثمة إبريق ماء نحاسي (بريق) و (قدح) أى إناء خشبي أسطواني الشكل قطره نحو ٢٠ سنتيمتراً ، وارتفاعه ستة سنتيمترات ، وله حافة ضيقة ، ومن القـدح يقدم مـاء الشـرب . وتتناول ربة البيت حفنة بن من مزادة جلدية (صِفِن) ، أو من شكوة جلدية صغيرة (قَرْف - الجمع : قراف) ، ويضعها عبد في مقلاة حديدية غير عميقة ، ذات ساق طويلة (محماسه) ، وعليها تحمص القهوة ، ويمسكها على النار محركًا الحب تحريكًا مستمراً بملعقة حديدية مربوطة إلى الساق بسلسة نحاسية طويلة (ايد المحماسه) . وحالما يبدأ لون القهوة في التحول إلى الشقرة (اشْقَرَّت) فإنه يرفع (المحماسه) من وقت لآخر ، ويرجها إلى أن يتقافز الحب هنا وهناك ، ويظل ينفخ النار ويستمر في التحميص ، فإذا بات للحب كله لون بني غامق أفرغه في صحن خشبي (مبرادة) ، وقد زودت المبرادة بساق طويلة أيضًا ، لكى يبرد الحب ، وفي الوقت نفسه يأخذ الإناء الثاني الأصغر ، ويصب فيه الماء المغلي من الإناء الأول ، ويضعه قرب النار ،

ثم يمسح هاوَنًا خشبيًا " مِهْبَاش أو نِجر " مزينًا بالنقوش ، ويصب فيه الحب البارد وقد تخلص من قشوره الرقيقة ، ويلتقط بيده اليمنى أو بكلتا يديه يد الهاوَن الخشبية الطويلة (يد أو مِهْوَان) ، ويدق القهوة ، وهو ممسك الهاون بين ركبتيه ، دقات موزونة تنم عن اعتزاز وكرامة . وبعد كل خمس دقات أو ست يلامس بطرف الهاون جوانبه للتخلص من البن اللاصق به ، ويُسْمَع صوت الهاون (حِسّ المِهْبَاش) في كل مكان في الحي ، ويدلي الناس بآرائهم حول هذه الأصوات ، وهل هى منتظمة وفنية أم غير ذلك ، فدق القهوة فن ، وتُقَوَّم المقدرة الموسيقية بحسب الطريقة التى يؤدى بها .

يضع عَبْدُ البُنِّ ، بعد دقه وتحويله إلى مسحوق دقيق ، في الإناء الثاني (الدَّلّه الثانية) الذى تغلى فيه القهوة الجديدة (يْلَقِّمْها) . ويسمى هذا الإناء (مَصْفَى) أو (غَلايَه) ، ويأخذ العبد الخرقة التى مسح بها الإناء (الدَّلّه) ويضعها في عروتها ، ويمسكها فوق النار ، ويحركها تحريكًا مستمراً ، فيبعدها عن النار ، ثم يقربها منها ، كيلا تتدفق القهوة من شدة الغليان ، فإذا اكتمل طبخ القهوة وضع (الدلة) بعيداً عن النار لِتَصْفُوَ القهوة ، ثم يضع في الهاون حبات قليلة من ذلك التابل ذي الرائحة الطيبة المعروف بحب الهال ، وقليلاً من زعفران ، ويدقها ، ويضعها في الإناء الثالث الذى يكون قد نظف ودفىء فيصب فيه القهوة المُغْلاة من الإناء الثاني ، ويسمى الإناء الثالث الذى تغلى فيه القهوة (مِبْهَارَه) .

ويخرج العبد فناجين (فناجيل) صغيرة من الخزف الحجري الصلب ، ويصب في كل منها قليل ماء ، ويدعكها بإبهامه بقطعة قماش ، ويضعها في صحن نحاسي يدعى (صينيه) . فإذا غلت القهوة المنكهة بالتوابل فرغ جزءاً منها في الإناء الرابع الأصغر المعروف بـ " دَلّه "[١١١٦] ، ويصب منه قطرات قليلة من القهوة ويهزها ليرى لونها ، ويرتشف منها رشفة متلمظًا ومتذوقًا القهوة

ليتبين طعمها ، وبعد أن يذوقها يأخذ بيده اليسرى ما بين أربعة فناجين وستة واضعًا الواحد منها في الآخر ، ويمسك مِقْبَضَ (الدلة) بيده اليمنى[118] ، ويصب من عَلٍ في الفناجين جدولاً من القهوة كخيط العنكبوت دقة ، وحالما يغطي قاع الفنجال يمده للضيف الأول ، فيأخذه هذا بيده اليمنى ، ويذوقه بطرف لسانه ، ويمص شفتيه ، ثم يشربه متريثًا . وليس من اللائق أن يشرب المرء كل ما في فنجانه من القهوة بجرعة واحدة . ويصب العبد في أثناء ذلك للآخرين ، فإذا فرغ الضيف من شرب ما في فنجانه صب له ثانية (يدير عالرجال) . وعلى الضيف ألا يقبل أن يصب له للمرة الرابعة بقوله (حاجه) ، وإن كان ما برح يرغب في المزيد . وعلى أي حال ، فإنّ لَهُ استئناف شرب القهوة بعد فاصِل غير طويل .

قصائد ذات صلة بالقهوة

كثيرون من الرولة ، رجالاً ونساء ، مغرمون بالقهوة ، ويصفون طريقة إعدادها وطعمها في قصائد عديدة . وقد ألف الأمير النوري بن شعلان قصيدة تلاها عَلَيَّ بنفسه كما يلي :

١. قم سو فنجال على الكيف ياعيد	بدلال يشدن البطوط الهداف
٢. احمس وزينها على كل ما اريد	واستدن ما يقعد من الناس غافي
٣. نجر على حسه يجون الملابيد	أهل السلام وقوكم والعوافي
٤. وبهارها تسعه من الهيل وتزيد	بالزعفران مروقه يا السنافي
٥. بصينية ثم ادرها للاجاويد	وعده عاللي يثني خلاف المقافي
٦. اللي يروي حربته بالمطاريد	لعيون من قرنه على المتن ضافي

٧. بنت الشيوخ مخضبين البواريـــــد حريبهم لوهـــــم بعيد يخـــــاف
٨. وان درهم الصابور ما من تِصادِيد كـــم حاكم خلوا عظامـــــه تلاف
٩. مركاضهم يشبع به النسر والذيب ويشبع به ضبعًا من الجوع هافـــي
١٠. واثني على اللي وان لفوا له معاويد ريف النشــامى والركاب الهجافى
١١. يضحك حجاجه لو لفوه الاجاويـد لايابعد خطــو الكذوب الهــلافـى

شرح القصيدة :

١) قم ياعـيـد فـاصنع فنجـان " بن "[١١٩] يكون لجـودته هو الفنجـان الذى يرضينا .. اصنعه بآنية قهوة (دلال) تشبه طير البط المحدودبة[١٢٠] .

٢) حمص القهوة .. ثم نقها من الشوائب والقشور الرقيقة كما أريد .. وخذ ذلك الذى يوقظ النائم من الناس .

٣) إنه هاون (نِجرِ) سيجلب صوته الرجال المستريحين في بيوتهم .. الذين من عادتهم قول : " السلام " وقَوّكُم " و " العوافي "[١٢١] .

٤) وليكن بهار القهوة[١٢٢] تسعًا من حب الهال (الهيل) ، أو أكثر من تسع .. ولتضف إليها ، أيها الفتى الكريم ، شيئًا من الزعفران .

٥) وضعها بعد ذلك في (صينية) ، ثم اصببها للرجال الأجواد .. اصببها للرجل الذى يكون ملاذاً للمستجير .

٦) الذى يروى حربته في الميدان من دماء أعدائه المطاردين ، وهو يصنع ذلك من أجل تلك التى قد صفت ظفائرها على متنها .

٧) ابنة الشيوخ الذى يخضبون أسلحتهم من دماء العدو .. وعدوهم ، وإن بعد ، لا يأمن جانبهم (اقترابهم) ! .

٨) وإن هب الركب المغيرون مسرعين لم يلتفت منهم أحد أو يتوان .. وكم من حاكم أتلفوا عظامه ! .

٩) إن الميدان الذى يقاتلون فيه أعداءهم يجد فيه النسر والذئب ما يشبعهما (أى من لحوم عدوهم) ، كما تجد فيه الضبع التى التى أضر بها الجوع ما يشبعها .

١٠) ثم صب مرة أخرى لمن إذا ألم به القوم العائدون من غزو ، القوم الذين هم كالخصبوالنبات للشباب والمطايا النحيلة الهزيلة ،يستبشر بمجيئهم[١٢٣] ...

ليكن بعض الرجال الكثيري الكذب القليلى النفع فداءً له ! .

البيت -١- : سو : (أو سوي ، سوي القهوة) تعنى : " اصنع القهوة " . للآنية التى تغلى به القهوة بطن بارز جداً في النصف الأسفل حيث تكاد تكون مستديرة .. ولأنها مسودة دائمًا فهى تشبه طير البط الوحشي السود التى تكون سمانًا ، عادة .

البيت -٢- : زينها : يكون ذلك بنفخ البن بعد تحميصه لتخليصه من القشور الرِّقاق .

البيت -٣- : يؤرّق صوت الهاون الهاجعين ، ويدعو الفارغين من العمل من كل صوب ليجتمعوا ويلقوا تحياتهم على غيرهم ويتلقوا التحيات .. وماذلك إلا لكى يحظوا بمحبة الحاضرين بأسرع ما يمكن .

البيت -٤- : تسحق تسع حبات من (الهال) معًا ، مع شيء من الزعفران ، وتمزج مع القهوة المُغْلاة . إن (الهيل) يضيف إلى القهوة مذاقًا مراً غريبًا ، ويجعلها الزعفران صفراء اللون . وإذا صفت القهوة صبت في فناجين جميلة .

السنافي : (هالرَّجَّال سنافي) تعنى : " هذا الرجل وسيم ، كامل " .

البيت -٥- : صينية : هو اسم الصحن المعدني المزخرف ، غير العميق الذى توضع عليه الفناجين . كانت أمثال هذا الصحن ، في الأصل ، تجلب من الصين ولذا عرفت بـ (صيني) .

عُدَّة ، بمعنى عُدَه (أو عُدْها)[١٢٤] . ومن يحمى المستجيرين ينال شرابًا

من القهوة إضافيًا " أَقْفَوا " تعنى " فروا ، رجعوا القهقرى " .
البيت -٦- : الطراد : الاسم الذى يطلق على القتال الفعلي .
تشجع الفتيات المحاربين بالكلمات والإيماءات في أثناء القتال الأخطر والأعنف ، فيندفعن على النوق مرسلات الشعر ، عاريات الصدور إلى حيث يكون الخطر أجَلّ ، ويهتفن لعشاقهن وأصدقائهن ، ويُذكِّرْنَهم بما جدن لهم به من وصل ، ويهددن باللجوء إلى العدو إن خاب ظنهن بقومهن .
البيت -٨- : " صابور " هم الركب الذين يصدون ، أثناء الغارة ، هجوم أرباب القطعان المستولى عليها .
البيت -٩- : " مِركَاضِهُم " تشير إلى عدو الخيالة من كمينهم لمهاجمة العدو الذى يكون مشتبكًا مع (الصابور) .
البيت -١٠- : يكون أكثر القهوة لصاحب البيت الذى يقوم باستضافة المحاربين العائدين من غارة : (مَعَاويد ، أو مَنَاكيف) ، ويشملهم بكرم أصيل لا تشوبه شائبة . لأنهم عند عودتهم سواء أكانت الغارة ناجحة أم لا ، سيكونون جميعًا جائعين .. الرجال والحيوانات أيضًا ، لأن كل غارة تستمر دائمًا أطول مما خطط لها[١٢٥] .
البيت -١١- : الكِذُوب الهْلافِي : عبارة تطلق على من يتظاهر بالفرح لسماعه بعض الأنباء ، وهو ، في الحقيقة ، يكاد يتميز من الغيظ . تقال في المضيف الذى يعانق الضيف ويقبله ، لكنه لا يقدم له ولا لِراحِلَته ما يكفيهما .

١. قم سو مايجمد على الصين ياذياب	بدلال يشـــدن البطوط المحـــاديب
٢. واحمس ليا من العرق فوقها ذاب	واستدن مايجـذب عليك الشراريب
٣. نجـر يلالي من الغثا دوم بحـزاب	يلعـي على دب الدهـــر والمواجيب
٤. ياتقل تَطْلَى كفة الصين بخضـــاب	ورس صبغ بشفوف بيض الرعابيب

٥. وصبه لمن قــاد النشامى للاجنــاب بمفرسه يشبع به النســـــر والذيــب
٦. واثنه على اللي لو لفى الزمل ضبضاب يرخص بعمـره عند زمل الرعابيـــب
٧. وجزه على اللى لو لفوا له على ركاب تلقــى ببيته مثل جـزر القصاصيب
٨. وباقى الملا اطبخ له الوفل لو شاب رصاصة المجلس حمير المشاعيب[١٢٦]
٩. اللى نهار الكـــون يفزع بمصـــلاب كبارين الانفس ساهجـين المواجيب[١٢٧]

شرح الأبيات :

١) قم يا ذياب فاصنع قهوة تتجمد على الفناجين (لجودة صنعها) .. فى (دلال) تشبه البط الحدب[١٢٨] .

٢) وحمصها إلى أن يسيل العرق على حباتها .. وأدن إليك ذلك الذى سيجلب إليك الشاربين (يعني الهاوَن) .

٣) إنه هاوَنٌ (نِجْر) يتلألأ .. وهو دائم الصياح والصراخ لما يلاقيه من الآلام .

٤) يا لها من قهوة قد صبغت حافة الفنجان بلونها ، فكأنه قد طلي بضخاب.. وإذا شربتها البيض الحسان فكان شفاههن قد صبغت بالورس[١٢٩] .

٥) واصببها لمن قاد الأبطال (في غارة) على الأجناب (فخاضوا) معركة يشبع فيها النسر والذئب (أى من القتلى) .

٦) واصببها ثانية لمن لو ألم بالإبل المحملة قتام (فرسان مغيرون) لجاد بنفسه في سبيل حماية إبل الفتيات الحسان .

٧) واصبب لمن لو حل به ركب لوجدوا في بيته من اللحم مثل ما في مجازرالقصابين.

٨) أما سائر القوم ممن هم يزدحمون في مجالس الآخرين ، وهم كالحمير لا يحركهمإلا العصي ، فاطبخ لهم ثفل القهوة ولو كان مبيض اللون لقدمه .

٩) ومنهم الذى إذا دعا داعي الوغى هبوا إليه بعصيهم (حرفيًا : بمصلاب ، أي بالعود الذى تحرك فيه النار) . ذوو النفوس المتغطرسة .. مهملو الواجبات .

ألف هذه القصيدة هايس بن مجلاد ، وتلاها عليّ الزنجي حمار أبو عواد .

البيت -١- : " مايجمد " تعنى " ذلك الذى يلتصق ، ويدع على الشيء الذى يلتصق به لونًا " . يفضل البدو القهوة التى تترك بقعًا صفراء قاتمة على الفناجين البيض . يسمى الوز البري (محاديب) لاحديداب ظهورها وسمنها .

البيت -٢- : ينتهى التحميص إذا اختفت القطرات الصغيرة التى تشبه العرق من حب القهوة .

البيت -٣- : يضحى داخل الهاون متلألئًا جداً لكثرة الاستعمال .. وكذلك البقعة في خارجه التى تضغطها رُكَبُ الشخص الذى يستعمله . يلعي : يصيح الهاون لأن ساحق القهوة يدقه من مختلف جوانبه ليزيل البن الذى يلتصق بها . " دب الدهر " ، تعنى : طوال الحياة .

البيت -٤- : كفة الصين : باطن فنجان الصين . ورس (أو كركب) : النبتة التى يصنع منها الصباغ الأصفر[١٣٠] . شفوف : فسرت لي بأنها الشفاه ، لكنها قد تعنى أيضًا مادة الثوب .

البيت -٥- : ينبغى أن يقدم الفنجان الأول للعقيد ، أي قائد الفرقة . مَفْرَس : المفرس البقعة التى صدت فيها خيل العدو حين أرادت تخليص القطعان المستولى عليها

البيت -٦- : ضبضاب : تطلق على المحاربين على الخيل[١٣١] . وإذا هاجم العدو قبيلة ظاعنة تصدى له (السَّلَف) ، وهو فرقة من الفرسان تحاول صدهم عن الأظعان أى الإبل التى تحمل بيوت الشعر ، وأثاث المنازل ، والإمدادات، والنساء والأطفال . فإن كان العدو أقوى عدداً فقد يكون مآل الفرقة التى تتصدى له

التشتت ، وفي هذه الحال سيصمد للدفاع عن إبل الأسر المختلفة الرجال المتميزون عن سواهم في الشجاعة .

البيت -٧- : إن لصاحب البيت الذى يقدم اللحم للمحاربين الساغبين ، إذا عادوا من غارة ، الحق في أكثر القهوة .

البيت -٨- : الوَفِل : القهوة التى غليت مرتين ، التى لاتترك بقعًا صفراء قاتمة على الصينى الأبيض ، بل تكاد تكون ورقاء اللون (شاب) . إن (الوفل) ينبغى أن يطبخ لبعض الملأ مِمّن يزدحمون في المجلس ، وبرغم علمهم بأنهم يحرمون الضيفان ذوي القدر الأكبر والمحاربين المتعبين من أماكنهم ، وأن رب البيت ينظر إليهم شزراً ، فإنهم على ذلك ، لا يبرحون البيت . وأخيراً يجب أن تستعمل لمعاملتهم العصي القصار (المِشَاعِيب) التى تستعمل لحث الحمير على السير أو طردها .

البيت -٩- : إذا دعا الصريخ المستنجد أخذ البدوي القُحُّ فى الحال خير أسلحته ، وهب لنجدة قومه المهاجمين (يِفْزَع) .. لكن النذل من أمثال من سبق وصفهم تواً سيتناول هراوة تتخذ لتحريك النار (مِصْلاب) ويَحْسَب أنه يرهب بها العدو !

ساهجين (أو تاركين) المواجيب : هم الذين لا يرعون واجباتهم تجاه أهلهم وقبيلتهم .. والمتكبرون المتغطرسون (كبارين الانفس) .

١. باح العَزَا ياديب قم دن الاوراق	قرطاس شامي صافي تقل غرنوق
٢. وهاتوا دواة الحبر وادنوا لنا ساق	عود اليراع بشذرة الموس مشلوق
٣. اكتب من الابيات ياديب مالاق	مادام قفل القلب ياديب مفهوق
٤. قيل كما الدبوا لياسيق وانساق	مع صحصح عانق شفا كل طاروق
٥. يا من لقلب كل ما التم الاشفاق	من عام الاول به دواكيك وخفوق

٦. يجاهد جنوس بيسواميح الاطـراق	وتكشفله أسرار كتمهن بصندوق

٧. اليا طرى لى طاري الاحباب واشتاق	ايضا ودك بخاطري طاري الشـوق

٨. دنيت له من صافي البن مـالاق	بالكف ناقيها عن العذف منسـوق

٩. احمس ثلاث يانديمي على سـاق	ريحه على جمر الغضا يفضحالسـوق

١٠. اياك والنيه وبالك والاحـــراق	اصحا تصير بلاهية الحمس مطفـوق

١١. اليا اصْفَـرّ لونه ثم بشت بالاعـراق	حمراكما الياقوت يطرب لها الموق

١٢. وعطت بريح فاخــر فاضح فـاق	العنـبر ريحه بالاســواق منشـوق

١٣. صبه بنجــر يسمعه كل مشتــاق	راعى الهوى يطرب ليادق بخفـوق

١٤. ولقم بدلة مولع كنها الســاق	شامية مربوبة تقـل غرنـوق

١٥. خلـه تفوح وراعى الكيف مشـتاق	وليا طفح به جوهــر صح له لـوق

١٦. أصغر قموره كالزمردج بالاشعـاق	وكبارهن الطافح على صافي الموق

١٧. وزله على وضحا بها خمسة أرنـاق	هيل ومسمار بالاسـباب مسحوق

١٨. وزعفران والشمطري اليا انســاق	ريحه مع العنبرعلى الطاق مطبـوق

١٩. اليا اختلط هذا بهذا بتيفـــاق	صبه كفاك العوق عن كل مخلـوق

٢٠. بفنجال صين تغتضي عنه الارنـاق	ياضــي بكرسي خذان المعشــــوق

٢١. ان انطلــق من حافته تقل شبـراق	او دم قلـــب وانمزع منه معلـــوق

٢٢. زيه على الفنجال يصـبر ليـا راق	اللى تصــور بالحمامه على الطوق

٢٣. وليا حصلماقلت عندى بالاشفـاق	غرو تمـــز شفاه والعنق مفهـــوق

٢٤. غرو يعيل بحبته كل مـا لاق	خَدّهْ ضحــاح البدر لويـان بشفـوق

٢٥. كن العــرق من وجنته حص ارنـاق	نثر على صفحات الاوراق مرشوق

٢٦. وليا ضحك من مبسمه بارق حـاق	عجل رفيف ورطه الغرق بطبــــوق

٢٧. يمشى بردف هالنى مدمج الســـاق	يفصـــل حجول هزه الثقل من فـوق

٢٨. والله لويمشي شقاق بالاســـــواق	منشـوفته ما يمطخ الخمس مخلوق

٢٩. مار اليا حصل لك صاحبك وانت مشتــاق — اقطف زهــر ما لاح والعمر ملحـوق

٣٠. من الصاحب اللى كل ماقيل بـواق — عيي يسقيني من الذبل الفـــــوق

٣١. وقلبي مع الدلال يجلب بالاســـواق — عامين عند صخيف الوصط موســـوق

٣٢. وصلاة ربى عدد [ما] بارق حــاق — على النبي الهاشمي خير مخلوق[١٣٢]

المعنى :

١) لقــد حل بى الشــجن يا أديب .. فــقم وأدن الأوراق .. ولتكن من الورق الشاميّ الأبيض الناصع كطائر (الغرنوق) .

٢) وهاتوا المحبرة .. وأدنوا لنا قلمًا قـد شقت قـصبـتـه من ساق البوص بحد الموُسَى .

٣) واكتب ، يا أديب ، من الأبيات ماكان لائقًا .. مادام قفل القلب مفتوحا.

٤) شعر (كلمة بعد كلمة) كالدبى حينما يساق فينساق فى صحراء جرداء ، فيلاقى طرف كل طريق .

٥) من لقلب يتــألم كل مــا بدا الشـــفق ؟! . وبه منذ عـــام أول أشـــجــان وخفقان[١٣٣] .

٦) وهو يستولي على بعض الأفكار بالتسامح السلمى ، وتكشف له أسراراً كتمها فظلت محفوظة كأن صندوقًا أقفل عليها .

٧) إذا عنت لى ذكرى الأحباب وهزنى الشوق إليهم .

٨) أدنيت له من البن الجيـد غـيـر المشـوب بأوشـاب مـايكفي . وقـد أخـذته بكفى ، ونقيته مما يشينه .

٩) حمص بنًا ثلاث مرات ، ياانديمى ، بـ (محـمـاس) لـه ساق .. رائحتـهـا ، وهى تحمص على جمر (الغضا) ، تتضوع في أرجاء السوق .

١٠) وإياك ان تكون قهوتك نيئة ! واحْذَرَنْ إحراقها ! واحذرن العَجَلة الشديدة

في تحميص البن !

١١) إذا اصفر لونها وتبللت بعرقها . وأمست حمراء كالياقوت تبتهج العين لمرآها .

١٢) وتضوعت منها ريحها الذكيَّة التى تفوق شذا العنبر الذى يشم بالأسواق .

١٣) فصبها بهاوَن (نِجْر) يسمعه العاشق فيطرب لصوته .

١٤) ثم صبها بـ (دلة) رشيقة كأنها ساق مكتنزةٌ .. (دلة) شامية قد جُلِيَت وبُيِّضَت بالرصاص فابيضت ، فكأنها (غرنوق) .

١٥) ثم دعها تغلي ، و (دع) صاحب (الكيف) ، و (من له خبرة وهوى في القهوة) يستمتع بها .. وإذا طفحت على سطحها الفقاعات الشبيهة بالجواهر فقد اكتمل جمالها .

١٦) إن أصغر فقاعاتها كزمرد في مقبض خنجر ، وأكبرها كَمُؤْقَةٍ غَرْقَى فى الدموع .

١٧) ثم اسْكُبْها في (دله) بيضاء بها خمسة أصناف من البهارات : هيل (هال) ، وقرنفل مسحوق .

١٨) وزعفران و (الشَّمَطْرِي)[١٣٤] . وستظل ريحها وقد مزجت بالعنبر في الحجرة المغلقة[١٣٥] .

١٩) فإذا امتزج هذا (البهار) بذاك امتزاجًا تامًا فَاسْكُبِ القهوة - لا عاقك عائق من أي مخلوق !

٢٠) (اسكبها) بفنجان صيني تنعكس فيه القطرات ، يضيء في صحن دائم الصحبة لعاشق القهوة .

٢١) إذا سال من حافة الفنجان فستظل هناك خطوط كأنها هُدَاب (شبراق) ، أو دم فؤادٍ انقطع أحد أوردته .

٢٢) وإذا ركد سيلتصق لونه بالفنجان ، مثل طوق الحمامه .

٢٣) إذا تحقق ماقلت فخير مايتمنى فتاة جميلة تمص شفتيها .. ولها عنق طويل[١٣٦] .

٢٤) فتاة جميلة تبدأ في تقبيل (حبيبها) كلما حانت فرصة .. خدها مشرق ناصع ، كضوء القمر إذا سطع في الشفق[١٣٧] .

٢٥) كأن نقط العرق على وجنتيها أصناف من الحص قد نثرت على الأوراق .

٢٦) وإذا ضحكت لُمِحَ برق يتلألأ من ثغرها ... برق خاطف يتبعه مطر غزير .

٢٧) لها ردف ضخم .. وساق قوية مستديرة .. وردفها من الضخامة بحيث يفصل الحجول التى أَضَرَّ بها الثقل الحال عليها من أعلى .

٢٨) والله لو سارت بالأسواق لما استطاع أحد وهو ينظر إليها أن يقبض أصابعه[١٣٨] .

٢٩) لكن إذا نلت حبيبك وأنت إليه مشتاق .. فاقطف زهرة الفرصة المواتية .. وسيدرك العمر الموت .

٣٠) يا أيها الصاحب الذى لايفي بوعده .. الذى أبى أن يسقيني من أسنانه الذابلة .

٣١) إن قلبى - مثل البضاعة المعروضة للبيع عند التاجر - فقد مكث عامين أسيراً لدى ذلك الحبيب الأهيف (صْخَيِّف الوَصْط) .

٣٢) وصلاة ربي عدد ما لمع برق على النبي الهاشمي خير مخلوق .

يعود شرف قول هذه القصيدة لمحمد القاضى ، الذي يقال إنه كان قاضيًا في مدينة عنيزه[١٣٩] ، وقد تلاها عليّ وفسرها جواد (العاني) كاتب الأمير النوري . وقصتها بسيطة ، فقد عشق الشاعر ، منذ عامين ، امرأة ذات جمال باهر ، لكن الشكوك عذبته خلال السنة الفائتة ، عن إخلاصها له ، ولئلا يحرم منها كان مستعداً لأن يصفح عنها الكثير عن طيب خاطر ، لكنه ظل يسمع في الأسواق مرةً تلو مرة غمزاً ولمزاً أثار حفيظته من جديد ، وأترع قلبه كمداً ، وفي

أثناء نوبة من هذا العذاب الوجداني طلب أن تعد له قهوة سوداء في داره بسوق عنيزة ، ثم أملى على كاتبه هذه القصيدة[١٤٠] .

البيت -١- : باح العزا (أو انكشف العزا) تعنى : " لقد استولت عليّ الكآبة - الحزن يبدو على المحيا أيضًا " . " الاديب " في لغة الشعر في منطقة القصيم التى منهـا عنيـزة ، هو الرجل الذى يقـرأ ويكتب . الشـامي : ورق يجلب من دمشق . إن علاقات عنيزة التجارية بسورية عامة ودمشق خاصة أنشط كثيراً من علاقاتها بالعراق وبغداد . وينبغى أن يعلم أن عنيزة هى مركز " عُقَيل " تجار الإبل[١٤١] ، الذين يبتاعونها في كل أنحاء بلاد العرب ، ويسوقونها عبر سورية إلى مصر فيبيعونها هنالك ، ويتوقفون ، في طريق عودتهم ، في دمشق حيث يبتاعون البضائع التى يحتاج إليها في بلاد العرب الداخلية ويعودون بها إلى وطنهم .

البيت -٢- : دواة الحبر : عقاقير يمزج بعضها مع بعض ، ومع الماء تكون حبراً ، و " محبرة " أيضا . وليس ثمة حبر سائل يباع في مدن بلاد العرب الداخلية . والمحبرة إناء صغير مصنوع إما من النحاس الأصفر أو الصفيح ، ويقفل بغطاء ملائم جداً .. توضع فيه قطعة صغيرة من القطن الخشن والوبر . وتغمس في الحبر المعد إلى أن تَتَشَرّبَهُ . يجلس الكاتب على عقبيه ، ويمسك الورقة بيده اليسرى ويكتب باليمنى ، ويكاد لا يفتر عن غمس قلمه في المحبرة . وهو يبري أقلامه بنفسه .. ويشترى بضع قصبات طوال ويقطع ، عند الحاجة ، قطعة يكون طولها نحو ما بين عشرة سنتيمترات إلى خمسة عشر ، ويقلمها بمدية حادة (موس) لتكون قلمًا ، ويشقها بظفر إبهامه .. وبذلك تكون أداة الكتابة (الساق) جاهزة .

" شذرا " وتلفظ أيضًا " شترا " تعنى " شفره " .

البيت -٣- : قفل مفهوق : قفل الباب في بلاد العرب الداخلية أشبه بمزلاج منه

بقفل . ويُعْمَل عادة من الخشب ، ويقفل ويفتح بمفتاح خشبي . ولا يوجد قفل الحديد ومفتاح الحديد إلا في الحوانيت التجارية والمخازن .

" مفهوق " تقال في الأقفال والمزالج - وفي الحلق أيضًا - قد جر إلى الخلف أو إلى الأمام .

البيت -٤- : " دبوا " الدبى ، ويكون من الكثرة ، أحيانًا ، بحيث يزحف في سلسلة طويلة حاثًا كل منه الآخر (سيق) ، بل وتركب الواحدة منه الأخرى (انساق) . صحصح : سهل يحيط به جال (الطرق) غير العالي ، لكن ذو الانحدار الشديد ، أو سلسلة تلال طِوَالٍ مسطحة . الشفا : قمة هذه السلسلة المسطحة . والصعود من السهل المنخفض إلى هذا السهل الأعلى عَسِرٌ . وجراد (الدبوى) يظهر في بعض الأحيان في أعداد هائلة بحيث يملأ مسافة ما بين السهلين السُّفْلِيّ والعُلْوِيّ .

البيت -٥- : التم (أو انجمع) : اجتمع . بالاشفاق : ذلك ماكان أحب إلى القلب وما يسره أكثر من أى شيء آخر - وهى ذكرى الحبيب[١٤٢] . لكن الشاعر قد عذبه الهم والقلق (الدواكيك) والخوف خلال السنة المنصرمة .

خفوق : انخفق ، خاف ، امتلأ جنانه فَرَقًا[١٤٣] .

البيت -٦- : الاطراق : مظاهر السلم أو الصداقة[١٤٤] . سواميح : سماح . صندوق : صندوق خشبي يخطط عادة بالصفيح . وهو في بلاد العرب الداخلية يقوم مقام خزانتنا المؤمنة ضد السطو . وهناك قد خبأ الشاعر أسراراً كِثَاراً غير سارة له ، وعلى الرغم من ذلك فإن القلب يعلم بها .

البيت -٨- : لِيَتَبَّدَد أسى الشاعر تناول قليلاً من حب البن من علبة خشبية ، والتقط بكفه الأوشاب التى مازجتها في السوق ، ثم أعطاها رفيقه (نديمه) . يعرض حب البن في الحوانيت بسلال مفتوحة تسقط فيها عادة قلوب لب التفاح والنوى والتوابل ونحوها . مثل هذه الأوشاب تدعى (عَذْف) وهى كلمة شعرية

يعبر بها عن القذارة .

البيت -٩- : لا أهم في إعداد القهوة من تحميصها ، فينبغى أن تبعد القهوة عن النار - وهى تحمص - ثلاث مرات .

ساق : ساق (المحماسه) الطويلة . وتكون هذه (المحماسة) صغيرة جداً في المدن ، لكن ساقها قوية ومزخرفة .

يجلس الشاعر في غرفة بداره ، وتحمص القهوة في الغرفة نفسها أمامه ، ويشعل حطب الغضا الذى إذا أشعل جاد بحرارة قوية تكاد تخلو من الدخان ، في موقد فخاري مربع يشبه حوضًا صغيراً ، وهذا الموقد إما أن يكون قابلاً للتحريك أو ثابتًا . وتظل النوافذ مفتوحة خلال التحميص ، لكى تخرج رائحة القهوة من الحجرة . ولأن منزل الشاعر يقع فى (السوق) ، فإنها تشم في الحوانيت المجاورة كلها .

وفي مدن بلاد العرب الداخلية يتكون السوق من زقاق ضيق .

البيت -١٨- : وإذا بدأ إغْلاءُ القهوة التى تم تحميصها وسحقها ، أغلق صاحب المنزل النوافذ لحفظ ريحها الذى له عليه ، كما للقهوة نفسها ، تأثير مسكن .

البيت -١٩- : تُسْكَبُ القهوة من أعلى . ولأن الفنجان غالبًا ماكان تحت (الدلة) بمسافة يصل طولها إلى المتر ، فلابد من توافر براعة فائقة لكيلا تنسكب قطرة من القهوة [خارج الفنجان]. لكن حتى أبرع الصبابين سيسكب قهوة [خارج الفنجان]إن اصْطُدِمَ به ، ومن هنا قال : " كفاك العوق " أى حماك الله من الإعاقة " - " كفاك الشر " أى " حماك الله من الشر " .

البيت -٢٠- : " أرناق " تعنى أى شيء يشبه حبة مستديرة مثل أصناف عدة من البهارات ، قطرات الماء .. إلخ . يستخدم الشاعر كلمة (كرسى) بدلاً من (صينيه) .

البيت -٢١- : تزداد القهوة - وهى ثقيلة بنفسها - ثقلاً بإضافة خمسة أصناف من البهارات المختلفة إليها ، كما هى العادة في مدن بلاد العرب الداخلية ، فتترك على الفنجان رُسَابة دقيقة يشبهها الشاعر بالهداب (شبراق) ، وبدم قلب قد مزع منه شريانه (معلوق) .

البيت -٢٣- : فإذا شرب القهوة الثقيلة حن من جديد إلى حبيبه (غِرُو) .

البيت -٢٤- : " شعوق "[١٤٥] و " أشعاق " (البيت ١٦) تعنى : مقبض سيف أو خنجر مزخرف كثيراً بالذهب والأحجار الكريمة . ثمة في المدن الكبيرة في بلاد العرب الداخلية مهنيون مجيدون لفنهم تمامًا ، يصنعون مثل هذه المقابض عند الطلب ، وغالبًا ماتكون ذات جمال عجيب .

البيت -٢٦- : إن المحبوبة تضحك لحظة ، وتبكى اللحظة التالية ، فإذا ابتسمت برقت أسنانها . حَاقْ : هو اسم لمعان البرق السريع .

البيت -٢٧- : جلد ساقها حسن الالتفاف وقوي .

البيت -٢٨- ساكن المدينة في بلاد العرب الداخلية يمد يديه إذا عجب من شيء .

البيت -٣٠- : لم يدر جواد أيقول : مِنّ ، أو مِنْ . ولم يستطع أن يبين معنى الكلمة في هذا السياق . ذُبَّل : تعنى " الأسنان " من فوق : في الصف الأعلى .

البيت -٣١- : لقد تحرك قلب الشاعر ، كما لو حمله (المحَرِّج) ذلك الرجل الذى يصيح داعيًا الناس إلى شراء بضاعته في الأسواق ، ليعرضه للبيع .

موسوق : لها نفس معنى (مأخوذ) أى مسجون أو مأسور .

الكاتب (جواد) يعرف لهجة الرولة جيداً ويلتزم بتلفظها .

الفصل السادس

اللباس والسلاح

* الذقون والشعر والوشم والأحزمة *

يعتنى الرولة كثيراً بالجسم[5] ، ولاسيما بشعرهم ولحاهم ، ولايكاد يكون بينهم من لا يجيد الحلاقة وقص الشعر ، ويقدم كل منهم هذه الخدمة للآخر لأنه ليس لديهم مرايا يحلقون أمامها . فيجلس الرويلي بعد أن يدعو صاحبه قائلاً : حَسِّنّي (أو زَيِّنِّي ، أو احلقني) على عقبيه ، وينتظر صابراً إلى أن يعد صاحبه صابونته ومُوسَاهُ ومقصه ، فإن كان يود أن يحلق الشعر النامي تحت ذقنه وعلى حلقه (الجرجور) قال : " جَرْجِرْني " . فإن رغب في أن يحلق قفا رأسه إلى أذنيه (صَورِه) قال : (صَوِّرْني) ، وإلا فان الحلاق سيحلق شعر قفا رأسه والشعر الذى تحت الذقن ، ويقص لحيته القصيرة (لحيه أو دقنه) ، وعنفقته (عَدَسِه) ، ويحلق عارضيه (عوارض) ، ويقص شاربه (شوارب) مقصراً طرفيه (سُبَق) ، ويمشط الشعر على الجبهة ، ويقصره (قُصَّه) في الوقت نفسه .

إن الأشخاص ، ولا سيما من يعتنون بمظاهرهم ، يُضَفِّرون شعرهم الأمامي ليضحي ضفيرتين أو أربع ضفائر (قْرُون) أو ستًا ، بل قد يبلغ الثماني . ومْن يضفّر شعره على هذا النحو ، ويتأنق في زيه (ولد يَنْصُب) يدعى (جاهل) ، أما الرجال الذين لا ضفائر لهم فيتولى الحلاق حلاقة شعرهم (شُوشَه) . فإذا فرغ من عمله حيى الحليق قائلاً : (اِسْلَمْ واغنم البل !) أى (لتسلم ولتغنم الإبل !) ، والإجابة : (آجرك الله) . فيضيف الحلاق (سامَحْك الله) .

ويكاد يكون الحلاق العام دائمًا بدويًا حراً ، ويحلق من أجل كلمة طيبة لا لِقاءَ أجرٍ مادِّيٍّ ، ولذا يجب أن يشكر ، لأنه لا أسوأ عند البدوي من إساءة الأدب أو نكران الجميل ، ولذا قيل : (تَعَب الحُرّ مُرّ) .

والغدائر الطوال مبعث زهو للبدويّ الغِرّ الذى يختال بها اختيالاً طفْليًا ، وغالبًا ما ألحقت به فادح الضرر (توردِه موارد الهلاك) ، فلو طُورِدَ لأمْكَنَ إمساكه بيسر إن أمسك العدو ضفائره ، لأنه لن يكون عاجزاً عن الفرار وحسب ، بل يتمكن أعداؤه مِنْ أن يوثقوا يديه خلف عنقه بشعره هو . وإضافة لذلك يربطون ضفيرة أو ضفيرتين حول ساقه فوق الكاحل .. ولذا قيل : (رَاسَكْ عْرَاصَكْ) . وقد قال لى صاحبى مِنْديل القَطْعِي إن أناسًا من عشيرة التُّومان التابعة لقبيلة شمر قبضوا عليه ذات مرة ، وكان قد حاول سلب بعير لهم ، فشدوا وثاقه بضفائره . ولما أطلقوا سراحه في اليوم التالي قصوها ، ومذ ذلك الحين ومنديل يبقي شعره قصيراً (شُوشَه) .

وإذا قبض بدوي على لص ، سواء أكان (اللص) على قدميه (حايف) ، أم راكبًا (مغير) ، من قبيلة معادية له (قوماني) قص قطعة من ضفيرته ، قارنًا عمله هذا بقوله (أنا معتقك للّه)[١٤٦] . ويضيف (إن قَضَبْتَكْ لا قُصّ لَحيتَكْ) أي : " لئن أمسكت بك (أي مرة أخرى) لأقُصَّنَّ لحيتك " .

إن قَصّ لحية المرء ، حسب الفكرة الشعبية ، لَكَقَطْعِ رأسه ، (لا اقطع راسك) ، إنه لأيسر كثيراً أن يعفو أهل القتيل عن قاتله من أن يصالح أهل البدوي المقصوصة لحيته من قصها : ذهب سابل النّصيرى الرويلي ، مرة إلى قبيلة بني صخر باحثًا عن ناقتيه اللتين كانتا قد سلبتا منه (نَقيصَهْ) ، وقد حَمَلَ معه خطاب توصية لشيخهم من الأمير سطام ، وقد طلب الأمير سطام في خطابه من الشيخ أن يعيد لسابل ناقتيه ، أو أن يضمن حصوله على تعويض (يِدُّون عليك) . ولما يمض أَمَدٌ طويل بعد رحيل سابل حتى قاد سطام محاربيه

الشبانفي غارة على الفدعان . ولقد لقي سابلاً في وادي السرحان وسأله : (أين ناقتاك ؟)

- " لم أجدهما " .
- " لِمَ لَمْ يوسما بسمة عشيرتك ؟ ما قال لك الشيخ ؟ " .
- " قبض عليَّ (الصخور) وهم يرعون إبلهم ، وأوثقونى بضفائرى ، ووسموا على فخذي اليمني سمة الصخور ، وقصوا غدائرى ونصف لحيتي ، وطردوني قائلين : " أرِ أهلك ما نلت عوض ناقتيك ! " . وما أن رأى سطام سمة الصخور حتى صاح : " يْشُوف اللّهْ لِنا ولِهُم ! على بِنِي صَخَرْ ! " أى " ليقض الله بيننا وبينهم ، [فَلْنُغِرْ]على بنى صخر ! " . ثم هاجم الرولة قطين بني صخر ، وأسروا أكثر من مائة رجل ، وقصوا لحاهم بالسيوف والخناجر ، ووسموا سمة الرولة على خد كل رجل وأذنه ، وذهبوا بقطعانهم برمتها ![١٤٧] .

ويحلق كثير من الرجال الكبار الرأس كله ، ويسمى (الواحد) من هؤلاء (أصلع) ، أما من هم صلع طبيعة فيدعى أحدهم (أقرع) .

وتعتنى الفتاة بشعرها اعتناءً بالغًا ، فهى تنتظر وقوف الناقة في الصباح فتتلقَّى بولها بِوعاءٍ صغير ، وتغسل شعرها به (تِبَوَّلَتْ) . إن بول البعير يقضى على الصئبان ، وينعش فروة الرأس ، ويزيل الحكة ، ويضفى على الشعر لمعانًا متميزاً . ثم تتناول الفتاة مشطًا خشبيًا ذا أسنان خشنة على كلا جانبيه ، وتمشط شعرها (تمشطت) وتجدله (تِلِمّ رَاسَهْ) . أما الشعر الذى فوق الجبين ، فهى عادة لا تجدله ، بل تقصه وحسب لكى ينساب إلى أسفل (قُصَّهْ) . لكنها تعقص باقي الشعر الذى على أعلى رأسها ، وفوق أذنيها ، ليكون ضفائر (ذَوَايِبْ) ، وتصنع ضفيرتين صغيرتين (عَكْصَهْ) من شعر مؤخر الرأس ، وفي طرف كل ضفيرة عقدة صغيرة قد ربطت بشريط صغير . ولا تلف الضفائر حول الرأس ولا تطوى . ويُسَمَّى الشعر الطويل غير المجدول (شعر) ، والمجدول

يعرف بـ (قِذَايِلْ أو قرون) ، والشعر المقصوص فوق الجبهة (قصة - ناصية ، أو جبهه) ، والضفائر : قذْله ، عُرْف ، أو قرون ، والشعر القصير : حَوَافْ ، بِركِمْ ، قَعْقُوله ، رَاسْ ، أو شُوشِهْ .

إن الشعر الطويل والضفائر المسترسلة زينة المرأة الأساسية . ويتمنى كل شاب أن يتزوج فتاة أو امرأة قد تحلت بتلك الزينة . أما الرجال الكبار فلا يعيرون بالاً للشعر الطويل ، وينصحون الشبان : (تْلَهَّى بُامّ شُوشِهْ لْيَامَا تِجِيك الْمَنْقُوشِهِ) أي : (تسل بالمرأة ذات الشعر القصير ، إذا لم تسطع الحصول على المرأة التى قد حلي شعرها بقطع النقود)[١٤٨] .

والنساء كلهن تقريبًا قد وشمت شفاههن وخدودهن وأنوفهن وجباههن وصدورهن وما حول صدورهن وبطونهن[١٤٩] . ويتولى الوشم دائمًا امرأة غجرية (نَوَرِيِّه) ، فتنقش ، في بادى الأمر ، أشكالاً معينة في الجلد ، ثم تغطس الإبرة في النِّيله ، وتنقل هذا الصبغ إلى الثقوب . وبعد هذه العملية تلف هذا الجزء من الجسم بِلُفَافَةٍ ، ولا تنزع اللفائف مالم يمض اليوم السابع حين تغسل البقع ، وهكذا تظهر الصور (دق الوشام) . ويفترض عمومًا أن تعزز الدوائر والمثلثات جمال الفتاة (من شان الظرافه) .

ويرتدى الرجال والنساء على أجسادهم العارية نطاقًا دقيقًا مجدولاً من خمسة أنسعة من جلد الغزال ، ويدعى ما يرتديه الرجال من هذا الضرب (حقو) أو (سبته) ، وما ترتديه النساء (بريم) أو (غْصَينِي) . ويدعى الأشخاص الذين لا يلبسون هذا الحزام " مَعْو " أو " أسْلَت " ، ويبتاع الرولة (الحقو) من الصليب عادة بربع مجيدية (٢٢,٥ سنتًا) .

أكسية الرجال

يتألف اللباس الأساسى للرجال من قميص أبيض (ثوب) يصل إلى العقبين ،

له أكمام عِرَاضٌ تنتهى عند المعصم بحاشية طولها أكثر من المتر (ثوب مُرْوَدَن). ويَعْقِدُ الرجل ، وهو يمشى أو يعمل ، الأكمام خلف عنقه ، وإذا كان راكبًا تركها تتدلى دون عَقْدٍ ، والقميص مفتوح عند الصدر (جيب) لِيُزَرَّ من أسفل الحلق بزرٍّ أو حُبَيْلٍ قد خيط للقميص ، وليس للثوب ياقة ، لكنه يزين أحيانًا بتطريز أزرق أو أحمر أو أسود حول العنق وعلى الصدر .

ويرتدى الرويلي الموسر فوق الثوب لباسًا يدعى (زِبُون) ، - الجمع زِبْنات - وهو منسوج من مادة خفيفة ، ولا يكون أبداً من القماش . وهذا يشبه قميصنا[150] إلا أنه يصل إلى الكاحِلَيْن ، ولا ياقة له ، وهو مفتوح من الأمام من أعلاه إلى أسفله ، وله أكمام عراض تتجاوز اليد ، متدلية بنحو عشرة سنتيمترات ، تُشَقُّ من أطرافها لتكون مفتوحة بطول نحو خمسة عشر سنتيمتراً ، وتُبَطَّنُ بقماش أحمر داكن إلى المقدار نفسه ، ثم تثنى إلى الخلف (قَلابه) ، لكي تظهر البطانة . ويجعل لطرفي الكمين وشقيهما والحافة المحيطة بالرقبة التى على الصدر حاشية من خيط ملون (خرج) ينتهى تحت الذقن بخيطين صغيرين (قْرَان) ، ويثنى ذيل القماش إلى أعلاه بحيث يكون عرض المثني منه نحو أصبعين (قِيطَان) ، ويخاط على الصدر ، وعند وركي الزبون (كذا) جيبان داخليان (مَخْبَا ، والجمع مَخَابِي) .

ويسمى(الزبون) المصنوع من الكتان الأبيض غير المبطن : " صايه " ، والمنسوج من الكتان الأبيض والمبطن : " زبون بيضا " ، وإن كان من الحرير غير الخالص الأسود ، وله أشرطة صفر دعي " ميداني " ، وإن كان من الحرير الخالص وله أشرطة مرقشة دعي (أنمر) ، وإن كان من القطن وله أشرطة مرقشه دعي " ديمه " . ويشد كل من الثوب و " الزبون " إلى البدن بحزام من جلدٍ أو من صوف عرضه نحو عرض اليد .

ويغطى الرجل رأسه بقبعة مستديرة تنسج من الصوف الخشن أو وبر الإبل

(طاقيـة) ، ويضع عليـهـا غـتـرة (منديل) طولهـا نحـو ٢ . ١ من المتـر ، وعرضهـا ١٥ . ١ من المتر ، يطويهـا أولاً على شكل مثلث ، ثم يلقى حاشيـتهـا الوسطى (ذيلهـا) على كتـفيـه ، وينظم الحـواشي الخارجيـة (الرجلين) بيـديه اليمنى واليسرى كلتيـهمـا ليـتسـاوى طولها ، ثم يجر الغتـرة على وسط جبينه . ويرتدى الرويلى ، غـالبًا ، غـتـراً من قطن ذات لون قـاتم نوعًا مـا (منديل) ، ونادراً غتراً بِيضًا بياضًا خالصًا (قَضَاضَه) .

ويدعى (المنديل) المنسوج من خيـوط حمر وسود (شَمَّرِيّه) ، و (المنديل) الأسود المشوب بحمرة (هنديه) ، والمنديـل ذو النقط المرقشة (ستـامبوليـه) ، والمنديل ذو الأشرطة الصفر أو ذات اللون الأحمر الوردى (حمصى) ، والمنديل الأزرق أو الأحـمـر ذو المربعـات (شـمـاغ) . و (القـضـاضـة) ، أى المنديل الأبيض ذو الطرف الأحمـر أو الأزرق والأهداب القـصيـرة ، تدعى (حـاشيـه) ، ويدعى المنديل الحريري " مـقرونه " . وإن كـان قـد نسج مع خيـوط فضـيـة عـرف بـ " مْقَصَّبَه " . وأكـثـرها رواجًا الزرقـاء الداكنة المقـرونة أو البنفـسـجيـة المشـوبة بحـمرة ، أما المقرونة البـيضـاء بياضًا خالصًا فـيـرتديها الشيخ وحده ، وذلك في المناسبات الاحتـفـالية دون غـيرها . وحـالما تـتسخ يهبها الشيـخ زنجيًا . ولا يُشَدّ المنديل بـالرأس ، بل يُشَدُّ بحـبـل من الصـوف أو وبر الإبل سـمكه نحـو بوصـة واحـدة، ويثنى مـرتين حـول الجبـهـة والجـمـجـمـة (عـصابه) ، وتجعل الحـاشيـتـان متـقـاطعـتين تحت الذقـن ، وتُجَرَّانِ تحت العـصـابة لتـبـرزا فـوق الجـبين كـقـرنين صغيرتين . والرجل الذى تكون حـاشيـتـا المنديل (الرجلين) قـد تقـاطعـتـا تحت ذقنه يقال له " متلثم " . وإن كان لا يريد أن يُعْرَف جرهما (ببسـاطة) إلى أعلا فـوق ذقنه ، بل وأنفـه ، فـلا يبدو إلا عـيناه . وأى إنسـان يقـابل رجلاً قـد تـنكر على هذا النحو يصيح به " فِكّ اللُّثْمَه حَتّى اَعْرِفْك " = أمط اللثام كى أعرفك .

وأهم جـزء من لبـاس الرجل عـبـاءته (عـبـا) ، وتتـألف من قطعـتين كل

منهما ٢.٥ من المتر طولاً و ٦٠ سنتيمتراً عرضًا ، وتخاط هَتَانِ القطعتان معًا من جوانبهما الطِّوال ، وتثنى الأطراف الضيقة ، وتخاط معًا أطرافُهما العليا أيضًا ، وتشق في المثنيين العلويين اللذين يكون عرضهماقرابة الستين سنتيمتراً فتحات يكون طولها نحو الخمسين سنتيمتراً ، وعندئذ تلقى العباءة في الغالب حول العنق ، وعلى الصدر ، أو يضاف شريط منسوج من خيوط صفر أو ذهبية .

وتدعى العباءة ذات اللون الأورق الخفيف المشرب بصفرة (بشت) ، وذات اللون الأورق الخفيف المصنوعة من الصوف الناعم (خاكيه) ، وذات اللون الأورق الخفيف التى نصف نسيجها قطن (لوميه) ، والعباءة المتوسطة الوزن التى بها أشرطة بيض وَوُرْقٌ قاتمة طويلة ، وعرضها نحو عشرة سنتيمترات (مْبَدَّحَه) ، والعباءة التى تكون من اللون نفسه ، ولكنها منسوجة من الصوف الجيد " رحيباويه " ، والعباءة المنسوجة من الصوف الجيد ، ولها أشرطة حمر وبيض " سعدونيه " ، والعباءة الصوفية الجيدة ، التى لها أشرطة بيض وبنية قاتمة ، وقد زخرفت عند العنق وفوق الكتفين ، " حساويه " . وتدعى العباءة المنسوجة من الصوف الجيد أو الوبر التى لا أشرطة لها ، ويكون لونها غير مزخرف (أسود أو بني عادة) مشرب بلون قرنفلى " مَزْوِي " .

وينسج سكان واحة الجوف عباءات من النوعيات المسماة " بشت " و " مزوي " (الآنفة الذكر) . ويرتدى الرويلي في الشتاء معطفًا من جلد الغنم (فروة) عوض العباءة ، فإن كانت لا تغطى سوى الصدر دعيت (ابطيه) . و (الحراثيه) معطف من جلد الغنم ذي الصوف الأبيض ، مصبوغ بالحناء ، غير مبطن ويصل إلى البطن . و (الخياليه) من المادة نفسها ، لكنه مبطن بالقماش (مقببه) وغير مصبوغ ، و (البقدليه) تغطى الوركين أيضًا ، ولها أكمام تتدلى خمسين سنتيمتراً تحت اليدين ، وتُفَصَّل من الجلود الجيدة ، وتكون عادة سوداء اللون ، ومبطنة ببطانة من القماش الأزرق الداكن ، ولها أيضًا مشابك

تحت العنق وعلى الصدر .

وفي الطقس الدافىء إما أن يسير الرويلى حافي القدمين مفضلاً ذلك على سواه ، أو يربط حول عقبه وإبهام قدمه نعلاً مقطوعة من جلد البعير غير المدبوغ (نعل) . ويلبس الرعاة حذاءً سفليًا من الجلد الخشن (زربول) ذا باطن ثخين (نعل أو حذوه) ، وظاهر قاس (حَوْرَهْ) ، وعقبًا خفيضًا وعريضًا (عَقْبِيّه) ، ومشابك (بْزِيم) لشد الحذاء وتضييقه . ويلف الرولة على القدم خرقًا (حَشْوَه) والجمع حَشَاوِي . ويشتري شيوخ العشائر الشبان أحذية (صُرْمَايَه) من النوع الذى يلبس في المدن . ويرتدى الراكبون أخفافًا من الجلد الأحمر الناعم (قَزْمِهْ أو جَزْمه) ، لها أعقاب حديدية سِمَاكٌ مصنوعة من صفائح الحديد المطوية (حَذُو). وأحسنها جميعًا (الجزمة الحلبية) ، وأزهدها ثمنًا ضرب يدعى (نسوانيه) ويكون عادة أصفر اللون ، و (القزمة) التى تصل إلى الركبتين تدعى (رَبَّاطِيّه) .

ويبتاع ميسورو الحال معطفًا قصيراً ليس عديم الشبه بـ (صديريتنا)[١٥١] ، ويُغْزَل من قماش رقيق متعدد الألوان ، إما مبطن (دِرْفِيل) ، أو غير مبطن (نُصِّيَّهْ) .

والمصروف السنوى للباس رجل من عامة الرولة هو :

حقو (حزام للبطن)	$\frac{1}{4}$	مجيدية (٢٢$\frac{1}{2}$ و ٠	من الدولار)
ثوب	١	مجيدية (٩٠ و ٠	من الدولار)
زبون (ثوب خارجي)	١	مجيدية (٩٠ و ٠	من الدولار)
محزم (حزام خارجي)	$\frac{1}{4}$	مجيدية (٢٢$\frac{1}{2}$ و ٠	من الدولار)
طاقية	$\frac{1}{4}$	مجيدية (٢٢$\frac{1}{2}$ و ٠	من الدولار)

منديل	$\frac{1}{4}$	مجيدية	(٢٢$\frac{1}{2}$,٠ من الدولار)
عصابة	$\frac{1}{4}$	مجيدية	(٢٢$\frac{1}{2}$,٠ من الدولار)
عبا	٣	مجيديات	(٢,٧٠ من الدولار)
فروة	٣	مجيديات	(٢,٧٠ من الدولار)
زربول (حذاء)	١	مجيدية	(٠,٩٠ من الدولار)
المجمـــــــوع	١٠$\frac{1}{4}$	مجيديات	(٩,٢٢$\frac{1}{2}$ من الدولار)

وبالإضافة إلى هذا يخسر لشراء معطفه القصير المفَصّل من الفراء (أبْطِيّه) من مجيدية ونصف إلى مجيديتين (١,٣٥ - ١,٨٠ من الدولار)، و $\frac{1}{4}$ مجيدية (٢٢$\frac{1}{2}$ سنت) لشـــراء منديله الأبيض (القَضَاضَه) ، و $\frac{1}{2}$ مجيدية لمعطفه القصير (نُصّيِّه) .

ويرتدى الرويلي شتاءً كل ما لديه من لباس مُوقنًا أنه إن لم يفعل ذلك فلن يدفأ أبداً . ويقول المثل : (اللّي ما يْثَقِّلْ ما يْنَقِّلْ) ، أى " الذى لا يثقل على المرء من اللباس لا يتيح له من الدفء ما يمكنه من التنقل "[١٥٢] .

أكسية النساء

ترتدى المرأة قميصًا أو لباسًا أزرق قاتمًا (ثوب أسود) ذا أكمام عراض لها حواش طوال ، ويكون أطول من لابسته بمتر واحد . وتتولى كل امرأة تقريبًا خياطته بنفسها . ويستنفد القميص قطعتين (بيرمتين) من نسيج القطن كل منهما

ثمانية أذرع (ستة أمتار) ، ويسمى القماش الاعتيادى (مَسْتِيكا) ، والنوع الأجود (أبو رُوَيشَه) . ويخلو ثوب المرأة من أية زخارف . ويلصقه بالبدن حزام عريض منسوج من القطن الأحمر أو الأسود أو الخيوط الصوفية ، ويدعى (شويحي) . وتزم المرأة ثوبها الطويل من الأمام تحت الحزام لتظل قدماها غير معوقتين ، جاعلة الثوب نوعًا من التنورات (حثول) ، وتلف رأسها بمنديل كبير أسود (مقرونه) . وهى تطوي هذا المنديل مع وسطه ليكون على شكل مثلث ، وتلقيه على رأسها ، وهى ممسكة بالحاشية اليسرى إلى خدها الأيسر على نحو يجعل الحاشية الوسطى تقع على ظهرها ، ثم تضع طرف الحاشية اليمنى تحت ذقنها وتغطى بها الحاشية اليسرى التى على الخد الأيسر ، وتلفه على رأسها وجبينها . وقد تستعمل عوض المنديل الاعتيادى عصابة من قماش ناعم مثل تلك العصابة التى تسمى (سفعه) أو (مرعز) أو (قريشه) معمولة من قماش منسوج نسجًا على قدرٍ من الرخاوة بحيث يمكن مده كما لو كان نسيجًا محبوكًا (كروشيه) . وتدعى العصابة المصنوعة من هذه المواد الناعمة (شطْفَه) .

وعباءة المرأة كعباءة الرجل بيد أن ليس لها أية أشرطة طِوال ، وأنها تكون إما سوداء أو بنية داكنه (مزوي) .

وتلبس المرأة الرويلية الثّرية معطفًا قصيراً من قماش أزرق له أكمام ضيقة مثنية إلى الباطن ، ويدعى هذا المعطف (جبِّه) . ويعرف القماش الجيد تجاريًا بـ (جوخ ماهود) ، والقماش الاعتيادي بـ (جوخ خفيف) .

و (المزاوي) ثوب ترتديه النساء الثريات فوق لباسهن ، له أكمام ضيقة ، ويغطى الذراعين حتى المعصمين .

وتسير كل امرأة رويلية تقريبًا حافية القدمين ، لكن النساء جميعًا يقتنين بعض الحلي . وهن يرتدين حول الرقبة (مَخْنَقَه) وهى عقد من المرجان الأحمر ، كما يرتدين على النحر (قلادة) من اللؤلؤ الزجاجي ، وعلى المرفقين معضدين

زجاجيين أسودين صغيرين (معاضد) ، وعلى المعصم حليتين شبيهتين بالمعضدين (سْبَتْ) ، ويرتدين فوق الكاحلين خلخالين صغيرين من الزجاج أو النحاس الأصفر (حجول) ، وبالأذنين قرطين من النحاس الأصفر (طُرْقيِّه) ، وفي الأصابع خواتم (فتاخ) ، وفي المنخر الأيمن أحيانًا (زمام) من النحاس الأصفر . والنساء يتعلقن تعلقًا شديداً بهذه الحلى ذات الأثمان الزهيدة فيدخرن وبر الإبل مدة طويلة ، وغالبًا ما اختلسن الحبوب لكي يتمكن من شرائها(١٥٣) .

والنساء الثريات يلففن رؤوسهن (يتلفعن) بغطاء يسمى (شُمْبَر) ، وهو شال عرضه ٤٢ سنتيمتراً ، وطوله ٢ . ٣ من المتر ، ويصبغنه بالسواد ، تاركات نحو ستة سنتيمترات وحسب لتكوّن أشرطة حمراً في الطرفين ، ثم يقصصن الشال طولاً حتى وسطه ، ويخطن القسمين معًا على نحو يؤدي إلى تشكيل غطاء عرضه ٤٨ سنتيمتراً وطوله ٦ . ١ من المتر . فإذا رغبن في لف رؤوسهن بهذا الشال (يتلفعن به) عمدن إلى وضع حاشية من حواشيه على كتفهن اليسرى ، ويمددن الشال على الرأس ، ويلقين الحاشية الأخرى من اليمين تحت الذقن ، ويغطين بها الحاشية التى على الكتف اليسرى ، ثم يربطن الشال بمنديل مطوي بالجبهة والرأس ، ويجذبن كلتا الحاشيتين على الظهر ، ويرفعن الشال من أمام إلى أن يغطي الذقن . وتميل الفتيات الصغار إلى ارتداء كل من (المقرونة) أى المنديل الكبير ، و (الشمبر) . وتتدلى حاشيتا (المقرونة) على الصدر ، في حين يكون (الشمبر) قد وضع متقاطعًا تحت الذقن . وإن لم يك لدى الفتاة الشغوف باللباس (بِنْتْ غَوْيَانه) خلا (مقرونه) واحدة فقط ، فلن تدعها تنسدل قليلاً إلى أسفل ، لأنه يمكن عندئذ رؤية ضفائرها على نحو يبرز جمالها .

وتحب كل أنثى خضب راحتيها وأظافرها ، وإن كانت شيخة فشعرها أيضًا ، بالحناء الأصفر (كذا) إما من الصنف المصري ، أو من ضرب يؤتى به من مكه (مكاوية) ؛ والأخير أجود .

ويحب الفتيان والفتيات صبغ أجفانهم بالكحل مستعملين ميلاً صغيراً حاداً (مِروَد) في هذه العملية . فَيَبُلُّون (المرود) بالماء بَلاً خفيفًا ، ويَمَسُّون به الكحل المحفوظ بصنيديق صغير جداً من الصفيح (مكحله) ، ثم يفركون اللون على حافة الأجفان ، معتقدين أن الاكتحال يقوى النظر . ولذلك فإن كثيرين (يفركون) الكحل حتى على عدسة المنظار المقرب مقتنعين اقتناعًا لا يرقى إليه الشك ، بأن الآلة تتيح ، حينئذ ، رؤية أفضل .

أثمان لباس النساء :

بريم (حزام للبدن)	١/٤ مجيدية	(٠,٢٢½ من الدولار)
ثوب	مجيديتان	(١,٨٠ من الدولار)
شويحي (حزام)	١/٤ مجيدية	(٠,٢٢½ من الدولار)
مقرونه	مجيديتان	(١,٨٠ من الدولار)
شطفه	١/٤ مجيدية	(٠,٢٢½ من الدولار)
جبه	مجيديتان	(١,٨٠ من الدولار)
مزوي	٣ مجيديات	(٢,٧٠ من الدولار)
مَخْنَقه (عقد من المرجان)	٤ قروش	(٠,١٨ من الدولار)
قلادة	٤ قروش	(٠,١٨ من الدولار)
معاضد	٤ قروش	(٠,١٨ من الدولار)
فتخه (خاتم)	٤ قروش	(٠,١٨ من الدولار)
زمام	١/٤ مجيدية	(٠,٢٢½ من الدولار)
المجموع	١٠ مجيديات و ١٦ قرشًا	(٩,٧٢ من الدولار)

الباعة المتجولون

* العناية بالمظهر الشخصي *

الأطفال - العِصِيّ

يبتاع الرولة كل ما يحتاجون إليه من الحلي وأدوات الزينة إما من التجار الذين يلمون بهم حين يخيمون في المناطق المأهولة في شهرى يوليه وأغسطس ، أو من الباعة المتجولين الذين يرافقونهم طوال السنة فيذهبون معهم حتى إلى البراري الداخلية . ويسمى البائع المتجول إما (رحيباوي) أو (كبيسي) : الرحيباوي نسبة إلى مدينة (الرحبه) القديمة ، والكبيسي نسبة إلى موطنه مدينة (الكبيسه) الصغيرة . وقد أمست كلمتا (رحيباوي) و (كبيسي) تعنيان أي بائع متجول يبيع المنسوجات والبضائع العامة ، حتى إنهما لتطلقان الآن على تجار من المعروف أنهم من أماكن أخر . فالبائع المتجول القادم من بغداد يدعى (ريحيباوي بغدادي) أو (كبيسي بغدادى). وإذا زار شاب شديد الولع باللباس (ديقان) بائعًا متجولاً ليفصل له ثوبًا أمره ببيت الشِّعر القديم : (فصل لى ياتاجر ضافى ! فصل لى ياتاجر يارحيباوي)[١٥٤] ! .

ويقولون : " الهْدُومْ جَنَاح بِنِي آدَم "[١٥٥] ، لأن الناس ، دائمًا ، يَعُدُّون الشخص الحَسَن الهندام فوق ما هو في الحقيقة . ويَدَّعي آخرون أن الثياب لا تضيف شيئًا إلى مزايا الإنسان :

الزين زين لو قعد من منامه والشين شين لو تغسل بصابون[١٥٦]

أي : الجميل جميل وإن كان قد استيقظ (تواً) من مَرْقدِهِ (ليس على بدنه سوى قميصه) ، وسيىء الشكل سيىء وإن اغتسل بالصابون " .

والفتاة التى تتوخى إعجاب شاب تعنى بمظهرها ، بل تبذل قصارى جهدها في الاهتمام بهيئتها وملبسها . لكن حالما تعلم أنها قد أُحِبَّت ، فإنها لاتعود تعير التأنق في الملبس بالاً ، ولا تفكر في غير مزايا حبيبها ! تقول أهزوجة شائعة :

والله ، ياجَرْدْ ، لا ارميك والْبَسِ جِديدْ   أيَّ الجـــــديد وَايَّ الجَـــرْدِ ؟
لْيَا شِفْـــتْ الزِّين عَقْلــــــِي يِـــرْدِي   قُـــرون الشوق رمح السِّـــرْدِي

أى : " والله لأطرحنك جانبًا أيها الثوب الدريس ، ولألبسن (ثوبًا) جديداً . أيهما خير آلجديد أم القديم ؟(١٥٧) .. إذا رأيت الجميل ذهب عقلي .. الذى له ضفائر تثير أشواقى كأنها الرماح التى يحملها (السرديه)(١٥٨) .

وللرجل خلع عباءته أو (فروته) في بيته ، أو لَهُ أن يمضي ، كما تقول العبارة الدارجة ، في لباس أسفل الحزام (بِهْدُوم المَحْزَم) . وعلى أية حال ، عليه ألا يظهر في ذلك الشكل في الخارج ، لأن ذلك سيكون إهانة للحشمة العامة . وإذا قدم غائب بدون عباءته ، أو (فروته) ، فإنه يعلن إما أنه قد سلب تلك الأشياء ، أو أنه فقدها .

وفي الأماكن الخطرة لن يحل الرويلي حزامه إلا في الليل ، وسيأوي إلى مضجعه بكامل بِزّته . أما في الأماكن الأخر فينام بثوبه ، أو حتى عاريًا ، وقد لف جسمه بعباءته وحسب . وإن أيقظته جلبة بغتةً في الليل قفز من فراشه ، واختطف سلاحه بيمينه ، وانطلق ممسكًا عباءته بيده اليسرى ، ومندفعًا إلى الخارج ليرى ما الذي جرى .

[أما مَهْدُ الرّضيع عند الرولة فقد جرت العادة بأن]يلصق على وركـــي

الرضيع دمن بعير يابس (دمنه)[١٥٩] ، ثم يلف بشال طويل مربوط بخيط طويل وموصول بعمودي الخيمة الرئيسيين بحبلين من صوف البعير . وهكذا يكون (المهاد) المهد جاهز . إن دمن البعير يتشرب بول الرضيع وبرازه ، ويحظى الرضيع في عامه الثاني بثوب أزرق غامق الزرقة (ثويب) ، ويغطى رأسه الصغير بقلنسوة (قبع) مربوطة بخيطين (عِلْطَهْ) تحت الذقن ، كما يلبس أحذية (قْزَيَمْه) .

وكل رويلي يَتَّخذ عصًا ، فالعصي يحتاج إليها عادة لتوجيه الركاب . وتكون رقيقة ، وطول كل منها نحو ثمانين سنتيمتراً ، ويسمى أحدها (محجان) . وقد جرت العادة أن يعدها الرولة لأنفسهم من الشجيرات القوية ، وتفضل تلك العصي المقصوصة من أشجار اللوز وأحد طرفيها مثقوب ، ويسحب من خلال الثقب حبل قوي متصل بمحجن فتتدلى العصا من المعصم ، ويكون طرف العصا الآخر الأمتن قد نحت على شكل رأس طائر " أبي منجل " إلى نحو ثمانية سنتيمترات طولاً ، ونحو ثلاثة سنتيمترات ونصف عرضًا .

(الباكور) : عصا لها حبل ، أيضًا ، في طرفها ، ويُثْنَى طرفها الآخر ليكون نصف دائرة . و (المُطْرَق) مستقيم تمامًا . ويُبْتَاعُ كل من (الباكور) و (المُطْرَق) من الباعة المتجولين . وهما من الخيزران (خيزراني) .

(القناة) : هراوة ثقيلة نحو سبعين سنتيمتراً طولاً ، وفي طرفها عقدة .

(المسلوت) : عصا طولها ٢ إ من المتر ، متينة لكنها ليست بثقيلة جداً . وتكون مثقوبة في ثلثها الأول ، ويدخل في الثقب خيط دقيق على شكل معلاق فتعلق به العصا على الرحل .

(المذروب) : تشبه (المسلوت) إلا أنها أمتن كثيراً وأثقل ، وتزداد متانتها بدءاً من وسطها فما فوق .

والعصي الثلاث : (القناة) و (المسلوت) و (المذروب) كلها أسلحة

جيدة .

* تدخين الغلايين *

كثير من الرولة – رجالاً ونساءً – مولعون بالتدخين ، ولكل مدخن غليون . وتطلق كلمة (غليون) على ما تستعمله النساء ، أما ما يستعمله الرجال فهو (سبِيل) . والرويلي إما أن ينحت (سبيلاً) لنفسه من حجر هش ، أو يشتريه من (كبيسي) . و (السبيل) غليون مكون من قطعة واحدة على شكل مرفق ، وجزؤه الأدق هو الأفقي الذى طوله نحو تسعة سنتيمترات ويدعى (الذيل) ، وتسمى زاوية المرفق (طيز) ، والجزء الأجوف العمودى الذى طوله نحو خمسة سنتيمترات هو (الرأس) ، والداخل (البطن) ، ويحيط بفم (السبيل) المشترى طوق نحاسي تتدلى منه سلسلة (سنسله) لها رأس نحاسي (قبعيه) ، لتمنع التبغ المحترق من التناثر . وينظف الغليون بسلك (مبخاش) .

يدعو الشيخ عبده : " عَمِّرْ لي السِّبيل " أى : " املأ لى الغليون تبغًا وأعده " – " ابخش السبيل لاينسد أى : نظف الغليون لئلا ينسد " . ويتألف الغليون من ثلاثة أجزاء : الأنبوب (البوز) ، وقصبة خشبية طويلة (الْقَصْبَهْ) ، والفم (الْمَصَّه) .

ويحمل البدوي التبغ و (الزند)[١٦٠] و (المشعله)[١٦١] التى يشعله بها في أكياس من جلدٍ تعرف بـ (سفره) و (صفن) على التوالي . ويسمى الصوان ، أو حجر القداحة (صلبوخ) ، والزند (زناد) ، والمشعلة (قَدْحَه) . وهذه إما أن يعدها البدوي بنفسه من (الشيح) أو (القُطَين) الجاف المسحوق ، أو يشتريها من بائع .

قصائد ذات صلة بالتدخين

ذكر الغليون وآثار التدخين في أكثر من قصيدة ، والبيتان الأولان من القصيدة التالية التى قالها نمر بن عدوان[١٦٢] ، معروفان في كل مكان ، أمابقيتها فلا يعرفها إلا قليلون :

١. ياشمعة الصبيان عمر لنا البوز	وامله من التتن الغويري وناسه
٢. أخير عندي من حب كل منبوز	عظم طوال الليل يطرد نعاسه
٣. مع دلة يعبى لها الهيل والجوز	وعشرين عود عارفين قياسه
٤. مع شاة مصلاح لها العتل مركوز	ومزين حب اللقيمي لباسه
٥. يعبن لدسمين الشوارب هل الروز	فكاكة المظهور يوم احتواسه
٦. ربعي هل الرَّدَّات ماضربهم هوز	كم واحد من فعلهم طاح راَسه
٧. ولاهم مشاورة العجايز هل الكوز	اللى محاكيهم دروب النقاصه
٨. يارب ياللي تنبت العشب لدروز	لاتجمع الفضة لباقي نحاسه
٩. كم قالة غله ورا الصدر مكنوز	وتمضي وهيبالكبد مثل الخلاصه

معنى الأبيات :

١) يا أجمل الفتيان ، املأ الغليون المكسورمن التبغ (المجلوب من الغور) وقدمه لنا .

٢) إن عظمًا يطرد عنى الكَرَى طوال الليل لأحب إليَّ من تقبيل كل فتاة ضخمة الردفين .

٣) وإضافة إليه (دلة) يدخر لها (الهيل) والجوز وعشرون عوداً (أى ،

من بهار آخر ربما - قرنفل أو " مسمار ") ، قد عرف قياسها .

٤) ونعجة سمين قد وضع لها على النار قدر كبيرة ، وقد أعدحب (اللقيمي) ليكون لباسًا لها[١٦٣] .

٥) ثم دسم شوارب الرجال الشجعان الذين يخلصون الإبل المحملة في معمعة القتال .

٦) إنهم قومي هم أهل المبارزة الجيدة ، إنهم يبطشون بأعدائهم بطشًا حقيقيًا .. وكم من رجل سقط رأسه نتيجة لفعالهم .

٧) وليسوا أولئك الذين يشاورون العجز ، ويبيعون الزبد . ولا الذين لا يتحدثون إلا عن إشباع غرائزهم الجسدية .

٨) يا رب ، يامن ينبت العشب للدروز ، لا تجمع الفضة لنفسك (تعالى الله عن ذلك !) ، فالباقي نحاس لا قيمة له[١٦٤] .

٩) رب كلمة يكون ألمها مكنوزاً في الأحشاء ثم تذهب ويبقى أثرها في الحشَا كأثر الجمر[١٦٥] .

راوى هذه القصيدة هو جواد العاني .

البيت -١- : غالبًاماينكسر الغليون القصير (السبيل) من عند كوعه ، فإن لم يكن لدى البائع المتجول غلايين للبيع صنع المدخن غليونًا لنفسه فيستبدل بالفم المكسوعظمًا دقيقًا صغيراً يثبته فيما بقى من الغليون ، ويربطه بجلد ، ويخيطه خياطة محكمة ليحول بين الدخان والتسرب . ويسمى مثل هذا الغليون المصلح (بوز) ، لكن الكلمة نفسها تطلق على بطن الغليون . ويسمى العظم الصغير الذى يوضع في الفم (عظم) أو (بوز) .

البيت -٢- : عظم البوز : قطعة العظم التى توضع في الفم . المنبوز : المرأة ذات الردفين الضخمين والكتفين العريضتين ، والخصر الأهيف (أم الردوف والكتوف شِطَايَاهامنبوزات) .

البيت -٤- : مصلاح : راع شديد الحرص ، لا يجوع قطيعه . وعلى هذا فـ (شاة مصلاح) تعنى : شاة سمين رُبِّيَتْ تحت يد راع " مصلاح " . العَتِل : لفظة شاعرية بمعنى القدر الضخمة .

مركوز : منصوب ، لأن القدر تُنْصَب على ثلاثة أحجار (أثافي) على النار .

حب اللّقَيمي : هو وجبة (العيش) المعدة من حب القمح . يتناول الآكل قطعًا صغاراً (لقم) بأصابعه ، ويلف بها قطعًا صغاراً من اللحم[١٦٦] .

البيت -٦- : هَوز : تعنى تظاهر بعمل شىء في المبارزة "[١٦٧] .

البيت -٧- : الكوز : إناء من الخزف على شكل كمثراة ، يستعمل لكيل الزبد . إن من يبيعون الزبد لبخلاء ، لأنه ينبغى أن يستهلك في المنزل .

عرف حمار أبو عواد البيتين الأولين .. وثانيهما حسب روايته هكذا :

ألَذّ واحلى من نبا كل منبوز   عظم تويل الليل يطرد نعاسه

أى : إن عظمًا يطرد النعاس آخر الليل لألذ وأحلى من حديث أية فتاة عظيمة الردفين[١٦٨] .

التنباك : تبغ يدخنه بعض الشيوخ في أنبوب ماء . ويرى الرويلي الاعتيادى أن (التنباك) ضار بالصحة ، وأنه يخدر القوى الفكرية أيضًا .

وغالبًا ما سمعت البيت :

يا شارب التمباك شاريك لاطال   أياك وايا واحد حال[١٦٩] دونه[١٧٠]

أى : لا طال شاريك ياشارب (التمباك) ! ، أيكما خير أأنت أم من امتنع عنه ؟

قالت ذلك امرأة من قبيلة العجمان الذين يقطنون على ساحل الخليج الفارسي لزوجها الذى لا يستطيع فراق نارجيلته حتى في الليل ، ولشدة برمها بهذه العادة ، ذكرته في ذلك البيت ، بأنها ربما وجدت من يحل محل الزوج الذى لا يهوى سوى (تُنْباك) . وما أن سمع البدوي هذه الكلمات حتى ألقى

نارجيلته على الأرض ، واختطف رمحه ، وطلب من المرأة إيضاح ما تعني بالبيت . فترددت في بادىء الأمر لكنها لما أدركت شدة انفعال الزوج قالت :

شرابة التّنباك معهم فضا بال   اليا طال شارب واحد يقصرونه !

أي : شاربو الدخان واسعو الصدور ، وإذا كان شارب شخص طويلاً (أي : أكثر من المعتاد ، كناية عن الغرور) فإنهم يقصرونه (أي : يجابهونه ، ويعرفونه بحقيقته ، بالتصدى له)[١٧١] .

فتأمل الرجل قولها ، وانْكَسَرَتْ حدَّة غضبه ، ووعدها ألا يدخن كثيراً كما كان يصنع من قبل . ويضيف الرولة إلى البيت الأخير :

يستاهل التنباك مثل ابن هذال   اللي يصره بمثاني ردونه[١٧٢]

أي : " إن من كان مثل ابن هذال ، الذى يحمل التبغ عاقداً عليه مثاني أردانه لَجَدِيرٌ به . كان فهد بن هذال أكبر شيوخ " العمارات " الذين يقطنون كلتا ضفتى الفرات الأوسط ، يحمل (نارجيلته) ، مثله مثل شيوخ كثر ، على بعيره حين يظعن ، وفي الأسفار الطِّوال ، وخلال الوقفات القصار ، وهو ينتظر وصول الإبل المحملة ، يصب في (النارجيلة) ماءً من قربة صغيرة ، ويضع قليلاً من (التُّنْباك) الرطب المفتت في (الرأس) ويضع عليه جمرة ، ويدخن . هؤلاء المدخنون يحتفظون بالدخان عادة في أطراف أكمام ثيابهم .

ومدمن تدخين (التنباك) يصاب غالبًا بمرض الربو .

الأسلحة :

هنالك رجال في كل مخيم قد وُظِّفُوا صيادين . ومهمة بعضهم تزويد الشيخ باللحم لقاء مبلغ محدد تحديداً ثابتًا . ويحمل مثل هؤلاء الرجال معهم دائمًا بندقية قديمة وذخيرة ، ويصنع حزام الذخيرة (المِذْخَر) من الجلد المتين (سير) ، ويخاط به من الخلف نسعانمن الجلد (جْنَاد) ليمرا من على الكتفين

ويتـقـاطعـا على الصـدر ، ويشـدهمـا إلى الحـزام من الأمـام إبزيمان جـديدان (بزيم) . ويربط كل نسع (جناد) أنبوبتان نحاسيتـان صقيلتـان (تِطَاريف) لملح البارود . ويخاط في يمين الحزام غمد (جْوَا) لخنجر (شِبْرِيِّه) ذي مقبض (نصاب) مزخرف ، وهنا يشد جراب (مَخْرَط) يحتوى الرصاص والخراطيش (القبسون) . والصياد الذى لا يحمل بارودِه في الأنابيب النحاسية يضعه في باطن حزامه في قرن صغيرة (قَرْن الذَّخِير) مصنوعة من الزنك أو النحاس الأصفر . وتربط بالحزام بسلسلة دقيقة طويلة ، أو بسير من الجلد مطواة كبيرة (حوصا) تستعمل لذبح الصيد لكى ينسف الدم . وللبندقيات التى يستعمل الصيادون خراطيش ، وهى طراز ذوات الفتيل القديم .

ولدى الرولة من البندقيات المعدة للقتال أنواع : " الصَّمْع " و " الشيهاني " و (" الموزر " Mauser) . وكانت (الصَّمْع) ، وهى بندقية إنكليزية عسكرية قديمة ، أعظم الأسلحة شعبية بين عامة البدو قبل الحرب الكونية . وكان ثمن البندقـيـة الأصليـة من هذا الطراز يصل إلى ما بين ٤٠ إلى ٤٥ مجيدية (٣٦ - ٤٠.٥٠ دولاراً) ، وكانت أكثر ما تستورد من مصر . أما غير الأصلية (التجارية) التى تأتى من الهند فتباع بثمن يتراوح بين ٢٨ و ٢٠ مجيدية (٢٠.٢٥ - ٢٩ دولاراً) . والشيهانى بندقية عسكرية تركية (مارتينى) ، ويمكن شراء ذلك النوع من (الشيهاني) المسمى (أم سُنْقِي) بـ ٥٠ - ٦٠ مجيدية (٤٥ - ٥٤ دولاراً) ، ونوعية (أم قفل) بـ ٤٠ - ٥٠ مجيدية (٣٦ - ٤٥ دولاراً) ، ويسمى البدو البندقيات الحديثة كلها موازر (Mausers) . ولا يحب الرولة البندقيات التى تلقم من مؤخرتها (Breechloaders)، ويقل طلب مثل هذا النوع من البنادق (أم اصبع) عن طلب غيرها . ويصل إلى ٢٠ مجيدية (١٨ دولاراً) وتجلب الأسلحة كلها من ميناء جدة أو الكويت . وفي أثناء إقامتي عند الأمير النوري زارته ست قوافل تجارية محملة بالذخائر الحربية ، وكان

عدد إحدى تلك القوافل ٢١٠ جمال تحمل أكثر من ألف بندقية ، مع آلاف الخراطيش بالإضافة إلى الرصاص ، وملح البارود ، والكبسولات المتفجرة . وهنالك في مخيم كل قبيلة خبير ميكانيكي يستطيع إصلاح البنادق وصناعة الخراطيش .

ويمارس كل من أبناء الشيوخ وعبيدهم الرماية بين الفينة والفينة ، ويكون غَرَضُهُمْ (نيشانهم) عادة حجراً أسود ، أو عوداً مربوطًا به منديل أو خرقة بالية . ويكافىء الشيخ خير الرماة بمنحه رأس أول بعير يذبحه (أى الشيخ) .
" رميه " (الجمع رمي) تعنى " دوي ، أو صوت انفجار " . (بَارُودِي عَرَفْت رميها) . تعنى : " أعرف صوت انفجار بندقيتي " . " واللّهْ رَمْيَها زَين " أى : والله إن رميها لحسن . " البندقية " هى بندقية بارود ذات زند له صَوَّانة أو (كبسولات) وهى دائمًا مؤنثة .

مع بندق لفظات فمها يصبني　　　لها على خطو المجنح مرامي

أى : " بندقية تعينني طلقات فمها على بلوغ غايتى[١٧٣] ، وقد قدر رميها ليصيب بعض ذوات الأجنحة " .

والألفاظ المعبر بها عن الرصاصات هى : ثلاثي ورباعي وخماسي ، وسِتَّاتِي ، وأكبرها عياراً الأخيرة . " والشيشخانه " أو " الشيشخان " نوع من البندقيات العتيقة تكون ماسورة إحداها ذات ست زوايا في الداخل ، فإن كانت الماسورة مستديرة أو ، في الأقل ، ناعمة دُعِيتْ (حمرا) . وال (بندقيه) : هم الرجال المسلحون بالبنادق .

ومن بين الأسلحة القديمة ، ما انفكت الرماح والسيوف والخناجر مستعملة . ويتألف الرمح من نصل فولاذي أو حديدى قد أحد من كلا طرفيه ، وعود خشبي . والنصل إما أن يكون عريضًا فَيُدْعى (شلفا) ، أو ضيقًا (حربه) . و(الشلفا) إما أن تجلب من بلاد فارس (عَجَمِيّه) ، ويكون ثمنها ، في هذه الحالة ، مجيديتين أو ثلاثًا (١,٨٠ - ٢,٧٠ من الدولار) . أو أن تكون

شائعة الاستعمال يصنعها الحداد من الحديد بنصف مجيدية (٤٥ سنتًا) . والحربة التي تصنع ، بصفة رئيسية ،في مدينة (الدير) على ضفة الفرات اليمنى ، تدعى أيضًا (عْرَينِيِّه) وتباع بربع إلى نصف مجيدية (١/٢ ٢٢ - ٤٥ سنتًا) . وحد (الشلفا) أو (الحربة) الحاد يدعى (عَسْلَه) ، والطرف السفلي الداخل في العود (جب) . وتستعمل خشبة دقيقة لكن قوية (عِرْق) ، أو خشبة سميكة (شاكري) لتكون عوداً للحربة . وتعمل عيدان الحراب أيضًا من قصب الخيزران الأجوف ، ويبلغ ثمن القصبة ، بوجه عام ، مجيدية واحدة (٩٠سنتًا). ويثبت في طرف العمود السفلي رأس حديدي مدبب (قنطار) ليمكن ركْزُ الرمح في الأرض . وقد يزين الرمح بريش النعام ، أو بسلاسل رقيقة تربط بـ (الجِبّ) .

والسيوف ضربان : (نِمْشِهْ) وهي إما (مغربي) ذو ثلاثة أخاديد ، ثمنه يتراوح بين مجيديتين و ٤٠ مجيدية (١.٨٠ - ٣٦ دولاراً) ، (شِنْتْيَان) وهو بالغ المرونة ، وثمنه يتراوح بين مجيديتين وعشر (١.٨٠ - ٩ دولارات) ، أو (حسينيه) وهو ذو أخدود واحد طويل ، وثمنه أيضًا يتراوح بين مجيديتين وعشر مجيديات .

والضرب الثاني من السيوف هو (السيف المقوس ذو الحد الواحد ، وهو وحده الذى يطلق عليه الرولة كلمة " سيف ") ، وأنواعه كما يلى : دابان ، ٥ - ١٠ مجيديات (٤.٥٠ - ٩ دولارات) ، (هندى) مصنوع من الفولاذ الأسود ، ٤٠ - ١٥٠ مجيديه (٣٦ - ١٣٥ دولاراً) ، (عجمي) من الفولاذ الرمادى ، ٥ - ٤٠ مجيدية (٤.٥٠ - ٣٦ دولاراً) أو (الجوهر) مصنوع من الفولاذ المسبوك من خراسان ، ١٥٠ مجيدية (١٣٥ دولاراً) .

ويمتد مقبض السيف ، في الغالب ، إلى (الشُّبَّاك) حيث يبدأ النصل ، ويزخرف بالذهب والفضة .ويكون للغمد (الجِفِير) حلقتان معدنيتان (حوامل)

تربط بهما حِمَالَةُ السيف .

ويكون الخنجر قصيراً دقيقًا ، (شِبْرِيَّه) ، أو عريضًا طويلاً ، (قديمي) ، أو عريضًا قصيراً (خنجراً) . ويصل ثمنه إلى ثلاث مجيديات (٢,٧٠ دولاراً) ، لكن إن كانت يده مزخرفة بسلاسل ذهبية وأحجار كريمة فقد يصل ثمنه إلى خمسين مجيدية (٤٥ دولاراً) بل وإلى أكثر من ذلك .

وأكثر من يحمل الرماح فقراء البدو ، ولا يحمل السيوف إلا ذو الشأن من الرجال . ولكن كل يملك أسلحة نارية ، وهذه قد تكون مسدسًا أو بندقية .

والمسدس (رداني) إما أن يكون النوع الثقيل القديم (كَرَدَاغ) الذى كان يستعمله أهالى مملكة " الجبل الأسود " سابقًا ، ويتراوح ثمنه بين اثنتي عشرة وأربع عشرة مجيدية (١٠,٨٠ - ١٢,٦٠ دولاراً) ، أو يكون " الموزر "، وهذا أيضًا إما أن يكون من نوعية (السانْتِيْن)[6] ، أو (الانكليزى) . ويصل ثمن السانتتين ، وأصل الكلمة (سانت اتين St. Etienne) من ٢٠ إلى ٢٢ مجيدية (١٨ - ١٩,٨٠ دولاراً)، ويباع نوع صنع من النيكل تقليداً له في مصر والبصرة بثمن يتراوح بين أربع مجيديات وخمس عشرة (٣,٦٠ - ١٣,٥٠ دولاراً) .

الاعتناء بالنظافة الشخصية :

لا يعير الرولة النظافة إلا اعتناءً ضئيلاً . فالماء يجب ألا يفرط فيه ، لأنه لا يكاد يكون هنالك منه مايكفى للشرب والطبخ . وفي الأراضي الرملية يمسحون أيديهم ووجوهم بالرمل الجاف النظيف . ولا تغسل الثياب ، ولا يستحم إلا حين يحلون قرب غدير كبير . يتوضأ الفتيان نهاراً والفتيات في الليل ، ويغسل الملابس عادة زنجي أو امرأة " صلبيه " ، في حين تنظر إليها ربة البيت وبناتها بلا مبالاة . (. . .) .

وقد تفلي الزوجة ، من وقت لآخر ، زوجها (تْفَلِّي براسه) ، والأخت أخاها أو حبيبها ، والأم أطفالها ، كما يفلي بعض النساء بعضًا .

ويدخر الشيوخ وحدهم الصابون لضيفهم . ويجمعون لأنفسهم (الشنان) ، ويجففونه ويسحقونه ، ويستعملونه لغسل أيديهم وثيابهم . وقد أحضرت صابونًا أوربيًا لبعض النساء ، لكنهن عمدن إلى مسح أيديهن وأبدانهن به جافًا من أجل رائحته الذكية ، بدلاً من أن يغسلن به أنفسهن .

وتختلف عشائر الرولة ، وحتى بطونهم ، لا في لهجتهم وحسب ، بل وفي لباسهم أيضًا . ويرتدى الرولة لباسًا واحداً لكنه ذو ألوان وتفصيل وزخارف مختلفة . وإذا رأى رويلي ركبًا من بعيد استطاع أن يعرف في الحال إن كانوا رولة ، ومن أي فخذ أو بطن . يعرف ذلك من رحالهم وزخارف مزاداتها ، وألوان غترهم وعباءاتهم وخفافهم ، وطراز لباسهم ، وطريقة قعودهم على الرحل، إلخ . إنه ليستطيع أن يميز من بعد الفريجي من الكويكبي ، وأن يميز هذين من المرعظى ، وأكثر من ذلك ، الفروق بين الرولة والسَّبَعَة أو الصقور . ويحتاج الرجل الغريب شهوراً ليعرف اختلافات العشائر (العنزية) المتعددة في الزي ، وسنين قبل أن يمكنه تمييز أفراد البطون المختلفة في العشيرة الواحدة .

الفصل السابع

عادات الزواج

يتعين على كل رويلي مستطيعٍ الإنجابَ أن يتزوج . فقد فرضت عليه صلته بقومه هذا الواجب . وكلما ازداد عدد هؤلاء (القوم) قويت السلطة والتأثير اللذان يملكونهما . والفرد الذى يأبى الدَّفْعَ عن حقوق عشيرته يطرد . وأى شخص يتعمد عدم مضاعفة المدافعين عنها (أى بعدم الإنجاب) سيواجه المصير عينه .

ويحدو الرويلى إلى الزواج ميل مشترك أو حب ، إذ يهوى صبي في الثانية عشرة صبية مماثلة له في السن . وهذا أمر مقبول ، عادة ، فلا أحد يعترض عليه . وقد قيل : " المحبه من الله " . ويزور الصبي حبيبته في بيتها ، ويحادثها هنالك ، ويعينها وأهلها على أداء مايكون لديهم من أعمال ، ويتذكر الأبوان زمان حبهما الأول . وللصبي الأكبر سنًا [من هذا] أن يلقى حبيبته متى شاء وأينما شاء ، فيساعدها على سقي الإبل ، واستخراج الماء ، وضرب البيت وتقويضه ، ويرافقها حين الظعن والسير ، ويزورها مساءً . وهما يلتقيان عادة في بيت خال أو قليلاً ما يؤتى .

إن نساء قبيلة (. . .)[١٧٤] حين يكون أزواجهن خلوفًا في المراعي ، أو اللواتي قد ترملن ، يُعرِن ، مسروراتٍ ، المتحابين بيوتهن الصغار (الخرابيش) ليلتقيا فيها ، وهناك يجلسان ، في فصول العام الباردة ، طوال الليل عن كثب من النار ، ولا يفترقان إلى أن يبدو نجم الصباح . ويجلس الحبيبان ، في الفصل الدافىء ، ولا سيما حين يقطنان النفود ، على كثيب في ظل شجرة كبيرة ليتحدثا عن كل شيء وعن لا شيء ، ويَبُوحُ كل منهما بحبه للآخر بهذه الكلمات :

(إنْتِ نوم عيني) ، (إنْتْ مرادي) ، (إنْتِ أكلي وشربي) وغيرها .
(. . . . . . .)[١٧٥] .

حدود في اختيار القرينة

ثمة حدود كثيرة تقف أمام الرويلي عند رغبته في اختيار زوجه ، فعليه ألا يتزوج امرأة أبيه المطلقة ، ولا ابنتها وإن كانت من رجل آخر ، كما لا يسمح له بأن يتزوج امرأة ابنه المطلقة أى أرملة ابنه ، وأم زوجه ، وابنة أخيه وابنة أخته ، وليس له أن يتزوج أخته من الرضاع . ولا يتزوج رجل من آل ابن شعلان امرأة من (...) أو (...)[١٧٦] ، ولا يسمح بأن تتزوج بناته رجالاً من أى من تلك العشيرتين ، لأنه لا هؤلاء ولا (أولئك) مساوون في النسب لابن شعلان لأنهم سبق أن دفعوا ، منذ زمن لا يتجاوز في بعده النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ضريبة حماية (خوا) لقبيلة الشرارات وساكنوهم بصفتهم (قصرا) لهم ، أى جيرانًا محميين .

ولا يجرؤ رويلي واحد على مصاهرة شخص من قبائل معينة يراها أدنى شأنًا من قومه[١٧٧] على إنها جميعًا لها شيوخها ونظامها الاجتماعي ، ويقطنون بيوت شعر ، ويربون الإبل كغيرهم من البدو تمامًا ، وعلى ذلك لا ينظر إليهم نظرة احترام ،وعلة هذا أنهم يعطون غيرهم ضريبة (خْوَا) لقاء حمايتهم ، ولأنهم غير قادرين لا على الدفع عن أنفسهم ، ولا على نيل استقلالهم التام . ولاضطرارهم ، على هذا النحو ، لشراء حماية أقوى القبائل ، لا يسمح لهم بالدخول في وشيجة دم مع حماتهم . فهم (إخوان) يؤدون (الخْوَا) وستؤديه ذريتهم من بعدهم . ووجههم ، أو (شرفهم) أبيض كبياض (شرف) الرولة ووجههم ، لكن لا ينظر إليهم كما ينظر إلى أولئك . وهم لا يعيشون مع البدو

كما يعيش الغرباء بل كما يعيش الجيران (قْصَرَا) . فإن خدموهم خدموهم على أنهم (فْدَاوِيّه) أى خدم أحرار ، وهذا لا يعد عاراً ، لأن أفراد القبائل الكبار أيضًا يعملون (فداويه) ، لقاء أجر ، لدى الشيوخ الأقوين .

ويحظر على الرويلي أن يتزوج ابنة الحداد (الصانع ، والجمع : الصناع) ، وأي ميكانيكي آخر يقطن مع الرولة ، وقد قيل عن (الصناع) بأنهم ليسوا (أصيلين)، أى ليس لهم نسب معترف به ، بل ولا شيء معروف عن حقيقة أصلهم لأنهم يزوجون من يأتون حديثًا من المدن والمستوطنات والقبائل المختلفة من دون اعتبار لكونهم عائلين لأنفسهم ، أو أحراراً ، أو تابعين ، أو عبيداً .

والتزاوج مع العبيد محظور أيضًا ، والرجل الذى يتزوج أَمَةً يقتله قومه (أهله) إذ لا أحد يجرؤ على تلويث دم قومه . وزِدْ على هذا أن هنالك تمييزاً حتى بين القبائل العربية الحرة ، فأولئك المنتمون للمجموعة العنزية يَعُدُّون أنفسهم جميعًا أرستقراطيين ،وينظرون إلى القبائل الأخر نظرة ازدراء ، ويمقتون عقد صلات تصاهر معها . والأطفال الذين يولدون من أمثال ذلك الضرب من الزواج غالبًا ما تترامي إلى أسماعهم هذه العبارات الساخرة : " لن تحقق شيئًا فما أنت إلا نصف رويلي ، لن يمتزج الدم امتزاجًا تامًا مع الدم ، ستشبه قوم أمك " ..الخ .

حقوق ابن العم

إن ذرية الأبوين المنحدرين من الأسر العنزية المحترمة العريقة خير من غيرها . وعلى ذلك ، فما العروس بمطلق الحرية في اختيار زوجه حتى من هذه الذرية ، لأنه ، حسب العرف العتيق ، لابد لكل فتاة من أن تَنْكِحَ أقرب قريب شاب يحل لها التزوج به (ابن العم) ، وهذا يكون عادة ابنًا لابن عم أبيها .

فـإن لـم يكـن لابن العـم هذا[١٧٨] أبنـاء ، أو إن لم يكن للجـد إخـوة كـانت الفـتـاة لأقـرب قـريب منحـدر من أخى جـد الأب .ويطالب ابن العم بالفـتـاة في بعض الأحيـان (يحـجـرها) لنفسـه دون سـواه . لكن ، حتى إن لم يفـعل ذلك ، لا حَقَّ للفتـاة في أن تتزوج بدون رضاه ،لأنه يقـال : " عـقدها وحلهـا بيـد ابن عـمهـا " . ولا تبطل مطالبة ابن عم الفتاة بها إلا إن رغب أبوها أن يتزوج مرة أخرى ويهبها [أبا] زوجته الجديدة [أو أخاها] عـوضًا عنهـا " يبدلهـا لـنفسـه " . ومن النـاحيـة الأخرى ، إن امـتنعت الفـتـاة عن أن تـتزوج بابن عـمهـا ، فله سـفك دمـهـا دون أن يطالب بديتـهـا ! وإن علم ابن العـم أن الفـتـاة لن تعـير طلبـه إلا أذنًا صمـاء لأنهـا تحب رجلاً آخر منع الزواج .. فتشيخ الفتاة .

وإن توفى أبو الفـتـاة التى طالب بهـا ابن عـمهـا ، وهى تحب رجلاً غـيـره ، ذهبت بعد وفاة أبيـهـا من فورها إلى القريب الذى يطالب بهـا لنفسه دون سواه ، وهو يسـمى في هذه الحـالة (حـجـار) ، وخـاطبـتـه قـائلة : لـقـد انـتـقـل أبى إلى مـثـواه الأخـيـر ، أريدك أن تعـتق رقـبـتي . أريدك أن تفك وثاقي من أجل أبى الذى قـضى نـحبـه : " أنـا أبوي راح أبغـيك تجـوز من رقـبـتي ، أبغـيك تدشـرني عـواض أبوي راح " ! . وإذ ذاك يتـوقع أن يرثي لهـا (الحـجـار) ، ويرخص لهـا في أن تختـار طائعة لنفسهـا زوجًا ، لكن ليس لأحد إجباره على ذلك . وإن أبى لم يـبق أمـام الفـتـاة إلا الفـرار . فَتَفِرُّ مع فـتـاها إلى إحـدى القـبـائل النائيـة . ويضعـان نفسـيهـما هناك تحت حمـاية شيخ ذي سلطان قـوي " ينحاشون يم العرب يتزبنونهم " فـيـتـمكنـان عندئذ من أن يتـزوجا ويحـيـيـا حيـاة زوج وزوجـة في بيت واحـد ، لكنهـما دائمًا مـهددان بانتـقـام ابن العـم . وعـقـاب فـرار الزوجة كعـقـاب الاغتيال ، والتعطش للانتقام لابد أن يروى .

أحب عجاج المْسَـيحي فتاة رويلية ورغب في أن يتزوج بها ، فلم يرض ابن عـمهـا بذلك . وبعـد ثلاث سنوات مـن الحب الميـئوس منه (مـتـهـاوين هو واياها

ثلاث سنين) فر عجاج بحبيبته إلى عرب الشمال ، وهم قبائل تقطن ضواحي حوران . وحالما شاع في الصباح التالي أن الحبيبين قد فرا (انهم منحاشين) امتطى ابن العم وأقرباؤه رواحلهم وانطلقوا إثرهما (طلب) . لكن (عجاج) وصل إلى حيث يريد ، وأعطي بيتًا ، وتزوج الفتاة . وقد عرض أقرباؤه على ابن عمّ الفتاة فدية ، لكن هذا رفضها رفضًا قاطعًا ، وبعد ذلك بشهرين برح بيته ، ومضى باحثًا عن عجاج فوجده وقتله هو وعروسه الشابة . وبعد عودته إلى بيته طلب باسم عشيرته من عشيرة عجاج دية سبعة رجال قتلى ! لأن قتل المرأة الفارة من زوجها (شماطه) يعد كقتل سبعة رجال . لقد كان على عاشقها ألا يهرب بها ، أما وقد فعل ، فكان ينبغى عليه أن يبالغ في الاجتهاد في حمايتها ، لعلمه بالخطر الذى يتهددها .

وإن قتل ابن العم الرجل الذى فر بالفتاة لم يدفع إلا نصف الدية ، لأن الفار نفسه هو سبب موته .

عشق ديبان ، عبد آل مجول الأبيض فتاة رويلية بادلته حبًا بحب ، وقد عرفا معًا أنه لن يمكن أن يتزوج أحدهما الآخر أبدًا ، لأن العبد ، على إنه أبيض ، لا يجرؤ أن يتزوج حتى أفقر امرأة رويلية ، ولذلك عقدا العزم على الفرار إلى إحدى المناطق الحضرية ليقطنا إحدى قراها ، لكنهما لوحقا وقتل الفتاة أخوها نفسه .

وفر رويلى أعزب من عشيرة العبداللّه بجارية بيضاء ، ولم يسفر البحث عنه عن أية ثمرة . لقد اختفى دونما أثر ، وإن يعد يَقْتُلْهُ قومه .

وإذا رغب فتى في أن يتزوج فتاة معينة أفضى بسره إلى أحد أصدقائه الأكبر سنًا ليفاتح أباه ليرى إن كان يوافق على توسله أو لا ، إذ يعد عيبًا أن يستأذن الابن [نفسه] أباه في هذا الشأن . والأب ، وهو عادة يعلم طوال الوقت أية فتاة قد اختارها ابنه ، يقول بعد أن يطرق الخبر سمعه : " إن شاء الله يكون

خير " بارك الله فيه ، لقد مضى هذا اليوم وغداً سنحقق ما يريد : (اليوم فات بُكْرَا نَقْضِي غَرَضِه) . ويذهب الأب في اليوم التالي مع أحد الرجال المعروفين إلى أبى الفتاة ، فيجلسان ويتبادلان التحية [معه] ، ويأخذون بأطراف الأحاديث المتنوعة ثم يقولان أخيراً :

- " نبغي منك بنتك الفلانه للولد الفلاني " (نريد منك ابنتك فلانة للابن فلان) .

- " طيب ما زود الملح إلا الملح " ، أى : حسنًا ، لا يزداد الملح إلا ملحًا ! لقد قبلت ، فَلْيُنْجِبَا الأطفال معًا ، خاطبوا بشأنها ابن عمها ! فيذهبان إلى ابن العم ، ويُسَلِّمانِ ويجلسان ، ويتحدثان هنيهة . ثم يقوم أبو الفتى ويشير إلى ابن العم ، ويبرح وإياه البيت ، ويقعيان على مسافة منه بحيث لا يسمع كلامهما أحد .

- " نْمَسِّيكْ بالخير " .

- " يا مَسَا الخير " .

- لابد أنكما لم تأتيا إليَّ بدون غايه " ما انْتُمْ بِلايَا غَرَضْ " .

- نعم لقد جئنا لغاية " نعم جايِّين بالغرض " .

- اذن فلتتكلموا " اهرجوا " .

- " طول الله عمرك " نريدها له ، ونحن مستعدون لك بما تريد .

فإن وافق ابن العم على زواج الفتاة قال : " أريد كيت وكيت " ، وإن لم يوافق أجاب : " إنها ستكون زوجتي ، ولن أهبها [لأحد] " . لكن إن لم يك يريد أن يتزوج بالفتاة هو ، ولا يريد عِوَضًا أَنْهَى المداولة بقوله : " أتمنى لكم التوفيق " . ويعبر عن المهر أو الثمن الذى يطلب لقاء العروس بكلمة (سْيَاق) . ويراد به القيمة المحددة للعروس وحسب . و (السياق) لا يتفق عليه اتفاقًا دقيقًا ، فإن طلب ابن العم كثيراً وجب أن يعطى كثيراً . ويسلم

(السياق) دائمًا له . ولا يكون هناك من يرعى الفتاة ، فحالما ينتهى الزواج (أعرس عليها) يكون (السياق) كله لأبيها . والعوض المعروف الذى يقدم للعروس ناقة أو ناقتان ، وأول مهرة تغنم بعد الزواج . وتعطى أم الفتاة دائمًا ناقة لاعتنائها بالعروس ، وهذا الحيوان يدعى (بعير الكوع) لأن الأم كانت تتكىء على مرفقها (كوعها) حين كانت ترضع ابنتها .

أهازيج غزلية وقصائد

يعبر الرويلي عن مباهج الحب وتباريحه بأهازيج قصيرة تعرف بـ (هجيني) أو (تطاويح) . بعضهم يقول أهازيجه بنفسه ، وبعضهم ينتحل ما قاله غيره كما لو كان قائله . وقد قيل في هذا الشأن :

هجينية قلدوها العقــــال قلدوها البريسم وريش النعام

أى :

أهزوجه " هجينى " قلدوها العقال ، وقلدوها الحرير وريش النعام .

إذا عفا محارب عن عدوه ، وضع عقاله حول عنقه ، وذلك رمز لأن هذا العدو وكلّ ما يملك تابع له ، ثم ألقى بنفسه في المعمعة ثانية . أما قائل أغنية (الهجيني) فلا يجملها بعقاله وحسب ، بل بالحرير وريش النعام أيضًا لئلا ينتحلها أحد . لكن كل ذلك يمضى دون جدوى ، فثمة كثيرون يرغبون في الاستيلاء على الأغنية الجميلة وإن لم تكن لهم .

في مديح المحبين – مباهج الحب

ياعمي وا بنت الغَرَاوي	تبغيني وانا اريدها
وليا تخَطَّت بالحَظَـاوِي	أخْذَتْ قليبي بِيدَها

أى :

ياعمى إن ابنة الغراوي تريدنى وأريدها ، وإذا سار لافَّة على رأسها طرف خمارها خطفت قليبي بيدها .

الغراوي : رويلي عرفت ابنته بجمالها . الحظاوي : يطلق على الطرف الطويل للخِمار الحريري (المقرونة) ، وهو يلف على الرأس لفًا محكمًا فتغطى به الحسناء جبينها ووجهها .

هذي طوارف عرب خلـــى	يا مرحبا يا عرب شيحه
عذروب أخوها يجيب الشول	كم راعي عوده صيحه
ياخديدها بويرق الهملـــول	من مزنة بَسّ لها ضِيحَه

أى :

هذه ضواحي حي قوم حبيبي ، فيما مرحبا بقوم شيحة ! إن عيب أخيها أنه يأتى لأهله بأذواد الإبل ، فكم من راع قد عوده الصياح والعويل ! (لأنه سلبه قطعانه) .

إن خدها الصغير ليشبه ، لوضاءته وإشراقه ، برق السحب الممطرة من سحابة تبدو مفعمة بالحليب[١٨١] . أخوها : هو عاشق شيحة[١٧٩] . يجيب الشول : تعنى " يجلب " أو يقود من الغارة إبلاً قادرة على حمل الأثقال . إذا

نقلت البيوت فإن كل الأطعمة والأشربة ..إلخ تحملها النساء اللواتى يحببن ، لهذا السبب ، الإبل القوية[١٨٠] . ولا طاقة للراعى بالذّبّ عن أذواده فهو يستصرخ القوم وحسب . الهملول : شريط أو حزام من المطر طويل ضيق ، يأتى من سحابة ذات برق مستمر اللمعان مما يجعلها تبدو وكأنها ممتلئة حليبًا . إن البريق الأبيض الشبيه بالحليب الصادر منها ليذكر الشاعر بخدي شيحة المتوردين[١٨١] .

ياونتي ونة الشنه	ربابة بيد لعاب
ريحة عشيري لها بنه	ياعنبر بيد جلاب

أى :

يالأنتي الشبيهة بصوت (الربابة) بيد عازف ماهر . إن ريح حبيبى ذات شذى عطر جميل .. إنها كالعنبر مع جالبه[١٨٢] .

شنه (هنا) :قطعة الجلد القديم اليابس تمامًا ، التى تمد على الثقب المدور لـ (الربابه) الشبيهةبالكمان . وهى تؤلف الفراغ الرنان ، وتهتز كلما جر القوس على الأوتار.

ريحه : قد تعنى رائحة غير عطرة[١٨٢ب] ، و "بنه" : رائحة طيبة .

جلاب : تاجر لا يبيع بضائعه بثمن نقدي بل يقدم للنساء العطور والحلي ، ويقبض منهن عوضها الوبر والمزادات (المزاود) والأشرطة التى تُزَيّن بها القُتُب (السفايف) .

ياهيه ياراكب العَشْل[١٨٣]	سلم ورد السلاماتِ
سلم على اللي نوى قتلي	قل له لاحي ولاماتِ

يا هيه : للنداء والتنبيه .

العثلي (أو العثل) : البعير ذو العظام البارزة . رد السلامات : رد التحية . يصافح الزائر الحاضرين جميعًا أولاً ، وبعد ذلك يصافحه كل منهم على حدة ، ثم يرد على كل سلام . ويضيف الرولة إلى الأهزوجة البيت التالى :

وثنيواته تقل شَتْلـــي   ونهيده بيض الحمامات

أى :

ثنايانا (الصغيرة اللطيفة) كأنها (حبات) أرز ، ونهيدها كأنه بيضة حمامة .

وبتأمل معنى هذا البيت يظهر أنه ليس من الأهزوجة ، وقد يكون من أهزوجة أخرى ذات وزن شبيه بوزنها .

الشتلي : حب الأرز أو حب التمن[١٨٤] .

الوجد وجدي على دبيـــه   وجـد البكار المعاطيـــش
داجن ولاجن على الطيـــه   والمـــا بعيد ولانيـــــش
ياقـــرونها ياتن الميـــــه   مثل السفايف على الجيش
يانهودهـــا بيض كدريـــه   تضفـــي عليها العكاريش

المعنى :

الوجد وجدى على دبيه (حبيبتى) كوجد الأبكار العطشى [من الإبل] [اللاتى]طفن وجلن حول البئر ، لكن الماء بعيد لم يوصل إليه !

يالضفائرها ، يبلغ عددها نحو المائة .. إنها كالزينات المدلاة على رحال الإبل.

يالنهديها ، إنهما كبيضتي (قطاة) كدرية .. تغطيهما ضفائرها .

إن الإبل الصغار (الأبكار) وخاصة إذا اكتمل نموها لا تطيق العطش .

نيش : الشخص الذى يستخرج الماء من البئر (ينوشه)[185] .

كدريه : الكدرية طائر يشبه القطا إلا أنه أصغر منه قليلاً ، وفي جناحيه ريش أسود[186] .

يا الله ياخــــلاق للطير ريشـــه	ياخذ مــراده بيرهاره سماهـــا
واعيني اللي بالرمــد مستطيشه	على عشيرى دفقـت برد ماها
وســط هفا ورقيبة تقـل شيشه	وردايف سبحان رب وزاهـــا
وليا اقبلت تشدي لبنت الكبيشه	واحلــو زوله يوم تدني خطاها

المعنى :

يا الله ! يا من خلق للصقر ريشًا فهو ينال به ما يريد في أجواء السماء الفساح[187] .

يالعيني التى برحت بها آلام الرمد ، لقد سكبت ماءها على حبيبي !

إنه ذو وسط (خصر) أهيف ، وعنق دقيق كالزجاجة ، وأرداف سبحان الذى خلقها !

وإذا اقبلت فكأنها فرس ! . ما أجمل قوامها حين تسير بخطى متقاربة .

يا محيمـد والبلا جـــاني	يا عشيري كيف اسوى به
ناهض المقـــرون وأرواني	بيضة الكدري حدر جيبه
قْذَ لْهـــا شرطان ذهبـــانِ	منوة العطشـــان يدلي بـه
وعيونها مـــــوج غـدران	صافـي طابت مشـــاريبه
نهدهـــا فنجان ديـــوان	صـــايغ العجمي لواليبـه

المعنى :

يامحيمد لقد جاءنى البلاء ، ياصاح ما أصنع به ؟

فتح جيب قميصه وأروانى ، إن بيضة الكدري لتحت جيبه !

شعرها مثل أشرطة ذهبية ، يتمنى العطشان أن يُدْلى دلوه بها !

عيناها كموج الغدران الصافية التى هى خير ما يصلح للشرب . ونهدها صغير كفنجان ديوان قد صاغ الصانع الأعجمى لوالبه .

يتشكى العاشق إلى كل من رفيقه محيمد وحبيبته التى أسرته بحسنها ، فآلى على نفسه أن يقوم بعمل خطير(١٨٨) .

ثوب مقرون : هو ثوب المرأة حين يزر من تحت العنق . ناهض المقرون : يعنى رفع هذا الجزء من ثوب المرأة وفتحه على الصدر . جيب : الجيب ، هو الشق من أسفل الرقبة حتى البطن . وأسفل من ذلك يخاط الثوب بعضه مع بعض كما يخاط (قميصُنا)(١٨٩) . ولشق ثوب المرأة إبزيم واحد فقط تحت الجيد مباشرة ، وإذا رفع الثوب اتسع الشق فتستطيع المرأة إرضاع طفلها . غدير : بركة مطر في واد . ديوان : غرفة جلوس الأثرياء حيث تقدم القهوة بأقداح غالبًا ما كانت مصنوعة على نحو ارستقراطي وغال .

يا ثمان على صاحبي لو يبيع !   مثل ها لبرد بيليالي الربيع !

آه (ما أجمل) ثماني ثنايا لصاحبي لو يبيعنيها ! ، إنها كهذا البَرَدِ في ليالى الربيع ! .

بَرَد :تعنى بلورات الندى المتجمد .

ياغـــــزال الدحـل   ياخضيـــب اليدين

يعلـــم الله بعـــــز   ي عن الوالـــــــدين !

الدحل : النفود ، لأن تجاويفه العديدة الشبيهة بالمحاقن كالدحل . وهى مواطن محببة للظباء . لقد خضبت الفتاة أظافر يديها وراحتيها بالحنـاء .

ياغزال يجر الثوب   والذوايـــــب يغشنه
ريقه ياعسل يذوب   واهني من روي منه

أى :

.....................والضفائر تضـــــــربه
.... ياليت من ارتوى منه !

(أى ياليتنى أرتوي منه !) .

يا شـــوق عطني حبتك ملكوش   غصـــن توشـــع له حـــرير
يا بوثمان مثـــل در البــــــوش   والخـــــد به ريح الذريـــــر

أى :

ياحبيبي أعطنى قبلتك خاطفة ، كما يلتصق الحرير بالغصن
ياصاحب ثمان بيض مثل حليب النوق والخد به رائحة الذرير

ملكوش : تعنى الشىء الذى لا يمكن أن يفصل عن غيره على أنه ليس موصولاً به إلا قليلا .

١. الزين لو هــو ورا البـــابِ لــــزم عيوني يراعنـّــه
٢. عسلوجــةٍ حشو الثْيَـــابِ ونهــــود للثوب شالنـّــه
٣. ياما حلــى نزع اَلثْيَـــابِ وأركاي سنـي على سِــنّه ![190]

المعنى :

١. إن الجميل وان كان وراء الباب لابد أن تراه عيناى .
٢. إنها طويلة ريا الجسم تملأ ثيابها ، ونهداها يحملان ثوبها [أى : يرفعانه عن صدرها] .
٣. ما أجمل نزعي ثيابها ، وإلصاق سنى على سنها ! .

عسلوجه : امرأة لا هي بالنَّحيلة ولا بالضخمة جداً ، لكنها هيفاء طويلة ، وعلى ذلك لها أرداف عظام تبرز تحت ثوبها (حشو الثياب) .

حــران يا لابس المزوي لا يا بعد من نزل جبــه
حلفت ماقلتها هَــــزْوِ يستاهل الحضن والحبه

المعنى :

أحران يالابس المزوي [عباءة خفيفة سوداء] ! . [كل] من نزل جبة فداء لك ! .

أقسم أنى لم أقل ذلك استهزاء ، [إنه] لخليق بأن يضم بالحضن وأن يقبل .

هذه الفتاة المحبة تأخذ على نفسها وعداً بأن تكافىء " حران " الذى عاد من غارة ظافرة على منطقة جبة ، وهى مستوطنة في النفود .

١. أخيـــــل ديرةْ مسَلِّـــــي   وان حال دونها عســـاما
٢. ياضـــامر البطن يااللـــي   ماتذوق طعـــامٍ ولا مـــا
٣. ياعيال عِلْـــوَى هل لـــي   اليا جـــا نهار الزحامـــــا
٤. بارودهم مستقـــــــــلٍّ   يقصـــم متين العظامـــــا
٥. يانجمـــة الصباح ياللـــي   هاضـــوا عليك النشـامى[١٩١]

المعنى :

١) أود أن أرى بلاد مسلِّي ، وإن حالت بينى وبينها البراري المجدبة .
٢) ياضامر الجوف ! يامن لايذوق طعامًا ولا ماءً .
٣. ياعيال عِلْوَى أنتم أهْلٌ لى إذا جاء يوم الزحام .
٤. ملح بارودهم مشهور لدى القاصي والداني .. إنه يقصم حتى متين العظام.
٥. يانجمة الصبح يجتمع حولك الفتيان الكرام .

أرسل هذا العـاشق شيخُ قـبيلتـه ليرتاد الكلأ في اتجاه برق لامع . والبرق يرى في الليالى الصحو حتى في الأفق البعد . ويعرف شيوخ البدو حينئذ ما إذا كان يبرق من سحب مطيرة أو من سحب غير مطيرة ، وعلى أي الأراضي يلمع . " أين تضع هذا البرق ؟ " : (وين تْخِيل هالبرق ؟) . " أضَعُه ، أرى أنه يبرق (أخِيلـه (أو أخَيّله) هناك أو هنـاك) . وإن أرادوا أن يكونوا على يقينٍ تامٍّ أرسل الشيخ ركبًا ليروا الإقليم المتوقع هطول المطر فيـه ، ويحـدث هذا فى سنى المطر القليل بوجه خاص ، حين تتهدد الفاقة البدو وقطعان مواشيهم .

يدنو المحب من أرض مسلي من عشـيـرة (علوى) الذين يمت إليـهم بصلة القـرابة . ومـعنى (مسـلي) حسـب تفسـير عـودة الكويـكبى (حبـيب) وحسب تفسير حمار " إقليم في نجد " .

عساما : أرض صحراوية قاحلة لاماء فيها ولا مرعى[١٩٢] ، وهذا المحب الراغب

في أن يكون على مقربة من فتاة قلبه لابد له من أن يعبر هذه الصحراء . نجمة الصبح : يقصد بها ، في هذا البيت من الشعر ، الفتاة المحبوبة التى تفوق بجمالها النساء طُرّاً . وحين الخطر الجسيم ترمى بنفسها نحو العَدُوِّ فيجتمع حولها الشبان الشجعان ويَهْزِمون ، بتشجيع منها ، الأعداء .

الوجد وجدي على حرمه	لوهي عجوز ومجنونه
والفخذ منها كما الشلفا	وتْطَيّرَ القلب بعيونه[١٩٣]

المعنى : يالوجدى على امرأة وإن كانت شيخة ومجنونة ، وإن كان فخذها حادّةً كحد الرمح ، وكانت نظراتها المخيفة تخلع القلوب !

١.	ياراكب ملحا تبوج اشهب اللال	أيضاً ولا عليه رديف محنها
٢.	أول نهارها بس مشي وذومال	وتالي نهارها طير الربخ عنها
٣.	واقطع لها من غاية اللوز محجان	واستدنها بالنايفه من شغنها
٤.	تلفي لبيت ربعته كنها الجال	لو جيت بيت صويحبي فك عنها
٥.	فكوك ريقك طلعة الشمس فنجال	وحايل ثمان أيام يندى صحنها
٦.	[قل] كيف رجلك ياذرا كل مشوال	الياطار عن سرد السبايا يقنها
٧.	ياليت شرك ينقسم بين الانذال	يارب رجل صويحبي عف عنها

المعنى :

١) أيا راكبَ ناقةٍ جونة (سوداء) تشق السراب (أشهب اللال : الآل [السراب] الأشهب) ، وليس عليها رديف لراكبها فتتألم لثقل الحمل !

٢) ليكن سيرها في أول النهار سيراً معتدلاً ووخيداً وحسب ! لكن اِحْثُثْها

في آخر النهار لتغذ السير فتقذف أقدامها بالحصى هنا وهنالك !

٣) واقطع من شجر اللوز عصًا لتسوقها به .. بل واغمز ما تحت ذيلها لتنطلق مسرعة في عدوها .

٤) تصل إلى بيت مجلس الرجال فيه (الربعه) كأنه (جال)[١٩٤] . وإذا جئت بيت حبيبى فحل الرحل عنها (أى الناقة) .

٥) سيكون إفطارك عند طلوع الشمس قهوة (حرفيًا : فنجانًا) .. وناقة سمينة يظل الصحن رطبًا من شحمها ثمانية أيام .

٦) وكيف حال رجلك ، ياحامي كل ذلول ترفع ذيلها خوفًا حين تطير عقول جماعة السبايا من الفَرَق .

٧) ياليت ما أصابك من أذى [يزول عنك ويذهب] ليقسم بين الأنذال .. يارب ارحم رجل حبيبي ! .

كان لفتاة من عشيرة (الدغمان) محب مَزَّقَت ساقَهُ رصاصة في إحدى الغارات . فجاءوا به إلى بيت ابن هذال شيخ العمارات حيث وجد من يعتنى به . فقالت حبيبته هذه القصيدة وأرسلتها إليه[١٩٥] .

راويها : طراد بن سطام .

البيت -١- : بُوْج لنا ها لبلاد : يعنى : " اختبر هذه الأرض لنا " . أى ارتدها ، وانظر حالها من حيث كثرة العشب أو قلته ، ومن حيث طبيعتها وتضاريسها ... الخ " .

اللال : ارتعاش الهواء في يوم حار . وكلما قربت الأرض قوي التبخر ، وتبدو الأعشاب والشجيرات كأنها تتحرك وكأنها أكبر حجمًا ، ويتعذر على المرء التمييز بين راكب وشجرة على بعد كيلومترين .

البيت -٢- :تكون الراحلة الأصلية خير ما تكون من حيث السرعة قبل غروب الشمس وبعده ، وينبغى ألا يكبحها الراكب . الرِّبْخ : هى الحصى الصغار التى

تفرقها أخفاف البعير حين يعدو[١٩٦] .

البيت -٣- : لِيَحْمِلَ الراكب الناقة على السير بأقصى سرعتها يعمد إلى غرز رأس عصاه ذي الشعبتين تحت ذيلها (يستدنيها) . وبعض الراكبين يغرزون الشعبة أعمق مما ينبغي مجبرين البهيمة البائسة إلى أن تعدو عدواً جنونيًا .

البيت -٤- : يُبْنَى البيت للزوار الذكور دون غيرهم ، سواء كانوا غرباء أو مواطنين . الجال : منحدر طويل عميق تسقط بوساطته هضبة مرتفعة إلى الأرض المستوية الأكثر اطمئنانًا .

البيت -٥- : فك الريق : هو الفطور . والوجبة الحقيقية هى العشاء . وللضيف أن يقيم لدى ابن هذال ثمانية أيام - لا ثلاثة - إن شاء ، وخلال هذه المدة كلها يقدم له لحم النوق السمان غير اللقحات . فالصحن - وهو واسع وكبير - دائمًا مبتل من أثر الشحم . المشوال : مهرة سريعة أو ناقة ترفع ذيلها عاليًا وهى تعدو .

ما اريـــد انا نازلٍ الطَّفَّـهْ	ولا اللي سكن عقلة الوادي
لا ما حلى مقـــابل الصَّفَّهْ	والغشمري قـــــرم الاولادِ

المعنى :

لا أريد من يقطن (الطفه) ، ولا من يقطن قرب بئر الوادى . ما أحلى من يقطن أمام الصف (صف البيوت) ، والشاب القوي الشجاع .

إن أمنية هذه الجارية أن يبني حبيبها بيته في ضفة الوادي الأخرى .

الطفة: هضبة يقطعها واد عميق . وفي الأراضي التى لا يخشى فيها حدوث هجوم معاد يضرب القوم بيوتهم حيث شاءوا . وكثيرون يقع اختيارهم على الهضبة عينها ، حيث تتمكن إبلهم من الرعي دون أن يعوقها عائق ، ويؤثر آخرون أن

يكونوا على مقربة من الماء ، ولذلك يضربون بيوتهم قرب بئر (عقله) ، وهنالك آخرون أيضًا - وأولاء هم الأكثر - يختارون موقعًا من ضفة المجرى يكون أوسع وأكثر استواءً ، كما يكون في ذرى من الريح والرمل ، وحيث يكونون أيضًا في مأمن من أذواد الإبل وقطعان الماشية الأخرى التى تزدحم على الماء . وتضرب البيوت عادة صفين تفصل بينهما قناة ، وتكون جوانب هذه البيوت ، بصفة عامة ، مغلقة تجاه الريح فيكون النظر من أحدها إلى داخل الآخر متعذراً . لكن النسوة يجدن رغبة في رفع الجانب الخلفي من البيت ، ويختلسن النظر خلال الثقب لما يجرى في البيوت في الجانب المقابل .

ويضيفون إلى الأغنية السابقة :

اللي ذلوله لهـــا هَفَّهْ	من فوقها الخرج وشدادِ
يا ماحلـــى لمعة الدَّفَّهْ	كان الغضي يمنا بـــادي

المعنى :

الذى لذلوله (أى مطيته الذلول) سرعة العاصفة .. وعليها خرج ورحل (شداد) .

ما أحلى لمعة (الدفة) ، إن كان الحبيب قادمًا نحونا . (هفه) : سير سريع سرعة العاصفة ، سرعة فائقة يكون للريح أثناءها صوت في الآذان . الخرج : كيس مزدوج يمكن إلقاؤه على رحل البعير ، وكيس صغير أيضًا من الضرب نفسه يوضع على سرج الحصان . الدفة : عباءة شتوية ثقيلة يبتاع الرجال الشغوفون باللباس عباءات مزركشة بين لوحي الكتفين بحشية عريضة ذات خيوط فضية - أو في الأقل نحاسية - متلألئة ، وتصل الهدب المصنوعة من هذه الخيوط حتى البطن . ومثل هذه الحلية تلمع إذا كان الليل مضيئًا .

بادي (بمعنى ســاير) : هو من يزور في الليل : " بادي علينا (أو مســير علينا) " إنه آت ليمضي الأمسية معنا .

يا بو خلاخـِـلْ وزميِّم　　　والخدّ براقٍ يلــوحْ
يا ما حلى قضب البريــِّم　　　والعمر صيوره يروحْ !

أى :

ياصاحب الخلاخل والزميّم(١٩٧) .. يامن خده يتلألأ ويبرق ! ما ألذ القبض على (البريم) " انظر معناه أدناه " ، والعمر مآله للذهاب .
بْرَيِّمْ : (تصغير بِرِيم) حزام دقيق من سيور جلدية تَنَطَّقُ به النساء على أجسادهن العارية .

راعي القعود المشــذَّر　　　مع وادى السدر ينحى
قــم حبني لاتَعَــذِّر　　　والعــذر ماني بطرياه

أى :

يا صاحب الجَمَل ذى المراس الصعب ، الذى يسير مع وادى السدر .. قم فقبلني ولا تعتذر .. إنى لا أحب أن أسمع ذكراً للعذر [أى لن أعذرك أبداً] .
يطلب عاشق في أثناء الظعن قبلة من حبيبته التى اختفى زوجها قبل قليل عن الأنظار ، لأن مطيته ترعى من كل بقعة عشبًا جيداً ، أو شجرة عيدان. إنه يسير في واد مكتظ بأشجار السدر والأشواك . وإن كان مضطراً لمراقبة بعيره الصعب فإن عليه الآن وسط السدر أن يكون أشد حذراً ، وهكذا يكون قد حيل بينه وبين مراقبة زوجه الراكبة في مؤخرة القافلة .

١. يابرق ياللـــي تالى الليـــل لَمَّــاعْ	شفتك وانا بهجعة الناس واعـــي
٢. من روس عـــال شمخ كدبهن قـــاع	بليـــال غر بيض عجل شعـــاعِ
٣. قم شد واركب في قرا كل مطـــواع	وابعـــد لزوره عن ملاوي الذراعِ
٤. هـــواَّع بواَّع للدَّوّ مـــــــذاَّع	حر تَرَوَّحْ مــــع رقاريق قـــاعِ
٥. وليـــا شِبَثْتِهْ بالرسـن هاع والتـــاع	كـــن الشذا على جِنَابَيــــه فـاع
٦. الراس راس اللي سمك بعد الخضـاع	بسمكته شـــاف اللجـاجة وزاع
٧. ياشبـــه هيق حادر بعـــض الاريــاع	وملـــح الشفا على جناحيـــه ثاع
٨. نهـــج سلم قوايمه يطـــــرق البـــاع	جنحـــان زادن الخريش اخـــتراع
٩. كزيـــع زاع مزوع يـــــوم ينـــزاع	حر سعى بطـــراد من قبل ياعـي
١٠. قلت آه من علم لفى القلـب والتـــاع	سقى شريك الروح ســـم الافاعـي
١١. من اليـــوم اومى نوبتين بالاصبـــاع	مثل البدر يوم انتهض بارتفـــاع

معنى الأبيات :

١) أيها البرق ذو اللمعان في آخر الليل ، لقد رأيتك وأنا مستيقظ والناس رقود .

٢) لقد بدا وميضك فوق رؤوس جبال شامخات ، في ليال غر بيض تنتشر فيها أشعة الضياء بسرعة .

٣) قم فشد الرحل ، واركب جملاً مطواعًا ، ولتجعل زوره بعيداً عن مكان التواء ذراعه .

٤) جمل سريع يقطع البيداء بخطوته التى طولها باع ، حر أصيل يمضى عبر قاع مستو .

٥) وإذا جذبته بالرسن رغا والتاع ، كأن حشرة " الشذا " قد وقعت على جبينه .

٦) رأسه رأس البعير الذى أمسك برأسه بعد إخضاعه ، وبعد الإمساك به رأى ما أجفله ففر .

٧) ما أشبهك أيها الجمل بِهَيْقٍ (ظليم) قد نزل في منحدر ، وعلى جناحيه أثر الملح من الطلقات النارية التى أطلقها الرعاة عليه .

٨) لقد مضى فسلم ، وكانت قوائمه تذرع الأرض ، وزاده جناحاه رعبًا .

٩) إنه ليعدو كمطرود أو طارد ينطلق فاراً .. إنه حر أصيل عرف كيف يعدو دَفْعًا عن نفسه وهجومًا قبل أن يستطيع تدبر أمره بعقله .

١٠) لقد قلت : آخ ، متأوهًا من خبر بلغ قلبى فاشتدت حرقته ولوعته لأن شريك روحى قد سقانى سم الأفاعى .

١١) منذ أن أشار إليَّ مرتين بإصبعه ، إنه كالبدر حين ارتفع .

الشاعر : شراري مجهول . الراوي : مسعود الصبيحي الذى رافقني في رحلتي إلى واحة تيما . يستيقظ الشاعر في آخر الليل بين اليومين الثانى عشر والثامن عشر من الشهر القمرى ، ويرى برقًا على الجبال الشاهقة على امتداد الأفق ، فيطلب من صاحبه أن يشد الرحل على ناقتيهما ويركبان كلاهما الناقتين ، ويسوقانهما لتسيرا بأقصى ماتستطيعان من سرعة عبر السهول .

يشبه خطى مطيته السريعة بعدو جنوني لنعامة مذعورة ، ويتذكر محبوبته التى أثارت أشجانه في بادىء الأمر وأسعدته كثيراً في آخره .

البيت -٣- : الزور : هو البقعة التى في وسط الجزء السفلي من الصدر التى يتكىء الجمل البارك بها على الأرض . وحين يبرك البعير تمس عظام يديه الزور . و (إبعاد الزور عن ملاوى الذراع) يعنى أن تحث البعير على النهوض والمسير .

البيت -٤- : رقاريق قاع : سهوب تغطيها رمال خشنة ، حيث غالبًا ما يرى السراب في الظهيرة ، في معظم الأحيان . الرقروقة : أرض تغطيها حجارة قد

أبلاها الطقس ، الحماد : أرض تغطيها الحجارة الصِّغار الصِّلاب وكثير من أحجار الصوان .

البيت -٥- : شذا : (الشذا) أى ضرب من الأشباح تراه الحيوانات وحدها في كثير من الأحيان ، ويفترض أنه يحب طعم المخ بخاصة .

البيت -٩- : الطرد : هو حركات الحصان في الهجوم والدفاع في المعركة . يتطلب تدريب الحصان على الطراد وقتًا ، في حين يجيده الظليم الحر في وقت مبكر جداً (قبل ياعي) .

البيت -١٠- : شريك الروح : الحبيب .

البيت -١١- : اطمأنت روح الشاعر لما جاد له حبيبه بالإشارة التى كان يشتاق إليها .

في مديح قوم الحبيب

هلا هلا ياعرب فرحـــان	يامرحبا بذابل الريق
وأهل الزينه ماهم شردان	حميتهم للمســـاويق
وليا تلاقوا مع العدوان	خلوا عليهم تحاريق

يرحب العاشق بأهل حبيبته ويمدحهم . هَلا هَلا . أى : أهلاً ، أهلاً ، ياهلا ، ياهَلا . ذابل الريق : الحسناء الفاتنة التى يقع المرء في حبها في الحال حبًا يجفف الريق في الفم كما لو كان المرء محمومًا . المساويق : المحاربون الذين يسوقون القطعان المستولى عليها ، ولأنهم مضطرون لمنع الحيوانات من الفرار فإنهم غير قادرين على الدفع عن أنفسهم كما ينبغي ، وبإمكان العدو المطارد لهم قتلهم بيسر[٢٠٠] .

١. ياراكب اللي بالردف تقل مرقي	أزوال ربـــد مجفل بالـــــزَّرَاجِ
٢. ولاحمـــام مروح له لـــــبرج	عقـــب المقيل مـــروح بانزعاج
٣. يارسل ياللى للمعازيب ترجـــي	لازم تشوف النار مثل السـراج[٢٠٢]
٤. يدعيك بيت به مجالس وهـــرج	راعيه ماحاشت يمينه خـــراج[٢٠٣]
٥. سميّ مرصوف الخدم يابو مرجي	سلـــب عديلي من ضميري وماج
٦. سلب عديلي سلب كابون سرجي	وعيني تكب غروب مي همـــاج
٧. عليـــه من غالي المثامـــين درج	ضـــاف على ساق تقل عظم عاج
٨. اللى بنت بالقلب قصـــراً وبرج	بنت بشمع لون قـصــــر الخفاجي
٩. عذروب أخوها سربته تقل عرج	يثني ليا طـــارت عيون الهراجي
١٠. يا لايمن مقطـــوع ماعاد يرجـي	يوم الحـَــــرا ماعاد عنده يداجي

المعنى :

١) أيا راكب (الناقـة) التى يكاد مـتنهـا يحتـاج إلى أن يرقى بسلم ! كـأن الغبار المنبعث من أقدامها قتام تثيره نعام مذعورة .

٢) أو كأنه حمم عائد إلى برجه .. منزعجًا بعد مضي الظهيرة .

٣) يا أيها الرسول الذى يحث سيره نحو المضيفين .. لابد أن ترى النار قـوية كالسراج .

٤) يدعوك بيت فيه مجالس وأحاديث مسلية .. ولم يسبق أن جاء طالب خراج إلى صاحبه (أى أنه لا يدخر مالاً فيطلب منه خراج ، بل ينفقه) .

٥) إن سمي (الدرع) ذى الحلقات المنضودة قد سلب شحم قلبى وأحشـائى يا أبا مرجي (مرجو) وذهب[٢٠٤] .

٦) لقـد سلب شـحم فـؤادى وأحشـائى ، لقـد سلب وِقَاء ســرجي الناعم (انظر التعليق على البيت أدناه) ..

وعينى تسكب غروب ماء[٢٠٥] [شوقًا إلى الحبيب] .

٧) إنها ترتدى ثيابًا غالية الأثمان ، تستر ساقًا كأنها عظم عاج .

٨) التى بنت في قلبى قصراً وبرجًا - بنت (القصر والبرج) بملاط كملاط قصر الخفاجي .

٩) عيب أخيها أن سربته كأنهم عرج[٢٠٦] .. إنه يثبت في اللقاء حين تجحظ أعين المتشدقين بالقول .

١٠) أيا لائمى عسى أن تحرم مما تريد فلا ترجوشيئًا ليتحقق لك .. وعسى ألاَّ يدنو منك أحد يوم العيد (أملا في هدية منك لعدم مقدرتك على إهداء أي شىء)[٢٠٧] .

الشاعر محمد بن مهلهل .

البيت -١- : زول : هو الشكل غير المميز لجسم إنسان يرى من بعد . أزوال ربد : هى سحب الغبار المتصاعدة التى تحيط بالنعام الشاردة[٢٠٧ب] .

البيت -٢- : تؤثر الحمام بناء أعشاشها في الخرائب ، لاسيما إن كانت بعيدة عن البلدان المأهولة . وبعد شروق الشمس تغدو إلى الأراضى المزروعة للبحث عن الطعام والماء . وبعد الظهر ، حين تصل الحرارة إلى أشد شدتها ، تختبىء في مكان ظليل ، وبعد ذلك تطعم وتشرب ثانية ، ثم تعود قبل غروب الشمس بنحو ساعتين ، بأسرع ما تستطيع ، إلى خرائبها ، وغالبًا ماكانت أبعد من مسافة ثلاثين كيلو متراً . وخطو الناقة السريع يذكر الشاعر بسحابة من الغبار ، سريعة الاختفاء ، أثارها النعام[٢٠٧ب] ، أو بسرب من الحمام مسرع ليجثم في أوكاره (مْرَوِّح) .

البيت -٣- : تدل النار الحية المتوهجة في بيت شعرمفتوح علي مضيف كريم . أما البخيل فيضرب بيته في الأودية والشعاب كيلا يَعِنَّ لأي شخص أن يطلب قراه .

البيت -٥- : تدعى الفتاة التى يتغنى بها الشاعر (درع) وهذه الكلمة تعنى " ثوبًا قصيراً من الحلق المعدنى " وعوض أن يصرح الشاعر باسمها استعمل اسمًا آخر لمح به لاسمها العزيز لديه وهو (سمي)[٢٠٨] . وعبارة (مرصوف الخدم) تعنى (الدرع) . أبو مرجي : هو أبٌ لفتياتٍ عدة كان يتمنى أن ينجب غلامًا . والمقصود هنا رجل صديق للشاعر . ماج = ماجوا أو ماجوي ، وتعنى : ما في قلبى[٢٠٩] .

البيت -٦- : عديل : هو الشحم أو اللحم ، عدله : ناقة كثيرة اللحم والشحم . (عربنا معدلين ، ابا عرهم عايفة الشحم) . أى : عربنا راضون لأن إبلهم يغطيها الشحم . (عدل) تعنى ما تعنيه (سمن) تمامًا .. ومن هنا فان (عدله) مرادفة لـ (سمينه) . (سمان اباعرهم) تعنى : أباعرهم سمينة[٢١٠] . كابون سرجي : وثيرة ناعمة جداً لسرج الحصان . لقد سلبه الحب شحمه ولحمه الناعم حتى أن السرج يقرحه كما لو لم تكن الوثيرة الناعمة السميكة هنالك.

البيت -٧- : درْج (الجمع : دِرَج)قطعة من القماش مفصلة لشخص واحد .

البيت -٨- : قصر الخفاجي : الاسم الذى يطلقه الرولة على قصر ابن اخيضر أو " الاخيضر " في جنوبي غرب كربلاء ، وكلما كان الملاط أحسن كان البناء أقوى . ويعجب الرولة بالقوة التى شَدَّ بها الملاط الأحجار واللَّبِن المستعملة في بناء قصر الخفاجي بحيث جعلت هدمه مستحيلاً .

البيت -٩- : كان أخو الفتاة (درع) غالبًا ما أهين جهراً بعبارة (عذروب) أي (عار) عيب ، لكن الشاعر يدفع عنه ، فالمحاربون الذين يقودهم لا يعرجون بل يتحركون ببطء ليحموا رفاقهم الفارين من الخوف[٢١١] .

البيت -١٠- : يوم الحرا : هو اليوم الذى خصصه الرولة للتزاور ، واستضافة بعضهم بعضًا ، وتبادل الهدايا الصغيرة .

اللقاءات والتحيات ، والأماني الطيبات

فاطري روحي عن حمو قيظها عشقتي غاليه ما احمل غيضها

فاطري : الفاطر الناقة المسنة . روحى : اذهبى ، حمو : حرارة .

عشقتي : حبيبتي ، معشوقتي . ما احمل : ما أطيق .

يكون المحارب العائد من غارة في فصل القيظ مشتاقًا إلى حبيبته ، فيحث مطيته المتعبة على السير الحثيث .

ضلــع جبه زِمَــا مثل راس الطخــاة

مرحبـــا يا نوى يا عنود البنـــات

ضِلْع : جبل . زِمَهْ : زما : بان - ظهر . الطخاة : السحابة الداكنة .

نُوَى : اسم فتاة . العنود : الكثيرة العناد[٢١٢] .

تقع مستوطنة جُبَّة في النفود ، على خط عرض ٢٨.٢ شمالاً ، و ٤٠.٤٠ شرقًا ، وبقربها جبل شامخ أسمر اللون وعر يرى ، عن بُعْدٍ ، من جهتى الشمال والجنوب . وكانت الحبيبه (نوى) تقيم في هذه المنطقة .

مرحبًا يا اللى طو له وطولي سوا يا اللى حبـــة فو يهه برود الظمـا

معنى عجز البيت : (يامن قبلة فويهه مبرد للظمأ) ، ومعنى الصدر واضح .

(الظما) : كلمة شائعة الاستعمال بين البدو ، فالظمأ يعذب المسافرين ، وغالبًا ماهلك المغيرون المتشتتون بسبب العطش . إن نقص المياه ليجعل النساء والصبيان يعولون في المخيم ؛ وغالبًا ماكانت تذهب امرأة ذابلة الشفتين ، من

بيت إلى بيت ، تسأل شربة من ماء لطفلها بإيماءات خرساء . وإذا كان ملء الفم ، حتى من ماء فاتر ، ينعش المرء حين يكون ظامئًا ، فما بالك بالإنعاش الذى يحدثه الماء البارد ؟ . والشخص الذى يعذبه الحب يشبه الإنسان الظاميء .

السلام عليكم   وقولوا هـلا
يافريق عليكم   طريق الغلا

معنى البيت الثاني : يا أيها القوم الذين يمر بكم الطريق إلى الحبيب .
يحيي المحب ، وهو في طريقه لزيارة حبيبه ، الحي الصغير الذى يمر عَبْرَه .
فريق : مجموعة لايزيد عددها عن عشرة بيوت .

الياجيت مزبور النَّهَد(٢١٣)   يامعيدي سلم لي عليه
ابو ثمان مجليات   والقلب ملقوعٍ عليه

المعنى : إذا لقيت ذات النهد الكاعب ، يامعيدي ، اقرأ عليها السلام . ذات الثنايا الثمانى الناصعة البياض ، إن فؤادى لشديد الشوق إليها .

١. يا هل العيرات سيروا ياشفاتي   عن سنعهن لاتعوجون المطيه
٢. اليا لفيتم صويحبي وصلوا وصاتي   علموا بعلوم راعي الاريكيه
٣. عند ابوها دلتين متعبات   ريف اهل هجن مزاهبهن خليه
٤. واهني من قاضبه جيب العباة   وانطوى بحضين منبوز الشطيه

المعنى :

١) يا أصحاب النِّياق اليعملات أغذوا السير يا أحبائى[٢١٤] ... لا تعوقوا الأظعان عن سُرَاها السريع .

٢) إذا قدمتم على (صويحبي) فأبلغوه وصيتى .. أُخْبروه بأخبار صاحب الأريكية[٢١٥] .

٣) إن لدى أبيها (دلتين) مُتْعَبتين (أى لكثرة استعمالهما في صنع القهوة التى تقدم للأضياف) . إن أباها ريف للركب الذين أعْيَتْهُم سرعة السير (حيث إن مزاهب المطايا فارغة فلا أثقال تعوقها عن السير الحثيث) .

٤) ما أهنأ من يمسك بجيب عباءتها ، ومن ينطوى في حضين ذات الردف الضخم . سَنَع : مشية الأظعانِ السِّرَاعِ في الليل . فلا هن يرعين ، ولا تؤذيهن الحرارة ، فيسرعن بخطى مقيسة . راعي الاريكيه : يفترض أنها تعنى الشخص المطلع اطلاعًا حسنًا في الأمور كلها ، الذى يستطيع ، لهذا السبب ، التمييز بين الحقيقة والمبالغة . دلتين متعبات : إناءا قهوة مُتْعَبان : في أحدهما تُغْلي القهوة غليًا مستمراً ، وتُصَبُّ من الآخر صبًا مستمراً أيضًا .

ياعــــمَ جَّنا ثلاث ركــاب	قم ســـايل العلم عنهنّ
جوني وانا اقهقر الحيران	بالخوري والقفـــر يرعنّ

المعنى : ياعم جاءتنا ثلاث رواحل ، فقم سائلهن عما يُرِدْن ..

جاءونى وأنا أسوق الحيران[٢١٦] في الغور ، وهن يرعين بالقفر[٢١٧] .

تحدس الجارية حدسًا مصيبًا أن الخاطبين الذين أسرلهم حبيبها قد وصلوا ، وتطلب من عمها أن يسائلهم ليعرف ما أرسلوا من أجله ، فى حين تذهب بنوقها إلى المرعى البِكْر (قفر) الذى لما يَمْسَسْه أي ذود .

(أقهقر الحيران) : يعنى ، أعدو هنا وهناك خلف الإبل الصغار لأردها إلى القطيع . الخور : غور لامنفذ له يحتوى كلأً وافراً.

هلا هلا بلابس المزوي لا يابعد كل سنجارَهْ
الله يجيبك مع الغَزْوِ الله يفكك مع الغاره[٢١٨]

المعنى : أهلاً أهلاً يا لابس العباءة السوداء الرقيقة ، سِنْجارةُ قاطبةً فداء لك[٢١٩]. عسى الله أن يجىء بك من الغزو (سالمًا) ! عسى الله أن يسلمك من الغارة !

تتمنى الجارية النجاح كله لحبيبها المشترك في غارة على (سنجارة)[٢٢٠].

المزوي : عباءة صوفية خفيفة ذات لون أسود مشرب بحمرة . لا يا بعد : تعنى عسى ألا تذهب[٢٢١] . سنجارة : إحدى العشائر الشمرية الأربع الرئيسة .

ياحبيبى يا الحبـــــه وحلو طــاري النكــايف
فـــوق أشعل مطلحبه يجفل من ظل السفايف

المعنى : ياحبيبى يا أيها القبلة ، ما أحلى ذكر عودتهم من الغارة ! فوق بعير أبيض عريض الصدر ، يجفل من ظل (السفايف) .

النكايف : المغيرون العائدون . مطلحب : هو البعير ذو الصدر الواسع والعظام الضخمة . السفايف : أشرطة متعددة الألوان تتدلى من مؤخر الرحل .

ألــــفْ هلا بالشقـــــرا والِـــفْ هلا براعيـــــها
ان كان عطشانه الشقرا بدموع عينى انا اسقيها

المعنى : ألف أهلاً بالشقراء (أى المهرة الشقراء (.. وألف أهلاً بصاحبها .. إن كانت الشقراء عطشى سقيتها بدموع عينى !

يا هـــــل العقله   ياللى قليع مـــــداه
لاتعذلون نَفْـــسٍ   جازت عن هــــواه

المعنى : يا أيها المقيمون قرب البئر ذات الموقع النائى ، لا تطردوا أحداً قبل أن يُرْوِىَ رغبته[٢٢٢] .
العقْله : البئر في الوادى ، أى قاع النهر الجاف ، التى يجب أن تنظف بعد كل مطر غزير . قليع مداه (أو بعيد مداه) : تشير العبارة إلى الطريق الطويل أو الرحلة التى توصل إلى البئر . " قلعنا مداه " و " أبعدناه " بمعنى واحد[٢٢٣] .
يأتى المرء من بعيد إلى (العقلة) في طلب الماء ، وطرد مثل هذا الإنسان دليل على القسوة والوحشية . هوى : الهوى : الشهوة وعاطفة الحب . وإن التقي الحبيبان ، أخيراً ، بعد طول انفصال ، فينبغي ألا يعوق لقاءهما أحد .

فراق المحبين - أشجان الفراق
تباريح الحب

يا صـــويحبي عين ريميه   لا ياغضي لا تنســــاني[٢٢٤]
لو عيروك العـــرب فِيَّهْ   واصبر على العيب من شاني

المعنى : ياصُوَيْحِبي (حبيبي . يا من عينه) عين غزال ، لا ! ، أيها الحبيب لا

تنسنى ، وإن عابك الناس فيَّ ، فاصبر على عيبهم إياك من أجلى .

هويتي خابره خرفــوش　　　يا عين ريمية الـــــــوادي
جفلوهـــا رعيان البوش　　　يا ليتهـــا اليوم تنصـــادِ
ياراسها ياسبيب كروش　　　وتنسفه الشقـــــرا بطرادِ

المعنى : حبيبتى لا يعرفها عدا خرفوش[٢٢٥] ، لها عينان كعيني غزال أبيض (رِئْم) في الوادي .

ذعرها رعاة الإبل ، فيا ليتنى أصيدها اليوم ، يا لشعر رأسها ، كأنه شعر (ذيول) الخيل الذى تميله الفرس الشقراء في الطراد يمنة ويسرة .

الوادي : هذا هو الاسم الذى يطلقه الرولة على منخفض السرحان . البوش : مثل (الطرش) : أذواد الابل . راس : شعر الرأس . سبيب كروش : هو شعر ذيل الحصان الذى يتجعد تجعداً طبيعياً . تنسفه : تعنى المهرة التى تعدو وتقفز قفزات فجائية ، وترفع ذيلها إلى أن ينسدل شعره على متنها فيغطى حتى خاصرتيها .

يا خيي بالليل لا تســـري　　　لا تنلجم[٢٢٦] يا بعد عينى
كان ان قليبك علي جســـر　　　بالضـــو تستافـــي الدين[٢٢٧]
هنيت أنا باني القصـــــر　　　كل يوم واهـــله مقيمـــين

يا أخى لا تسر فى الليل ، لا تلجم دابتك[٢٢٨] .. يا من عيني فداء له .

إن كان قلبك مشتاقًا إليَّ كثيراً ، فعند الصباح يصلك ما لك عندي من دين .

إنى أهنيء من بنى لنفسه قصراً لأن أهل القصر دائمو الإقامة . قصر : هو اسم أى منزل مبنيٍّ من الحجر أو اللَّبِن . والقصر الصحراوى يؤلف فناءً مربعًا ، يحيط

به حائط عال ترتكز حوله مساكن عدة أسر . وعلى هذا النحو يعيش الأقارب جميعًا في مسكن واحد . وفي الخلاء يضرب أبناء العشيرة الواحدة بيوتهم مجتمعة ، لكن ينضم ، أحيانًا ، شخص أو آخر إلى عشيرة أخرى ، مما ينتج عنه أن ينفصل المحبون أحدهم عن الآخر . ولخشية هذه الفتاة أن يهجم أحد على حبيبها ليلاً تطلب منه أن يزورها في النهار .

هلا هلا يا دخيل الله	ياللى علومك تعزينى
ودي بكم مار خلق الله	كثرت علوم الفراقين
أختك ليا ركبت الظله	ياعين نادر شياهين

المعنى : أهلاً أهلاً يا دخيل الله ، يا من يسرنى كثيراً أن أسمع عنه (كذا) . أو أن أذهب إليكم لكن خلق الله بَثُّوا إشاعات تحول بينى وبين ذلك . إن أختك حين تركب في الهودج لتبدو كالصقر الأصيل[٢٢٩] .

كان دخيل الله ، وهو شمري عشق فتاة (رويلية) ، كثيراً ما حل على والديها ضيفًا مكرمًا ، ولسوء الحظ وجد أحد أقرباء الفتاة الأدنين قتيلاً مع إبله ، ولم يعرف القاتل . وقد ساورت الأقرباء الشكوك في دخيل الله ، وأن يكون قد قتل منافسه غَيْرَةً ، وحثوا الفتاة على رفض الأجنبي ، لكنها ظلت مخلصة له . وقد غنت هذه الأبيات .

الظلة : هى رحل (القتب) مع غطاء يلقى على عموده الأفقي الأعلى لِيُظِلّ المرأة. وهى تتحدث عن نفسها كأخت ، وهكذا تكون قريبة قرابة دم لدخيل الله ، وهذا برهان على أنها لن تتخلى عنه . وهى ، في تأملها لوجوه أقربائها المهددة ، تربط بينها وبين منظر الصقر الأصيل الذى لا يرعبه أى وحش .

يا ديك اريدك مع الاموات ما تقطع الياس يا شــينِ
غدا به مسمح القـــــالات معطي العفون البعــارينِ

المعنى : يا ديك إني لأتمنى أنْ قد مت ، لماذا تنغص عليَّ صفائي أيها المخلوق السيء ؟ . لقـد أراح نفـسـه من لا يسـتـمع إلى الأقـاويل .. ومـن يهب حـتى العاطلين الذين لا خير فيهم إبلاً [(٢٣٠)] .

لقد أغـاظ الديك الفتـاة لتذكيره العـاشق الذى كان في زورة لها بأن أوان انصـرافـه قـد حـان . عفُون : هو الاسم الذى يطلق على العـاطلين السمـان الذين يتخلفون عن الغارات . إن الغنيمة التى حازها حبيبها من الكثرة بحيث يستطيع أن يهب حـتى الشـخص العـاطل السـمين من هؤلاء نوقًا ، ولاسـيمـا إن كـان من أقرباء محبوبته .

يا نجـــــوم السما عقبنا ســاريات
واعَدَنَّــا القمـــــر وَاخْلِفَنًّا المبــات

المعنى : نجوم السماء الصِّغار .. حين ابتدأن رحلتهن الليلة بعد افتراقنا أعطيننا موعداً هو لحظة طلوع القمر .. لكنهن لم يفين بوعدهن طوال الليل .

اتفق الحبيبان على أن يلتقيا عند بزوغ القمر ، لكن السماء غطتها الغيوم فلم تَبْدُ النجوم ولا القمر حتى الفجر .

ياخيي ما جا العرب طرشان هم مالفاهم عن الغالـي ؟
واقلبــي اللى غدا كِثّــان واهمي اللى سرق حالي

المعنى : يا أخى ، ألم يأت العربَ[٢٣١] سَفْرٌ ؟ ألم يأت أحد من عند عزيزى ؟

لأن قلبي له .. لمن يتفتت من أجله كالهش من الحصى[٢٣٢] ، ومخاوفى هى من أجله ... من أجل من سلبنى راحتى[٢٣٣] .

طارش : (الجمع طروش أو طرشان) : مسافر . كثان : تعنى صخرة أو حجراً متفتتًا أو متكسراً قطعًا . قلب الفتاة يجف أو يتفتت شوقًا .

من عذر وجهى ليا رمد　　من بعدكم يا الكواكيب

واقفيتوا وسليفكم عمد　　واني نحـرت التغاريب

المعنى : من يعذرني إن غطى وجهى الرماد والغبار بسبب فراقي لكم أيها الكواكبه[٢٣٤]؟ ووليتم ذاهبين ، وتقدمت كتيبة من جنودكم في طريق مستقيم ، أما أنا فمضيت صوب البلاد المأهولة .

الفتاة حزينة ، لأن الكواكبة أهل حبيبها سيقطنون بعيداً في المؤخرة ، في حين شرع أهلها في المسير إلى الشام .

إذا فقدت امرأة أحد أقربائها الأدنين ، ألقت الغبار والرماد على رأسها ووجهها . والفتاة المحبة (هذه) تحب أن تفعل ذلك لكنها تخشى أن توبخ بسببه[٢٣٥] .

سليف (تصغير سلف) : [تطلق على] الجنود المسلحين على رأس العشائر الظاعنة التى لا تسير يمنةً تارةً وتارةً يسرةً التماسًا للمرعى الجيد ، بل تلتزم مساراً مستقيمًا (عمد) ، لأن المراعى تكون قد وجدت .. وجدها رُوَّاد أرسلوا من أجل تلك الغاية ، وحتى المنزل قد حدد .

يستعمل الفعل (غَرِّبوا) في الإشارة إلى البدو الذاهبين إلى البلاد المأهولة مهما كان اتجاهها .وكانت الفتاة ستقطن الشام وسيقطن الشاب الصحراء الداخلية.

يا يمـــه جاني بلا مخـــلف   وش حيلتى ويش أنا اســـاوي
دمعــــــي على وجنتي يذرف   واطنب طنيب اشهـــب الواوي

المعنى : يا أمي (يا أميمتي) لقد حل بى أسىً دون سابق إنذار فماذا أصنع الآن ؟

إن دمعتى لتذرف على وجنتي ، حين أقطن في جوار ذئب عاو[٢٣٦] .

طنيب : هو الجار الذى تلامس (أطناب) بيته أطناب جار آخر[٢٣٧] . وهذه الفتاة أو المرأة إما أن تكون فقدت حبيبها في معركة أو أنه تنكر لها ، وهي مضطرة ألاَّ تبكي في البيت ، ولذلك فهى تذهب وراء القطين وتبكى هناك ، وتندب لتسري عن نفسها .

أشـــهب : هو ذئب يُعْوِلُ ويَنْدُب ، ولذلك دعى (الواوي) أى الصـــائح . وفي تخوم الصحراء يدعى ابن آوى (واوي) . ولا وجود ، في الصحراء الداخلية ، لبنات آوى . (واوى) كلمة تحاكى بها صيحة ابن آوى .

لا وابي نووا ينحـــــون   يم جيرة الله عرب خِلِّي
يذكر عشيري نهار الكون   يردهـــــا والرِّدِي ذَلِّ

المعنى : ياللأسف .. لقد عزموا على الرحيل .. فلتقطنوا في جوار الله ياعرب خليلي [ياقوم حبيبى] . إن حبيبى في يوم الحرب سيتذكر ، ويرد مهرته حين يخاف الجبان .

(لاوابي) أو (لاوبعيني) تدل على ماتدل عليه عبارة (ياحسرتى) ، وهى التعبير المألوف عند فقد شيء عزيز . وطبقًا لأُغْنِيَتنا ، فقد رحل أهل الحبيب برفقة أهل محبوبته التى كانت تتمنى أن يقطنوا أَيضًا معًا ، لكن قوم

حبيبها انعزلوا بغتة . ثم تسلى نفسها مرة أخرى بأن فتاها لن ينساها ، وأنه سيهبُّ لنجدتها إن هوجم قطينها ، وحتى إن حَمَلَهُ العدو الأقوى على التراجع ، فإن تَذَكُّرَهُ محبوبته سيجلعه يعود ويستأنف القتال من جديد[٢٣٨] .

" يم جيرة الله " : أو " مع جيرة الله " تعنى ما تعنيه : " بحفظ الله " .

زل الربيع وداخل بالقيظ والغرو ما وقنا عليه
يابو نهود كنهن البيض والقلب ملقوع عليه

المعنى :مضى فصل الربيع ويبدأ القيظ ، ولما ألتق بالحبيب بعد ! ياذات نهدين كبيضتين ، التى يلتصق بها القلب التصاقًا شديداً[٢٣٩] .

زل الربيع وحودروا للقيظ والغرو ما وقنا عليه
يا بونهود كنهن البيض والقلب وجلان عليه

المعنى : لقد مضى الربيع ورحلوا في طلب مرعى القيظ .. لكنا لَمَّا نر الحبيب بعد ، حبذا ذات النهدين الشبيهتين بِبَيْضَتَيْن ! إن قلبى ليتوق إليها[٢٤٠] !

إبان حرارة القيظ الشديدة يقطن البدو الأغوار حيث يتوافر الماء ، لذلك هبطوا (حودروا) من النجود .

أبغى أتغطى بالمنام والعين ماهى نايمه
عدي صويب بالمنام ما جودوا حزايمه[٢٤١]

المعنى : أريد أن ألتحف في فراشى ، لكن عينى لن تنام ، أشعر وكأنى جريح

في الفراش ، لم يجددوا ضمادات جرحه .(عِدّي) أو (كِنّي) : تعنى " أشعر مثل " صويب : تدل على الجريح جرحًا خطيراً لكنه غير قاتل ، حزايم : ضمادات ولفائف . وإن لم يحسن شدها وتجدد فإنها تسبب المزيد من الآلام .

قلت اعرضوني على الزرقا　　كن الرمد صايب عينى
حب الغضي بالحشا يرقي　　مخطر على الكبد كاويني
واشيب عيني من الفرقا　　كان العرب بين شورين

المعنى : قلت أجلسوني معترضًا على مهرة زرقاء .. لأنه يبدو أن الرمد قد أصاب عينى ، إن حبي حبيبى يصعد في أحشائى .. فيكوينى كما لو أُلْصِق سفود حار ببطنى . ستشيب عيناي للفراق إن سلك العرب مسلكين مختلفين[٢٤٢] .

لم يتوصل القوم إلى اتفاق حول الجهة التى ينبغى أن ينقلوا إليها معسكرهم . ويخشى المحب أن يقطن قوم معشوقته في موضع غير الذى قطنه قومه ، ويرى أن حاجبيه قد يشيبان ، وعينيه قد تعميان إن لم يسطع رؤية محبوبته .

واشيبعيني : " آه ، لعيني الغائمة الشائبة " و " واشيب قلبى " : " آه لقلبى الغائم " أقوال تستعمل في سوء الحظ .

يا راكب اللى ذميلها زين　　قمراً إيديها ، شراريه
يامنوة اللي هله مقفين　　واللي غريب نِصَى حيه

المعنى : يا راكب الناقة التى سيرها حسن .. ذات يدين بيضاوين (شرارية) الأصل ..

يا منية من ذهب أهله (أى أنا) .. حتى إن كان بعيداً ستصلين إلى حيث هل حبيبك[٢٤٣] .

ذمِيل أو دَرْهَم : هى خطوة البعير السريعة ، حين يرتفع نِصْفَا الرحل كلاهما في لحظة واحدة . قمرا : مطية ورقاء اللون ، يداها أكثر بياضًا من رجليها . سلالة الإبل الشرارية خير المطايا .

حين تطوف العشائر في البرارى الداخلية ، أوتعود ، فإنها ، بوجه عام ، تسير باتجاه واحد ، لكى ترعى القطعان بانتظام قرب الدروب. وفي فصل الربيع حين تنبت المراعى ثانية بعد عدة أسابيع ، وتبشر النباتات المعمرة المزدهرة بنمو وافر ، تتوقف الحركة المنتظمة في اتجاهات محددة ، وتتحرك العشائر المختلفة إلى الأمام أو إلى الوراء حسب الموضع الأنسب لها من حيث الكلأ والماء . أولئك الذاهبون إلى الوراء يُدْعَوْن (مِقْفِين) . وقد انتلقت عشيرة المحب إلى الوراء ، وعشيرة الحبيبة إلى الأمام . حي : تعنى أهل . إن المحب ، وإن كان يقيم بعيداً ، مايزال يقصد قطين قوم حبيبته (نِصَى حيه ، أو : نحر أهله) .

يا مدحرج حف لي على شعيله	كرب لي الهجن بشداد
العفو ما اقشرك من ليله	خشيت صناديق الفواد
واشكي لك ياخيه يا دويله	واشوف حيانك قفوا غادي[٢٤٤]

المعنى : يا مدحرج ضع الرحل على ناقتى الشعلاء[٢٤٥] . أوثق الرحل على الراحلة[٢٤٦]، فليمنع الله الشؤم ، لكن ما أسوأكِ من ليلة ! لأنك اخترقت أحشائي من نواح عدة . إنى أشكو بثى إليك ياأخيتي دويلة ، لأنى أرى أهلك قد حثوا المطي تلقاء مكان آخر .

خرج المحب في جوف الليل لِيُلِمَّ بحبيبته . وكان أهلها قد رحلوا في ذلك

اليوم نفسه ويمموا صوب مكان بعينه ليضربوا فيه بيوتهم . فمضى إلى هناك حين بسط الدجى على الكون شراعه ، لكن القطين لم يك هنالك ، فقد انتقل أهل حبيبه إلى مكان آخر .

مْدَحْرَج : زنجي أو بدوي كان يعمل " فداويًا " (خادمًا حراً) لدى المحب . شعيله : ناقة ذات لون أورق (رمادي) خفيف .

الكلمة " اَقْشَر " (المؤنث قَشْرَا) : " مشؤومة .. سيئة " ، ينبغي ألا تستعمل ، لأنها قد تثير الشيطان ليؤذى المتحدث ، ولذا تضاف كلمة (العفو) ، دويلة : اسم حبيبته التى كان يدعوها أخته الصغيرة . حِيّان : تعنى الأهل الذين تقطن معهم الفتاة .

غادي (أو غاد) : شيء في موضع آخر ، إما أن يكون أبعد ، أو في جهة غير متوقعة .

ياالفدنه وادني لنا كحيله	عن ديرة مابها جازه
أمشي وانا مْغَثّية البال	واتلي الاجانيب من العازه
شَفِّي غريوٍ مع الحِيّان	ومن الحلا ينقل حرازه

المعنى : يا أيها (الفدنه) قربى لنا المهرة (الكحيلة) ، فأنا أريد أن أبرح بلاد الحظ التعس .

أمضى وأنا كاسفة البال ، وأتبع الأجانب لعوزى وفاقتى . أتمنى لو قطن حبيبى مع قومى[٢٤٧] ، إذن لذهب بكل الحلاوة التى يستطيع الإمساك بها .

يقطن المحب بعيداً ، فلا تستطيع الفتاة لقاءه ، فهى ، لذلك ، تريد أن تفر علي مهر من سلالة (الكحيله) إلى عشيرة أخرى ، حيث يحتمل أن يكون الفتى المحبوب يعمل (فداويًا) . شفي : مرادفة لـ (شهوتي) : رغبتى ، شوقى .

يا لهد قم عطني المحزم نبغي نْغَرَّبْ على النقره
يا خيي واقلبي الــوارد وردة عطشانٍ على مِقْرِهْ

المعنى : يا لهد قم فأعطنى الحزام ، إننا نريد المُضيَّ إلى المقيمين في النقرة . هنالك ، يا أخي يحث قلبى السير[248] كما يحث شخص ظاميء خطاه نحو بئر في الصخر ملأى بماء المطر .

يحن المحب ، وهو في الصحراء ، إلى محبوبته التى تقطن النقرة غرب حوران .

المِحْزَم : حزام جلدي عريض له جيوب للخراطيش . " نْغَرِّبْ " : اصطلاح يستعمله البدو حين يتجولون قادمين من الصحراء الداخلية إلى الأراضى المأهولة بغض النظر عن الجهة .

المَقْرَه أو المقر : بئر أسطوانية نصف - طبيعية ، ونصف - صناعية ، محفورة في صخرة إلى عمق يتراوح بين خمسة أمتار وعشرة ، حيث يتجمع ماء المطر . وفتحتها ، عادة ، ضيقة بحيث يقفلها أى حجر كبير . يظل ماء المطر في بئر صخر من هذا النوع مدة تصل إلي عام ونصف قبل أن يتبخر . ولعدم وجود مناهل كبيرة في المناطقَ التى تحفر فيها مثل هذه الآبار ، فإن الإنسان الظامىء يغذ السير إليها ، والفَرَقُ الشديد يستولى على مجامع لبه ، لإدراكه بأنه سيموت عطشًا إن لم يك في (المقر) ماء .

يا ونتــي ونيتــهــا باقصى الضماير حايره
ليتي شناشـل طوقهـا والعـــب على ضمـايره

المعنى : هذه أنتى ، إنى لأئن من أجلهــا ، أنا الذى قــد تألمت ألمًا يصل إلى

أقصى أحشائى . يا ليتنى كنت سلسلة في عِقْدِها لألعب على صدرها .
يحن المحب لحبيبته التى تقطن بعيداً عنه .

يا راكبـــين هفاهيــف ياواردیـــن على ضمـــــــير
يامفرقــين الا لايـيـف انا اشهد ماانتم على خير

المعنى : يا من تركــبـون النوق الضــوامـر ، يا من تردون (ضْمَيِـر) ، يا من تفرقون بين المحبين ، أشهد أن لستم على خير .
هفاهيف : نِيَاقٌ رشيقات ، صاعدة للجبال بحذر فائق . يقع ضمير شرقي شمال شرق دمشق .

تعلق الأمـيـر النوري امـرأة مـتـزوجـة كـانت تقـيم هي وزوجـهـا في القطين نفسـه . وذات مـرة ، في فـصل القـيظ ، كـان النوري مـخـيـمًا في ملتـقى خـوري " السـاخنه " و " الزرقـاء " ، فـقام بجولـة على فـرسه عبر المعسكر في الاتجاهات المختلفة لكن عينه لم تقع على البيت الذى يؤوي محط عواطفه ، ولم يجرؤ على السؤال خشية أن يثير شكوك ذويه وعبيده . وأخيراً قعد في بيته واجمًا صامتًا . وفي تلك اللحظة دخل صديقه فيصل يصيح مُؤكِّداً أن أحسن معز القطيع ، التى اشتـراها من عرب " العدوان " ليقدمهالأبرز ضيـفه ، قد فقدت . واستمر فـيـصل طوال الأمسـيـة في التـألم : " وا أسـفـاه ، أين معزتـي ؟ لا أدري أين أجدها ؟ " (وعنزي وين ؟ ما ادري وين نلقاها ؟) . ظل النوري صـامـتًا ، وبعـد وَهْنٍ من الليل خرج فيصل والزوار الآخرون ، وأوى الضيوف إلى فرشهم ، لكن الأميـر بقى قاعداً هادئًا متكئًا على رَحْلِ بعير ، وناظراً نحو النار الخامدة . وأخيراً رفع رأسه ، ودعا عبده ، وأمره أن يصنع له قـهـوة جديده ، وأن يوقظ كاتبه جواد ، ثم ألف القصيدة التالية ، وهو يرتشف القهوة :

١. ياجواد واعنزي وانا ادور كليت — واعنزي اللى ماتبين خـــــبرها
٢. كلت محاريفي وادوّر واحلــويت — بِمقــرن السيلين ما احد ذكــرها
٣. نطيت انا المرقـــــاب واشفيت — وبين لي اللي متقي من شجرها[٢٤٩]
٤. فطـــــن عليّه غـرير وونيــــت — وقلبي عليها بين الاضــلاع يرهـا
٥. ان ما تهيا من ثمـــانه ترويت — وعيـــني اللى مايبطـــل سهرهـا
٦. ونيت ونهْ ونة الحي على الميت — ونة قصيم الساق ما احدٍ جـبرهـا

المعنى :

١) يا جواد ، لقد أصابنى الكلل من جراء طول بحثى عن مَعزِتى . وا أسفاه لقد انقطعت أخبار معزتى ! .

٢) نفدت استخباراتي جميعًا ومافتئت أبحث وأعد (من يدلنى عليها) وعداً حسنًا ، لكن لا أحد بمقرن الواديين ذكرها .

٣) صـعـدت المرتقب على عَجَلٍ وأشـرفت على كل مـا حـولى ، فـرأيت حـتى البيوت التى قد حجبتها الأشجار عن الأنظار[٢٥٠]

٤) ثم خطر ببالى عـزيز فـأنّيت[٢٥١] ، لقـد أنيت لفـراقـهـا إلى أنْ أنَّ قلبى بين أضلاعى من الالم .

٥) لم أفلح في أن أشرب من ثناياها الثمانى إلى أن أرتوي ، لذلك فإن عينيَّ لن تكفا عن السهر[٢٥٢] .

٦) لقد أنيت أنة كأنة الحي على الميت ، وكأنة كسـيـر الساق التي لم يحسن أحد جبرها .

أدرك جواد ، على أية حال ، إدراكًا تامًا أية مَعزَةٍ تلك التى يجدّ النورى

في طلبها . وفي اليوم التالى انطلق على فرس النورى ليعرف مِن البدو كم بعيراً لديهم يرغبون في بيعها ، وفي أحد البيوت وجد نساء دون رجال . أنعمت إحداهن النظر في الفرس ، وأمسكتبعنانهـا لَمّا نزل جـواد ليـدخل البـيت ، ثم ربتت عليها ، وأمرَّت يدها على ناصيتها ، وربطتها بوتد البيت ، وجلبت لها ماء ، ولم تستطع أن تنحي نفسها عن الحيوان . فلم يفت جواداً أن يستغرب - في الأقل - هذا الاعتناء غير الاعتيادي بفرس أجنبية ، واسترق النظر ، من طرف خفي ، إلى المرأة الشابة الحسناء ، والْتَقَتْ نظرتاهما ، فاحمر وجه المرأة ، وحدس جواد لِمَ تَلَقَّتِ المرأة فرس الأمير النورى بمثل هذه الحفاوة الشديدة . ولما عاد إلى بيت الأمير بعد أَنْ سَجَى الليل ألفاه غارقًا في التفكير كما كان في اليوم السابق ، وبعد أن خرج الزوار ، وأوى الضيوف إلى مضاجعهم ، ولَمَّا أمر النورى ، مرة أخرى ، بأن تعد له القهوة شرع جواد في مخاطبته قائلاً :

١. عـزي راعى العنز يقـول كلـيت ... بمقـرن السيلين ما احـد ذكرها
٢. تراني بشيرك كان ترخص وحلويت ... عنزك كمين بضميرى خـبرها
٣. عنزك بهـاك النزل تثغي بلـها بيت ... ذيـب يناظرها وذيـب عثرها

المعنى :

١) صبراً محب المعزة[٢٥٣] يقول : لقد أصابنى الكلل ، في ملتقى الواديين ، لم يذكر أحد أنه رآها .

٢) إننى بشيرك ، جئتك بنبأ بهيج ، وإن (تخلصت) منى بثمن بخس ، ولو وعدتنى بالمكافأة ، أن خبر معزتك لكامن في ضميرى .

٣) إن معزتك في ذلك القطين .. تثغو في أحد بيوته ، يحرسها ذئب ، وذئب يلتمس غرتها .

فرفع الأمير يده صائحًا : " اصمت " .

١. لي فاطــر يوم اقــول بـها   تَقْطَـــع رَهَاريهْ داوِيّـــهْ
٢. من نسل شعـــلان ناجبها   عليـــها وسيم العواجيـــه
٣. تزهـــى المبارك مناكبـــها   أصلَـــهْ وكاد شـــراريـه
٤. مهبول ياللـــي تْعَذِرْ بْـــها   ما شفت مرواحــــــها بِيَّهْ
٥. أدور كنينه ومذهبـــــها   ما شفـــت عين النـــداويه
٦. يا مـــا حلى يوم الاعبـــها   والنهد يابيـــــض كدريـه

المعنى :

١) لى ناقـة مُسِنَّةٌ (فـاطر) تقطع ، إذ أقـول بهـا الشـعـر ، أرضًا شـاسـعـة سفعتها أشعة الشمس القوية .

٢) لقد انحدرت من نسل شعلان وعليها سمة (وسم) العْوَاجِيِّين .

٣) تزين منكبيها الوسائد (المبارك) . وهى ، بلا ريب ، شرارية الأصل .

٤) إنك ، يامن تذمها ، لأبله ، ألم تر مسيرها بي ؟

٥) إنى أبحث عن " كنينه " ولم أجد لهـا أثراً ، لم أجد ذات العين الشـبـيـهـة بعين صَقْرَةٍ .

٦) ما أجمل ملاعبتي إياها ، إن نهديها كبيضتى قطاة .

الشاعر رويلى مغمور . والذى تلا القصيدة [عليّ] منديل القطعي . خرج الشاعر ممتطيًا ناقة كبيرة السن لكنها أصيلة هدية من ابن شعلان ، ليبحث عن محبوبته (كنينه) .

البـيت -٢- : آل عـواجى : اسم بطن من وِلْد سليـمـان ، يقطنون إلى الجنوب الشـرقي من تيـمـا . لقـد سلب آل عـواجي الناقـة من الشرارات ، وسلبـهـا منهم

محاريو ابن شعلان .

البيت -٣- : ميركه : وسادة جلدية ، يعرض الراكب رجليه عليها . ويستعمل ، أحيانًا ، (ميركتان) إحداهما للزينة ، وتغطى حتى جزءاً من عنق البعير ، والأخرى الصغرى (الميركة) التى مضى وصفها آنفا .

البيت -٥- : النداويه : أنثى الصقر التى تجد فريستها حتى حين يمتلىء الجو بالضباب الندي الذى يهبط كالطل (ندى) .

البيت -٦- : كُدْرِيِّه : طائر في حجم طائر الزرياب عندنا ، لكنه أقصر وأثخن ، وله ريش بني داكن ، ونصف جناحيه أسود[٢٥٤] .

١. يا بو رشيد اشكي لك القلب ملكوش	يا منتهى شكواي والقلب مغتل
٢. العفو لا مرسال لا تلفي طروش	مضى شهر شوال وقصيّرٍ زل
٣. يا بو نهود كنهن طلع بطوش	بيض الحمام الراعبي اوهن اشكل
٤. لها عيون يكسن الخد برموش	سوداً مغانيج هدبهن لهن ظل
٥. خده كما الدهدار مايدني النوش	وترفعه شمط الهبايب عن الطل
٦. نهوده حكى بيض على الطُعْسمفقوش	وقذيلته كالريش سوداً تهلهل
٧. البطن لا غبوط لا قطن منفوش	لا مرعز ليان بطنه ولا زل
٨. يا بنت من يثني ليا كمل الهوش	وان دوبحواعوك المراكيض ما ذل

المعنى :

١) يا أبا رشَيد ، أشكو إليك بقلب مجروح[٢٥٥] . يا منتهى شكواى ! إن قلبى لمفعم بالشوق[٢٥٦] .

٢) الرحمة ! لم يصلنى رسول ولا سَفْرٌ ، وقد مضى شهر شوال كما مضى قبله شعبان (قْصَيِّر) .

٣) يا أيتها الفتاة ذات النهدين الشبيهين بثمر (البطوش) .. إنهما كبيضتى حمامة أو هما أجمل .
٤) العينان تكسوان الوجنتين بالأهداب ، إنهما سوداوان مغناجان ، وأهدابهن ظل لهن .
٥) خدها ناعم (كالدهدار) الذى يجب ألاّ يمس مسًا خشنًا ، وترفعه النسائم الخفيفة حين يتخلص من الطل .
٦) نهداها كبيضتين قد شقا نصفين على دعص ، وقذالها أسود يتماوج كالريش على صدغيها .
٧) وبطنها ما هو بِغَبُّوطٍ (قماشٍ ناعم) ولا قطن منفوشٍ ، وما هو بالصوف الكشميرى ، ولا بالسجاد (أى لفرط لينه ونعومته) .
٨) أيا ابنة من يصمد حين يبلغ الرعب ذروته ، ومن لا يخاف حين يُهْزَم الجمع ويلتصقون على رقاب خيلهم .

مؤلف هذه القصيدة هو كنعان الطيار ، وهو من عشيرة كانت في الماضى مشهورة .. تقطن بقاياها عادة ، في الحاضر ، في ضواحي ضْمَير . كان أبو رشيد صديقًا للعاشق المتيم كنعان الذى كانت محبوبته ، وهى ابنة أحد الشيوخ ، تقيم مع أبيها في البر الداخلي .

البيت -١- : مَلْكُوش : هو الجريح أو المضروب ، (لاكِشْنِي هالسيف) تعنى: (لقد جرحنى - ضربنى - هذا السيف) . منتهى شكواى : تعنى " عزائى الأخير ، أو سلوتى ، هو المرء الذى أثق به أكثر من غيره " . القلب مغتل ، أو القلب به غل (أو هم) تعنى : القلب مليء بالحب القوي ، غير المشبع .

البيت -٢- : " العفو " أو " يا الله عونتك " التى تعنى " رحمك الله ! " أو " أعانك الله " هى صيحة مألوفه عندما يسمع المرء ببلية كبرى . الله يعذب الإنسان بسبب خطاياه ومن هنا الدعاء " العفو " الذى يعني " الغفران " !

" الرحمة " ، وإن عفا الله عن السيئات زال السوء ، كنعان ، الذى عاش بصفة دائمة مع الحضر ، يستعمل لفظة (شوال) التى تدل على الشهر العاشر ، وهى غير مألوفة في الصحراء . القصيِّر : هو الاسم الذى يطلقه العرب الذين يعيشون في ضواحي دمشق على الشهر الثامن (شعبان) .

ظعنت حبيبة الشاعر مع أبيها إلى البر الداخلي في شوال ، والآن يقترب (القصير) من نهايته ، وهكذا كادت عشرة أشهر أن تمضي ، وعلى ذلك فلا رسول ولا مسافر (طارش) قد جاء بخبر عنها .

البيت -٣- بَطُّوش : نبتة ذات ثمار حمر يحتفظ بها لطيب نَشْرِها .

البيت -٥- : دِهْدار : لعاب الشمس (غشاء شبيه بنسيج العنكبوت يطفو في الهواء حين يصفو الجو) .

البيت -٦- : " حَكَى " أو " تِقِلْ " تعنى " يشبه " . الطِّعْس : كثيب ناعم من الرمل الوردى . يذكّر قِشْرُ بيضة النعام المكسور عند منتصفه ، الملقى على الرمل الوردي الناعم بمفاتن محبوبته .

البيت -٧- : غَبُّوط : هو أنعم الاقمشة . قطن منفوش : القطن النسيل مرعز : صوف الماعز الكشميرية ، زل : هو الصوف الناعم ذو المظهر الشبيه بمظهر الحرير الذى تنسج منه سجاجيد الصلاة .

البيت -٨- : الهوش : تدل علي الرعب أو الخوف الذى يسود المعسكر الصغير بعد أن تهاجمه قوة من العدو . ومن يظل رابط الجأش عند الخطر فهو (يَثْنِي) أى يصمد ويشجع [قومه] ، ويحاول أن يبث في صحبه روح المقاومة المستمرة، ولايكون جبانًا (ما ذَلّ) حتى حين يرى الرجال يفرون (مراكيض) زرافات (عَوك) حواليه ، وقد طرحوا رؤوسهم على رقاب خيلهم (دَوبَحَواْ) طلبًا للنجاة من طلقات الأعداء .

١. يا من يعاوني على العفص والزاج كتب بصفح سْجِيلةٍ مابعد زيج

٢. ويا من يعاوني على القاف محتاج حيثه مع الارياح يبري السواهيج

٣. كم ليلة مبرك ذلولي على ثاج ونومي على غر الثنايا غماليج

٤. ومقيظها عن واهج القيظ فرتاج بخشوم سلمى صافيات صراهيج

٥. ومطعومها الحنطه على صاخن الصاج ومشروبها لبين البكار اللواهيج

٦. ولياهنف ينباج عن مثل الفلاج عن شذب مثل اللوالي مفاليج

٧. أردافها طعسين من عقب الاوداج من فوق سيقان سواة الدراريج

٨. تنسف على المتنين داج ورا داج وتنسفعلى المتنين زين الدماليج

٩. لجن خلاخيله كما لجة الحاج ولجن خلاخيله بزين الدواليج

١٠. وجتنا تخطى كنها ظبي الانجاج تخضع لها سود العيون الخداليج

١١. هى عنز ريم ريحها عنبر فاج قادت الغزلان الجوازي الدواريج

١٢. ريحانة بمنقع الما ليا راج مالت بغضات الغصون العواريج

١٣. خمس الخناصر بهن الشرك ما لاج وعيون يقتلن الهواوي مداعيج

١٤. سميها مع وجه الغصن ينعاج باب الشمال ولا لقى له مخاريج

١٥. يا الله يافراج يا والي الافراج يا اللى غني والخلايق محاويج

١٦. تفرج لمن كنه بحق من العاج متحير ضاقت علي المناهيج

المعنى :

١) من لى بمن يجد لي مسحوق العفص والزاج ، لأكتب به على ورقة لما تستعمل بعد .

٢) ومن لى بمن يعينني على صنع الأبيات التى لابد من صنعها ، لأنها كالنسائم الرقيقة تزيح العواصف [عواصف قلبى] .

٣) كم ليلة بركت فيها مطيتي على جحر أفعى ، وحتى في النوم كنت أفكر

فيها بالأسنان البيض[257] .

٤) ولتنجو من حر القيظ فإنها تختبىء في (فرتاج) : في (خشوم جبل) سلمى حيث الشعاب ذات الماء النقي .

٥) وطعامها الحنطة (نوع من القمح) التى تخبز على (مقرصة) من حديد شديدة الحرارة ، وشرابها لبن النوق البيض الفتيَّات .

٦) وإذا ابتسمت افترت عن أسنان كالثلج ، بل كاللؤلؤ بياضًا .

٧) ردفاها كدعصين قد بللهما القطر ، وهما فوق ساقين مثل (الدراجتين) اللتين تمر فوقهما حبال البئر[258] .

٨) إنها ترسل خصلة من شعرها على قفاها إثر خصلة فتنساب ضفائرها الناعمة خلفها .

٩) دَوِّى رنين خلاخلها كما تدوي أصوات الحجيج الذين يرفعون بالتلبية والدعاء أصواتهم ، دَوِّى صوت خلاخلها فوق ساقيها الجميلتين .

١٠) وجاءت تطأ الثرى مترفقة كما يسير الغزال (الذى يقود سِرْبَهُ) تنظر إليه نظرة خضوع الأعين السود المعبرة [أعين سِرْبِه] .

١١) إنها كرئم قد انبعثت منه رائحة العنبر ، وهو يقود الظِّباء زوجين زوجين[259] .

١٢) إنها كريحانة قد نبتت في غدير وقد تمايلت أغصانها اللدنة الطرية .

١٣) ولها خمسة أنامل صِغار ، لم يمسها بعد غيرى ، ولها عينان سوداوان كالليل ، كفيلتان بقتل المُحبّ .

١٤) اسمها كالغصون التى تميل ، نحو الشمال ولا أحد يستطيع لها مداً[260] .

١٥) يا الله ، يا فراج ، يا ولى الإفراج ، يا من هو غني ، وخلقه فقراء .

١٦) افرج لمن حبه أبيض كالعاج (أى أنا)، ومن هو معذب .. وأولئك الذين يقهرونني[261] .

قائل هذه القصيدة كنعان الطيار ، وقد تلاها عليّ الأمير النوري[٢٦٢] .

البيت -١- : عَفْص : العفص الجوزى .. العفص الشبيه بالجوز ، " وزاج " : الزّاج الأخضر (أو كبريتات الحديدوز) مسحوقان يستعملان لِعَمَلِ الحبر . سجيلة : ورقة ، زيج : أى صُبِغَ ، سُوِّدَ ، غطته الكتابة .

البيت -٢- : قاف : القاف بيت شعر أو قصيدة . سواهيج : هى آلام الروح ، والانفعال ، والانفجار العاطفي .

البيت -٣- : كان الشاعر يختلف إلى حبيبته التى كانت تقيم بعيداً عن قطينه، ولهذا لم يكن له بد من المبيت في الخلاء ، وغالبًا قرب راحلته التى بركت على جحر ثعبان (ثاج) . الثنايا : هى القواطع الأربع العليا والقواطع الأربع السفلى . غماليج : أى " دائم الحركة ، أو يحلم وعيناه مغمضتان قليلاً " .

الحسان متقلبات في الحب ، وسريعات في تبديل عواطفهن ، مما يُؤَرِّق المحب تأريقًا شديداً .

البيت -٤- : مقِيظ : أماكن الإقامة في القيظ ، يقع جَوّ فِرْتَاج إلى الجنوب الغربي من حايل . صَرَاهِيج (أو صهاريج) : هى شقوق عميقة في صخرة ذات فتحات ضيقة يمكث فيها ماء المطر نقيًا أمداً طويلاً .

البيت -٥- : حنِطَه : اسم آخر للقمح . وواضح أن الفتاة المحبوبة ابنة بدوي موسر ، فهى تطعم خبزاً من دقيق القمح ، يخبز على هيئة أقراص الكعك الرِّقاق ، على (صاج أو حديدة رقيقة [مستديرة محدبة] يصل قطرها إلى نحو أربعين سنتيمتراً . يقال أن أطيب ألبان النوق لبن الناقة الفتية البيضاء .

البيت -٦- : " فْلاج " أو " فِلْج " ، بمعنى " ثلج " . شُذّاب : كسر صِغَار من حطب الغضا اليابس التى أزيل قشرها ، وهى لامعة البياض . شاذِب : (الجمع شُذّب) مرادفه لـ (بَيض) التى جمعها (بِيض) .

البيت -٧- : طِعْس : كثيب رملى مخروطي الشكل ، لجانبيه انحدار خفيف ، وهو ناعم جداً ، وإذا بلله المطر الخفيف (وداج) بات له لمعان وتلألؤ قرنفلي غريب . السيقان مدورة الشكل ومكتنزة مثل (الدراريج) التى تستعمل لينحدر فوقها الحبل بالغَرب (دلو الماء الكبيرة) . هذه البكرة تدور في ثقبين في عمودين مثبتين في الأرض ويكّونان معها مثلثًا .

البيت -٨- : تِنْسِفْ : " تدع الشيء يذهب إلى أسفل " .. تقال في المرأة التى تنقض شعرها المجدول فتدعه ينساب على ظهرها . داج : تعنى خصلات الشعر الممشط المنفصلة . دِمَالِيج : تلك الخصلات التى قد ضفرت .

البيت -٩- : تكون الحجال الصغار التى تلبس عادة فوق الكعبين من الزجاج ، لكن النساء الغنيات يلبسن حجالاً مصنوعة من النحاس أو حتى من الفضة ، وتحلى بسلاسل رِقاقٍ تتدلى بها أجراس صِغارٌ جداً . هذه الحلي الصِّغار يضرب بعضها بعضًا عند كل حركة للابسها ، والسلاسل تَصلّ ، والأجراس تجلجل . وأصواتها تذكر الشاعر بموكب دان أو ظاعن لحجاج يمتطون إبلاً قد غطتها أدوات الزينة والأجراس. دواليج : هى عظام السيقان الدقاق فوق الكعبين التى تسمح للحجال بالدوران .

البيت -١٠- : يثني الرولة كثيراً على الخطوات الثابتة . لكل سربٍ من الغزلان قائده ، ويكون [القائد] ، عادة ، كبيراً يسير بضع خطوات أمام الظّباء الأُخَر سيراً هادئًا متعقلاً ، ثم ينظر إلى الأمام وإلى الجانبين ، ويتلقف كل رائحة ، وهو متأهب دائمًا للفرار لو بدا للعيان شيء مريب . خداليج : تعنى أعينًا حية معبرة ، أو أشخاصًا ذوى حيوية .

البيت -١٢- : ريحانه : الريحان الحلو أو النباتات الأخر ذات الروائح الزكية التى تزدهر ، بوجه خاص ، على ضفاف الغدران في الجداول ، حيث يمكث ماء المطر طويلاً. وقبل أن يصل هذا الماء إلى مرحلة التعفن يكون صافيًا ورائقًا ، وخلال تلك المدة تنمو الريحانة نمواً جيداً ، وترتفع غصيناتها اللدنة ، وتنخفض مع أرق هبة نسيم .

البيت -١٣- : إن أنامل حبيبة الشاعر من الصغر والجمال بحيث يصفها كلها بأنها أنامل صغار .

البيت -١٤- : من غير اليسير الجزم باسم الفتاة .

البيت -١٦- : المناهيج : الرجال الذين يهيئون السبل فيمكنون الإبل المحملة من السير دون صعوبة . والمقصود هنا أهل الفتاة الذين لم يسمحوا للشاعر ، الذى ينتسب إلى قبيلة أخرى ، بأن يتزوجها .

١. بنت ابن ليفه والمشقـــى خليفـــه ... أبكي لطيفه حال من دونها اللال

٢. ليته رديفه فوق ورك العسيفـــه ... ألذ واحلـــى من مرادفك ياخال

٣. ليتك فـــداها واسحنك بيدواهـا ... وأبيع بلام الحبيّب مية خـــال

٤. شفته بسرحه وامتلا القلب فرحه ... من كبر جرحه ماقويت انقل الحال

٥. شفته بهيشه تنقض العنكريشـــه ... ولا اريــد عيشه الا ريقه لياسال

٦. لابسة المزاوي زاوي الـروح زاوي ... خسا الفداوي مايجيب طيب الافعال

٧. جيته بعشـــوا مزنه تو نشـــوا ... اللى مطـرها زرع قلبي منه طال

٨. جيته تلمـــه راح قلبي يهمــــه ... ويلعن ابو امــه ماتسميه كتـــال

٩. شفته تقادي واوقدت في فـوادي ... مهره تشادي من مهار ابن هـذال

١٠.ليابغت كتلـــي دلت تِلْتِفِتْ لـــي ... شمس بدت لي من وراحايط الجال

١١ بنت الكحيله جللــت كل ليلـــه ... وظهره حرام عن ركوب للانـــذال

١٢. دافـــي حشاها سحتين عشــــاها ... مشروب ماها مايجي ربع فنجان(٢٦٣)

المعني :

١) إنى (خليفة) المبتلى بالعناء والشقاء أبكى شوقًا إلى لطيفة بنت ابن ليفة .. لقد حالت بينى وبينها الفيافى الشاسعات !

٢) يا ليتها كانت رديفى على سراة الناقة الصعبة المراس ، إن ذلك لألذ وأحلى من كونك ، ياخال ، رديفًا لي .

٣) ليتك كنت فداءً لها ، فأسحق رمادك ليكون صبغًا لأهداب عينيها[٢٦٤] . إنى لراض بأن أبيع من أجل وصل الحبيب مائة خال .

٤) رأيتها في روض أخضر فأفعم قلبى فرحًا ، وإن الصدمة (صدمة فقدها) قد سلبتنى القوة على وصف تلك الحال[٢٦٥] .

٥) رأيتها بين فسائل النخيل تنقض ضفائر شعرها . إنى لا أريد زاداً خلا رضابها .

٦) كانت ترتدى (مزاوي) أى حلة من حرير ، مخفية مفاتنها فليخسأ هذا الخادم الأجير الذى لم يُجِدْ عمله .

٧) أتيتها بعد العشاء ، إنها كمزنة حديثة النشوء .. مزنة أنبت مطرها الزرع في قلبي .

٨) أتيتها ، وهى تمشط شعرها ، وحن قلبى إليها ، بُعْداً لأُمّها إذ لم تُسَمِّها (قاتلة) .

٩) رأيتها مع مُرَافِقِها وأضرمت النار في فؤادي .. إنها كمهرة من أمهار ابن هذال .

١٠) إذا رغبت في قتلي طفقت تتلفت إليّ ، إنها كشمس أشرقت من وراء جبل .

١١) الفتاة ذات العينين الكحيلتين متأهبة للركوب كل ليلة[٢٦٦] ، وهى تمنع صهوتها من أن يمتطيها اللئام .

١٢) إن حشاها لدافىء مع أن عشاءها لايزيد عن تمرتين ، وشرابها أقل من ربع فنجان من الماء .

القصيدة لشاعر مغمور ، وأملاها عليَّ منديل القطعي .

البيت -١- : لال : سهل مستو لامع[٢٦٧] . والظعن عبر سهل من هذا الضرب

يسير وآمن ، إلى حد كبير ، لأن الاعداء يُرَوْنَ من بعيد . كانت حياة الشاعر قبل فقده لطيفة تشبه رحلة في مثل هذا السهل .

البيت -٢- : خال : يركب أخو أم الشاعر معه ، جالساً على وركي البعير خلفه (مْرَادَفْك) ويؤانسه .

البيت -٤- : سَرْحَه : أرض يغمرها الكلأُ الجديد ، حيث ترعى الإبل الفطيمة .

البيت -٥- : عَنْكرِيشه : تعبير شعري لضفائر الشعر البالغة النعومة[٢٦٨] .

البيت -٦- : مزاوي : قفطان من حرير ترتديه النسوة الثريات فوق (الثوب) ، وأكمامه ضيقه .. فالأيدى تستر إلى الرسغين .. مما يدعو الشاعر إلى تأنيب من فَصَّلَه .

البيت -١٢- : جِلَّلَتْ : تعنى " لفت نفسها (بالجلال) .. البساط الذى يوضع عليه سرج الحصان أو قتب الحمار . سَحَّه : السحة تمرة يابسة صفراء في مثل حجم البُنْدُقَه .

١. نطيت انا المرقـــاب الله يخونـه	أثر الفـــريق مقيم غربي سَلَمْـيَا
٢. حـذرا عن المرقـــاب لا تركبونـه	ياهل القلوب اللي على الحب ظميا
٣. يطري عليكـم غايب ترتجـونـه	عنق الفريد مذيره حس رَمْيَـــا
٤. السكـــر المصري مفالق سنونـه	ماكـــول للحكام زين الطعميـا
٥. ولاهو من اللى ريحته تكرهونه	ولايفهمه كود الرجـــال الفَهَمْـيَا
٦. ريحـــة خضيرا بيمقادم قرونـه	ياعل عين تبغض الزين عميـــا
٧. ان اقبلـت ياناس تسحر عيونـه	وان سندت ياناس تذبـح شطنيـا

المعنى :

١) صعدت المرقب قاتله الله[٢٦٩] ، وإذا بالقطين قد أقام غربي سَلَمْيَا[٢٧٠] .

٢) احذروا المرقب لا تتسلقوه ، يامَنْ قلوبهم متعطشة للحب[٢٧١] .

٣) [لأنكم]ستتذكرون [حبيبًا]غائبًا ترجون إيابه .. عنقه عنق غزال أفزعه صوت رمية .

٤) أسنانه تتلألأ كالسكر المصرى .. السكر ذو الطعم الطيب .. طعام الحكام .

٥) إنه ليس ممن تكرهون رائحته ، بل هو ذو رائحة لا يقدرها حق قدرها غير ذوي الأفهام من الرجال .

٦) تنبعث من ظفائرها رائحة (الخضيرا) ، لعل عينًا تكره [هذه] الحسناء تصاب بالعمي !

٧) ان أقبلت ، يا قوم ، فإن عينيها لتسحران [من ينظر إليهما] وإن صعدت من الوادي فإنها ، يا قوم ، لتقتل بفتنتها .

الشاعر من قبيلة (السّبَعَه) ، وتلا القصيدة بليهان بن مصرب .

خرج الشاعر في رحلة سلب (مْحَنْشِلْ) ، ولما عاد أخبر بأن قومه قد حلوا شرقي (سَلَمْيَا) ، ولما وصل إلى هناك تبين من آثار السير أن القطين قد انتقلوا غربًا . لذلك صعد تلاً عاليًا ، وتطلع نحو الأفق الغربى آملاً أن يرى أبياتًا قليلة يعرف من بينها بيت محبوبته .

البيت -١- : الفريق مقيم : تعنى أبياتًا قليلة تمكث مدة في المنزل الواحد .

البيت -٤- : سكر القصب ، الذى يحتوى من البلورات اللامعة أكثر مما يحتويه أفضل سكر أوربى ، يكرر في مصر .

البيت -٥- : يكره البدو الروائح القوية كلها معتقدين أن بعضها يسبب أسقامًا عديدة ، أو - على الأقل - يحيي الجروح القديمة ، ولهذا السبب فهم يسدون مناخر المرضى . أما الروائح الضارة والنافعة فيعتمد تحديدها على الذوق الشخصى .

البيت -٦- : من لا يميز بين الرائحة النافعة والرائحة الضارة فإنه لا يحب الشخص أو الشيء الذى تنبعث منه الرائحة .

البيت -٧- : " شِطَنْيَا " أو " شطونها " مفاتن المرأة الحسناء ، والمقصود ، في هذه الحالة ردفا الفتاة الضخمان .

١. يا محسن الويلاد عنكـــم غدوا بي	هالحظـــوظ اللي وسيع ثنايـــاه
٢. كزيت مرســـال ولارد نويــــــي	ولاجــاب لي علم شفي ولاجـــاه
٣. يـا رب لاترزق خطاة الكـــــذوب	اللى يخم العلـــم من دون ملفاه
٤. ماكل ولو حطوا على الشـتل روب	بربـــور صيف ساخنات شـــواياه
٥. على اسْرِيَهْ تلقط لهلها عَـــــرُوب	وحمص وحمـاه لها مبيع ومشراه

المعنى :

١) يا محسن لقد حرمني (الوِلْدَهْ) إنجازاً لرغبتك من هذه النعمة التى يؤدي إليها فج واسع[٢٧٢] .

٢) أرسلت رسولاً لكنه لم يحمل رسالتى ، ولم يأتنى بخبر سار ، ولم يعد .

٣) يا رب لا ترزق الكذاب الذى يحمل الرسائل ثم لا يبلغها من أرسلت إليه.

٤) لا أشتهي الزاد ولو وضعوا أمامي اللبن الرائب على الأرز مع حَمَلٍ صغير حار اللحم .

٥) كانت تجمع الوقود في (اِسْرِيَهْ) لأهلها ، وكانت حمص وحماة أماكن تسوقها .

ينحدر الشاعر من قبيلة (السّبَعَهْ) . وقد عشق ابنة لمحسن رخيص الروح شيخ (الْعَبْدِهْ) فأبى محسن تزويجه إياها ، وأرسلها إلى أخته التى كانت زوجًا لشيخ من (الوِلْدَهْ) الذين يقيمون على ضفة الفرات اليسرى . قطن الشاعر مع عشيرته (الْقُمُصَهْ - فخذ من السّبَعَهْ) غربي تدمر متشوقًا [وآملاً] ، بلا طائل ، أن يلاقي محبوبته مرة أخرى . ودونت قصيدته كما تلاها عليٌّ رفيقى

بليهان بن مصرب .

البيت -١- : ثِنيِّه (الجمع ثِنَايا) ممر بين صفين من بيوت الشعر . العشائر التى تمارس ، بصفة رئيسية ، تربية المعز والأغنام تنسق بيوتهاعلى هيئة شكل بَيْضِيٍّ فتلقي الحبال الجانبية لمختلف البيوت ، ولا يترك سوى فتحتين واسعتين يدخل منهما إلى القطين على جانبى الشكل البيضِيِّ الضيقين ، ويباين ذلك أن الرولة الذين يربون الإبل فقط يضربون عادة بيوتهم صفوفًا متوازية . والفضاء بين طرف وطرف بين هذه البيوت يدعى " ثِنِيِّهْ " . وكلما كانت " الثِّنِيِّه " أوسع أضحى ثمة متسع للضيوف ، ومن هنا فالقول : " وِسِيْع ثِنَاياه " له معنى " باله وسيع " أو " خِلْقِهْ وَسِيع " أى " قلبه واسع ، طبيعته واسعة ، و " هَمَّه عَرِيض " أى " هو كريم " . " حظوظ " تعابير البركة والحب (حظ) .

البيت -٢- : كَرِّيت : لها معنى " بعثت " نفسه . نَوِبي : (أو نِبَاي) مهمتى . علم : تقرير مفصل ، رسالة طويله .

البيت -٣- : " خَطَاةْ " أو " خَطْوَى " تعنى " بعض .. " . مِلْفَى : الشخص الذى ترسل إليه الرسالة : " ملفاك على فلان " تعنى : ستذهب إلى هذا الشخص أو ذاك " .

البيت -٤- : شِتِل ، أو تِمِّن : الأرز الذى يزرع في الفرات السفلي ودجلة . " روب " ، ويعرف أيضًا بـ " لبن رايب " : هو حليب الغنم أو المعز الحامض . اِسْرِيَهْ : خرائب مدينة إلى الشمال الغربي من تدمر ، وهى إحدى المنازل الرئيسية لفخذ العِبْدَهْ السبيعي - نسبة للسّبَعَه - . حمص وحماه تقعان غرب اِسْرِيَهْ .

١. يا راكب من عندنا تسع مايات	[وتسعه] وتسعين والف تزاد
٢. مربعات قيظهن مستريحات	وان سندن لمريطبه والثنادي
٣. يلفن ابو سبيل عديم المعجزات	يقضى غرضنا من جميع البوادي

٤. بـــاغي يدور صويحبي بالمهافـــاة يدور البـــدو هم يدور البــــلاد
٥. قل يا بنْتْ انا من عقبكم شفت لوعات حالـــى نحت يا بنت والهـم زاد
٦. الخلق تبات الليل بالعون مابـــات والعين عن نوم الملا مـــا توادي
٧. ما لوم انا راع الهوى كثر مافات وابليس مع راع الهوى باجتـهاد
٨. ان ما لقيته حـي تلقاه قد مـــات خفف عليه القــبر وارم الهوادي

المعنى :

١) أيا راكبًا من لدنا يقود تسعمائة (بعير)، [وتسعة] وتسعين ، وأيضًا ألفًا أخرى .
٢) هذه الإبل سمان ، وقد أمضت فصل القيظ مستريحة (فاحتفظت بشحومها).. ولو ذهبت إلى آبار (مْرَيطْبَهْ) و (الثَّنَادِي) .
٣) سيردن إلى (أبو سْبَيِّلْ) الذى لا يعجزه شيء ... والذى سيلبي كل ما نحتاجه من البدو جميعًا .
٤) أريده أن يبحث لى عن حبيبى أينما كان .. ليبحثْ عنه بين البدو .. ثم لْيَبْحَثْ عنه في الحضر .
٥) قل لها : أيها الفتاة ، إنى عانيت الأمرين بعد فراقكم إياي ، فضوى عودى ، أيها الفتاة ، وازدادت همومى .
٦) يمضي الناس الليل نائمين ولايكاد يغمض لي جفن ! .. إن العين لا تقبل نوم الرعاع .
٧) إني لا ألقي اللوم على حبيبى على ما بدر منه من جفاء .. حيث إن إبليس لا يفتر عن إيذاء الحبيب .
٨) إن لم تجده حيًا ستجده ميتًا فخفف [تراب] قبره ، وألق الحجارة (الأثافي) التى عليه بعيداً[٢٧٣] .

قال هذه القصيدة فيحان بن قاعد بن زريبان ، شيخ عشيرة الدُّوشان ، من قبيلة مطير في نجد . وتلاها [عليٌّ]محمد القضيب ، وعبدالله المطرود ، وحمار أبو عواد .

صادف أن رأى فيحان في أحد المعسكرات التى اجتازها ، وهو عائد من إحدى الغارات ، امرأة سحره حسنها ، وحاول نسيانها طوال شهور ، دون جدوى ، فأرسل قصيدته إلى صديقه عبدالله بن سْبَيِّل الذى كان يقيم في مستوطنة (نِفِي) التابعة للدوشان ، وطلب منه أن يبحث عن قومها ، وأن يسألها إن كانت سترضى به زوجًا(٢٧٤) .

البيت -١- : رافق مبعوث فيحان قافلة كبيرة تدعى (حَدْرِهْ) ، انطلقت من الصحراءالداخلية متجهة إلى الفرات السفلي ، لشراء الطعام والملابس والذخيرة .

البيت -٢- : إن الترحال في فصل القيظ ليضني الإبل أشد الإضناء . سَنِّدَنْ : صَعَدْنَ ، تعنى أن القافلة قد عادت لأن الرحلة إلى الفرات يعبر عنها بالفعل : (حَدَّرَنْ) " هَبَطْنَ " . مْرِيطْبَه والثَّنَادي : موردا ماء كبيران قرب المستوطنة التى كان يسكنها عبدالله في ذلك الحين .

البيت -٣- : عبدالله يُمِدُّ الدُّوشان وشيخهم بكل ما يحتاجون إليه . ولكل قبيلة كبيرة ممون من هذا النوع .

البيت -٨- : من المعتاد عند قبائل عديدة أن تلتقط حصاة من قبر الصديق ، وتلقى بعيداً تخفيفًا لثقل الحمل . ويضعون على قبر الفتاة أو المرأة أيضًا الأثافي الثلاث التى كانت تنصب عليها القدر التى كانت تطبخ بها في أيامها الأخيرة . وثمة عادة أخرى هى التضحية بمعزة أو نعجة على القبر . وبعض الناس يلطخ الحجارة بدم الأضحية ، وبعضهم يلقون عليها حفنة من رمل(٢٧٥) .

١. يافاطـــرى خبى محاري طميه	يوم اجلهزت مثل خد الحصــــــان
٢. خبي طميه والفياض العـــذيه	وتنحـــري برزان زين المبـــــاني
٣. انا قضيت الـــلازم اللي عليه	اللازم اللى ماقضـــــاه الهـداني
٤. الجدي حطيته بورك المطيـــــه	متنحـــــر يمة سهيل اليمانـــــي
٥. باغى ندور الطفلة العسوجيه	ريحة نسمها كالزبـــــاد العمـاني
٦. مالي على الطيب ولا له عليه	الله يلـــــــوم صويحبي ما تنــاني
٧. ماجاه صبر حولين لاول ضحيه	ولاشاف تالي غربتى وش جـرى لـي
٨. يمـــا غدا راكان بالمهميـــــه	ولا وهو يـــــاتى مثل الحصـــــان
٩. والله ما أريـــــده لوهى نبيـه	لو أن هرجك كذب وحكـــة لسـان
١٠. آخـــــذ بدلها عندل شوشليـه	ما لمســـه الشابور بكرب العنـان
١١. ماخمها خيال قلبى شفيــــــه	ولاشاف ملك الموت بارض دنــاني
١٢. ان هزت الشلفا قريت التحيه	وان قيل يا اهل الخيل قلبي لواني
١٣. من عـــافنا عفناه لوهي منيـــه	لو هو جنين القلــب ما به مِثَانــي

المعنى :

١) أيا ناقتى[٢٧٦] شقى طريقك في حدود (طِمِيِّهْ)[٢٧٧] ، عندما برزت (فى الأفق) كخد حصان[٢٧٨] .

٢) شقى طريقك في أرض (طميه) وفي الرياض الطيبة الهواء .. واقصدي (بَرْزَان) ذا المباني الجميلة .

٣) لقد أنجزت ما أنيط بى من واجب .. ذلك الواجب الذى لا ينجزه الخامل الجبان.

٤) جعلت (الجدي) تجاه ورك مطيتى .. واتجهت نحو (سهيل) اليماني .

٥) أريد أن أبحث عن الصبية الجميلة (حرفيًا : ذات العنق الطويل والقوام المنتصب الرشيق) .. صبية رائحتها كرائحة (الزَّبَاد) العماني .

٦) لا أدين للمـــــرء الكريم بشيء ولا يدين لى بشيء .. لعل الله يلوم (صويحبى)[٢٧٩] لِمَ لَمْ ينتظرني ؟

٧) لم يستطع الصبر عامين .. بل لم يصبر حتى أول عيد أضحى ، ولم يعرف خاتمة غربتى .. ماذا حدث لى ؟

٨) إما أن يكون راكان قد تاه في المهامه ، أو يأتي منطلقًا كالحصان .

٩) والله لا أريدها بعد الآن ولو كانت نبية . حتى ولو ثبت أن ما قلته كذب ومزاح .

١٠) سآخذ عوضها مهرة أصيلة ، لم يمسها المهماز ولم يؤذها العنان .

١١) لم يقسرها فارس قبلي على القفز .. ولم يكافح على ظهرها كفاحًا مريراً في المعمعة .

١٢) إذا هزت رمحي فهذه تحيتى .. وإن سمعت من يدعو " أيها الفرسان " ثنانى قلبى إلى هناك .

١٣) من عافتنا نفسه عافته نفوسنا وإن كانت مقدرة لنا . لن نعود إليها ، وإن كانت حبيبة قلبنا الفريدة .

الشاعر هو راكان بن حِثْلَين شيخ العجمان الذى كان مخيمًا حذاء ساحل الخليج الفارسى جنوب شرقى الهفوف . وقد تلاها [عليًّ] عبدالله المطرود ، ومحمد القضيب ، وحمار أبو عواد[٢٨٠] .

في سنة ١٨٧١ كانت القوات التركية تحتل منطقة الحسا جنوب البصرة . وقد وضعت إدارتها عام ١٨٧٣ في يد بزيع بن عريعر ، لكنه سرعان ما حاول التخلص من السلطة التركية وطرد الجنود الأجانب ، لذلك أرسلت حملة جديدة إلى تلك المنطقة في أواخر عام ١٨٧٤ . قتل كثيرون من البدو ، وأرسل في عام ١٨٧٥ عشرون شيخًا إلى تركيا واعتقلوا هنالك . وكان من بينهم الشيخ الشاب راكان بن حثلين . مكث راكان في السجن اثنين وعشرين شهراً ، وعفي

عنه بعد اندلاع الحرب مع روسيا . وقد بدأ رحلته إلى الوطن أولاً عن طريق البحر إلى الاسكندرية، ومن هناك براً إلى حلب . ولعدم ثقته بالموظفين الأتراك ، قرر عدم السير على ضفة الفرات اليمنى إلى البصرة ومن هناك إلى بلاده ، بل فر من حلب إلى عشيرة (السَّبَعَة) العنزية الذين وضعوا ناقة ودليلاً تحت تصرفه ، ثم انطلق على جناح السرعة ، عبر الصحراء ، جنوبًا إلى الجوف .. إلى ممثل الأمير ابن رشيد الذى وجدت لديه زوجه الشابَّة شَقْحَا وباقي أقربائه ملتجأ . وفي الجوف أبلغه رجال ابن رشيد أن امرأته قد تزوجت في الوقت نفسه سلطان بن دوِيش شيخ مطير . ويقال إنها أرادت في أول الأمر أن تنتظر عودة راكان ، لكنها لما سمعت من مختلف الجهات أنه قد هلك ، وحينما نحرت ناقة في عيد الأضحى لذكراه(٢٨١) ، استسلمت للإغراء وتزوجت من جديد .

تأثر راكان تأثراً بالغًا من هذا النبأ . ولما بَرِحَ الجوف مرة أخرى ، مضى بحذاء الحد الشرقي لصحراء النفود الرملية إلى حايل مقر الأمير ابن رشيد ، حيث أقام في قلعة برزان . وقد قال هذه القصيدة في رحلته هذه .

البيت -١- : " خُبِّي " أو " خُمِّي " تدل على سلوك طريق معين . محاري : هى الأطراف الأخيرة لسلسلة من التلال ، طميه : تعنى الهضاب الصغيرة المدورة ، والمنحدرات والأودية في صحراء رملية(٢٨٢) . اجْلَهَزَّت مثل خَدّ الحصان : تعنى الكثيبات الرملية على أطراف الوهاد الحجرية التى تعلو هذه الوهاد غالبًا بخمسين متراً ، وتذكر البدوي بأنف حصان أو جانب رأسه حسب الوجهة التى يراها منها : تغور أطرافها في السهب الحجري كالأنف ، وجوانبها كخدي حصان .

البيت -٢- : الفيَاض العَذِيِّهْ : وهاد طِوَال ضيقة بين دعوص الرمل . هنالك يجد البعير دائمًا مرعى خصبًا ، ويجد المسافر وقوداً موفوراً ومكانًا مريحًا دافئًا آمنًا ليمضي فيه ليلته .

إن النفود لأطيب المناطق في صحراء بلاد العرب كلها من حيث هواؤه

ومناخه . بَرْزَان : اسم قلعة قوية التحصين لابن رشيد في حايل .
البيت -٣- : هذا القدر قد قضاه الله عليه (أى أن يسجن في بلاد أجنبية) .
البيت -٤- : مضى من تدمر إلى الجوف متجهًا إلى الجنوب .. لذلك صار نجم (الجدي) قبالة ورك بعيره و (سهيل) قدامه .
البيت -٥- : لقد علم بأن زوجه الشابة وجدت مأوى في بلاد ابن رشيد .
عَسْوِجِيِّهْ : تعنى امرأة تسير دون أن تَحْنِيَ جسمها أو عنقها .
البيت -٦- : لم يغضب على زوجها الجديد . إن الفكرة المجردة بأن زوجه اتضح عدم وفائها له ، وقد كانت دائمًا في فكره حتى حين كان سجينًا ، قد قضت على أى رغبة له فيها .
البيت -١٠- : يود أن يبحث عن السلو والعزاء في القتال[٢٨٣] .
البيت -١١- :" خَمّ " هى الكلمة المستعملة في نجد للتعبير عن عمل حصان في القتال بين راكبين . يقف الحصان على رجليه ، ويقفز إلى الأمام ، ويداه مرفوعتان عاليًا ، كأنه وحش . " شُفِيِّهْ " فسرت لى بأنها تعنى ما تعنيه " مثلي " أو " أحسن منى " . والبيت كله يعنى أن المهرة التى أراد راكان أن يركبها لم تخض معركة من قبل لأن (أرض دناني) تعنى (سهل) أو (مَحَاس) أى موقع المعركة .
البيت -١٢- : تحية : هى تحية بدوية مثل (يا هلا) أو (قَوِّك) . وبين المستقرين تعنى الشهادة : (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله)[٢٨٤] .
" ياهَلَ الخيل " هى صيحة الرقيب الإنذارية حين يلمح الأعداء .

وهذه قطعة من القصيدة نفسها حسب رواية نواف بن شعلان :

١. يا فاطري ذبي طوارف طميه — وان اشمخرت مثل خشم الحصان
٢. ذُبِّى طميه والبلاد العذيه — ليامـا يبدي لك سهيل اليماني

٣. نبغي ندور ديـــــرة الغشمريـــه ريحة جسدها كالزباد العمانـــي
٤. الجـــــدى خليناه بورك المطيـــه وفرقت نحرها عن سهيـل اليماني
٥. ما لي على المجمول ولا له عليه اللـــــى قضى حاجـــة ماتناني

المعنى :

١) أيا ناقتى شقي طريقك في أنحاء (طمية) ، وإن برزت كأنف الحصان .
٢) شقى طريقك في (طمـيـة) والبـلاد ذات الهـواء الطيب إلى أن يبـدو لك (سهيل) اليمانى .
٣) نريد أن نبـحث عن مـوطن (الغَشْمِرِيَّهْ) التى رائحـة جـسـدها كـالزباد العماني .
٤) لقـد جـعلنا نجم (الجـدي) فـوق ورك مطيـتنا ، وقـد صـرفت (المطيـة) نحرها عن (سهيل) اليماني .
٥) لا شيء لي على الحسناء ولا شيء لها عليَّ .. التى قـضت أمـراً دون أن تنتظر مجيئي[٢٨٥] .

البيت -٣- : غَشْمِرِيّه : بدل " قشمرية " ، غالبًا ما استبدل بالقاف غين كما في " غادر " بدلاً من " قادر " ، " غار " بدلاً من " قار " إلخ .

البـيـت -٤- : نَحَرْنَا تعنى : " قَصَدْنا " ، " شَحَينا " : تَحَرَّكْنا ، قَصَدْنَا يمكن استـعمالهـا ايضًا . " مَشْحَى ، وَجْه ، نَحَر ، يِمَّهْ " ، كلها تعنى اتجاه مسـير . " مِشَاحِي " تعبير يستعمل لأي شيء يقع في اتجاهات متنوعة كالمراعي والموارد والمنازل والناس .. إلخ . والناقة التى تتجه اتجاهًا مختلفًا عن سهـيل تكون قد غيرت طريقها نحو الجنوب .

رثاء المحبين المفقودين أو الموتى

يا ونتي ونة الوجعـــــان	ثمان سنين على وســــاد
آونتي ونة العميـــــــان	ماله مع الناس قـــــواد
آونتي ونة العطشـــــان	بالقيظ وعن مارده غادي
عليك يا هيلع الصبيـان	خلنه الهجن بالـــــوادي

المعنى :

١) يالأنتي الشبيهة بأنة العليل ، (الذى أمضى) ثماني حجج على فراش المرض !

٢) يالأنتي الشبيهة بأنة الأعمى الذى لم يجد من يقوده بين الناس !

٣) يالأنتي الشبيهة بأنة الظامىء الذى ضل عن المورد في القيظ !

٤) عليك يا فتى الفتيان .. يا من تركته الإبل [طريحًا] في الوادي .

لم يعد هذا الفتى المحبوب من غارة [وادى السِّرْحان] . الهَيلَعْ : أسرع الصقور .

يا زيد يذكــر حبيبى مات	من عقبها وش حياتى لـه
دنيـــاك هذى تجى غــرات	ليا جا القدر قلـت الحيله
واجذ قلبى على ما فـــات	جذ الرشـــا من محاحيله
خلينا نركب على العيرات	فيحـــان سالن هذاليلـه

المعنى :

١) قيل ، يازيد ، إن حبيبى قد مات فما جدوى حياتى بعدها ؟

٢) هذه الدنيا تأتي بالمفآجات . وإذا جاء القدر لم تُجْدِ الحيله .
٣) ياالَقَلْبى الذى تَقَطّعَ على ما حلّ بى تَقَطُّعَ الرِّشاء عن البَكَرَات .
٤) دعنا نَمْتَطِ الرواحل ونذهب [لنُمْضى الهَمَّ] عند " فيحان " حيث قد جرت شعابه بالسيل .

عزم المحب ، وقد حطمه نبأ وفاة حبيبته ، على الاشتراك في غارة خطرة .
فيحان : منخفض يقع بين خطي العرض ٥٠ . ٢٨ْ و ٥٠ . ٢٩ْ شمالاً ، وخط الطول ٤٣ْ شرقًا . ومن هناك تمكن الإغارة على بلاد شمر وقبائل الظفير .
هِذْلُول (والجمع هذاليل) : وادٍ غير عميق ينتهى بمنخفض ، أو يكون مغلقًا لا منفذ له .

١. الزول زوله والحلايا حلاياه	والفعل ما هو فعل وافي الخصايل
٢. لوا حليلي كل ما حل طرياه	وما ذبح من عين كبش وحايل
٣. لوا حليلي تدفق السمن يمناه	ان ذبحت قشر السنين المحايل
٤. لوا حليلي كل ما اقول انا انساه	ياما تفطنيه من الهجن حايل
٥. لوا حليلي تفسق الهجن لولاه	دوم تتوامى روسهم بالقوايل
٦. لوا حليلي كل جو شرب ماه	وما قطع من عين سرحا حمايل
٧. لواحليلي يهرج النزل بغناه	عليه من شغل السبايا فعايل
٨. لوا حليلي بين ذولاك وذولاه	لياما ذبحنه مبرمات الفتايل

المعنى :
١) إن هيئة [هذا الرجل] كهيئة زوجي ، وهو شبيه له تمامًا في الشكل . أما أخلاقه فليست بأخلاق تام السجايا [تعني زوجها] .
٢) يا ليت حليلي لم يرحل ويدعنى .. أكرر التمنى عدد ما ورد ذكره ، وعدد

ما نَحَرَ للضيف من خراف ونياق !

٣) يالحليلي الذى كانت يده اليمنى تدفق السمن على الزاد ، لإطعام الضيف حين تهلك السنون الشهب القوم .

٤) يالحليلي ، إنى كلما خلت أن سأنساه ذكرتنيه ناقة كوماء كان من ديدنه أن يعقر مثيلاتها للمعتفين بفنائه .

٥) يالحليلي ، إن المطايا لولاه لباتت شديدة النشاط والمرح .. أما هو فإنه يُعْمِلُهَا فترى رؤوسها ترتفع وتنخفض حتى في الهاجرة ..

٦) يالحليلي ، شرب (لكثرة حله وترحاله) من مياه مختلف البقاع . ألم يسلب عشائر شتى خير سائمتها ؟

٧) يالحليلي ، كان القطين يردد أغانيه ، فأعماله أشجع الأعمال بين المحاربين[٢٨٦] .

٨) يالحليلي ، أقام بين هؤلاء وأولئك حتى قضى عليه الرصاص .

سقط ابن عَرُّوج ، شيخ بنى لام الشهير في معركة ، فتزوجت امرأته بعد ذلك أخاه . وقد كان للقتيل راحلة نجيبة كانت تحمله للاشتراك في عدد كبير من الغارات التى كان يعود منها بغنائم ثمينة . أصيب في إحدى تلك الغارات بطلق ناري ، وهو ممتط هذه الناقة ، فأنقذت الناقة نفسها بأن فَرَّت ، وورثها أخو الشيخ القتيل الذى لم يخرج مغيراً طوال عام كَرِيتٍ ، ولهذا السبب سمنت الناقة سمنًا عظيمًا حتى إن سنامها أخذ يميل إلى أحد جانبيها . وسرعان ما سفر العوز عن وجهه الشاحب في البيت . وكان لابد للمرأة من أن تصنع للقوم طعامًا ، ولم يك في البيت قمح ولا ذرة ، وكان لابد لها من خياطة أكسية لها ولبعلها ، ولم يك ثمة قماش ولا إبل لتباع فتشترى هذه الأشياء الضرورية بأثمانها . وبطبيعة الحال ، بدأت المرأة تحن إلى بطلها الفقيد . وحدث ذات مساء ، وهي تطحن القمح الذى جاد به عليها جيرانها ، أن اتفق أن لحظت باعتناءٍ غير

اعتيادي كلا من الناقة السمين ، ولباسها هى ذلك اللباس الزري فنظمت هذه القصيدة، وهى في حالٍ تخوف من بؤس أشد . وقد تلا عليَّ القصيدة حمار أبو عواد .

البيت -١- : زول : هو المظهر الخارجي والهيئة . الحلايا : طريقة العمل والسلوك والكلام والحركات .

البيت -٢- : لا : [هنا] مرادفة لـ : (لا تبعد) ومعناها " لا تبتعد عني ! . آه ليتك لم تدعني " .

البيت ٤ و ٥ : الهِجن : تعبير شعرى لـ " الركايب " أي " الرواحل " . لم يعتد الزوج القعود في البيت . تكون الحرارة على أشدها بين الساعة الواحدة والثالثة ظهراً ، وينبغى للراكب الذى يريد أن تظل ناقته صحيحة سليمة أن يريحها خلال ذلك الوقت ، وإلا فإنها ستضعف وتصبح عقيمًا .

البيت -٦- : قَطَعْهُمْ قَطْع ، تعنى : " سلب كل ما لديهم فلم يترك بيوتًا ولا ماشية " .

البيت -٨- : مُبْرمات الفتايل : الفتائل المبرمة : يدل هذا التعبير على أن تاريخ إنشاء القصيدة يعود إلى الوقت الذى كانت فيه البندقيات ذات الفتيل ما برحت مستخدمة في القتال .

١. يا راكب من فوق حر شمالي	ما يلحق المشعاب عالى متونه
٢. حر وزعزاع مضرى للاجفال	يطير لوهو بالرسن ينكعونه
٣. نطيت انا رجم طويل وعالي	ودموع عيني كالغدر سيلونه
٤. بديت أوصف صاحب لي زهالي	واناشد الشعار مايذكرونه
٥. ابو قرون مثل طي الحبال	والقذله ريش الهيق لو غلبونه
٦. حواجبه جر القلم به دوالي	وعيونها عيون الفهد لو زعلونه
٧. جبينها يا ناس ضوح الهلال	والخد برق لاعجات مزونه

٨. خشمه ذبابي الهندي [دوم] يلالي　　من الليلو والمرجان وصفة سنونـه
٩. يا ريقها ترياق يذكـــر دوا لي　　يبري قريص الداب يوم ان سقونه
١٠. يا عنق شوقى تقل عنق الغـزال　　شاة الغريري بالقنص يطـــردونـه
١١. وصدرها مرصع بالمعانى والغالي　　بلاد العجم والشـــام ما يثمنونه
١٢. ونهودها تفاح يا ضيم حالـــي　　فنجال صيني بالظرف يقعـــدونـه
١٣. ذرعـــانها برقان فضـــه يـلالي　　واصيبعه قليم الذهـــب لو برونـــه
١٤. مرفعه ماظن جابت عيـــــال　　ياشـــبه عود الميس لو يهزعـونـه
١٥. يا سامعين الصـوت ارثوا لحالي　　يا مسلمـــين الميت ماترحمـــونـه
١٦. هاتوا عشيري واعرضونه قبالي　　ولو مت انا من فوق صدرى حدرونه
١٧. من لامني يا ليت ماله قوانـــي　　ولا قضيب الكفر يستيسرونه[٢٨٧]

المعنى :

١) أيا راكبًا بكراً أصيلاً شماليًا[٢٨٨] لا تصل العصا[٢٨٩] إلى أعلا متنه .

٢) بكر أصيل سريع الحركة قد اعتاد على الإجفال .. فهو يطير طيرانًا ، وإن كبحوا جماحه بالرسن .

٣) سموت إلى (رِجْمٍ)[٢٩٠] عال طويل ، وكانت دموعى تسيل كالغدران .

٤) بدأت في وصف حبيب بات موائمًا لى ..وأسائل الشعراء لم لا يذكرونه ؟

٥) ذو غدائر أمرت إمرار الحبال .. وذو شعر رأس كريش الهيق نعومة ورقة وسباطة .

٦) كأن حاجبيها قد خطا بقلم ممتلىء حبراً .. وكأن مقلتيها مقلتا فهد غاضب حدة وقوة .

٧) أما جبينها فإنه يشع إشعاع الهلال .. وأما الخد فكبرق لمع خلال السحب .

٨) أنفها يتلألأ تَلألُؤَ السيف .. وكأن أسنانها من لؤلؤ ومرجان .

٩) ريقها ترياق قد وصف دواء لي .. إنه ليشفي السليم لو سقيه !
١٠) إن جِيد حبيبتى كجيد ظبية ، أو كجيد بقرة وحش طاردها قانصون .
١١) لقد زانت صدرها رسوم وشمت عليه ، وحلي غالية الأثمان .. لا يستطيع شراءها أثرياء فارس والشام .
١٢) نَهْدَاها كتفاحتين - يالضيم حالي ، [أو] كفنجان صين في طبق .
١٣) ذراعاها كإبريقى فضة يتلألآن .. وأصيبعها كقليم ذهبي مبري .
١٤) وهى رشيقة لا إخالها قد نجلت أطفالاً . إنها لتشبه غصن الكرز مثنيًا .
١٥) يا من تسمعون هذا الصوت ، ارحمونى .. أيها المسلمون ، ألا ترحمون الميت؟
١٦) هاتوا حبيبتي وضعوها أمامى ، وإن مت فضعوها على صدري[٢٩١] .
١٧) عسى من يعذلني يمسى وحيداً لا أقرباء له ..أو يبيت أسيراً لدى الكفار.

الشاعر هو نمر بن عدوان ، وراوى القصيدة : جواد العاني .

يجلس الشاعرفوق (رِجِمْ) من الحجارة ذى انحدار شديد ، يندب حبيبته التى اختطفتها يد المنون ، ويصف جمالها .. تلك الحبيبة التى يتمنى لو دفن معها .

البيت -١- : حر شمالي : بعير تعده القبائل التى تقيم في إقليمي البلقاء وحوران عتيقًا ، في حين تنكر هذا القبائل التى تقيم من وراء ذلك شرقًا وجنوبًا قائلة إنه ليس يقينًا، بأية حال ، أن أبويه كليهما نجيبان .

البيت -٣- : رجم : كوم يقام من الحجارة . وتكون مثل تلك الأكوام عادة على أبرز التلال ، وتتخذ مآوي للرقباء والعيون الذين يتمكنون من مراقبة المكان الذى حولهم كله ، وهم مضطجعون في مواقعهم . الغدير : تجويف في قناة حيث يمكث ماء المطر حتى بعد أن يجف الجدول .

البيت -٥- : الغَلَب : ريشة من وركي النعامة ، تتخذ حلية أو باقة .

البيت -٩- : الدَّابّ : أية حية سامة طويلة شيئًا ما . وتدعى الحيات الصغار " افاعي " .

البيت -١١- : غالبًا ما تغطى الصدر وشوم ذات أشكال تحاكى بها أصناف الجواهر .
البيت -١٢- : يا ضَيم حالي : " آه .. لقد ضاع عقلي " ، هى صيحة من فاجأه أمر . الظرف : الصينية ، أو صحن الفنجان ، وقد نطقها جواد : " زرِف " .
البيت -١٤- : مرقَّعَه : رشيقة . عود الميس : غصن شجرة الكرز البري التى تنمو في البلقاء حيث كان الشاعر يقيم ، ومن هذه الأغصان اللدنة تعمل أنابيب لتدخين الغلايين .
البيت -١٦- : اعِرْضُونه : تعنى بدقة " مدوا الأعضاء " لتمكين الشاعر من رؤيتها على نحو أوضح .
البيت -١٧- : القاني : هو الاسم الذى يطلقه العَدْوان على القريب الذى يكون واجبه رد الأذى عن قريبه . ومن لا قريب له ، فلا مدافع عنه ، يكون عرضة لكل ألوان الأذى كأسير مسلم يذهب به الكفار إلى ديار أجنبية .

١. يا سين يا ام عقاب يا سين يا سين — يا مثل عنز الريم تمشي وحدها
٢. ما لعبت السمير بين الفريقين — ولا قط ابا العملات راوز وعدها
٣. ولاجرت الغطروف بمذنب العين — ولا على الجيران تومي بيدها
٤. حلفت انا والله دين باثر دين — وحياة من هو بالشوابر لكدها
٥. ان شافتن زعلان لازم ترضين — مثل الشفوق اللى تلهله ولدها
٦. جتني عطا ماسقت بيها مثامين — شيمة حموله كل من جا حمدها
٧. يا عقاب واحظى دفنته بنمرين — بحد الوعر يا عقاب بمستندها
٨. عيالي غدوا يا عقاب خمسه معاخوين — ولا قيل عيني ساهره من رقدها
٩. ماهمني يا عقاب غير الذى وين — اللى كما ريح الخضيرا جسدها
١٠. ما زاغ قلبى عن هواها ولا العين — وان زغزغت عينى جزاها رمدها
١١. لو جن بنات البدو يا عقاب صفين — يا خي ماخذ غير وضحا وحدها

المعنى :

١) وآ أسفاه عليك يا أم عقاب ! يا من هى كظبية تسير فريدة .

٢) إنها ، لعفتها ، ما اشتركت في لعبة (السُّمَّير) بين الفريقين قَطّ ، ولا اجترأ غاو عليها وحاول أن يحظى منها بموعد قَطّ .

٣) ولا اكتحلت[٢٩٢] [جرت الغَطْرُوف في مؤق العين] قط ، ولم ترفع يديها نحو جيرتها مهددة متوعدة .

٤) أحلف بالله يمينًا إثر يمين ، وبحياة من ركبها[٢٩٣] .

٥) إن رأتني غاضبًا أَرْضَتْنى كالأم الشفوق التى ترضي ابنها .

٦) جاءتنى هبة لم أدفع لها ثمنًا . إنها فخر العشيرة ! فكل من جاء حمدها[٢٩٤] .

٧) يا عقاب ، لقد دفنت حظى في (نِمْرِين) في حد الأرض الوعرة ، في أعلاها[٢٩٥] .

٨) أُوْدَى أبنائى ، يا عقاب ، خمسة أبناء ، كما مضى إخوان لى ، ولا يستطيع أحد القول إِنَّ عينى قد سهرت لفقدهم .

٩) لم أهتم ، يا عقاب ، إلا لفقد من لا أدري أين هى ! كان نَشْرُ جسدها في الطيب كنشر (الْخُضَيَرا) .

١٠) لم يَمِلْ قلبى ولا عينى عن هواها . ابتليت العين ، إن مالت عنها ، بالرمد[٢٩٦] .

١١) لو جاءت بنات البدو ، يا عقاب ، وقد صففن صفين (لكثرتهن) فلن آخذ ، يا أخي ، سوى وضحا وحدها .

الشاعر هو نمر بن عدوان ، من البلقا ، الراوية : منديل القطعي .

البيت -١- : يا سين (أو يا حيف) : يا للأسف .

البيت -٣- : الغَطْرُوف : مِيلٌ ، أو مدية صغيرة تكحل بها العين .

البيت -٤- : تشبه المرأة المتزوجة غالبًا بمهرة مسرجة ، ويشبه زوجها في أثناء الجماع بالراكب .

البيت -٦- : عند (العَدْوان) ، يجب أن يقدم لأبي الفتاة التى يرغب المرء التزوج بها عدد معين من النياق والضأن أو الأفراس تعويضًا عنها . وتعرف هذه العادة بـ (السياق) .

البيت -٧- : نِمْرين : اسم لخليج صغير في البلقا ،حيث تقع مقابر (الْعَدْوَان) .

البيت -٩- : الْخْضَيْرا : شجيرة ذات عَرْفٍ قَوِىٍّ .

١. ياونتي ونة خلــــوج ابن رومــي اللى فرقت عن مذبح ولدها ايديهــا
٢. جاها قليل المــيز يركض بشــوم قصــم جنوبه من شفـاته عليهــا
٣. واطيرتي غدت وانا اصيح واومي واقدح لها الشــولاح ما فاد بيها
٤. أمسيت أروكب نابيات الرجــوم غــدت وقلبى حــزين عليـــــها
٥. قلبــي عليها يا ابن عبلان يومــي اوماة عود القيــش يومي عليهــا

المعنى :

١) يالأنَّتِي الشبيهة بأنَّةِ ناقَةِ ابْنِ رُومي التى نَفَق ولدها فوقفت على مذبحه مفرقة يديها .

٢) فانطلق إليها الجاهل[٢٩٧]يعدو ، وبيده عصا غليظة حطم بها جنبيها بدلاً من التلطف لها ورعايتها .

٣) يالصقرتي[٢٩٨]التى ضَلَّت وأنا أصيح وأشير إليها بيدي ، وألوح لها (بالشُّولاح) دون جدوى .

٤) وقد علوت أمس مساء (الرجوم) الحجرية الشاهقة ، لكنها تاهت ، وإن قلبى عليها لأسيف .

٥) إن قلبى لفقدها ، يا ابن عبلان ، ليميل ميلان عود القش (في الماء) !

الشاعر نمر بن عدوان ، والراوى منديل القطعى . نمر يرثى زوجته .

البيت -١- : خَلُوج : الخَلُوج هى الناقة التى يُنْحَر ولدها بعد ولادته مباشرة ، وتفطن لما أصابه . ابن رومي كان نصرانيًا يجلب السكر والبن والبز إلى العشائر المقيمة على سفوح حوران ، ويتقاضى مقايضةً لها الإبل التى كان يبيعها ، كرة أخرى ، على المزارعين للحرث والدياس . وذات مرة اقتنى ناقة لقْحَةً ، وولدت في الطريق حُوَاراً . وعوض أن يسحبه جانبًا، وينحره هنالك قبل أن تقوم أمه من مقامها ، تركه راقداً حيث وقع ، وهشم رأسه بحجر ، وأمه مافتئت واقفة تلعقه ، ثم ألقى الحُوَار الميت في أخدود قريب . لكن النّاب المُخَبَّلة ظلت واقفة على البقعة التى سُفِك عليها دم وليدها ، تُرجِّع الحنين ، وتأبى الحراك . وبدأ ابن رومي ، الذى بلغ منه الغضب مبلغه ، يضربها ضربًا وحشيًا ، فهشم بعض أضلاعها ، وكان سيقتلها أيضًا لولا أن تداركها فرسان الرولة وأبعدوه .

وفي عام ١٩١٥م ، في طريقي من بلاد شمر نحو الغرب ، ولدت إحدى نياقي حُوَاراً . حنى أحد رفاقى ، في اللحظة نفسها ، رأسها نحو الأرض ، على حين جر آخر الحوار إلى غار صخري حيث نحره . لكن رغاءه ، على ضعفه، لم يضل طريقه إلى أذنى أمه ، وحالما نهضت شرعت تشم الأرض فوجدت الرائحة وتبعتها إلى الغار . ولم تسطع دخوله أو رؤية وليدها ، لكنها ظلت واقفة أمام الغار ، مطلقة حنينًا يقطع نياط القلوب . ولما سقناها بعيداً ، في نهاية الأمر ، مضت مع غيرها ، لكنها كانت تُنَفِّس عن حزنها ، بين الفينة والفينة ، منذ طلوع الشمس حتى وَهْنٍ من الليل . وبعد بضعة أيام بات هذا الأمر لايطاق ، بل بات خطيراً أيضًا ، حيث إنه قد يطرق أسماع عدونا فتعرضنا لغارتهم ، وحاولنا تهدئة البهيمة دون جدوى . وأخيراً كممنا فاها بحبل ، لكنها ظلت ، حتى وهي مكممة الفم ، تطلق أصواتَ حَنِينٍ مبهمةً .

البيت -٣- : الشِّلْوَاح : قطعة من قماش يلوح بها الصقار حين يريد إعادة الصقر.
البيت -٥- : قَيش : هى المنخفضات الصغار في قاع النهر ، حيث تنمو النباتات الدائمة الخضرة المسماة (عود القيش) .

١. سار القلم ياعقاب بالحبر سارا — بزيزف القرطاس يامهجتي سار
٢. أعوي عوا سرحان ليل ونهارا — واحن حنين الثلب ثاوي على الدار
٣. ياعقاب لا واللي مدير النهارا — مجري سفينة نوح بغب الابحار
٤. ان جمعوا ياعقاب كل العذارا — من سحر نجد لباب تونس لسنجار
٥. لوجن بنات صليب فوق الشهارا — ومعورج بخدودهن نقش الاوبار
٦. وان جن بنات البدو فوق الابكارا — وعلى الهوادج دللن كل خوار
٧. وان جن بنات الحضر مثل الامارا — متدللات بالغوا تقل نوار
٨. وان جن بنات الترك صف تبارى — ملبوسهن ياعقاب من غالي الاسعار
٩. وان جن بنات الكفر هم والنصارى — ويقال يانمر الشقى طب واختار
١٠. أريد اني مظنون عيني خيارا — الصاحب اللى فر عقلي معه طار
١١. ريحة جسدها مثل ريح الابهارا — وبين اشفتيها خردل بيد خمار
١٢. أشقح شقاح وبه طارف حمارا — ومن الجمال اليوسفي زاد بنوار
١٣. ولاقايل كذب ولاهو قمارا — أيضًا ، ولانى للتماثيل بيطار
١٤. من لامنى لاثور ولاهو حمارا — الثور اشوى ان قيل له دوريندار
١٥. والله ما القاها ولا بالحوارا — ولا ينفع التحسيف باللي جرى وصار
١٦. والله من عقبه ياعمري خسارا — مار الصبر باللّه علام الأسرار

المعنى :
١) شرع قلمى المرتوى مداداً يسير ، يسير على الورق الصقيل ، يامهجتى ! .

٢) أعوي عواء الذئب ليلاً ونهاراً ، وأحن كما تحن الناقة العجفاء المسنة التى لا أسنان لها ، التى لم تعد تقوى على النهوض .

٣) يا عقاب ، أقسم بمصرف الأيام ، الذى أجرى سفينة نوح في لجج البحار .

٤) لو جمعوا لى العذارى جميعًا ، من قلب نجد[٢٩٩] ، إلى باب تونس إلى سنجار .

٥) ولو جاءت فتيات (الصليب) على الحمر البيض ، وقد زينت خدودهن بالوشم .

٦) لو جاءت فتيات البدو على الأظعان ، وفي الهوادج وقد جَمَّلْنَ نياقهن التى نشأت في الصحارى الداخلية !

٧) ولو جاءت فتيات الحضر كأنهن الأميرات ، متدللات كأنهن زَهَرَات !

٨) ولوجاءت فتيات الترك يتبارين مؤلّفاتٍ صفًا طويلاً ، وقد ارتدين ألْبِسَةً باهظة الأثمان !

٩) ولو جاءت بنات الكفار والنصارى ، ثم قيل لى : يانمر ، يا أيها الشقي ، امض وانْتَقِ منهن من تريد .

١٠) إذن لاخترتها بعينها ! .. تلك التى هى دائمًا نصب عيني .. تلك الحبيبة التى فر معها عقلى بل طار .

١١) لقد كان شذا جسمها كشذا (البهار) ، وبين شفتيها تجد خردلاً كالذى لدى بائع الخمر .

١٢) كانت خالصة البياض ، وأُشْرِبَ بياضها بحمرة .. وفاق جمالها جمال يوسف[٣٠٠] .

١٣) لست أتفوه بالكذب ، وما أقول ليس بأسطورة أو خرافة ، كما إنى لست حاذقًا في نسج الحكايات .

١٤) ومن يلومني ، فلا غرو أنه أجهل من ثور ومن حمار ، فالثور خير منه إذ

إنه إذا قيل له : " دُرْ " ، يدور .

١٥) والله لن أجدها حتى بين الحور.ولايجدي التأسف على ما قد جرى وفات.

١٦) والله إن حياتي بعدها لخسارة ، لكن الصبر بالله علام الأسرار .

هذه القصيدة التى قالها نمر بن عدوان ، تلاها (عليٌّ) طراد بن سطام الذى تعلمها من أمه التى تنحدر من عشيرة السِّرْحان .

البيت -١- : القلم : هو القلم الذى يقص من قصبة سميكة . زيزف : أي ناعم.

البيت -٢- : الثِّلْب : الناقة المسنة التى لا أسنان لها ، ولذلك فهى في غاية الهزال . ثاوي : تشير (الكلمة) إلى مثل هذه البهيمةالتى تبرك ولكن لا تقوى على النهوض لِوَهَنِها . وأحيانًا تترك مثل هذه الناقة المعْيِيَة قرب المنزل ، فتحاول المسكينة النهوض ، لكنها تسقط في كل مرة ، وهى تئن أنينًا موجعًا ، فتسمع تنهداتها العميقة من بعيد . وهى تحن لأُلأَفها اللواتى لن تراهن مرة أخرى ، ولخوفها من السباع .

البيت -٤- : العذرا : اسم يطلق على النساء الشابات جميعًا ، عذارى كن أو غير ذلك ، فالعذراء تدعى بكراً ، والأنثى التى فقدت بكارتها تدعى (ماخوذه) . سِنْجار : سلسلة جبال جنوب غربي الموصل .

البيت -٥- : فتيات (الصليب) يمتزن بِهَيْئَاتِهِنَّ الأنيقة . الشَّهَارا : هو الاسم الذى يطلقه (الصليب) على أُتُنِهِم العتيقة التى غالبًا ماجعلوا الحمر المتوحشة تلقحها . ونساء (الصليب) غالبًا ماكانت خدودهن موشومة وشمًا كبيراً .

البيت -٦- : الهوادج : لفظة شاعرية لِلْقَتَب وتعنى : الهودج الكبير المزخرف الذى يهز بحرية . خَوَّار : تطلق على بعير الصحاري الداخلية المتعود على العطش ، و (الجُودي) هو البعير من المناطق ذات المياه الوفيرة . والجودي أقوى لكن الخوار أكثر تحملاً للتعب .

البيت -٩- : طُبّ : تعنى (أُدْنُ) و (أُدْخُلْ إلى الوسط) .

البيت -١٢- : الخدود وسطها أبيض بياضًا خالصًا ، ونواحيها حمر ، وحسب القصة فقد كان يوسف بن يعقوب وسيمًا جداً[٣٠١] .

البيت -١٣- : قمارا : خرافة أو أسطورة ، أو قصة ممتعة لكنها خيالية[٣٠٢] .

البيطار : الحداد الذى ، بالإضافة إلى الطَّرْقِ بالمطرقة ، لديه معرفة بالعلاج . والبيطار أيضًا صانع الزينات المعدنية على أشكال مختلف الحيوانات والنباتات .

البيت -١٤- : عشيرة (العَدْوَان) التى منها الشاعر نمر تحترف ، بصفة أساسية ، الزراعة وتربية الماشية . ولأنهم يستخدمون الثيران في الحرث ، فهم يجبرون الثور على أن يستدير في أقصى الحقل .

١. هبيل يانعاي طير يحوم	طير الهوا كل الملا باق بيها
٢. حسايف الدِّنْيا فروخ الجروم	اللى يشلقن الحباري يديها
٣. اللي لهم عند المظاهير يوم	صيحاتهم ياكثر الامراج بيها
٤. هذوك حطوا بالضماير رسوم	ولا الخساير عقبهم وش عليها
٥. ولا انت تنعى داقات الوشوم	اللى خذاها الموت لا ترتجيها[٣٠٣]
٦. يا حيف تنعى اللي بخده رشوم	ان ماتهيت شيمة نشتريها

المعنى :

١) إنك لأحْمَقُ يامن تنعى طائراً يحوم (في أجواز السماء) ! فَطَائِرُ الهوى قد غدر بالناس قاطبة[٣٠٤] .

٢) من يستحقون الأسى على فقدهم هم الشُّبّان الذين يشبهون أفراخ البزاة التى تمزق الحبارى أيديها[٣٠٥] .

٣) الذين لهم يوم مشهود في الدفاع عن الأظعان التى تحمل أمتعة القوم ، وبسبب صيحاتهم تكثر الجِياد التى تركها فرسانها تجول وحيدة [أرسانُهاَ على غواربِها] .

٤) أولئك الذين وسم الغِلّ على فقدانهم القلوب سمة لا تَنْمحى ! . والله إن الخسارات بعدهم (مهما فدحت) لهينة .

٥) أما أنت فتنعى امرأة (حرفيا : نقشات الوشم) ! . لا ترج عودة من مضى بها الموت .

٦) واأسفاه ، كيف تنعى امرأة (ذات خد موشوم) ! إن لم تكن لديك شيمة وعزة نفس [تمنعك من هذا الصنيع] ابْتَعْنا لك شيمة[٣٠٦] !

الشاعر هو ابن عبلان ، من عشيرة العدوان ، والراوي منديل القطعي .

يؤنب ابن عبلان نمراً على انصرافه التام لذرف الدموع على زوجه .

البيت -١- : الملا : الناس غير المتميزين بأى شىء[٣٠٧] .

البيت -٢- : فروخ الجروم : هى الصقور الصّغار التى لا تَدَعُ طريدتها وإن زحفت داخل [الشجر ذِي] الأشواك لتختبىء .

البيت -٣- : المِظَاهِير : النوق التى تحمل أمتعة العشيرة الظاعنة ، وتقودها ، عادة ، النساء اللائى يدعون الفتيان للدفع عنهن إن اعتدى عليهن عدو ، فيهتف الفتية مرددين صيحات الإنذار ، ويطرحون الأعداء من على سُرُجِهِم أرضًا ، فتمضى الأفراس هنا وهنالك بدون راكبيها . مثل هذه الأفراس تدعى (أمراج) .

يعد الفتْيان المدافعون عن العِيرِ الأبطال الحقيقيين ، لأن العدو دائمًا يندفعون نحو هذه الإبل المحملة حين يشتتون المحاربين المضادين لهم أولاً . ويعد سقوط أحد هؤلاء الفتيان خسارة للعشيرة جسيمة .

أهازيج وقصائد عن
فرار الفتاة مع من تحب

هيه يا راعى الـ بكرة الخَزْعَلِ   ودى أركب معك مار ابوي يَزْعَلِ

المعنى :

أيا صاحب البكرة التى أخذت من الخزعل[٣٠٨] ، بودي أن أركب معك ، لكن أبى يغضب [عليَّ لو فعلت ذلك] .

الأب لم يك ليدع ابنته تتزوج من عشقته . خزعل (أى الخزاعل) : اسم عشيرة تقيم على ضفاف الفرات السفلي .

هيه يا راعي الـ بكرة النايفه   ودى اركب معك مار انا خايفه

المعنى :

أياصاحب البكرة الأطول من سواها ، أود أن أركب معك ، لكني خائفة . (تخشى الفتاة أن يفر بها حبيبها) .

يا سليمان قلـــبى مخالف   علـــق الحب الاجنبيـــه
ماحلا الثوب فـــوق الردايف   والجعـــد لية فـــوق ليه

المعنى :

يا سليمان إن قلبى قد عصانى ، لقد تعلق حب الأجنبية . ماأجمل الثوب فوق الردفين ، وقد اختلطت ضفائرها بعضها ببعض[٣٠٩] .

الأجنبية : هى الفتاة من عشيرةأخرى لا تمت لعشيرة المتكلم بصلة قرابة .

ويجب ألا يعشق رويلي مثل هذه المرأة . وهو لم يتعمد أن يقع في شراكها ، لكن قلبه اضطرم بنار الحب وعلق هذه الأجنبية ، وهو يشكو حاله هذه لصاحبه سليمان ، وقد عزم على أن يفر بمحبوبته حين أبى أهلها أن يزوجوه بها ، وقد امتطت الصبية راحلته خلف الرحل ، ولم يغط ثوبها مؤخرة الراحلة ووركيها وحسب ، بل ووركي الراكب أيضًا . وإذا هبت ريح عاصف خالطت قرونها شعره الطويل[٣٠٩] . وحيث قد انطلق أقرباء حبيبته في أثره فقد مضى فاراً نحو قومه الذين لم يهبوا لنجدته ، لعدم علمهم بالخطر المحدق به .

١. مابكم اللي فطن لي يامعازيبي	دمعي على وجنتي يسقي ظواميها
٢. والله لولا الحيا لاأركب على شيب	واشوف لي ديرة واجلي لاهاليها
٣. وانهب صخيف الحشا والهجن تسري بي	وابعدمصابيحها عن دار اهاليها
٤. وانت فريتيني يامفرية الجيب	وجروحك الخافية ماحد درى بيها
٥. ياعين عنز تصفق بالعراقيب	تتلي مهب الهوا والصيد يتليها
٦.والصيد بساقته غاد جناديب	هي تعتذي بالمها وانا اعتذي بيها
٧. والله يالولا النهد ماكان تصطى بي	ولا القذايل جدا كل يغذيها

المعنى :

١) لم يكن منكم يامضيفيَّ من فطن لأمرى .. ودمعي يسيل على وجنتى فيسقى ظمأها .

٢) والله لولا الحياء[٣١٠] لأركبن على بعير كبير ،وأبحثن عن بلاد وأجلو إليها .

٣) وأنهب حبيبتى ذات الخصر الضامر ، فتسرى الإبل بي ، وأبعدها عن دار أهلها.

٤) لقد دمرتني أيتها المرأة ذات الجَيْب المشقوق[٣١١] ، والجروح الخفية التى ألحقتها بى لم يعلم بها أحد .

٥) ياذات عين كعين ظبية تضرب الصخر بعرقوبها ، تسير متجهة نحو مهب الهواء والغزلان تتلوها .

٦) وقد أضحى الصيد في أثرها صفوفًا متحركة . أنها تشعر بالانتعاش في الهواء الطلق ، وأشعر به حين أراها فقط [٣١٢] .

٧) والله لولا نهدها لما استولت عليَّ ، فالقذال كل يستطيع أن يغذيه ! .

عَذَّبَ الحُزْنُ هذه الفتاة المولَّهة بالحب ، لأن أهلها لم يقبلوا أن تتزوج من أحبته ، فاضطر إلى أن يفر بها [٣١٣] .

البيت -٣- : صخيف الحشا : هى الفتاة التى لايزيد قياس خصرها عن الشبر .

البيت -٤- : مفرية الجيب : هو الاسم الذى أطلقه على حبيبته ، لأنه لو فقدها لنعاها كما تنعى أخت أخاها أو أباها بشق جيب قميصها .

البيت -٥- : عنز : الغزالة المسنة التى تقود سِرْبًا من الغزلان وتحرسه ، فهى تقف على مكان عالٍ لتشم رائحة العدو ، فإن شمت شيئًا مثيراً للريبة ظلت تصوب نظرها نحو تلك الجهة ، وتضرب بقدمها من الغَيْظِ حين تكتشف في الحال سبب مخاوفها . وحين ترى العدو تفر ، تتبعها الظباء الأخر ، مؤلفة صفًا طويلاً متحركًا ذات اليمن وذات الشمال حسب الاتجاه الذى تأخذه الظبية القائدة .

البيت -٦- : المها : بقر الوحش [٣١٤] .

الخيانة في الحب

هيه يا بو قذيلـــــــه	بدينى غـــــديت
اتحسب ان ماني يمك	وعينى عليــــك

المعنى :

أيا ذات القُذَيْلَه [٣١٥] لقد ذهبتِ بِدِينى [٣١٦] . تظنين أنى لا أُعِيرُكِ بالاً بينا

عينى تديم اللحظ إليك .

تشك الفتاة هل سيلتزم المحب بوعده ، ولذلك فهى تبطىء في مجيئها لِلِّقَاء .

انت يا راعي الـ وشمة الذابله　　حبني وافهق النـــذل للقابله

المعنى :

ياذات الوشم الذابل[٣١٧] ، قبلينى وأجلي تقبيل الرجل الدنيء حتى مساء الغد[٣١٨] .

ذابلة : امرأة ذات أسنان صِغارٍ لِطَافٍ[٣١٩] .

انت يا راعي الـ وشمة الحـــايره　　حبني وافهق النـــذل للدايره[٣٢٠]

المعنى :

يا ذات الوشمة الحائرة ، قبلينى وأجلى الرجل الدنيء إلى قابل .

إن أبى الرجل الدنيء أن يطلقها فإنها تخلص نفسها منه بالقوة لتتمكن من أن تتزوج حبيبها .

عويت عواة الضحى　　على عشــــير باقني

من عقبكم مالى عزا　　عن السوالف عاقني

المعنى :

عويت كما يعوى الذئب ضحى ، بسبب الحبيب الذى خاننى ، لم يبق لى بعد هذه المعاناة شجاعة لأقاوم دعاوى أهلى[٣٢١] .

ترى الفتاة المحبة أنها قد خينت ، ولن تبدي اعتراضًا لأقاربها الذين يريدون تزويجها من رجل آخر .

عواة الضحا : العواء في الضحى أقوى من (عواة العشا) أو (عواة الليل) . إذا صاد الذئب فريسته مساء ، أو في الليل فإنه يأوي للراحة حتى الظهر ، فإن عوى في الضحى بعد تبخر الندى فإنها أمارة على أنه لم يشبع في الليلة البارحة .

واخانة[٣٢٢] الشوق يا جوده	نوى على البوق يا خيه
واليوم ماعلمت بســــدوده	وان الغضــي بايق بيــه
حلفت أنا عـــاد ما اعــوده	هاللي دفنى وانا حيــه

المعنى :

يالخيانة حبيبي يا جُودهْ [٣٢٣] ، لقد عزم أن يخونني ، يا أخية ، ولم أعلم بأسراره ، وأن الحبيب قد خانني[٣٢٤] . آلَيْتُ ألاَّ أعود إليه بعد اليوم ، ذلك الذى دفننى وأنا حية !

أحبت فتاة فتى حُبًا تمكن من شغاف قلبها ، وقد علمت أن ابن عمها قد ادعاها ، وأنه لن يرضى بأن تتزوج بحبيبها ، فكانت ، لهذا السبب ، راغبة في أن تفر معه إلى عشيرة أخرى ، ولم يرعبها الموت الذى هددها به قريبها الحاقد ، فقد كانت على استعدادٍ لأن تقدم من أجل حبيبها كل تضحية . وقبل موعد الفرار المتفق عليه كان القوم عطشى ولم يكن ثمة ماء لإنسان أو حيوان . في تلك اللحظة أسر الشاب لحبيبته أنه عثر تحت ضفة القناة الجافة على حفرة صغيرة ملأى بماء المطر (غدير) حيث سيملأ منها قِرَبَهُ ثم يسقى إبله ، ظلت الفتاة ترقبه . ولما رأته يمتطى ناقته ويذهب بإبله ، ربطت قربتين فارغتين برحل الساقية

وركبت ناقة ، وساقت إبلها خلف إبله ، ولم تستطع اللحاق به حتى وصلا إلى الحفرة . فلما شرع في ملء قربه ، وهو يحجز الإبل برمح طويل ، رأى إبل محبوبته ، فأخرج القرب الملاء من الماء ونزل في الحفرة ، وصب الماء في حفرة صغيرة بُسِطَ عليها جلد ، وأخذ يطعن إبل الفتاة برمحه وقد شرعت تشرب . ألحت الفتاة عليه بأن يدعها تملأ إحدى قربها ، على الأقل ، دون جدوى ، فلم يبال إلا بنفسه وبإبله . فغنت الفتاة القصيدة (الهجينية) التالية :

١.	ليه تصفق زملنا يوم يشرع	روه من مي البحر دوه هجاني
٢.	لعل ما تصفق خطاة المُدَرَّعْ	من فوق ما تقصم عضود العنان
٣.	لوا حسايف حبتي يوم افرع	يوم الزميم شارع بالثمان

المعنى :

١) لماذا تَصُدُّ إبلنا إذ وردت الماء ، أروها من ماء الحوض ، وحثها على الشرب بكلمة (دوه) .

٢) كان من الأجدى أن تطعن رجلاً مسلحًا ، في حين تجلس على الرحل ثم تقذف ألواح الكتف إلى حيث العنان[٣٢٥] .

٣) واأسفاه على قبلتى (لك) حين نشر شعرى ، حين تدلى (الزّمَيّم) على الفم .

البيت -١- : البحر : حوض من جلد يشبه حوضًا عميقًا ، وله أرجل خشبية حزم بها ، يستخدم لسقي الإبل التى تحث على الشرب بالكلمات (دُوه) (دُوه) و (أتِي) ، (أتِي) .

البيت -٢- : لا تظن الفتاة أن حبيبها هذا سيطعن خصمه لابس الدرع بمثل هذه الشجاعة . إنها ترى أنه سوف يَكزِ (يقصم) برجله اليسرى أعلى اليد اليمنى

لناقته ، فيقسرها على الفرار .

البيت -٣- : الزِّمَيِّمْ : حلقة صغيرة تتدلى من المنخر الأيسر . وفي هذه الحالة تشير إلى المحب غير الوفى .

١. شليتـني يا الغضي شلـــه   هلى بعيـدين وانا حافـــــي
٢. الرجــل ما تدنى الملــــه   وانـــــا على الحــــــر وَقَّافِ
٣. أقفيـت يا راكب الظلــــه   وانا علـــــى الدرب نَكَّــــافِ
٤. عــــين تراعيك للغلــــه   قلـــــب يراجيك للخافـــــي
٥. يا البيض ما انتن على ملـه   ذا تخرجنـــه وذا لافـــــــي

المعنى :

١) لقـد أغـويتني أيهـا الحـبـيب أيما إغـواء ، إن أهلي بعـيـدون وأنا حـافي القدمين !

٢) قدمي لا تطيق الصبر على الرمضاء ، وأنا على ذلك واقف عليها !

٣) لقد رجعت يا أيها الراكب في الهودج ، وأنا عدت من حيث أتيت !

٤) لعل عينًا ترجوك تصاب بالداء وقلبًا يرجو وصلك للألم الخفي !

٥) أيتـهـا البـيض إنكن لستن على ملة (من يسـتطيع مـعـرفـتكن ؟) ، فـفي حين تخرجن هذا يدخل ذاك .

أحب فـهد بن صبيح كَزِّيَّهْ ابنة أسرة آل وَهِيف . ظل مع قومه في ضواحي الجـوف ، على حين ذهبت كـزيه مع أهلهـا إلى النقـرة غـرب حـوران (غَرَّبواْ) . وحين عـادت بقـيـة الرولة إلى البر الداخلي (شَرَّقَواْ) حيث عـسكروا قـرب الجوف بدأ فـهـد يبـحث عـن كَزِّيَّهْ وعلم أن أهلهـا كـانوا قـاطنين مع عـشـيـرة التـجـار في مـوضع مـا بين دمـشق وتدمـر ، ثم أخبـره مـسـافـر بعـد ذلك في القـيظ بأن قـوم

محبوبته يقيمون قرب تيماء ، فانْفَتَل إلى هناك على مطية ، على الرغم من تحذيرات قومه بأن لا أحد من الرولة يقطن ، في ذلك الحين ، في حدود النفود الغربية ، وأن الحرب قد اندلعت بينهم وبين شمر . نجح فهد في الوصول إلى مورد " العسافية " حيث وجد قوم حبيبته يستعدون للظَّعْن ، كما علم بأن كزيه قد تزوجت ، في الوقت نفسه ، ورأى هودجها الجديد الذى مضى بها قبل قليل جنوبًا ، فعاد إلى وطنه في الشمال كسير الخاطر . وفي شرق " الثَّايَات " فاجأته شمر ، وسلبوا منه بعيره وأسلحته ، ولم يَدَعُوا له سوى نِحْيٍ مملوءٍ ماءً ، واضطر إلى أن يقطع الطريق حافي القدمين ، عبر أرض حجرية خشنة ، إلى قومه المقيمين قرب الحد الشرقي لحوران .

وقد فاضت عواطفه بهذه القصيدة ، وهو مهيض الروح والجسد . وقد تلاها عليٌّ طراد بن سطام .

البيت -٥- : تخرْجِنّهْ : تعنى تخرجن هذا من قلوبكن ، لافِي : " شخص آخر يدخل في الحال " .

مشاجرات العاشقين

ريحـــانة نمت أنا بظله	نَطيتها والهوى ساكر
كم عشقة فارقت خلــه	بساعة ما بها ذاكــر
وافرح لياشفت زويل له	وخانت العين ماتناكـر

المعنى :

١) نمت في ظل ريحانة ، ثم مضيت عنها والهوى قد هدأ .

٢) كم من حبيبة فارقت حبيبها ، في ساعة لا يذكرها أحد[٣٢٦] .

٣) وأفرح إذا بدا لى شبحها ، والعين التى تخون لا تنكره .

تشاجر المحب مع محبوبته ، وانفصل كل منهما عن الآخر لكنه مافتىء يشتاق إليها . زوْيَل : (تصغير زول) : هو شكل الجسد الإنساني يرى من بعد ولا يمكن التأكد من الهوية ، والواضح فقط أنه مخلوق بشرى . والحبيب (هنا) لم يك على يقين أهو محبوبته أم لا ، عينه قد تخدعه ، لكنه يحس أنه لا يخدع نفسه . " خانت العين " : أيها العين الخائنة " عبارة تقال حتى في مزاج هادىء . وهذا التعبير غالبًا ما استعمل في التحبب .

عشقت ابنة أحد الشيوخ رويليًا فقيراً ، وعلى الرغم من أنها غالبًا ما واجهت ، بسبب ذلك ، عَذْلاً وانتقاداً فقد ظلت مخلصةللرجل الذى اختارته . وذات مرة حل الرولة وسط مرعى خصيب ، لكنه ناءٍ عن الماء ، حيث إنهم عانوا من وقت لآخر من العطش ، ولبعد البئر الشديد ، وكون المكان غير آمن ، لم يكن يذهب لجلب الماء سوى الشبان ومن بينهم حبيب ابنة الشيخ . لم تذق الفتاة طعم الماء طوال يومين ، فقد كانت تحتفظ بنصيبها منه لكى ترحب بحبيبها إلى أكلة شهية حين يعود . وفى اليوم الثالث ، حين أشار الرقباء بخرقهم المربوطة بأطراف الرماح الطوال إلى أن الشبان قد عادوا بالقِرَبِ ملأى ، أعدت الفتاة على عَجَلٍ دقيقًا لتصنع منه كعكة صغيرة ، وأضافت إليه كثيراً من الزبد ، وخبزت كعكة شهية (فَتِيتهْ) ، ثم امتطت ناقة ، والكعكة في يدها ، ومضت لتقابل الشبان جالبى الماء (الروّا) . والنساء عادة يخرجن راكبات ، ومعهن سقاء صغير به ماء ، حين يكون لديهن صغار عطاش في المنزل ، أو إذا أردن إعداد طعام للصبية الجياع ، لأن الإبل حاملة عياب الماء تتحرك تحركًا بطيئًا فتأخذ المرأة راكبة البعير سقاءها مملوءاً من أول شاب يقابلها وتستطيع العودة سريعًا . وبمثل هذه السرعة قابلت ابنة الشيخ أول شاب معه ماء (رَوَّاي) ، وقيل لها أن تأخذ ما تحتاج من ماء ، لكنها رفضت قائلة : (روواينا في المؤخرة) ، وقد

أعادت هذه الجملة عدة مرات . وأخيراً رأت حبيبها ، وكان يسوق أمامه بعيرين يحمل كل منهما راويتين معمولتين من جلود الإبل تحتويان نحو ١٥٠ لتراً ، وجلس هو على البعير الثالث الذى يحمل حملاً أخف .

- " أعطني ماء " بادرته الفتاة .
- " قد لقيت راويات[٣٢٧] كثيرين . ألم يعطك أى منهم ماء ؟ إن كنت لم تدركى منهم شرابًا فما أَنْتِ بُمدْرِكةٍ منى " .

فلما أخرجت الجارية الكعكة الشهية ظل العاشق الجائع ينظر إليها بشغف ، لكنها ألقتها لكلب قريب وقالت : " لن أشرب منك ولن تأكل منى بعد الآن " . فقفز الشاب نازلاً من ظهر مطيته وصب لها الماء ، لكنها عافته . ولما زارها في الليل طردته وغنت (الهجينيه) التالية :

١. خطو الولد يبكى لو ماتعشى	ويضحك ولو أصبح على كبده الزاد[٣٢٨]
٢. ولاهــزهزنه مبعدات المعشــى	هذاك اللى يظهــر عيــوب الأولاد
٣. لا وحسايف نهدي اللى تنشى	يوم الجهـل وارخصت له كـلمــااراد

المعنى :

١) بعض الفتيان يبكى إن لم يتعش ، ويضحك إن أصبح والزاد يملأ بطنه .

٢) ولم تهزهره الإبل (حرفيًا : مبعدات المعشّى ، والْمَعَشّى : مكان تناول العشاء) ، ويظهر نفسه على إنه جوهرة بين الصبيان[٣٢٩] .

٣) واأسفاه على نهدى الذى شمه أيام جهلى حين جدت له بكل ما أراد .

البيت -٢- : مبِعْدَات الْمَعْشّى :اللواتى يجعلن مكان العشاء بعيداً ، والمقصود بها الإبل التى تظعن براكبيها بعيداً من المنازل ، حيث يُتَنَاوَل العشاء ، وتنطلق في الصحراء حيث لا يُدْرَى أبداً متى يوصل إلى مخيم مضياف ، وحتى إن كان

مع الركب دقيق أو قمح فإنهم دائمًا على غير يقين أين يعدون عشاءهم ومتى .
ولو اكتشفت جماعة معادية أو أثرها فإن مثل طبخ وجبة شأن لا يفكر فيه .
البيت -٣- : يوم الجهل : يقصد بهذا التعبير تلك اللحظات التى يعمل فيها المرء الذى أعمته العاطفة أعمالاً دون تفكير في عواقبها . مثل هذا الشخص يدعى (جاهل) .

الحُبُّ غَيْرُ المُكَافَأ ، أو المُحْبَط

يا حمود واعارضى شـــــابِ　　　طرد الهوى جزت أنا منه
أكــــود وضاح الانيـــــــابِ　　　هــذاك منى وانا منـــــه

المعنى :

يا حمود ، واأسفاه لقد شاب عارضى ، وقد أبطلت مطاردة الهوى إلا ذا الأسنان الناصعة البياض ، فذاك منى وأنا منه .

ما ابغى عشـيرى ولد كوبان　　　مثل السلوقـــى يلبى لى
يالحيـــــة منقع الصيبــــــان　　　والقمل ، وارعوا قناديله

المعنى :

لا أريد أن يكون حبيبى شخصًا نهمًا كسولاً ، يظل لاصقًا بى كالسلوقي يالَلِحْيته من لحية ! إنها حوض للصئبان والقمل ، وانظروا إلى رأسه الضخم .
كَوبان ، أو عَفِن : هو الشخص الجشع الأكول السمين الذى يحب الأكل والنوم ، ولا يعشق الغارات . سِلُوقِي (أو سْلِقِي) : كلب سلوقى . بينما لا يسمح

للكلاب الأخرى بدخول البيت مطلقًا ، يمد السلوقى نفسه على السجاجيد وفي فراش النوم ، ولا يبتعد عن سيده وسيدته منتظراً بفارغ الصبر لقمة ترمى له .

شوقى ياعويد الصمعا ومقيل بالشيحـــــــه
هذى علـــومك تجينى والله انى مســتريحه
ادّ ادّ ماتشوفك عينى ياهارب على الضيحه

المعنى :

حبيبى يا من يشبه عويد نبات الصمعاء ، (عويد : تصغير عود) يا من هو نائم في وقت القيلولة وسط شجيرات الشيح .

هذه أخبارك تصلنى ، والله إنى لمستريحة ! .

اذهب بعيداً لاترينك عيني بعد اليوم ، يا من يهرب حالما يلمح ما يدل على قدوم العدو !

هذه الأهزوجة تصور رفض فتاة عشيقها لاختبائه اختباء الجبان عند الغارة . الشيحه : أرض يغطيها الشيح الذى يرتفع حتى ستين سنتيمتراً حتى إن مَنْ الذى يرقد فيها لا تمكن رؤيته . مْقَيِّل : النائم في وقت القيلولة من الساعة الواحدة حتى الثالثة ظهراً ، ادِّ : تعنى اذهب . الضِّيحه : أول مايرى من العدو المغير .

يا ونتى ونة الثنتـــــين غادى ولدهن بمفلاهـــن(٣٣٠)
ان روحن يزعجـــن صوتين وان اقبل الليل بثنـــــاهن
عليك ياقــاذل القرنـــين قلبى شفـــوق لمـاتـــاهن

المعنى :

يالأنثى الشبيهة بأنة ناقتين ، قد ضل ولدهما في مرعاهما ، فإذا عادتا من المرعى أطلقتا صوتين ، وإن جاء الليل فهما مقيدتان !

[أئن] لفقدك ياذا الظفيرتين ، إن قلبى لمشفق على مجيئهما .

فتى يحذر الفتاة التى يحب - ولا تشاطره مشاعره - بأن حبيبها لديه حبيبات أخريات غيرها .

وعندما يريد البدو اتخاذ ناقة للاحتلاب فإنهم يقومون بنحر ولدها حال ولادته ، ويضعون آخر بديلاً عنه ، ويكون هذا الولد لناقتين (أُمَّين) تعنيان به ، وعندما يتيه مثل هذا الولد الصغير في المرعى ، سواءً بالسقوط بإحدى الحفر أو بالوقوع فريسة لِسَبُعٍ ، فإن كلتا الأُمَّين تطلقان أصواتًا مشجية ليلاً ونهاراً أمداً طويلاً .

عزاك يا برق يلـــــوح	ورا الطويل صوبها
يا حيـــف يا عشيرتى	والمبغِضَهْ عيوا بهـا

المعنى :

لك العزاء من الله فالبرق يلمع ، خلف جبل (الطَّوَيِّل) .

يااللأسف على حبيبتى ، لقد أبى مبغضي أن يزوجونى بها .

أقنعت فتاة ، فى أوج غضبها ، أسرتها أن ترفض تزويجها من عشيقها الذى تقدم طالبًا يدها ، وارتحلت معهم إلى ما وراء الجبال (الطويل) . يستعمل تعبير (عزاك) عندما يلمع البرق لأنه غالبًا ما يقتل الناجين ، وإن فراق الشاب لمحبوبته قد نزل عليه نزول الصاعقة .

نجمـة الصبح دنت فناجيلها	عقدة بي ضميري وانا اديرها

يا حـــوال على الله تدابـــيرها

المعنى :

لقد أطلقت نجمة الصباح أشعتها ، وإن في صدرى لعقدة مازلت أشعر بها دائمًا . يالها من أحوال تدبيرها على الله .

إن العـاشق اليـائس يلجـأ إلى الله وحده طالبًا العون . فناجيل : لاتعنى فناجين القهوة المتلألئة وحسب ، بل تعنى أيضًا أشعة نجمة الصباح الباهتة ، وانعكاس الخدود البيض لامرأة حسناء .

طلب الحـبيب يد مـحبوبتـه ، لكنه لم يفلح لأن أقـرباءها اعـترضـوا على زواجه منها ولو أنهم في بادىء الأمر لم يبدوا أية معارضة تجاهه .

ليا عـاد اني من شمر	وش ولعنى برويلـي
ان شرقوا طاب الكيف	وان غربوا ياويلـــي
شقر ذوايب زهـــــره	مثل البرق بالليــــل

المعنى :

ما بالى ، وأنا سليل شمر ، أتعلق بفتاة رويلية ؟

إن شرَّق القوم شعرت بالسعادة .. وإن غَرَّبوا فياويلى !

إن ظفائر زهرة الشقراء كالبرق في الليل .

تقطن شمـر النفـود وإلى الجنوب منه ، ونـادراً مـا برحـوا بلادهم ، مـاعـدا بعض عـشـائر سنجاره فـإنهم يذهبـون إلى الأمـاكن المأهولة (غَرَّبواْ) ، أى إلى الفرات غالبًا (ما بين الكوفة والسماوة) ليمتاروا ، ولذلك يستطيع شمرينا أن

يلقى فتاته (زهره) في الصحراء الداخلية وحسب (شَرْق) . والنساء المولعات بالملابس يصبغن شعورهن بالحناء .

فاطري تضلع اليوم من رجلها   يابعد قاذلَ قرقشوا حجلها !

المعنى :

إن ناقتى المسنة تعرج اليوم ، عسى أن تدومى أكثر من تلك الفتاة ذات الحجل المصوت[٣٣١] .

أي السمار ولا البياض   لو كنت آنِي عشاقه
حب السمار حلوة الجوف   لا واهني من ضاقه

المعنى :

أيهما أجمل السمرة أم البياض ، يا ليتنى كنت حبيبه !

ان قبلات السمراء مثل [تَمْر] نخلة (الجوف) الحلوة .. ما أهنأ من ذاقها!

أُنِّبَتْ عاشقة على تعلقها برجل أسود اللون فأجابت بالأبيات السابقة التى كسبت شعبية واسعة وبخاصة لدى الزنوج .

الحلوه : هى أشهى صنف من التمر الذى ينمو نخله في حوض الجوف . وبعض تلك التمرات يصل طولها إلى خمسة سنتيمترات ، وسمكها إلى سنتيمترين ، وهى سود اللون مشربة بزرقة .

١. نطيت راس العبد ولاشفت الادباش   ولا جانى من مضنون عينى منابى
٢. ما شفت طرقيه ولاشفت الاوناس   من دون مضنونى تلالا السراب
٣. هني لوني للمعاليق فتاش   واللى بقلب صويحبى مثل مابي

المعنى :

١) صعدت حتى رأس (العبد) ولم أر المواشي ، ولم يأتنى من حبيبى من يزودنى بأخباره !

٢) لم أر سَفْراً ، ولم أر أيَّ أنيس ، وكان السراب يتلألأ بينى وبين حبيبى .

٣) يا ليتنى أستطيع الاطلاع على ما في الضمائر ! ولاشك أن مافى قلب حبيبى مثل ما فى قلبى[٣٣٢] .

قائل هذه الأبيات على الحازمى ، واللذان تَلَوَاها عَلَيّ : محمد القضيب ، وعودة الكويكبى .

العبد ، جبل إلى الشّمال الغربى من الجوف . لونى[٣٣٣] (أو حالى) : حالى أو قلبى . " وش لونك " مرادفة لـ (وش حالك) : كيف حالك ؟ .

١. وراك تزهد يا اريش العين بينا	تقول خيال القرى زين تصفيح
٢. الله لحد ياما غزينا وحَبَينا	ياما تقاسمنا حلال المصاليح
٣. ياما تعاطينا الخوا بيدينا	ياماركبناهن عصير مراويح
٤. الهوش ماهو بس للظاعنينا	قسم وهو بين الوجيه المفاليح
٥. البدو واللى بالقرى نازلينا	كل عطاه الله من هبة الريح
٦. يوم الفضول بحلتك شارعينا	والخيل باخوانك سواة الزنانيح
٧. يوم انكسر رمحى جذبت السنينا	واودعت عنك الخيل صم المذابيح
٨. الصدق عندك مار لاتجحدينا	تعنزي بالصدق يازينة الريح
٩. يابونهيد كما فنجال صينا	غضات للقلب المشقى ذوابيح
١٠. لاخوخ ولارمان ولاطلع تينا	ولامشمش البصرة ولاهن تفافيح
١١. صخف بلطف بانهزاع بلينا	ياغصن موز هزهزه ناعم الريح
١٢. هيه عطينا الحق هيه عطينا	وان ما عطيتينيه والله لا اصيح

١٣. لا اصيح صيحة من غدا له جنينا	ولاخلـــوج ضيعوها الســـراريـح
١٤.واسمٍـــع اللى بالقـــرى نازليـنا	واقول باغى الحـق عن التفاضيـح
١٥. من عافنا عفـــــناه لو هو خديـنا	ولاينفع العطشان كـثر التســابيح
١٦. لو نبـى من الحضران واجد لقينا	مار قلنـــا البدو احسن تساميـح
١٧اللى نبيه اليـــوم عيى يبيـــــنا	ولايندرى الخـــيره ووين المصاليح

المعنى :

١) لم تزهدين بنا يا صاحبة العين ذات الأهداب الطوال فتقولين : إن الفارس القروي مجيد في (التصفيح) أى في (العرض للمناورة) وحسب ؟[٣٣٤].

٢) قسمًا بالله الأحد كم غزونا ، وكم حبونا على ركبنا ، وكم قسمنا بيننا أموال قوم بذلوا الجهد في إصلاحها !

٣) كم قدمت أيدينا من عطاء وهدايا للمحتاج ، وكم ركبنا مطايانا ذاهبين عصراً (مشتاقين لمكان يؤوينا في الليل) .

٤) إن القتال ليس حجراً على البدو ، ولكنه قسم على كل ذوي الوجوه المفلحة .

٥) ان الله وهب كلاً من البدو وقاطنى القرى نصيبًا من الشهامة والشجاعة .

٦) حين شرع (الفضول) في حيك نهبًا وسلبًا .. وكانت الخيل تتخطف إخوتك .

٧) حين انكسر رمحى جذبت السنان ، وجعلت الخيل تولى عنك صُمًا مُحَدَّبَةَ الظهور .

٨) إن الصدق لديك ، فلا تنكريه ، اثبتى على الصدق ياذات الرائحة الشذية.

٩) ياذات نهيد كفنجان صيني ، بل نهدين غضين يقتلان القلب الموله بهما .

١٠) إن رائحتهما ليست رائحة الخوخ أو الرمان أو التين أو مشمش البصرة ، ولسن تفاحات (أى أن رائحتهما أطيب من روائح كل صنف من هذه الفواكه) .

١١) دقة قوام بلطف ، بانهزاع بلين ، يالك من غصن موز هزهزه النسيم !

١٢) هيا أعطينا الحق ! هيا أعطيناه ! وإن لم تعطيناه والله لأصيحَنَّ !

١٣) لأصِيحَنَّ صَيْحَةَ امرأة فقدت جنينها ، أو صيحة ناقة ذات ولد أضاعها الرعاة !

١٤) وَسَأسْمِعُ كل نازلي القرى ، وأقول إنى أريد الحق بعيداً عن الفضائح .

١٥) من لم يقبلنا لن نقبله وإن كان خدنًا لنا ، ولا تنفع الظمآن كثرة العَوْم .

١٦) لو أردنا فتاة من الحضر لوجدنا كثيرات ، لكنا اخترنا البدويات الأجمل (أو الأشرف) .

١٧) إن من نريده لم يردنا ، ولا أحد يعلم الخيرة في الأمر ، وأين تكمن المصلحة ؟

الشاعر : فيصل العنقرى ، وتلاها عليٌّ محمد القضيب ، وجواد العانى ، وحمار ابو عواد .

كان تركى بن حميد بن عريعر شيخ بنى خالد يقطن على ضفة الخليج الفارسى في منطقة الأحساء ، وكان (فيصل العنقرى) صديقًا له . وكان فيصل يتفاوض بالنيابة عن تركى مع السلطات ، ويرسل له الأطعمة والبر والأسلحة والذخيرة والمال ، ويأخذ عوض ذلك الإبل والخيل التى كان يبيعها في فارس والهند . وفى القيظ كان فيصل يبرح قريته مع خدمه من أجل (تغيير الهواء) في زيارة لتركى (بْوَقْتَ القَيظْ يِطْلَع عند البَدُو يْبَدِّلْ هوَا) . وكان للأخير ابنة ، ولفيصل ابن ، وقد اتفق الأبوان أن يتزوج ابن فيصل الفتاة . وحدث أنه في بداية القيظ جاء كل من فيصل وابنه إلى تركى فى زَوْرَةٍ طويلة .

وفي أول يوم نحرت ناقة ضخمة سمينة احتفاءً بهما . وفي اليوم التالي نظم البدو عرضًا للخيل (لِعْبَ الخَيلْ) مصورين قتالاً مع العدو ، وشارك فيه كل من فيصل وابنه . وكانت النساء واقفات قرب بيوتهن في تلك الأثناء ليرقبن الخيالة وهم يجولون حول القطين .

نبهت امرأة من أقرباء ابنة تركى الفتاة إلى أداء ابن فيصل مثنية على قوته وإقْدامه . على أي حال ، كانت إجابة الفتاة : (كُبِّـهْ عنَّا خَيَّال القُرَى زَينْ التِّصَافِيح) أي " دعينا منه . إن الفارس القَرَوِيّ لا يحسن القتال إلا في العرض (المناورة) لا في المعركة الحقيقية "[٣٣٥] . وقالت إنها لن تقبل إطلاقًا أن تضحي أمًا لحضر . فانفجر النساء الحاضرات ، بعد سماع هذا ، ضاحكاتٍ ، وظللن يرددن كلمتها من بيت إلى بيت ، وقبل مضى طويل وقت ، حتى بات الصبية الصغار يغنونها مرددين : (خَيّال القُرَى زَين التّصْفِيح) .

لا ريب أن هذه الإهانة أوجعت الرجل المسن فيصلاً إيجاعًا مبرحًا ، ولاسيما أنها صدرت من الفتاة التى اختارها لتكون زوجًا لابنه المقدام ، فَطَفِق يتأهب للرحيل ، لكن (تركيًا) أفلح في تهدئته .

وبعد هذه الحادثة بقليل ، هاجم الفضول ، وهم قوم من عشيرة الظفير بغتة قطعان تركى . هب الفرسان مستجيبين لصيحات الإنذار ، مسرعين للدفع عن القطعان ، لكنهم ووجهوا بعدد أكثر منهم ، وصدوا ببطء نحو القطين . ولِيَبُثّ تركى الشجاعة والثبات في نفوس مقاتليه ، عمد إلى وضع هودج مزركش على إحدى النوق ، وطلب من ابنته أن تجلس فيه . والفتاة العذراء التى تجلس في هودج مزركش وتحث المحاربين على القتال تسمى (عَطْفَهْ) ، والاسم نفسه يطلق على الهودج .

ألقت الفتاة خمارها جانبًا ، ونفشت شعرها ، وحلت درك قميصها التى تمسك به من تحت حلقها ، ووضعت نفسها في الهودج . وامتطت صديقاتها

أيضًا نياقًا ، وصرن يطلقن (الزغاريد) بأعلى أصواتهن ، حيث اختلطت زغاريدهن في المعمعة . وقد أفلحن لبعض الوقت في إحياء شجاعة أهلهن وأصدقائهن ، لكن (الكثرة) سرعان ما (غلبت الشجاعة) ، وبدأ المقاتلون يختفون واحداً تلو الآخر ، بعضهم قُتِلَ ، وبَعْضٌ جُرِحَ ، وآخرون لم تعد الأفراس الكَالَّة تطيعهم .وأخيراً ألفت (العَطْفَة) ورفيقاتها أنفسهن بين الأبيات مرة أخرى . ولما بات مؤكداً أن العدو سيحتل المساكن ،دعت الفتيات (العَطْفَة) لتختبىء ، لأن سبى الأعداء إياها سيعد أعظم إهانة للأسرة الحاكمة والقبيلة بأسرها . ساقت ابنة تركى راحلتها أمام بيت أبيها ، وأناختها ، ثم قفزت وحَلَّت حبال الهودج ، وحاولت جَرَّهُ إلى الداخل ، لكن البيت محاط بالعدو الهاتفين : " أمسكوا راحلتها ! أمسكوا بالعَطْفَة " ! وظلت الفتاة ، وهى في حالَةِ ذُعْرٍ تَامٍّ ، تستنجد بآل عريعر لمساعدتها (تِنْخَى آل عريعر)لكن صيحاتها لم تجدْ لها صَدىً إلا في أماكن قليلة ونائية .

رأت العَطْفَة نفسها ، وقد تخلى عنها قومها ، ثم لحظت فيصلاً وابنه جالسين في مجلس الرجال من البيت مع خدمهما فاستنجدت بهما . وفي لحظة واحدة تغير كل شيء . امتطى فيصل وابنه ورجالهما جيادهم ، وساقوا خيل الأعداء الذين كانوا قد تَشَتَّتوا ليسلبوا ما في البيوت ، وقَطَّعُوا حبالها ، وأخذوا أعنتها وربطوها في سُرُجِ خيلهم ، ثم بدأو يُعْمِلون سيوفهم بالأعداء المُفَاجَئِين جرحًا وقتلاً . وبعد قليل كان المعسكر كله مكتظًّا بالخيل التى لا فرسان عليها ولا سُرُجَ ولا أعِنَّة ، وكان عدد كبير من الأعداء راقدين بين البيوت ، ورضيت البقية من الغنيمة بالفرار سالمة حيث يطاردها مقاتلو فيصل ورجال تركى الذين اجتمعوا في هذه الساعة .

وعَمَّ الحيَّ سرورٌ مُفْرِطٌ للتحول غير المتوقع الذى جرى ، لاسيما وأن كثيرين من المحاربين عادوا بِفرَسٍ أو فَرَسَيْنِ مُدَّعِين أنهم أَلْقَواْ فرسانها عنها .

ولما يمض وقت طويل حتى اكْتَظَّ بيت تركى بالمحاربين شيبًا وشبانًا ، وقد جاؤا مباهين بفعالهم المتنوعة ، وكانت ابنة الشيخ مُصيخَةً السَّمْعَ خلف الحاجز الخفيض الذى يقسم البيت قسمين . ولما رأت جماعة فيصل عائدين خطت نحو الحاجز ، وأمسكت بعمود البيت الأوسط وقالت : إنى لعلى يقين ، كما أمْسِكُ بالعمود الأوسط ، أنكم جميعًا خليقون بأن يطردكم أبى . ها أنتم تزعمون أنكم قد أزحتم الفرسان عن سُرُجِهِمْ ، وأن العدو كان خائفًا منكم فَفَرَّ . أين أدِلَّتُكُمْ ؟.

كان تركى يعلم أنها كانت علي حق ، لكنه حاول تهدئتها بقوله : " نعم هؤلاء الشبان قد أثبتوا نشاطهم ، ولم يبالغوا فيما قالوا (ما يْقَصّرُون) .

– أطْرُدْهُم يا أبَتِ جميعًا . إن الرجل الذى أنقذنا لَمَّا يَصِلْ بعد .

– إنك لعلى حق يا بُنَيّة . أجاب الأب ، وقد شرع يُحَيِّي فيصلاً وابنه وخدمهما ، إذ لَمَحَهُما عن بعد .

نزل قوم فيصل من على صهوات جيادهم ، وتبادلوا التحية مع تركى وجلسوا بجانبه متكئين بأجسادهم المُضنَاة على الرِّحال . وحالما جلسوا وَلَجَتْ ابنة فيصل ، وسارت بين الرجال وقَبَّلَتْ رأس فيصل . وقد جعل هذا الفعل وجوه الحاضرين جميعًا تَحْمَرُّ استغرابًا ، ثم تقدمت نحو الحقائب التى أُخذَتْ من خيل فيصل ، وأخذت تَجُرُّ الأعِنَّةَ التى مُلِئَتْ بها ، وصاحت : أيها الْمُدَّعُونَ الكذابون ، أنتم الذين استوليتم على الأفراس ؟ هاهى الأدلة : إنى رأيت من أنقذ العَطْفَهْ وكيف ؟ ، يا أبت لن أتزوج أيًّا من هؤلاء الشُّبَّان ! زَوِّجْنى ابْنَ العنقري !

نظر تركى إلى فيصل الذى قام : " بعد العِشَاء " وأجاب " أُدْعِي اللَّهَ الحماية يا ابنتى . سأدعوك بعد العِشَاء " .

وقبيل اللَّيل زَيَّنَ النسوةالفتاة ، وكُلٌّ توقع أن يطلبها فيصل زوجًا لابنه ، لكن فيصلاً ظلَّ صامتًا . وأخيراً ذَكَّرَهُ تركى بما توقعه الجميع أن يقول . فلحظ فيصل (ربابة) قريبة فتناولها وحركها وغنى : (مِنْ عافِنا عِفْنَاهْ لو كانْ غالِي) .

أى : " من لم يقبلنا لم نقبله وإن كان عزيزاً " .

أمـا الفـتـاة ، وكـانت تُصِيخُ السـمع من ورَا ءِ الحـاجـز ، فـاعْتَراها دوار .

وفيما بعد قال فيصل القصيدة السابقة [٣٣٥ب] .

البيت -١- : وَرَاكْ : (حسب التفسير المقبول عادة ، هذه الكلمة مرادفة لـ " لَيهْ " أو ليش) : لماذا ؟ . ياريَش : بهذا اللفظ دافع عنها كل من محمد وجواد اللذين قالا إن (يا اريَش) تعنى الحواجب ، بينما قال حمار : " ياريش العين " التى تعنى بطبيعة الحال الشيء نفسه[٣٣٦] . القُرَى : هى القرية الصغيرة ذات الأكواخ الطينية . تصفيح أو تحاريف : تدل على عمل يؤدى من أجل المال أو لمجرد الاستعراض

البيت -٢- : حبينا : تشير إلى نشاط المشاركين في رحلات سلب أو رحلات الكشافة الذين يبعثون ليكتشفوا من يملك بعض القطعان وأماكن وجودها ، وحجم معسكرات العدو ، وغالبًا ما اضطر هؤلاء إلى الحبو على بطونهم لئلا يحس بهم أحد ، وليتجنبوا جَلْب الرَّدَى لأنفسهم ولرفاقهم .

البيت -٣- : خوَا : هى الدعوة للطعام خلال الغارة . يعدد فيصل أعماله بين البدو.

البيت -٥- : هَبّةَ الرِّيح : الريح النافعة ، فرصة طيبة للنجاح وللغنيمة . يصيح المشاركون في الغارة حين يمتطون حيواناتهم " هِبِّى لِنا يارِيحَنَا "[٣٣٧] .

البيت -٧- : سِنِينا : رمح حاد .

الصعاب التى يسببها الأقارب (بعضهم لبعض)

يا حمد يا الهنيدى قتلني هـــــواك

....[٣٣٨]

المعنى واضح .

انهزم يا سِـــليمْ   لا تبات الخـــــــلا[٣٣٩]
صاحبى من قِدِيمْ   سمنى با لغـــــلا

المعنى :

انصرف يا سليم ، لا تبت في الخلاء ..

لقد سمني حبيبى بالحب منذ زمن قديم[٣٤٠] .

تحذر الفتاة عشيقها من اللقاءات الليلية وراء المخيم . الخلا : تعنى كل شىء خلف المخيم . الغلا : عاطفة الحب القوية .

يا شـــوق ماتعطـى المبغى   قبل المخاليـــق يدرون[٣٤١]
يا بنت انا خـــارب طبعـي   ليه على البيض عربـون
يا بنت انا اخاف من ربعـى   والكل يبغيك من دوني

المعنى :

أيها الحبيب ، ألا تعطينى ما أريد منك ؟ قبل أن يعلم الناس ! أيتها الفتاة ، لقد سَاءَ طبعى ، فإن لى على الفتيات لَحَقّا ! أيتها الفتاة ، إنى أخاف من صحبى ، فكل منهم يريدك دوني[٣٤٢] .

يا شــــــوق هد القذله   واسمـــع اهلي نادوني
قَطّاعةٍ لَلَّـــــــــــوزَهْ   والله ما يحيـــــوني

المعنى :

يا حبيبى ، انقض قـذالى ، وأرهف السـمع لقـد دعـانى أهلى .. إنهم

قطاعون للحلق (سيقطون حلقى) والله لن يَدَعُونِى أحيا !

مسفوه قلبي هكالمسفـــوه　　　　مسفوهنا اليـــوم ماداج
أقبـــل علينا هلــه ردوه　　　　أقفى كما الغصن منعاج
حبة عشيرى سكر دقـــوه　　　　من بين اشـــافيه دراج

المعنى :

أيا أحمق قلبى ذلك الأحمق إن (أُحْمَقَنَا) . لم يُرَ هذا اليوم ..
أقبل إلينا فَرَدَّهُ أهله ، فانصرف كالغصن المنثني ..
قُبْلَةُ حبيبى كسكر مسحوق .. يسيل بين شفتيه ..

مسفوه : تعنى من فقد قلبه (ضايع قلبه) ، إما لعشق أو خوف ، ومن لا يتحكم في نفسه ، ولا يعرف ما يعمل ، ويتصرف كما لو كان واهن العقل .

داجِ : داج ، يدوج : طاف - يطوف[٣٤٣] .

يا خلـــف يا خلف　　　　جوز الزينه ذلف
ارعها عند اهلهـــا　　　　منامها بطـــرف

المعنى :

يا خلف ، يا خلف ، لقد ولى زوج المرأة الحسناء ..
انظر إليها عند أهلها ، مرقدها ناحية .

ذلف : تعنى ذهب بعيداً إما ليعمل بأجر أو في عمل له ، مثلاً ليعمل سائقًا للإبل التى تشتريها (عقَيل)[٣٤٤] . غادرت زوجة الرجل الغائب بيته عائدة إلى أهلها الذين يقع بيتهم في أقصى المخيم .

يا صاحبى والنبى ما اقفيــــت   ولا اطريت أنا البوق من حيني
غصب عليّ يا الغضي جــزيت   درب على الضيـــــق حـاديني

المعنى :

بِالنَّبيٍّ [٣٤٥] يا حبيبى لم أخن عهدك ، ولم تدر الخيانة ببالى منذ بادىء الأمر ! فقد كان ذلك عن غير خيار منى أيها الحبيب ، إنه طريق قادنى إلى الضيق .

يطالب ابن العم ، أو أى قريب آخر ، بحقه في الفتاة فتعتذر لحبيبها . والنبى : قول شائع جداً يستعمله حتى النصارى . أقفى : تشير إلى المحارب الذى يدير حصانه إلى الوراء فرقًا ، فيوجه لوم شديد إليه لخيانته رفاقه، وتعريضه إياهم لخطر أعظم . من حين : من بادىء الأمر . لا اطريت البوق : لم تدر الخيانة بخلدى . الغضي : المحبوب ، الذى يتوقع برغبة شديدة .. أغضي : أرغب في - أتمنى . جزيت : تكلمت ، أوضحت . حادي : سائق الإبل [٣٤٦] .

مشـــرفه يا حيـــا   تى نادينى غديــت
لعن ابو من يـردن   عن اللى بغـــيت

المعنى :

يا مشرفة ، يا حياتى ، نادينى ، فقد تهت ..
قبح الله أَبَا مَنْ يَحُولُ بَيْنى وبين ما أريد !

إذا وجد العاشق نفسه في ليلة داجيةٍ في أرض يجهلها .. أرض محاطة بالشعاب العميقة ، ولا يتمكن من وجود المكان المتفق عليه للقاء محبوبته ، فإنه يصب لعناته على أهلها الذين لم يبيحوا له المجىء إلى بيتهم .

١. ياونتى ونـــة بعارين تلـــه بحوش ابن عامر تسعة ايام بعقال

٢. الـــبرد جاهن والمطر مردف لـه ومقيلهن عن حروة الشمس بظـلال

٣. وليهن عبد ولاحـد فطن لــه ولاظنتى قوِيِّهـن يشبث الجـــال

٤. كان ان شوقك قاعد بحوطة لـه شـوقى مع البدوان يرهى مع اللال

٥. فوق اوضحٍ مع زمل اهلها تجله يتلى ظعن شيخ مع الدو صـــوال

٦. ياماحلا كتة شغايا مظلـــه وادى المرا كان الابيض معــه سال

المعني :

١) يالأنتى الشبيهة بأنة نياق تلة التى قيدت في حوش ابن عامر تسعة أيام .

٢) تعرضن للبرد ، ويرادف البردَ المطر ، ومقيلهن في الظل بدلاً من الشمس .

٣) والذى وكل إليـه الاعـتناء بهن عـبـد لا رقـيب يراقـبـه ، ولا أظن أقـواهن يستطيع تسلق المرتفع .

٤) إن كان حبيبك مقيمًا في بستان له ، فإن حبيبى مع البدو يسير في الأماكن ذات السراب .

٥) وهو ممتط جملاً أبيض ، يرعى إبل أهله ، يتلو إبل شيخ تصول وتجول في الفيافي الواسعة .

٦) ما أجمل الخضرة في شعاب وادى (المرا) الظليلة إن سال الماء أيضًا معه من وادى (الابيض) ! .

كان للشاعر حمد بن نايف بن شعلان محبوبة اسمها (تَلّه) زَوَّجَهَا أَهْلُها حضريًا يدعى (ابن عـامر) من قرية (الكاف) في وادى السرحان ، وجاءوا بها إليه في أواخر فبراير ، ولعدم وجود كلأ في المكان ، قيدوا الإبل في الفناء (الحـوش) عـازمين على العـودة في الغـد . لكن مطراً بارداً بدأ في الهطول ليلاً ، واضطر الجماعة إلى البقاء في المكان تسعة أيام ، حيث جاؤا من النفود

المتميز بالدفء والشمس بدون ملابسهم الشتوية . وبعد عودتهم قال حمد هذه القصيدة ، وتلاها عليٌ متعب بن كردى .

البيت -٤- : الحوطة : بستان من النخل يحيط به سياج . لال : الهواء الممتزج بالحرارة ظهراً الذى يغير مظاهر كل الأشياء[٣٤٧] .

البيت -٦- : وادى - أو - شعيب (الْمرَا) يرتبط بوادى (الابَيِّضْ) من جانبه الأيمن .

التنافس في الحب

يـارب يارازق هـــدلان   بام العيـــون المظاليل
من عقــب مايتولي قحيصان   مثل يتيم المخاليـــل

المعنى :

يا رب يا من رزقت (هدلان) أم العينين ذواتَىْ الأهداب الطوال ، بعد ما كان يتابع (قحيصان) أينما ذهب ، كقعود يتيم[٣٤٨] .

أجبر العاشق (هَدْلان) ابن عم حبيبته (قْحَيصَان) على الكف عن ادعاء أحقيته بها .

المخلول : البعير الذى تزيد سنه عن ثلاثة أشهر ، وهو يحس بالضياع إذا فصل عن أمه ، فالنياق الأخر تطرده لأنه يخزها ، حين يحاول أن يرضع ، بالعود الحاد المربوط لحنكه الأعلى . ولن تدعوه أية ناقة إلى أجود المراعى ، ولا إلى كيف يرعى . وإن لم يحطه الرعاة برعايتهم فإن هذا الحيوان الصغير البائس يهلك من الجوع والكلوم التى تلحقها به النوق .

حـــول يا راعي الشقـــــرا حول واعطينى علومـــك
ان كان عاشـــــق غيرى لا والنبيما الومــــك[349]

المعنى :

ترجل يا صاحب المهرة الشقراء ، ترجل وأعطنى أخبارك ..
إن كنت عاشقًا غيرى لا والنبي لست ألومك[350] .
تود الفتاة المحبة معرفة الخبر اليقين عن خيانة زوجها إياها .

١.يا شـــوق قلبي غدا شطنين تفرقـــــن وانت ملفـــــاهن
٢.انت بتلقاهن بهـــــرج زيـن ولامـــــع الحيد تَنْحَـــــاهن
٣. حليا عشـــيري حدا الخشفين مـــــع الرهاريه مربـــــاهن

المعنى :

١) أيتها الحبيبة ، إن قلبى كجدول ماء انقسم إلى قناتين افترقتا وتجتمعان فيك .
٢) أتَلْقاهما بحديث عذب ، أم تضطرهما إلى الجبل ؟ (حرفيا : ستجمعهما معًا إن تحدثت معهما حديثًا لطيفًا ، وإلا ستضطرهما إلى الجبل) .
٣) إن حبيبى كأحد غزالين قد عاشا في البراري الفساح .

الفتى يتردد بين فتاتين . شَطِنْ : فرع قصير لواد . حلِيًا : لها نفس معنى (رسوم) أو (أوصاف) : شكل ، قسمات . الرَّهَارِيهْ : سهل واسع يتلألأ في أشعة الشمس .

الوجــــــد وجدي على مْتَيِّهْ يوم اقرشت مع عرب غاشي
قرطان كان طلبتـــــك نيه أسوق لك الفـــــين ولبـاش

المعنى :

إن الوجد الحق هو وجدى على (مْتَيِّهْ) إذا نطلقت[٣٥١] مع عرب غاشي .

لعلك تصاب بمرض القِرْطان (الشلل) إن كنت تطلب بها عوضًا ..

سأسوق لك بها ألفين من الإبل بل أكثر من ذلك .

يعبر العاشق عن ألمه لأن حبيبته (متيه) قد أضحت ملك غاشي الذى دفع ثمنًا باهظًا لها ، وهو يعلن عزمه على ابتياعها بثمن أغلى .

أَقْرِشَتْ : تعنى " ذهبت بعيداً كقطعة من الممتلكات ، شيء مشترى " .

قِرْطَان : هو النقرس أو الشلل ، أو مرض آخر يشل الأقدام .

الوجد وجدى على النيرات	أبغي من الصفر لي ميه
أبغي ليا جا العرب مرزاة	المرتعد صاير سيه
أبغى ليا جا العرب مرزاة	اكَيّله واكيل ادْنِيِّه
نشد ونركب على العيرات	نضرب على الخور وصفيه

المعنى :

إن الوجد الحق هو وجدي على (نيره)[٣٥٢] ، فياحبذا مائة من النوق الصفر .

....

ثم نظعن على النوق العتاق متجهين إلى (الخور) و (صفيه) . يريد العاشق الاتفاق مع ذلك الرجل ذي اللسان الجارح ، ثم يظعن بحيبته . إن مهر نيره الذى يطلبه أهلها باهظ ، ولكى يتمكن المحب من دفعه فإنه يتمنى أن لديه مائة ناقة صفراء .

اكيّله : آخذ قياسه ، أحسم الأمر معه ، أكيل : أستعد - أعد -

أحَمّل - أزنِ . الخور : غور في وسط الحماد ، وتقع هناك (خبرا صْفَيِّهْ) .

يازيد لاتضرب المحبـــوب   هو صـاحبي وانت قوماني
حوســـه لو جرجرت للثـوب   ليا بعد كل حيـــــــاني

المعنى :

لا تضربن الحبيب يا زيد ، فهو صديق لى وأنت عدو .

إذا رفعت (حوسه) ثوبها أفديها بكل أقاربى الأحياء[٣٥٣] .

صاحب : تعنى قبيلة مسالمه ، وقوماني : قبيلة معاديه[٣٥٤] . جرجرت الثوب : ترفع الثوب الذى يغطى نهديها على نحو يبديهما خلال الشق الواسع . إذا أرادت فتاة أو امرأة تحريض قومها إلى أعلى درجات الشجاعة ، خلال قتال خطر ، فإنها تصنع ذلك ، لا بالكلام فحسب ، بل وبالعمل الجزل ، فهى ، مثلاً، تفتح قميصها لتظهر نهديها ، إشارة إلى الكيفية التى تقصد مكافأة الأشجع بها ، فينسى عاشقها كل شيء آخر ، ولا يتمنى سوى ألا يهلك في المعركة آملاً في أن يستمتع بالمكافأة الموعودة .

ليا بعد : تعنى : آه ، آمل ألا أكون غائبًا ، آمل ألا أموت[٣٥٥] ، حيان : هم الأقرباء الذين يستمرون معًا حتى في معمعة المعركة .

يا ونتـــــي ونيتهـا   والناس مادريوا بها
يا واهني من جاضعــه   بين البريم وثوبـــها

المعنى :

يا لأنتي التي أننت ! ولم يعلم بها الناس !

يا ليتنى أضاجعها (أي محبوبته) بين حزامها الجلدى وثوبها .

(الترجمة الحرفية : ما أهنأ من يضاجعها بين ....) .

جضع : ألقى (شخصًا آخر) أو طرحه ، جاضع : ضاجع ، انجضع : اضطجع .

١. يا بنت أنا قلبى عليكم عصاني	راع لكـــم يابنت قلبى نصـــوح
٢. يا منقرش الذرعان صاف الثمان	ذابت عليهن يا اريش العين روحى
٣. كان الحبيـــب نيته ما سقـــاني	وش عاد يا العسلوج بابة سروحي
٤. يا الترف ياجالي الثمان الــوزان	مثل البرد من روس مزن يلــــوح

المعنى :

١) أيتـها الفـتـاة ! ، لقـد عـصـاني قـلبى (ومـضى مـنشـغـلاً بكم) ... وهو راع ناصح لكم !

٢) ياذات الذراعين المزركشتين (بالوشم) والأسنان الثماني الناصعة البياض ، لقد ذابت شوقًا إليهن روحى .

٣) إن كان الحبيب عازمًا على عدم سَقْيي [من شفتيه] فما الجدوى ، أيتها الرشيقة ، من ذهابى إلى المرعى ؟

٤) يا أيتـهـا الخـود ، يـا من تجلو أسنانـهـا الثـمـاني المتناسـقـة الشـبـيـهـة بالبـرد الساقط من رؤوس المزن .

عشق عوده أبو بركان الكويكبي فتاة تدعى (غِصْنَهْ) ، وليخطب ودها أجّر نفسه أباها راعيًا لإبله ، لكن غصنة لم تبادله من فَوْرِها حبًا بحب ، فقال هذه الأغنية وبعثها إليها .

البيت -٢- : مْنَقْرَش (أو مْنَقَّش) ، عليه نقوش .

البيت -٣- : العِسْلُوج : الفتاة التى لا هى بالنحيلة ولا بالبدينة ، بل الرشيقة وذات الشكل اللائق .

١. العـــود عال وعيلته جَرْهَدِيّـه	بالعون عـــودك عايز له تصافيـق
٢. يا العود لاتكسب بعمرك خطيه	ترى المنايا نوب تلفي توافيـــق
٣. معى رصـــاص وبندق عدمليه	ملفاظـــها يرمى السحر والمعاليق
٤. ملـــح نظيف ومنقحاته ايديه	وحسه كما نجم غرب للشواهيـــق
٥. غصنه قمر يارشيد ماهى خفيه	القبة اللى ما وطـــوها المخاليق
٦. وقرونها تسعين جـــوز وميه	وعليه من ريش النعايم زرانيـــق
٧. شبه الثريا يوم تدفـــق دليه	تنبت بالريـــاض المحايل زماليق
٨. يـــزوع قلبي يوم تطري عليه	زوعة جهام من الحدب للتشـــاريق

المعنى :

١) لقد أخطأ الشيخ ، وكان خطؤه جسيمًا ! ، إنه حقًا يستحق الصفع ! .

٢) أيها الشيخ لا تَكْسِب في حياتك خطيئة ، فإن المنايا قد تحل في أى وقت.

٣) معى رصاص وبندقية مجربة ما يخرج من فيها يرمى القلب والأمعاء .

٤) بها ملح نظيف نقحته بيدي ، وصوتها كصوت نجم يسقط على قُنَنِ الجبال .

٥) غصنة ، يا رشيد ، قمر لا يخفى على أحد ، إنها كقبة لم تطأها قدم إنسان .

٦) وظفائرها مائة وتسعون زوجًا ، وقد ثني فيها ريش النعام .

٧) هي كالثريا حين تسكب من دلائها الماء فتنبت بالرياض الجرداء براعم النَّبت .

٨) إن قلبى حين أتذكرها ليضطرب اضطراب قطيع فيما بين الإبل مِنَ

(الحدب) حتى الصحراء الداخلية !

صادفت القصيدة التي قالها عودة (وأوردناها قبل هذه) قبولاً في نفس الفتاة ، فبدأت تُلْقِي لعودة بالاً أكثر من ذى قبل . وكانا يأملان أن يتزوجا ذات يوم ، لكن أحد أقاربها ، واسمه رُشَيد ، وكان رجلاً مسنًا ، قد ابْيضَّ شعره ، وكثرت أسقامه ، أعلن أحقيته بها، لكن الفتاة أصمت أذنيها عن طلبه . وقد طلبت هى وأبواها وعودة من الشيخ الكبير أن يدعها تتزوج بعودة ، لكن رُشَيداً أصر على أن تكون زوجًا له ، فقال عوده القصيدة الثانية هذه .

البيت -١- : عَود : الحصان المسن ، وتستعمل بشىء من السخرية بمعنى شيخ (شايب أو اختيار) . " عال على فلان " لها معنى " تعدى على فلان " نفسه . و " عَيلِه " لها معنى " تعدية " ، لكن ، في معرض الذم ، تعنى " اقترف خطيئة ، أو عملا سيئًا " . جَرْهَدِيّه : تعنى الشأن الذى يتكلم عنه الجميع بازدراء . وقد أدين ، بصفة عامة ، عمل رُشَيد بصفته عملاً غير مشرف ، عايز له : محتاج ، بالعون : (بالصحيح) ، لا أعترض بموافقة الجميع .

البيت -٢- : " توافيق " أو " بالوفق " ، بالصدفة ، توافقوا ، تصادفوا : حدث أن توصلوا بأنفسهم إلى اتفاق ، عاقب بعضهم بعضًا .

البيت -٣- : عدمْلِيِّه : بندقية قديمة اعتاد عليها الرامى بحيث لا يخطىء غَرَضَهُ أبداً . سَحَرْ : قد تعنى الرئتين والكبد أو المعدة ، كما تدل كلمة " معاليق " على القلب والشرايين المؤدية إليه .

البيت -٤- : مْنَقّحاته ايدَيِهْ : يعد البدو ملح البارود الذى يريدون استعماله ، ويثقون به أكثر من الذى يبيعه الباعة المتجولون الذين يمزجون به الفحم المسحوق، بينما يعلم البدوى أنَّ ملح باروده نظيف . وعلى أية حال ، قد تعنى عبارة (أنْقَحْتْ هالبِنْدَق) : " وضعت فيها الرصاص " . ويشبه صوت الرمية بصوت نيزك ساقط على جبل . وهو شىء كثير الحدوث ، كما يقول الرولة ،

وهم يحتفظون بقطع النيازك المتحطمة للذكرى .

البيت -٥- : يهدد (عَودَهْ) بأنه سيطلق النار على (رْشَيد) إن لم يتنازل عن (غِصْنَهْ) . رْشَيـدْ يريد أن يبنى بغصْنَهْ سـراً ، لكن ذلك لم يعـد ممكنًا لأن الجميع يتحدثون عنها ، وينظر إليها كما ينظر إلى القمر أو القبة المخصصة لبعض الأولياء المسلمين التى ترى من بعيد . وكل من (عوده) و (غصنه) كانا يقطنان إذ ذاك في النّقْرَهْ ، وهى إقليم جنوبي دمشق حيث بنيت على طريق الحج القديم إلى مكة قباب بيض لتكريم أولياء مختلفين . و (غصنه) تشبه بقبة لما تطأها قدم بعد لكونها بكراً .

البيت -٧- : كل ما تمسه (غصنه) يفلح ، وينمو ، وينتعش كما يحيي المطر (الثّرَيَّاوِي) بذور البقل ، تغرف الثريا ماء بدلو كبيرة وتصبه على الأراضى العطشى ! الرياض : هى المنخفضات في الخلاء الخالى ، يجرى فيها المطر فيخصبها بما يحمله من غرين ، فتبدأ بذور النباتات ، التى قد تمكث جافة عامين أو ثلاثة ، تنبت بعد المطر (الثرياوى) الغزير ، وإذا هطل مطر بعد ذلك أضحت تلك المنخفضات مروجًا خضراً .

البيت -٨- : تذكر (غصنه) يسرع بدقات قلب (عوده) . الإبل لا تحب الرعى في البلاد المأهولة ، فهى تشتاق للبر الداخلي الذى ينطلقن نحوه إما شرقي دمشق أو جنوبى (ذرعات) ، وقرب البلدة الأخيرة يرتفع تل (الْحَدَبْ) ، ومن هذا المكان يمضى الرولة في رحلتهم نحو جنوبى الجنوب الشرقى .. نحو البر الداخلي (لِلتّشَارِيق) . يسمى البر الداخلي (شَرْق) .

١. قصرت رجلي عن مراقى الطوايل — وعينيتشاتلنى على راس مشراف

٢. يا القرم مانى عن زعلهم مسايل — قلبى لوضاح الانياب ميلاف

٣. العين عين اللى تذب المسايل — قلبى عليها مقرش يوجف اوجاف

٤.	ما انساه لو حطـوا على النثايـل	[و] الله ولوالـقيـال ينزل على كـاف
٥.	ولا طويل الفلــج ينزل بحـــايــل	وحـــوران ينزل من ورا برد ورواف
٦.	وحامى رغيف قيل دنى الرحايـل	رحل وعزل له مظاهير واســـــلاف
٧.	حتى انى أنسى ناقضات القذايل	وامشى بطوع اللى حكى لى بالانكاف
٨.	يابو ثمد مقعد صغا كل عـــايل	يازبن من خلوه والجيش مختـــاف

المعنى :

١) امتنعت عن صعود التلال العاليات[٣٥٦] ، وعينى تجاذبنى النظر إلى جهة الحبيب [حين جلست] على رأس تلٍّ شاهق[٣٥٧] .

٢) أيها الفتى النجيب ! إنى لا أبالى بغضبهم ، وقلبى قد ألف صاحب الثنايا الغر .

٣) العين عين من تقفز مجاري الأودية [لتلقانى] ، إنها قد ملكت فؤادى فهو يخفق خَفَقانًا شديداً[٣٥٨] .

٤) لن أنساها حتى لو مت ، وحتى لو انتقل جبل (القيَّال) إلى (كَافْ) .

٥) حتى لو انتقلت جبال الخليل إلى حايل ، ولو انتقلت (حوران) إلى ما وراء (البِرْدْ) و (رْوَاف) .

٦) وحتى إن قيل إن (حَامِي رِغِيفْ) قد أدنى المطايا وأعد الأظعان التى تحمل أثاثه وارْتَحَل ، وبعث الأسلاف الذين يتقدمونه على خيلهم .

٧) لن أنسى ناقضات شعرهن ، ولن أطيع من يشير عليَّ أن أعود بدون إدراك الغُنْم .

٨) يا أبا ثَمَدَ ! يا من يقيم اعوجاج كل جائر ! يا ملجأ من تركه رفاقه وقد انطلق الجيش مذعوراً !

أشار أبو ثَمَدَ ، وهو أبو غِصْنَهْ ، على عَودَهْ أن يحاول نسيانها لأنه ،

على أية حال ، لن يحظى بها زوجًا له ، فأجابه عوده بهذه القصيدة .

البيت -١- : يصعدعودة إلى التلال العالية ليرى الدرب الذى تسلكه محبوبته التى تزحف بحذر (تدِبّ) مع القنوات لتقابله دون أن يراها أحد .

البيت -٢- : القَرْم : الشجاع ، الباسل ، وتشير هنا إلى أبى غصنه [(٣٥٨ب)] .

البيت -٤- : النَّثَايِلْ : هى التراب الذى يملأ به القبر المغطى بالحجارة . جبل (قيَّال) يبعد عن الجوف ٤٦ كيلومتراً إلى شماليها الشرقى .

البيت -٥- : طويل الفِلْج : (الجبل العالى ذو الثلج) هو الاسم الذى يطلقه الرولة على جبال الخليل التى يغطيها الثلج معظم أيام العام . وحايل تقع على بعد نحو ستمائة كيلو متر إلى الجنوب الشرقى من الخليل . (بِرْدْ) و (رْوَاف) جبلان على بعد نحو أربعمائة كيلو متر إلى الجنوب من حوران [(٣٥٨جـ)] .

البيت -٦- : حامِي رغيف : جبل وراء بحيرة طبرية . دَنُّوا الرَّحَايِل : " أدنُوا النوق التى تحمل الأثقال " هذا هو الأمر الذى يصدره ربّ البيت حين يهم بالتَّرَحّل . المِظَاهِير : هى الأظعان حين تحمل بيوت الشعر والأوانى والهوادج (للنساء) . السَّلَفْ : المقاتلون الذين يتقدمون الإبل المحملة بكيلومتر أو كيلومترين .

البيت -٧- : الانكاف : العودة من غارة دون تحقيق نجاح أو نيل أية غنيمة . (عوده) لن يكف عن المحاولة إلى أن تضحى (غصنه) عقيلةً له .

البيت -٨- : من يحاول أن يشرب من إناء خشبي ، لكنه يمضى في الحديث فلا ينتبه إلى ما يصنع ، فغالبًا ما يميل الإناء إلى جانب وينسكب الماء ، فينبهه رفاقه قائلين : (يا فْلانْ القِدَحْ مْتِصَاوِرْ) . وكذلك من يرتكب عملاً مشينًا فهو مائل أيضًا ، مائل جزئيًا لأنه يُغَالِبُهُ الحياء ، وجزئيًا لرغبته في الخيانة . وأبو ثَمَد يُقَوِّمُ مَيْلَ مثل هذا الإنسان المعوج ، أي يوبخه (صَغَا كِلّ عَايِلْ) فيمنع حدوث الضرر [(٣٥٩)] .

حفلاتُ الزِّفَاف

يتم العرس ، بصفة عامة ، بعد الخطبة مباشرة ، فيقوم شخص ما ، وإن كان عبداً ، في الصباح بنحر ناقة (ذبيحة العرس) أمام بيت العروس ، ولا حاجة لحضور أى من الخطيبين ، وعند دنو الليل تضرب النساء بَيْتَ شَعْرٍ صغيراً (حجرة) على مقربة ، ويهيأ فراش الزفاف فيها . ولدى الفقراء تُفْصَلُ زاوية من بيتهم للزوجين الشابين ، وتختلف امرأتان أو ثلاث من قريبات الزوج إلى العروس ليجلبنها مع غروب الشمس إلى البيت المهيأ . وبعد قليل يدخل الزوج أيضًا فيغلق البيت (يْحَجّرِنْ عليه حِجْرَهْ) .

وليس ثمة مراسيم خاصة بالزفاف . يقسم بعض لحم الجزور الذبيح على أقارب الفتاة ومعارفها ، ويقدم الباقى عشاء في بيت الرجل ، ولا يدعى أحد ، ولا يهدي أحد شيئًا ، لا احتفال .. لا رقص .. لا الفتيات ولا النساء يغنين أو يُزَغْرِدْن مبتهجات . وغالبًا لا يعلم حتى أقرباء العروسين أن زفافًا سيتم أو قد تم . ولا يدل نحر جزور على أمر ذى خَطَرٍ خاصٍ ، لأنه يُنْحَرُ ، بين حين وحينٍ ، بَعِيرٌ (حرفيًا : حيوان) هَرِمٌ أو جريح . ولا يدل على حدوث الزواج سوى البيت المستدير (الحجرة) ؛ لكن إن ضربت مع غروب الشمس ، وخف القطين إلى منزل آخر في صباح اليوم التالى ، فلن يفطن لها أحد خلا الجيران الأدنين .

وفي صباح ليلة الزفاف يمضى العروس إلى مجلس الرجال (الرَّبْعَهْ) في بيت أهله حيث يُحَيَّى بعبارة " لافِي عليك الخير " أى " الخير حَالٌّ عليك " ، وتزور النسوة كذلك المرأة ويحيينها قائلات : " عسى أن تجلبى لابن عمك الخير " . وتتسلم العروس الشابة هدية من حميها (أبى زوجها) ثم تبرح (الحجرة) لتنضم إلى نساء أسرة زوجها الأخريات في البيت ، على أنه ليس عليها أن تشارك في العمل مدة أسبوع من لَدُنْ ليلة الزفاف . أما زوجها فيعمل كالمعتاد ،

ويبتاع لها أيضًا كسوة وأثاثًا يتألف من بطانيات متنوعة وسجاد مثل (البساط) و (النَّصِّيّهْ) وهى سجادة رقيقة من صوفٍ ، وسجادة صلاة (لحاف) ، ومضربة أوربية ، وملابس ومناديل . وتقدم هذه الكسوة والفرش للزوجة بعد ليلة الزفاف ، لا قبلها (لَيّا اعْرَسْ عليها) ، وليست ملزمة بردها .

وإذا تزوجت أرملة أو مطلقة ثانية فلها ألا تعمل ثلاثة أيام وحسب . وإذا تزوج رجل أوَّل مَرَّة فإنه يلبث مع زوجه سبع ليال ، فإن كانت له زوجة أخرى فإنه يُوليها اعتناءً أيضًا .

ويُحَيِّى الزوج الشاب بعبارة : " مبْارَك البيت " وإجابتها : " بارك لك بالمبارك " . وعند الحديث عن زوج امرأة تستخدم كلمة (رَجُلْها) ، وعند الحديث عن زوجة رجل تستخدم كلمة (مْرُتُهْ) أو (حُرْمتهْ) ، ويدعو الزوج زوجته (راعْيةْ بيتنا) .

وللرجل عند الرولة ، عادةً ، امرأة واحدة فقط في البيت ، ونادراً اثنتان ، ونادراً جداً ثلاث .

ولا يكاد الرويلي الشاب يتزوج سوى فتاة يحبها ، ويظل وفيًا لزوجته الشابة حتى شهر حملها السادس أو السابع ثم يفتر حبه ، وفي حالات كثيرة ، يبدأ في البحث عن فتاة أخرى ، أو امرأة مطلقة فيتزوجها ما لم يك خارجًا في غارةٍ ، فإن دامت الغارة عدة أسابيع وعاد منها منهكًا ، فإنه لايريد زواجًا جديداً ، وينتظر ولادة زوجه ، فإن ولدت غلامًا فإن الأب الشاب يضحى سعيداً جداً بحيث يتمسك بها مرة أخرى ، ويمحو فكرة الأخريات جميعًا من ذهنه . وإن حَكَمَ العقل سلوك الزوجة ، وحافظت على نظافة البيت وترتيبه ، واستطاعت أن تطبخ طبخًا نظيفًا ، ولم تك عنيدة أو محبة للخصام فإن الزوج يظل ، في الغالب ، وفيًا لها طوال حياته .

تعدد الزوجات

إذا لم يقتنع الزوج اقتناعًا تامًا بزوجه الأولى ، فمن العادة ، أن يتزوج زوجًا أخرى . تكون الزوج الأولى في بادىء الأمر مستاءة كثيراً من رفيقتها الجديدة أو (جارتها) كما تدعوها ، وتسيء معاملتها أيما إساءة : (ليه جيتينى ؟ ما لقيتى غير جوزى انْتِ يابنت فلان ، يا ملعونة الوالدين) .

وعلى أية حال ، فإن الاستياء الذي تبديه الزوج الأولى لايدوم ، في العادة ، طويلاً ، فبعد أمد قصير نسبيًا تصطلح المرأتان وتعيشان معًا كأختين .

وإذا كان للرجل زوجان فإن كلاً منهما تطبخ له يومًا بالتناوب ، وفي ذلك اليوم يتناول طعامه عادة عند من تَطْبَخُ ، ويبيت معها . هذا هو حق المرأة الذى ليس لأحد نقضه . فإن وجد الزوج زَوْجَهُ غير راضية سألها : (لَيهْ تَزْعَلِينْ ما اخطيت عليك بْحَقِّكْ ؟) . وعلى الزوج ، وإن لم يك يحب زوجه ، أن يفرغ نفسه لها في الليالى المخصصة لها ، وليس عليه أن يتصل بها اتصالاً جنسيًا ، كما إنه ليس عليه أن يفعل ذلك مع المرأة التى يحب أيضًا . وفي مثل هذه الحالات يَبيتُ عادة ، في قسم الرجال ، أو يرقد قرب رأس زوجه ويقول : (ما ابْغِي ها اللّيلهْ) أى " لا أريد هذه الليلة شيئًا " ، ولا تجرؤ المرأة على أن تنبس ببنت شفة .

وأحيانًا تتساوم النسوة بعضهن مع بعض " دعينى آخذ الرجل الليلة ! " "ماذا تعطيننى عوض ذلك ؟ " ، فإن اتفقتا قالت المرأة التى لها الحق أن تنام مع الرجل تلك الليلة (الدّوره) له : قد سمحت لك بالغياب . اذهب إلى زوجك هنا " انا مْسَامْحَتْك ارْشِدْ عنْدْ مَرَتَكْ هْنَاكْ " . لكن إن خرق الرجل حق إحدى أزواجه، وأمضى عدة ليال مع الأخرى ، فإن المرأة المخدوعة قد تستشيط غيظًا ما شاءت أن تستشيط ، لكن ذلك لن يجدِيَها فتيلاً ، ولاسيما إن كان زوجها قد آتى أهلها ما طلبوه من صداق لها .

. . . .

ويجب ألا يَمَسَّ الرجل المرأة في أثناء عادتها الشهرية (عليها الحيض) مدة تتراوح بين ثلاثة أيام وخمسة ، ولا يمسها مدة أربعين يومًا بعد ولادة طفل . وأثناء العادة الشهرية تطبخ المرأة وتَنَاوَلُ الطَّعَامَ مع الآخرين كالمعتاد .

. . . .

معاملة النساء وواجباتهن

وظيفة المرأة حمل الأطفال وتربيتهم ، وإعداد الوجبات ، والخياطة ، وإقامة البيت ، واقتلاعه ، وحمله [على الأظْعان] ، وكذلك تحميل كل الأثاث ، وجمع صوف الإبل ، ونسج الحقائب وزينات الرحل المتنوعة منه (تنطى) ، وجلب الماء (تراوي) ، وجمع الحطب (تحطب) ، وابتياع القمح والشعير (تِسْفِر) ، وتقديم (الشِّيح) الجديد و (النَّصِي) للفرس (تْشَيِّح وتحِشّ للفرس) ..إلخ.

والرجل الذى يحب زوجه يعينها في هذه الأعمال كلها فلا يدعها أبداً تبنى البيوت أو تقوضها أو تحملها وحدها ، بل يعينها دائمًا هو ورعاته وخدمه وأبناؤه .

ويحرس الظُّعُن التى تحمل المؤن في المسيرة خادم أو عبد . ويأتى بين فَيْنَةٍ وأخرى السيد أو ابنه ليرى إن كان أحد الأباعر بحاجة إلى مساعدة .

أما جلب الماء من بئرٍ قَصِيَّةٍ فهو ، عادة ، شأن الابن أو الخادم أو الرعاة ، في حين يسوق السيد نفسه ، في هذه الحالة ، الذَّوْدَ نحو المرعى .

والزوج الحازم يُحَمِّلُ ، في الغالب ، بعيرين أو ثلاثةً وقوداً ، لاسيما أعواد (الغضا) أو (الأرطى) أو جذوعهما الصغار .. وكل ذلك ليريح زوجه الحبيبة من العمل . وحتى الكلأ والتبن يأتى به الأبناء والخدم .

ومن جانبٍ آخر ، فإن الزوج الذى ليس على وفاق مع زوجه يدعها تعمل كل شيء وحدها ، حاثًا إياها على المزيد من السرعة طوال الوقت . وحين يكون الحي كله سَيَتَرَحَّل فإن الرجل يضع الرحل على كل من فرسه ومطيته ، ويوقد ناراً قرب بيته ، ويصنع قهوة لنفسه ، ويراقب زوجه مع الخادم أو البنت وهما تقوضان البيت وتحملانه ، وتحملان الأثاث والمؤن . وحين يتم عمل ذلك يربط الفرس بعنانها بالبعير ، ويركب الأخير ، ثم يتقدم نحو مقدمة القطين المتحرك لينضم إلى المقاتلين (السَّلَف) ، دون أن يَحْفِلَ أدنى احتفال بالأظعان حاملةِ الأثاثِ والْمُؤَن .

وإذا وصل إلى مكان الإقامة الجديد اختار موضعًا لبيته ، ثم نزع الرِّحَال عن البهيمتين ، واتّكأ على رحل البعير ، وانتظر زوجه لتَأتِيَ وتقيمَ البيت وتفرش السجاد ، وتجلب الوقود . وحين يتم عمل ذلك كُلّه يدخل البيت فيشعل النار ، ويصنع قهوته . وبهذا يتصرف كسيد إلى أن يتم التصالح مع الزوجة ، وحينئذ يبدأ ، من جديد ، في مساعدتها .

وحين يحل أضياف ، والرجل غائب ، تقول لهم المرأة : (تَرَاكُمْ يا ضْيُوفْ رَاعِي البيت ما هو حاضر)[٣٦٠]، ثم تحضر إلى القسم المخصص للرجال من البيت حطبًا وجمراً ، وتعطى الضيوف عِلْبَةً بها بُنٌّ وماءٌ وأوانى القهوة (الدّلال) ، ثم تعود إلى قسم النساء لِتُهَيِّىء العشاء . وحين يمسى العَشَاء جاهزاً ، فإن لم يكن الراعى أو الخادم قد عاد فإنها تدعو أصغر الأضياف سنًا ، أو من تعلم أنه أدناهم منزلة ، وتَمُدُّ له الطعام في صحن ليحمله إلى الآخرين . فإن كانت الزوجة تعرف الأضياف انضمت إليهم بعد تناول العشاء ، وشربت القهوة معهم ، وآنست نفسها برفقتهم حتى منتصف الليل .

الطــــلاق

لا يمكن حَمْلُ الزوج على طلاق زوجتـه ، وليس هنالك أسـبـاب تـتطلبـه أو تمنعـه (إن طَلَّقْهَا على كـيـفـه) ، فـإن شـاء تطليـقـهـا فله ذلك دون إبلاغـهـا بالسبب، ولو رجته أَحَرَّ رَجاءٍ أن يُمْسِكَهَا . وغـالبًا لا يعرف حتى هو السبب لأن ليس ثمة سبب ، فهو ببساطة يهم بطلاقها فيطلقها ، على إنه قد يندم على ما صنع بعد ذلك بقليل .

وأكثر مَنْ يفعل هذا الشيوخ الصغار الذين يجدون أنفسهم ، لأسباب سياسية ، مضطرين لأن يعلوا مكانتهم بِتَزَوُّجِ بناتِ شيوخٍ آخرين . وبعد ستة أشهر أو سنة ، على الأكثر ، يطلقون أزواجهم الشابات دون احتفال بكونهن قد أنجبن لهم أطفالاً أو كونهن حَبَالىَ ، ويتزوجون بفتاة أو امرأة أخرى لئلا يكون لهم في البيوت أكثر من زوجٍ واحدة .

وينبغى للرجل ، حسب الرأى السائد ، أن يُسَرِّحَ زوجه حالما تضحى الواحدة غَيْرَ محبوبةٍ لدى الأخرى . وكما يقول المثل : (الرَّاعِي والْمَرَهْ لا تْنَاقِرْهُمْ ، الْيَا تَبْغِي تْنَاقِرْهُمْ دَشِّرْهُمْ) ومعناه : (لا تنازع الراعى ولا المرأة فإن كنت ستنازعهما كثيراً فخير لك أن تسرحهما) .

يقول الرجل عند تطليق المرأة : اذهبى بعيداً فإنك طالق ولك أن ترتبطى برجل آخر ... (قَوطْرِي تَرَاكْ طَالِقْ ، والرَّجّال عَالِقْ) . أو يقول : أنت حرة تمامًا ، جِلاَلُكِ مبسوط عليك (خَضْرَا ، مَضْفِي عَلَيكْ جْلالِكْ) . ويعنى هذا أنه كما إن الفرس التى عليها السرج من شاء ركبها ، فكذلك المرأة المطلقة باتت حرة تمامًا فمن شاء تزوجها .

تجمع المطلقة لباسها ووسائدها وبطانياتها وسجادها ثم تَشُدّ الرِّحَالَ على نياقها وتحمل عليها أشياءها .. وقبل رحيلها بقليل يخاطبها الرجل قائلاً : حالما

تصلين إلى بيت أهلك ، فإن طلاقك يصل إليك في بيت أهلك (الْيَا وَصَلْتِ بيت هَلِكْ طلاقكْ يِجِيكْ .. يَاصَلْكْ اليـابَيتْ هَلِكْ) ، لأنها لا تبرح تحت حمايته في الطريق من بيته حتى بيت أهلها ، ولحظة دخولها بيت أهلها تُفْصَمُ بالتحديد الروابط التى تصلها بزوجها ، وتصبح تابعة لأهلها دون سواهم . ومادام أبوها حيًا فهو ولي أمرها من بين الأهل كلهم ، وبعد وفاته يلى أمرها أخوها الأكبر ، فإن لم يكن لها إخوة وَلِيَ أَمْرَهَا أَقْرَبُ أقربائها ، عَمًّا كان أو ابْنَ عَمّ .

ويحق لزوج المرأة المطلقة السابق أن يراجعها ثلاث مرات . فإن لم يُرِدْ مراجعتها أعلن : (انْتِ طالِقْ بالثَّلاَث الحَوَارِمْ) .

ولِمَنْ يطلق زوجه دون أن يطلب ما أعطى أهلها أن يَحدَّ من حريتها (يْحَجِّرْ تَحْجِير) بأن يشترط : إني أبيح لأي رجل أن يتزوجك خلا فلانًا (انا اخَلّيكْ لكِلّ اَحَدْ عُقْبْ فْلان) ، أو (كُودْ فلان ، أو : غير فلان) ماني مْخَلّيكْ له) ، أو : (انا اخليك لكل أحد يا عقب فلان) ، (أو : ياكود ، أو : يا غير فلان) .

وإذا أراد رجل أن يتزوج ثانيةً المرأة التى طلق فقد يطلب لها أهلها صداقًا جديداً على ألا يكون له منها أولاد ، وألا تكون حاملاً . وإن طلق الرجل الزوجة طوعًا فلا حق له في العوض . أما إن طلبت الزوجة [الطلاق من] زوجها قائلة (طلقنى) فقد يجيب : " هاتِى اللي وَرَاكْ " أى " هاتي ما وراءك " أى " رُدِّي ما دَفَعْتُ لك " .

ولا يسمع أبداً في أحياء الرولة نزاع الزوجين أو شتائمهما أو عويلهما . وينبغى ألا يُرَى الرجل أبداً يضرب زوجه أو العكس ، لأنهما بمثل هذا العمل سيجلبان العار (العيب الكبير) لنفسيهما ولأهلهما المحترمين إلى الأبد . لذا فويل لهما ، إن فعلا ذلك ، لأنه ، حينئذٍ ، سَيَهُبُّ إليهما أهل الزوج وأهل الزوجة ، إضافة إلى الجيران جميعًا ويطردونهما من الحي والقبيلة كليهما . وهذا

هو السبب في أن الرجل لا يخاصم زوجه جهراً أبداً ، على أنه غالبًا ما ضربها ضربًا مبرحًا (بِقْتِلْهَا ، أو : يِدبِّهَا) ، لكنه يأخذ حذره ، على أية حال ، لئلا يراه أحد ، فيمارس ذلك في النهار في زاوية من البيت ، وفي الليل في الفراش . وأداة العقوبة هي العصا التي يسوق بها إبله ، والعقوبة لا هوداة فيها . وتغطي الزوجة عادة وجهها باللحاف ، أو تدسه في الوسادة لتمنع أدنى صوت من صياحها من أن يسمع ، وإلا فقد يمضي الرجل في ضربها مدة أطول ، وأي رجل قد يحضر عند سماعه صياحها ليعين الزوج . وإن اشتكت الزوجة التي أسيئت معاملتها إلى أهلها فستضطر إلى العودة إلى زوجها دون نيل أي شيء .

ضرب مِشْرِفْ بن كُرْدِي مرة زوجه الشابة ، وهي بنت للأمير النوري ، لأكثر من ساعة ، ولم يكتف بضرب ظهرها ، بل ضرب رأسها أيضًا حتى انتفخ مدة عشرة أيام ، ولما رفعت الأمر إلى أبيها لم تَنَلْ من الإرْضَاء سوى أنها ستعاقب أكثر من هذا العقاب إن لم تُحَسِّنْ سلوكها . وقد عُرِفَتْ بإيذائها مشرفًا بمائة طريقة ، وكان يجازيها بالضرب الشديد ، لأنها ما إن ولدت حتى أعلن مشرف ، ابن عمها ، أنه يريد أن تكون زوجًا له في المستقبل (حَجَّرْهَا) ، فلما بلغت لم تطق رؤية عروسها المنتظر ، لكن كلما ازداد ازدراؤها إياه ازداد إصراره على التزوج بها . وقد رجاه الأمير النوري نفسه وابنه نواف أن يحرر الفتاة ، لكنه ، اعتماداً على امتيازه بكونه أقرب أقربائها الذي يجوز له أن يتزوجها (ابن عمها) ، أكد أنه لن يصنع ذلك قبل أن تُمْسِيَ زَوْجَهُ . وأخيراً نصحها نواف نفسه بالقبول ممنيًا إياها بأنه يؤمل أن يحررها مشرف بعد الزفاف مباشرة . فكان جوابها : (انا ما اطْلَعْ من شَور ابُويْ واخُويْ ، ولا اخَالِفْ شَوفَتْهُمْ) أي لن أخرج عن نصح أبي وأخي ولن أخالف رأيهم . وفي ليلة الزفاف فَرَّت من البيت المستدير (الحجرة) ولم تُمَكِّنْ مشرفًا من الدُّنُوِّ منها . وقد اعترفت ،

بعد أن أضحت زوج مشرف ، أنها تحب ممدوح بن سطام ، وآلت على نفسها أن تظل بكراً إلى أن تستطيع الزواج منه . أما مشرف الذى كان يحبها حُبًا جَمًا ، وأضحى لا يعانى من الغيرة فحسب ، بل من تهكم صحابه أيضًا ، فقد صار يُنَفِّسُ عن غيظه بضربها ، وبأن يقسم بأغلظ الأيمان ألا يمنحها حريتها أبداً .

والمرأة الخائفة من الضرب تبرح بيتها وتتبع أول رجل تلقاه إلى بيته ، ولها أن تدخل أي بيت وتطلب الحماية ، وهنالك تبقى كما تريد . وتدعى مثل هذه المرأة (زعلانه) . ولن يطلب منها رب البيت الذى يحميها أبداً أن تذهب أو تعود إلى بيت زوجها . بل يرسل الأخير ، في العادة ، إليها أحد الاقرباء أو الخدم ، وحين يعود الرسول إليه بما يدل على أنها تميل إلى الاصطلاح معه ، فإنه ينتظرها في وقت الرحيل القادم ، ثم يقود بعيرها إلى بيته ، حيث ينيخه ويقول: ادخلى البيت (فوتى للبيت) ، فتطيع الزوجة دون مزيد من الجعجعة وتتسلم عملها كأن شيئًا لم يكن .

لكن ، ان كان الرجل غاضبًا حقًا على المرأة التى نشزت منه إلى بيت آخر ، فلن يطلب منها العودة إليه ، وينهى الاهتمام بها ، بل ويتظاهر بأنه لا يعرفها إطلاقًا . مثل هذه المرأة يُرْثَى لها حقًا ، لأن زوجها غير ملزم بإطعامها أو كسوتها لأنها تركته عن طواعية ، كما إنه لن يطلقها من غير عِوَض ، ويضحى أقاربها مغيظين منها لما جلبته لهم من خزى ، فإن لم تكن شابة وجميلة فليس أمامها إلا العمل خادمًا في أحد البيوت ، وإن كانت صغيرة وجميلة فإنها تبحث عمن يَفِرُّ بها فيعينها على نيل حريتها .

وعند انفصام عرى الزوجية ، كما وُصِفَ هنا ، ليس من اليسير دائمًا أن يعاد إلى الرجل صداق عروسه ، إن كان قد سلمه (لأهلها) كُلَّهُ . لأن من المحتمل أن يكون أقاربها قد قَسَّمُوا المبلغ فيما بينهم ، وقد يكونون غير راغبين في إعادته أو تقديم عوض عنه . وتسمى المرأة التى ترغب في أن تسرح

بتعويض " عَيُوف " . إن كل ما تستطيعه هو أن تستثير عواطف أهلها ، فتدعو أباها أو أخاها أو عمها أو ابن عمه مناشدة : (أنا لا أُريده ، أعيدوا إليه ما تسلمتم منه) . لكنهم يحاولون تجنب طلبها بقولهم : " عودى ، إنك حتمًا ستعتادين عليه " . لكنها ، على أية حال ، تمضى في إلحاحها إلى أن تقنع أحدهم ، في آخر المطاف ، بإعانتها . فإن لم تفلح ، ورفضوا جميعًا أن يعملوا من أجلها أي شيء ، فلا يبقى أمامها سوى الفرار ، لأنها لو طلبت أن يحميها من أهلها آخرون ، فإن أباها أو أخاها يستطيع قتلها ، إذ ينظر إليها على أنها ملك لأبيها ، فقد ورثها ويرثها عنه أخوها .

والرجل الذى يطلق زوجته ، وإن لم تلبث معه سوى ليلة واحدة ، يجب أن يعطيها ناقة ورحلاً (حْدَاجَه) . ولا يحق لأحد أن يأخذ هذين الشيئين من المطلقة ، وعلى ذلك فإن أي شيء إضافى (كَرَمْ) تتسلمه من زوجها قد يطلب وريثه إعادته . وأما الجهاز الذى اشتراه لها زوجها فلها وحدها ، فإن كان لها أطفال صغار فإنها تأخذهم وتعنى بهم حتى السابعة من العمر ، ثم يعودون إلى بيت أبيهم .

وفي مراحل الحمل الأخيرة ، قد تتزج المرأة المطلقة من فورها ، فإن لم يظهر عليها الحمل بعد ، فعليها أن تنتظر ستة أشهر ، على الأقل ، (لَهَا عِدَّه) وحالما يتضح ما إذا كانت ، أو لم تكن ، تحمل بذرة زوجها في رحمها فلها أن تُضْحِيَ زوجة رجل آخر . والرولة يخشون النزاعات والمحاكمات حول أبوة الطفل الذى يولد بعد انفصال الزوجين ، ولذا يطلبون من المرأة الانتظار ، وإنَّ عدم اهتمام الشيوخ بهذه القاعدة غالبًا ما كان سببًا في مقاضيات مطولة . وهكذا ، على سبيل المثال ، طلق الشيخ فَهَد بن هَزَّاع بن شَعْلان زوجه ، التى لما يمض أمد طويل حتى احتواها شيخ آخر (خَلَف الاذِن) في بيته ، وبعد نحو من سنة ولدت صبيًا سمته (طْرَاد) ، وقد بلغ سن الرشد في بيت أبيه ، لكن لما قارب

سن الزواج تشاجر مع أبيه وانتقل إلى بيت آخر . حدث ذلك نتيجة للقصة التى أخبره بها عبده المسن بأنه ليس ابنًا لخلف بل لفهد الذى بات في الوقت نفسه أمير الرولة . ومن الطبيعي أن يبدو الأمير فهد ، في نظر طراد ، أعظم كثيراً من شيخ صغير كخلف ، ولهذا شَخَصَ إليه في الحال ، وقدم نفسه على أنه ابنه . وقد اعترف فهد بطراد ابنًا له دون تفكير كثير في الأمر ، أو إجراء تحريات طويلة ، لأنه كان على عداء مع خلف ، وطلب من أخيه النوري أن يزوج الشاب ابنته ، لكن لما أبلغ النوري الفتاة هذا الاقتراح أقسمت أنها لن توافق عليه أبداً . ولما علم فهد بذلك أمر النوري الذى يريد (فهد) له الضرر : (إما أن تأتي بابنتك إلى (الحجرة) بنفسك ، وإلا فسآتي بها أنا دون موافقتك) . لذلك طلب النورى من جواريه أن يهيئن (الحجرة) ويأتين بابنته إلى هناك بعد غروب الشمس .

أما الفتاة ، على أية حال ، فقد أقنعت ، في الوقت نفسه ، أخاها (نواف) أن ينتظرها ليلاً في مراح المطايا لينقذها من طراد . ولما دخل هذا الشاب (الحجرة) شرعت تحادثه متظاهرة بأنها آسفة لأنها لا تعرفه إلا قليلاً جداً ، وقائلة إنها ستكون أسعد كثيراً لو تزوجها عن حب لا عن إجبار . ولما حاول طراد أن يؤكد لها بأنها كانت موضع رغبته منذ أمد طويل طلبت منه البرهان . فبدأ طراد يعدد بشيء من الإسهاب ، المرات التى رآها فيها كلها ، وأين رآها ومتى ، ومتى سأل عنها ، ومع من بعث لها رسالة شفوية ... إلخ . انصرم الوقت سريعًا وغاب القمر ، وبغتةً وقفت وطلبت من طراد أن يأذن لها بالخروج لتقضي حاجة طبيعية ، ولما أومأ طراد بالموافقة ذهبت ذهابًا لا عودة منه ، وقالت للرجل الذى يحرس مطايا النساء ما قالته لطراد ، ثم قطعت مسافة أبعد إلى حيث شعب صغير كان ينتظر فيه نواف ومعه مطية برحلها ، ثم قفز على الرحل وقعدت خلفه ، ومضيا راكبين إلى ابن جندل . وكان طراد هذا الوقت كله،

ينتظر زوجه في البيت صابراً ، ولما أدرك ، أخيراً أن الفتاة قد غلبته بذكائها ، استحيى أن ينبه الحى ، وقال في الصباح : إنها ذهبت بموافقته . وفي ذلك اليوم نفسه ، وصل الشيخ خلف الاذن ومعه زوجه أم طراد إلى بيت فهد ، وأقسما كلاهما أن خلف هو الأب الحقيقى لطراد ، لأن أم الفتى بعد أن تزوجت خلف جاءتها العادة الشهرية ثلاث مرات متتابعات . ومع ذلك كان طراد يناشد فهداً أن يحمى ابنه وألا يصدق يمينًا باطلة .

أعلن فهد أخيراً ، أن على خلف أن يحضر لدى المحكمة في العلا ، فذهب الأخير عاجلاً إلى تلك المستوطنة بثلاثة شهود ، وعرض قضيته أمام القاضى هناك وطلب منه الحكم . أخذ القاضى يد مِحْمَاس القهوة (وهى أداة شبيهة بالملعقة لكنها مسطحة ولها ذراع طويلة ، تحرك بها القهوة عند تحميصها) ، ووضعها في النار ، ولما احمرت من شدة حراراتها طلب من الشهود أن يفحصوا لسان خلف ، وحالما تم ذلك ، رفع القاضى (يد المحماس) إلى فم خلف فلعق خلف طرفها الأحمر الحار ، ثم تمضمض ، وأرى الشهود لسانه من جديد . ولأن اللسان لم يحترق فقد أعلنوا أن قسم خلف كان صادقًا . وقد تسلم القاضى (المبلغ) من الأخير خمسين مجيدية (٤٥ دولاراً) رسم عمل له ، واعترف بطراد ابنًا له ، وحافظت ابنة النورى على عزوبتها لأن (طراد) ، لثبوت بنوته لخلف ، ليس ابن عم له ، فلا حق له فيها .

إن للمرأة المتزوجة (مَرَهْ بِرْقُبَةْ رَجَّال) فرصًا كثيرة للتعرف على الرجال الآخرين ، فلا يفصلها عن قسم الرجال من البيت غير فاصل منخفض رقيق يكاد يشف عما وراءه ، فهى تتمكن من رؤية الزوار والأضياف وسماع حديثهم . وخلال هجرة القبيلة أو العشيرة غالبًا ما انضم إليها أحد رجال العشيرة ، أو الحي ، على الأقل ، لإعانتها على جمع الأثاث وربطه ورفعه ، أو شَدّ الأحمال الرِّخْوَة ، ولمرافقتها في الرحلات إلى الماء ، لملء روايا الماء ثم ربطها بالرحل .

وأحيـانًا يلقـاها الرجل ، كـمـا لو كـان بالـصـدفـة ، حين تـنحنى تحت حِمْلِ الحطب اليابس ، فيضعه على فرسه أو ناقته ، ولا يلقيه حتى الوصول إلى الحي .

إن هنالك لقـاءات لا تحـصى مـثل هذا الضـرب تَتِمُّ مـصـادفـةً . لكن الرجل الذى يجعل نفسه مُقَرَّبًا من المرأة دون الجميع هو الذى يدفع عنها وعن إبلها حين يهاجمها العدو بعيداً عن الحي . إنها لتمنح قلبها مثل هذا الحامي .

أما حب المرأة لرجل آخر فلا تخفيه ، ولا يمضى وقت غير طويل حتى يقال جهـاراً : (مَرَةْ فْلان هَوْيَانَهْ على فْلان) . فـإذا طرق هذا القـول مسـامع الزوج ، وكـان ذا مزاج كـريم ، سَرَّحَهـا دون إبداء معـارضـة ، ودون طلب عِوَض ، على أن له الحق في استـعـادة الصـداق الذى أعطاها إياه . ويقـول من هو من هذا الصنف من الرجال عـادة : (هى ابنة حرة لقـبيلة حرة ، وقد جعلهـا الله تحب رجلاً آخر ، فلن أعـوقـهـا أو أسـتـعـبدها) . إن الأنذال (أراذيل النـاس) هم الذين يسـتـغلون عشق زوجاتهم ليجلبوا لأنفسهم منفعة مادية ، فيطلبون خمسة أضعاف ما دفعوه، بل حتى عـشـرة أضعـافـه ، وهذا الطلب يقال له (قَيّ) . فـإن كـان عـاشق الزوجة لا يسـتطيع تلبيـة الطلب ، ولم يعن الزوجـة أهلهـا ، فـليس أمـام العـاشق سـوى الفرار بها ، فيلجآن إما إلى شمر بين الفرات الأوسط ودجلة ، أو إلى اللّهَيب في ضـواحي حلب ، أو ربما إلى السِّرْحـان وبني صَخَر على الحـدود الجنوبيـة الغـربيـة لِحَوْران . وإذا وصل العـاشقـان إلى هناك فـإنهـمـا لا يبـاليـان أدنى مبـالاة بالزوج ولا بأقـربـاء الزوجـة . إن فـرار الزوجة الذى يُنَفَّذُ بنجاح يـفصم الزواج فـصـلاً تامًا كالطلاق نفسه[٣٦١]. وللهـارب بالزوجة الآن ، أن يجعل حبيبته زوجتـه الشرعية ، لكن عليه ألا يعـود بها إلى أهله قـبل إجراء تصالح مع زوجها السـابق وأقربائها ، وإلا فـإنه يُعَرِّضُ نفسـه ويعـرضـهـا هى لإهانات من كـل نوع يمكن تصـوره . لذلك فـإنه يرسل إليـهـم الرسـول إثر الرسـول بالتـوسـلات بـالمصـالحـة ، تلك الْمُصَالحـة ، التى لاتحـقق بيـسـر ، على أي حـال . ويمضى الزوج السـابق ، عـادة ، في العناد

أطول كثيراً من أهل المرأة ، فهؤلاء يتهمون الزوج بأنه سبب بنفسه الهرب بعدم رغبته بتركها ، ولأنه أيضًا لم يستطع حراستها في المقام الأول ، وأحيانًا يذهبون حتى إلى أبعد من ذلك ، فيهددون بطلب العوَض منه ، لتدنيسه شرفهم ، إن لم يَعْفُ عن كل من العاشق والزوجة التى فَرَّ بها ، لأنه ألم يذهب بها عنهم كما ذهب بها عنه ؟ ثم أليس هو حارِسَهَا الصَّحِيحَ وحامِيَهَا ؟ وعلى الزوج المخدوع ألا يَقْتُلَ أيًا من الهارب أو المرأة لأنه حينئذٍ يُعَرِّضُ نفسه للانتقام . إن هروب المرأة يَتُّم بالخدعة ، لا بالقوة ، وليس عقاب الخدعة الموت .

وإذا لم تستطع فتاة غير جميلة ، لكنها سليمة ، أن تعثر على زوج ، فإن من واجب أدنى أقربائها ، الذى يَحلُّ زواجها منه ، أن يتزوجها . فإن أبى فسيضحى هُزَأَةَ أَهْلِه إلى الأبد . وعلى هذا النحو تَزَوَّجَتْ ، عام ١٩٠٩ ، فتاةٌ من الوِثْرِه (أو : الوِثَارا) جماعة ابن فاعور من عشيرة الْعِبْدَه[٣٦٢] .

شخصية المرأة البدوية

البدويات معروفات بحدة الذهن ، فهن يفهمن سريعًا ، لكنهن حذرات عند التعبير عما يردن ، كما ستوضح القصة التالية :

كان شاب بدوي ماضيًا على فرسه نحو حيٍّ مجاور ، وتوقف بسبب العطش في حيٍّ صغير ، ومَرَّ ، خلاله ، أمام بيتٍ رأى فيه امرأتين وحدهما . كانت إحداهما عجوزاً ، وهى الأم ، كما ظَنَّ ، وكانت الأخرى أصَغَرَ كثيراً ، ولعلها ابْنَتُهَا . خرجت المرأة الصغرى من البيت وخاطبها الراكب قائلاً :

– " لو عَرَفْنا الاسِمْ سَلَّمْنَا " . فأجابت :

– " لو عَرَفْنا الاسْمَ لَرَدَدْنَا السلام . متى أمسكت بسيفك ؟ (قضِبْتْ سَيِفَكْ ؟)

عـرف الـراكب مـعنى كلمـاتهـا ، ولأنه توقع أن يمسك بسـيـفـه في ثورة أو نزاع دموي (فِتْنَه) فقد دعاها بهذا الاسم [٣٦٢ب] ، ودل على اسمه هو بالإشارة إلى حُسْنٍ وجهها (حَسَن) .

– " قَوّ فتْنَهْ ، نَظَرْ وَجْهِكْ [٣٦٣] .. أي : اللهم قَوِّ فِتْنَةَ . أيُّ وَجْهٍ لَكِ !

ويدون أدنى تردد ، أجابت الفتاة : مرحبًا بك يا حسن .

طلب الراكب ماءً ، فملأت قدحًا خشبيًا صغيراً ماء وأمسكت به له ليسهل عليـه الشـرب ، وقـد اضطرتِ ، لأنه جـالس على السَّرْجِ ، أن ترفع يديهـا ، فـانسلخ كُمَّا ثوبهـا الواسـعـان حتى الإبطين ، وعـريت ذراعـاها مـبديتين للراكب ماتحتهما من شعر . فقال متنهداً :

– " يا حَيفْ إنْ كانْ وَاطيـهْ مِثِلْ عَاليهْ " أي : يا للأسف إن كان أسفله (أي الشعر) في الطول مثل أعلاه . ولِتُبَيِّنَ أنها فهمت مراده أجابت :

– " مِنْ قِلَّةْ واليهْ " أي : (لعدم وجود سيد له) .

ولسعادة الراكب بالتحدث مع فتاة عذراء ، وحبه لمنظرها سأل :

– عِنْدِكُمْ لَلضَّيفْ اكْرَامْ ؟

– الْيا كَانْ لَهْ نِصِيبْ بالطَّعَامْ .

فـقـفـز عن فـرسـه . ولما قـادتهـا الفـتـاة جـانبًا انحنت لتـربطهـا بشيء . ولما لَحَظَتْ قـرب البـيت وَتِداً مـتـينًا من ذلك الضـرب المستخدم لتـأمين طُنُبِ البـيت ، وأوتاداً صـغـاراً أيضًا لربط الرِّوَاق الخلفي للبـيت ، تناولت الوتد المتين بيـدها اليمنى ، وأحد الأوتاد الصغار بيـدها اليـسرى ، وحاولت دَقَّهُ في الأرض لتربط الفـرس . لكن لأنّ الأرض جـافَّةٌ وصُلْبَةٌ لم يمكن دَقُّ الوَتِد فـيـهـا ، لذا اشـتـكت الأمـر لأمـهـا ، لكن بطريقـة حذرة ، حتى لا تَخْدِشَ العِفَّةَ ، لذلك آثرت أن تقـول (الخَشَب) بدلا من (الودّ) " الوَتِد " :

– " يايِمَّهْ ، اَدُقّ الخَشَب بالخشب ، والقَاعْ مـاتِقْبَل الخـشب ، يايِمَّهْ هاتـي لي

رْضُمَهْ أدُقَّ الخَشَب " .

أي : يا أمــاه إني أدق الخــشب بالخــشب ، والأرض لا تـســمح للخــشب بالنفوذ فيها ، يا أماه هاتي لي حجراً أدُقُّ (به) الخشب .

استـولت على الفـتى الدهشـة من أدب الفـتـاة ، ومما ألفـاه باديًا على البـيت من حسن تنظيم أيضًا ، فزارهم مرة أخرى ، حين عاد أخوها من غارة ، وتزوجها .

وهنالك بدوي كـان له أزواج ثلاث ، ولدت له الأولى التي تزوجها في شبابه عدة أبناء ، وتزوج الثانية منذ عامين ، أما الثالثة ففتاة فـاره لم يكد يمضي على دخولها بيته شهران . ذهب مرة إلى بائع متجول لابتِياع قطيفة ، ولما جاء بها إلى بيته طفق النسوة يتنازعن عليها ولمن ابتيعت ، فقالت الأولى : إنها لي ، لي أنا أُمُّ أبنائه " . وقــالت الثــانيـــة : " بل هي لي أنا الذي خصصت نفـسي له ليـل نهـار ". ثم هتـفت الثـالثـة : " لقـد سئم منكمـا كلتيكما .... العـتـيق مـايرجع جديد ، والعدو مايرجع صديق " ... إني لصغيرة السن ، مافتئت جديدة ، لذلك فأنا ، في نظره ، ألَذُّ طَعْمًا ، وقد اشترى القطيفة لي " .

كان الرجل مصيخًا السمع ، لكنه لم يَفُهْ بكلمة ، في حين مضت الزوجات إلى القاضي ليفصل بينهن في الأمر ، فحكم بالقطيفة للثالثة .

الفصل الثامن

الأطفـــال

* ولادة الأطفال وتسميتهم *

يقال للمرأة التى مارست اتصالاً جنسيًا مع رجل (وَحَمَه) خلال الأيام الثلاثين التى لم يتضح فيها ما إذا كانت قد حملت أو لم تحمل . فإن كانت قد حملت دعيت " نازلاً " أو " حاملاً " . والمرأة الرويلية لا تطلب عند ولادتها قابلة أبداً . فزوج كردي ، مثلاً ، ولدت طفلاً وهى راكبة على قتب على ظهر ناقتها ، والقوم ظاعنون ولم تتوقف عن توجيه بعيرها . لقد قطعت حبل السرة بنفسها ، ولفت الرضيع بثوبها ، وترجلت عن مطيتها في القطين الجديد ، ثم حملت الطفل (العَيِّل) إلى بيتها .

والمرأة التى ترمي ما في بطنها ، والتى مات ما في رحمها (رِمْأ) تكون موضع خوف . وتعيش النفساء كما كانت تعيش قبل الولادة فلا تغيير في صنف الطعام الذى تتناوله .

وإذا ولد وَلَدٌ ذَكَرٌ هنأ الأبَ أقرباؤُهُ الأدنون ، لكنه لا يبدى تعبيراً عن ابتهاج غير اعتيادي ، كما لا يدعو لعشاء لحم ، ولايُضَحّى بحيوان أو يُنْحَر عند ولادة غلام أو جارية . ويغسلالطفل مدة سبعة أيام بعد ولادته ببول النوق ، ويمسح جلده بالملح . وفي اليوم العاشر ، أو العشرين أو الأربعين ، تَجْمَعُ قريبات النفساء القمح ، ثم يُسْتَخْرَجُ من سنابله ويُعَدُّ منه طعام ، في بيتها ، تدعى إليه نساء الحي جميعًا . هذا الاحتفال يدعى " طْلاعْةَ الْعَيِّل " . وتذهب الأم بطفلها لزيارة أقربائها عن بكرة أبيهن ، وتدعى هذه العادة (تَطْليعَهْ) .

وكلٌّ يهدي الطفل شيئًا ، غالبًا إما قَعُوداً أو مُهْراً ، وتظل الهدايا ملكًا له .

وتُسَمّي الأم ، دون سواها ، طفلها . هذا أحد امتيازاتها . وهي ، أحيانًا ، تختار اسمًا دون أن تطيل التفكير فيه ، وقد توجهها ، في أحيان أخر ، تأثيرات شتى . وهكذا ولدت زوج الأمير النوري ، على سبيل المثال ، صبيًا حين كانوا قاطنين قرب قصر الاخيضر ، أو كما يسميه الرولة الخَفَاجي ، فسمت الصبى (خَفَاجِي) . وامرأة أخرى ولدت ، والسماء تمطر مطراً صَيِّبًا ، فسمت ابنها الصغير مطراً . وولدت زوج كردي ابنتين ، على أنها كانت شديدة الرغبة في أن تلد ابنًا ، فكانت تدعو الله ، وقد وهبها ما أرادت بعد حين ، فسمت الصبي رجاء . واستعصت ولادة زوج عودة الكويكبي (تعسرت) ولذلك قالت : " سَتُسَمَّى عسيراً " . وامرأة أخرى امتلأت غيظًا لأن زوجها كان قد تزوج تواً زوجًا ثانية سمت ابنها مغيظًا . وتلقت زوج العبد حمار أبو عواد ضربًا على يديه قبل أن تلد ولداً ذكراً بقليل ، ولا تفتأ مغاضبة له ، فسمت الصبي (زَعَلاً) في ذكرى سوء معاملة أمه . ولما ولدت بنتًا بعد ذلك بقليل ، قالت : إن اسم أبيكِ " حمار " وسيكون اسمك " بقره " .

وليس ثمة بهيمة أو نبات لا يمكن تسمية الطفل بها .

وحتى السابعة يقال للطفل " وَغَد " (الجمع : وُغْدَان) ، أو " وَرَع " (الجمع : ورْعَان) ، أو " عَجِي " (الجمع : عِجْيَان) ، وبعد السابعة يقال للولد " عيال "[٣٦٤] . واسم الطفل الصغير الميت " فَرَط " (الجمع : أفراط) . ويجب إحضار (تميمة) لهؤلاء في العيد التذكاري القادم لذكرى الميت (ضَحِيَّةْ)[٣٦٥] .

مراسم الختان

يختن الرولة أبناءهم بين السنتين الثالثة والسابعة من أعمارهم . ويكون ذلك عادة في فصل الصيف (في أواخر أبريل أو مايو) ، إما يوم الاثنين أو

الثلاثاء أو الخميس ، قبل اليوم الخامس عشر من الشهر القمري مباشرة ، أو بعده مباشرة . وقبل الختان بيومين ، تتوافد على بيت الرجل الذي سيختن ابنه الفتيات من الحي كله ، فيزركشن عمود البيت الرئيسي بريش النعام ، والخرق الحُمْر ، والأشرطة (غَزَّواْ المْصَنَّع) ، ويُغْلِنَّ بالصيحات السعيدة (زغروت) أن ختاناً (مُصَنَّع) يُتَأهب له .

وبعد غروب الشمس يتجمع شباب الحي من كلا الجنسين هنالك ، ويؤلف الشبان نصف دائرة مفتوحاً تجاه البيت ، حيث تشتعل نار عظيمة ، ثم تقف بين النار والشبان فتاة بالغة مغطاة الوجه حتى لا يرى سوى عينيها ، وتمسك (الحاشي) ، كما تدعى هذه الفتاة ، بيمينها خنجراً حاداً ، فيبدأ الفتية يَخْبِطُون الأرض بأرجلهم ، ويصفقون بأيديهم ، ويميلون أبدانهم يميناً وشمالاً ، وإلى الأمام وإلى الخلف ، صائحين بنغمات عميقة: انتبهي !.. انتبهي ، (دَحّي دَحّي) ، ويَمَسُّون الفتاة بأيديهم فتتراجع ، وتدفع عن نفسها بالخنجر ، فيعزز الشبان حركاتهم ويهاجمون الحاشي بعاطفة أقوى ، وتدير هي الخنجر بِحَمَسٍ أكثر ، فيلمع الخنجر كالبرق ، ثم تتنحى الفتاة ، وتتراجع ، وتتقدم ، يعكس حركاتها كلها وهج النار خلفها ، وتَحِنُّ الأرض تحت أقدام الفتية الخابطين ، وهم يصيحون بأصواتهم العميقة الخشنة من الإعياء والشهوة: «دَحّي دَحّي» . فإذا كَلُّوا سقطوا سقطة رجل واحد ، وتصنع الفتاة كما صنعوا .. ويمضي اللعب حتى تقفز الفتاة ، التي تكاد تسقط من الإعياء ، وتَفِرّ . ثم يستريح القوم هنيهة ، وأحياناً يتلو شاب قصيدة ، ويهتف الرجال والنساء الحاضرون بعد كل بيت: (يَا هَلا بَكْ يا هَلا) وحالما تنتهي القصيدة ، يقدم المضيف فتاة أخرى في المشهد ، وتبدأ التسلية (الدَّحّه) من جديد .

وبصفة عامة ، يكون ثمة ثلاث فتيات (حِشْيَان) أو أربع تخلف كل منهن الأخرى ، ولا تنتهي (الدَّحّه) حتى شروق الشمس . ويعاد الشيء نفسه

في الليلة التالية[٣٦٦] .

وفي صباح اليوم الثالث يحضر الأب أو أقرب أقرباء الطفل الذى سيختن ناقة أمام البيت ، ويقطع عروق يديها بِسكين ثم ينحرها وسط زغاريد النسوة . ويقال لمثل هذه الذبيحة " ذبيحة المصنّع " . تتشرب الأرض دمها ، ويطبخ الخبز ، أو البر الرقيق المغلي " العيش " . وإذا جاء الظهر حملت النساء الخبز والعيش واللحم إلى بيت الأب حيث لأىّ إنْسانٍ أن يدخل ، بهذه المناسبة ، ويأكل حتى يشبع . ويدعى هذا الفداء " عَنِيَّة المصنّع " . وبعد الغداء ، يضع الأب أو ، إن كان ميتًا ، أقرب الأقرباء الولد في حجره ، وهو مرتد ثيابًا سوداً في ذلك اليوم ، ثم يقطع غلفته بسكين حادة ، فيصيح الطفل من الألم ، وتزغرد النسوة من الفرح ، ويتقافز الفتيان على جيادهم ، ويطلقون نيران بندقياتهم ، ويقومون بمناورة قتال " طراد الخيل " أمام البيت .

وحين يهدأ الصبي قليلاً ، يغسلونه ، ويلبسونه ملابس بيضًا ، ويقدم له الأقرباء هدايا من كل صنف كالثياب والأسلحة والأفراس والإبل الأبكار ..إلخ . هذه الهدايا (النِّحِيله) تكون للولد وحده . وحين تنتهى مناورة القتال يتسلى الرجال بالرمى نحو غرض . وذلك الغرض هو رأس الناقة الذبيحة الذى يوضع بعيداً نوعًا ما من بيت رب الدار الذى يبدأون الرمى منه ، ومن يُصِبْهُ يأخُذْهُ ويَطْبَخْهُ لنفسه .

أهازيج تغنى في مراسم الختان

تؤلف الفتيات ، مساءً ، صَفَّيْنِ في الباحة التى أمام البيت ، وتتقدم اثنتان منهن داخل الطريق الذى بين الصفين ، وتكون إحداهما حاسرة الرأس ، منقوضة

الضفائر ، ترقص مميلة كلاً من رأسها وجسدها يَمْنَةً ويَسْرَةً إلى الأمام وإلى الخلف . لكن عليها أن تَقِرَّ في مكانها ، ولمنع ابتعادها عنه ، تمسك الفتاة الأخرى بيديها أثناء الأداء . وتصفق الفتيات الأخريات مع حركاتها تصفيقًا هادئًا ، ويغنين أهازيج تدعى " حفلة " ، وهذه الكلمة هى أيضًا اسم الرقص .

عشـــيركن يا هالغنادير   ما به رجـــا لو رجيناه
واللى يتغالى المخـــاسير   دور الخواطر بليـــــاه

المعنى :

إن زوجكن يا ذوات الملابس الجميلة ، لا رجاء فيه .. ومن يجد الثمن غاليًا فلماذا نهبه الوصل بلا ثمن ؟[٣٦٧]

المرأة التى تحب اللباس ، وأن يدار بها في هودج ، تحتاج زوجًا لا يمانع في النفقة التى يتطلبها ذلك ، فإن لم يمنحها واحد كل ما تريد بحثت عن آخر أسْخى منه .

يا راكب الملحـــا   كِزّ المكاتيـــب
وان دنقت ترعى   عطها المشاعيب

المعنى :

أيا راكب الناقة الملحاء (أى السوداء) ، اثن الرسائل ثانية وحافظ عليها[٣٦٨] . فإن خفضت رأسها لترعى ، فاضربها بالعِصِيّ (أى لتسرع في المسير) .

تشتاق الفتاة لكلمة من حبيبها الذى مضى مع بعض تجار الإبل إلى مصر ، وتحث الرسول الذى يحمل الخطابات إلى الشيخ على أن يغذ السير .

زاعوا من العيد ومقفـــين ومنشرين الـــدلال
علمي بهم بالمقاطـــين ومركزين المقـــام[٣٦٩]

المعنى :

رحلوا بعد العيد لكن نحو الجهة الأخرى ، وقد ارتدوا أحسن ملابسهم .
عهدى بهم في الأحياء[٣٧٠] ، وقد نصبوا المقام .
علمت الفتاة أين حل أهل حبيبها .

العيد : هو عطلة (الضحية) حيث يضحى البدو بناقة لكل فرد من أهلهم يكون قد مات في السنة الفائتة . مقفين : تعنى أنهم لم يتبعوا الآخرين في حركتهم إلى الأمام ، بل اتجهوا إلى الوجهة المعاكسة ، وقد نزلوا قرب مورد مدة طويلة (مقاطين) . كلمة (مقطان) تدل على المكان الذى يقيم فيه البدو إقامة طويلة في فصل الصيف ، ومن هنا : (قَطَنَّا على القَارَهْ) " تعنى : أقمنا طويلاً في القارة " . المقام : هو عدة رفع الماء الخشبية ، تربط فوق جانب بئر عميقة (انظر كتابى : بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta ، شكل ٣٥ ، ص ١٦١).

ولا تعد مثل هذه العدة إلا حين يعتزم العرب الإقامة طويلاً في ذلك المكان بعينه . وبتلك المناسبة يرتدون أحسن ملابسهم ، وتلبس النساء أجمل ثيابهن " مْنَشّرِين الدّلالِ " .

ادعو راعي الشوشه النُّوري ما أحلى هوشه
يامشرد للردي بوشه ياحوش الترك ياحوشه

المعنى :

ادعوا بطول العمر لصاحب الشَّعر الكثير ،النوري ما أحسن قتاله ! يا من

يشرد الإبل التى ينهبها النذل ! إن قتاله شبيه بقتال الأتراك .

ادعــوا : تعنى " يا طويل العــمــر " . حين المضى إلى المعركة يحسـر كل راكب عن رأسه ، فتبقى غترته على كتفيه ، ويبقيـها على الجسم وزن العقال المعلق حول الجسم . الشوشه : الشعر القصير غير المظفر في أعلى الرأس ، ولا يترك عادة إلا خصلة منه ، ويحلق الباقى .

مْشَرِّد : (أو يِفِكّ) بَوشِهْ : يطلق غنيمته . القتال مع الأتراك (أى مع الجيش النظامي) صعب على البدو ولذلك فهم يعجبون به .

يا منيفه يامزنة الصيـــــف   يابروقها يلعجـــــن

تلعـب على البيـــض بالكيـف   وش عـــاد لو يزعلن

المعنى :

يا منيفة يا من تشبه مزنة الصيف ، ما أجمل بروقها اللامعة ! تلعب بالفتيات كما تريد ، وماذا يهم إن غضبن ؟[٣٧١]

وفي أواخر أبريل ، حين يبدأ الصيف ، تصحب المطر عواصف عنيفة تجدد الجو تجديداً كبيراً . منيفة ، زوج أكبر شيوخ القبيلة ، لا حاجة بها لتحسد رفيقاتها ، لأنها تمتاز عليهن بالجمال والسلطة .

يا بيت ابو نـــواف   يا منوة البـــــادي

ورويهــــم بالقيظ   خَــــبْرا لْـورَّادِ

وصحونهم بالليـــل   توحي لها منـــادي

تحوفهن منيفــــه   يا بنت الاجـــــواد

المعنى :

يا بيت أبى نواف ، يا أمنية المسافر ليلاً ! ..

ورواياهم في القيظ كالغدير الكبير الذى يجلب منه الماء ! ..

ولصحونهم في الليل مناد تسمعه [يدعو الجائعين إليها] ..

لقد أعدتهن منيفة ابنة القوم الكرام الأجواد ..

" أبو نواف " هو الأمير النوري ، وزوجه منيفة ، ابنة للمرحوم الأمير سطام.

" بادي " : مثل " ساير " تعنى : المسافر في الليل ، أو الزائر .

تشعل النيران المتوهجة قرب كل من قسمي الرجال والنساء من البيت فتجذب المسافر حتى عن بعد جد عميق .

" رويهم " : الروي هى " الروايا " أو حقائب الماء . تصنع كل منها من نصف جلد بعير ، وتتسع لنحو ١٥٠ لتراً . وإن شح الماء في القيظ حصل عليه الجميع من بيت الشيخ .

الخبرا (الجمع : خباري) : هى المساحات المستوية ذات الأحجام المتنوعة في سهل واسع ، يجتمع فيها ماء المطر من الأراضى الأعلى . صحونهم : صحون هائلة الحجم لكل منها أذنان ، وغالبًا ما وصل قطر أحدها إلى متر ونصف ، يحضر فيها العشاء للأضياف الذين يدعوهم الشيخ أو ممثله للجلوس ، مسميًا كلا منهم باسمه ، وفي سكون الليل تسمع نداءات الشيخ هذا من بعيد .

صبيان ثوب المال لا تلبسونه　　　يستاهله نواف وحيفى زبونه

ليا جا نهار الكون يعقد ردونه

المعنى :

أيها الشبان ، لا تلبسوا ثوب المال [ثوب غالي الثمن] ، إن من يستأهله

هو نواف ، فثوبه ليس جديداً ، وإذا جاء يوم الحرب فإنه يعقد ردنيه خلف رقبته [أي يشمر عن ساعده ويشترك في القتال] .

" الثوب " : ثوب ذو تطريزات تجميلية حول الرقبة وعلى الصدر . يصل طول كمي هذا الثوب ، في الغالب ، إلى متر ونصف ، وينتهيان بزاوية حادة . وفي أثناء القتال ، أو حين يعمل لابس هذا الثوب عملاً شديداً يربط الكمان معًا ويلقيان خلف العنق .

" الزبّون " : لباس يصنع من قماش ملون ويلبس فوق الثوب . إن نوافًا ، بصفته الأشجع ، ينبغى أيضًا أن يرتدي أحسن الملابس .

تبشـــــري ياهل الخيل	نواف شرى المعنقيـــــه
سيقان مشاعل دَرَاريج	من تحت عـــود الحنيـه
قال اركبي لاتخافـــي	مازال راسي عليـــــه

المعنى :

أبشروا يا أهل الخيل ، فنواف اشترى فرسًا من سلالة الخيل ، (المعنقية).

إن ساقي مشاعل كعمودي دوران تبدوان تحت عود الهودج المحني . لقد قال : اركبى ولاتخافي مادام رأسي على كتفى .

تمتدح النسوة والفتيات نوافًا وزوجه مشاعل ابنة سطام وتركية .

المعنقيه : تعد من خير سلالات الخيل . وترمز بشرى شراء فرس (معنقية) إلى زواج نواف بابنة المرحوم الأمير سطام ، أى من ذرية أحسن أسرة .

حين تدخل المرأة الهودج يجب أن تنحني فتنكشف ساقاها بدون إرادتها .

الدراريج (المفرد : دراجه) : أعمدة الدوران الملفوف عليها الخيط .

الحنيه : تدل على رحل من صنف (القتب) ذى الأعمدة الطويلة المحنية . إن

بإمكان " مشاعل " أن تبقى في هودجها هادئة البال ، فإن نوافًا سيصد أي هجوم يهدد النسوان أثناء الرحلة .

واشوف قبال الشط بيوت تبنى
نواف يا مشكاي نبغي وَطنًا

المعنى :

إنى لأرى أمام الشط بيوتًا ..
يا نَوَّافُ يا من أشكو إليه أمرى[٣٧٢] .. إننا نريد وطننا ..

ثار عدد قليل من الكواكبه على الأمير النوري ، وتركوا الرولة ، ونزلوا مع " العمارات " على الفرات ، فأرسلت نساؤهم وفتياتهم للأمير نواف يسألنه أن يتدخل من أجلهن لدى الأمير ، أبيه ، لكى يعدن إلى وطنهن .

كلمة " وطن " نادراً ما استعملت ، فالتعبير السائد هو " ديره " .

تسمعوا يا هل الخيل فلان ، يطول شبابه
ماطول حي على الخيل الطرش كل يهابه

المعنى :

اسمعوا يا أهل الخيل ، إن فلانًا أطال الله شبابه ، مادام حيًا ويركب الخيل ، فإن كلاً يهاب الاقتراب من الإبل [آى إبل قومه لينهبها][٣٧٣] .

يا نواف نادوا زينكم صالحه تخطى بينكم
تسوى سلايل خيلكم

المعنى :

يا نواف ، أدعـوا حسناءكُم صالحـة التى تسيـر بينكم بخطى لطيفـة ! إنها خير من خيلكم كلها . صالحة ابنة للنورى وأخت لنواف .

يا صالحة واسمعوا ياناس واهيلك نافلـــين النـــاس
اهل هده واهـــل نومـــاس واهل لعب على الافراس

المعنى :

يا صالحـة ، واسمعـوا أيها الناس ، إن أهيلك قد فـاقـوا الناس جميعًا ، فهم أهل شجاعة وأهل شهرة ، " وأهل لعب على الأفراس " .

والصفرا باول الغــــاره يا نواف شـــاعت اذكاره

المعنى :

حين الغارة تكون الصفراء (اسم فرس) هى الأولى ..
يانواف لقد سار ذكرها وشاع ! ..

ما حلى ذرعانك صيته بالوشام مْعَشْرِقـات
ما حلى هَدَّةْ اهلـــــــها والسيوف محنيـات
ما حلى ثـــورة جملـها بالشـــرايا مبينات

المعنى :

ما أجمل ذراعيك يا صيتة ، وقد زركشن بالوشم !

ما أجمل غارة أهلها ، وقد حنيت السيوف !

ما أجمل ثورة جملها ، وقد جمل بالزينات !

صيته : ابنة للمرحوم الأمير سطام كانت متزوجةً الأميرَ النوري .

الهده : يقصد بها جلبة الرمي ، في الهجوم ، وصيحات الحرب ، وصهيل الخيل ، وأنين الجرحى . محنيات : قد حُنِّيَتْ ، أى صُبِغَتْ بالحناء ، والمقصود أنها ملطخةٌ بالدماء فكأنها (مْحَنَّيات) .

كانت صيته تمتطى جملاً أورق قويًا حين ترتحل القبيلة ، وكان رحلها " القتب " محلى ببطانيات حمر منوعة ، ابتيعت من الأسواق .

الاشقح ما حلى هزعته   ياصيته ترتب ودعته

المعنى :

ما أجمل مشية الجمل الأشقح[٣٧٤] . إنها صيته التى تخيط الودع الصغار (أشكالاً على قتبه) .

لقد حلي الرحل الذى على البعير والعنان بودع صغار بيض على أشكال نجوم صغار ، ومربعات ، وأشكال أخر ، ومع مشية الحيوان المترنحة يهتز الرحل أيضًا ، ويلمع الودع لمعانًا غريبًا .

الاشقح وان دنِّي عَتَب   يبغي الحميري والذهب

الجمل الأحمر إذا جِيء به عتب على ثلاث أرجل (لعله يربد البطانيات الحمر ، والأهداب الذهبية) .

حالما أجبر العبيد الجمل " الاشقح " الذى تمتطيه " صيته " على البروك ،

وعقلوا رجله اليسرىلينزلوا القتب بسهولة ،نهض وبدأ يقفز على رجليه الثلاث، لأنه لم يك يرغب في أن يحرم من الغطاء ، والأهداب المنسوجةمع خيوط ذهبية.

الاوضح يزعج البدي   يا صيته من ضنا جدي

المعنى :

الجمل الأبيض يمزق الوسائد التى تسند القتب ..

يا صيته إنك من ذرية جدى .

اعتادت صيته أيضًا ان تمتطي جملاً أبيض خالص البياض . بدي : هى الوسائد التى تسند القتب في الرحل ، والجمل الملىء بالحيوية يدير رأسه إلى الوراء ويمزق الوسائد بأسنانه(٣٧٥) .

ياصيتَهْ بنت جِدّيـنِ   جِـدّ ينزل السّـاقه

وجد ينطح الخيـل

المعنى :

يا صيته ، يا من هى ابنةٌ " لجدين " : جد ينزل الأماكن الأخطر ، وجد يواجه الخيل(٣٧٦) .

كانت أم صيته تركية ابنة شيخ الفدعان . وكان أبو صيته سطام يختار المكان الذى تكون عشائره معرضة فيه للخطر الأعظم ليكون منزلاً يعسكر فيه . مثل هذا المكان يقال له " ساقه " وكان أبو زوجته بطلاً مشهوراً لا يقف أمامه الغزاة .

غـزال دشكم ماهاب   يابنت مخضع الارقاب

المعنى :

غزال انطلق من بينكم غير هياب ، أيا ابنة مقطع الرقاب .. لم تك صيتة تخاف ، وإن استطاع العدو دخول الحي ، لقد ورثت عن أبيها مميزات شخصيته .

يا صيتـه بنتنا الرزنه　　　كثير المال يشـــــريها
قليل المال واحـــــــزنه

المعنى :

يا صيتـه ! ، يا بنتنا الرزينة ، يبتاعـها كثيـر المال .. أما الفقيـر فإنه سيـحزن كثيراً (لعدم قدرته على نيلها) .

كـانت صـيـتـة بدينة وهادئة الطبع . وحين كـان النوري يرتعش فـرقًا على حياته ، في بعض الأحيان ، كانت صيته ترقبه ، ليل نهار ، لتحول دون تسميمه أو اغتياله في بيته . مثل هذه المرأة لا يقتنيها إلا الغني .

اهل صيته يحلُّـــون　　　سكارى مايذلُّـــون
على الساقات يعيُّون　　　واهل صحن يحطُّون

المعنى :

يحل أهل صيتـه [على الأعـداء كمـا لو كـانوا غنمًا] لأنهم كـالسكارى لايخيفهم شيء ! ولا يبالون بأخطر البقاع ، وهم أهل صحون تملأ للطاعمين .

يتـصـرف المقـاتلون في الهـيـجـاء كـمـا لو كـانوا يذبحـون غنمًا فـحـسب (يحلون)[٣٧٧] .

الساقات : هى الأماكن المعرضة لهجوم العدو المباشر ، ولذلك فـهى خطرة جداً . ولا يهـمل الشيـخ ذو المكانة هذا الخطر فـحـسب ، بل يتـعـمد الذهاب إلى

هذا النوع من الأمكنة ليجنب قومه الخطر ، وليدمر العدو بنفسه ، ولهذا يمدح أهل صيته ، لرباطة جأشهم عند البأس ، ولبسالتهم وكرمهم ، لأنهم يضعون الطعام في الصحن أمام ضيفهم .

يا صيته محزمك جبري　　　　عليه من الذهب شبر

المعنى :

يا صيته إن حزامك جبري (؟) عليه من الذهب ما سمكه شبر .

تضع ، عادة ، بنات الشيوخ الأقوياء وأزواجهم فوق ثيابهن حزامًا من صوفٍ أو حريرٍ نسجت مع قماشه خيوط ذهبية أو فضية .

جمل صيته شبا المطلاع　　　　جعل من تبغضه تنلاع

يموت وليدها الرضـــاع

المعنى :

جمل صيته تسلق التل ، لعل من تبغضه تصاب بلوعة ! فيموت وليدها الصغير الرضاع !

شِبَا المطلاع : تعنى أن بعيراً يحمل هودجًا أنيقًا تسلق مرتفعًا ، فبرز الهودج في الأفق ، وبات يرى من بعد . يؤمن البدو بأن النظرة الحاسدة المغتاظة قد تلحق بالإنسان ضرراً قاتلاً ، ومن هنا دُعَى على المرأة التى تنظر مثل تلك النظرة إلى بعير صيتة بأن يعاقبها الله . تِنْلاع : تعنى أن تنحف المرأة نحافة مفرطة ، وتفقد منظرها الصحيح[٣٧٨] .

ولّيد : طفل ذكر صغير ، تؤثره الأم على الأنثى ، لأنه يعزز وسيعزز مستقبلاً المكانة التى تتمتع بها الأم في البيت . وبفقده تفقد ، في الغالب ، سعادتها

مدى الحياة ، حيث يطلقها ، حينئذ ، زوجها ، وقد تضطر للانتظار الطويل قبل أن تجد رجلاً آخر ، بسبب الخوف من أن روحًا شريرة تتبعها .

يا مهرة قيـــــدت   مـــن بين نزلـــين
قـــــــوادها خالـد   لايابعد عيــــــني

المعنى :

يامهرة قيدت .. من بين قطينين ..
قائدها خالد .. أفديه بنفسي ..

المقصود بالْمُهْرَة هنا زوج خالد بن المرحوم الأمير سطام الشابة ، وكان قومها مقيمين ، يوم الزفاف ، غير بعيد .

يا بكرة حـــــره   يا مشيها زفـــزاف
ركابـــــها ممدوح   يقلط ولا يخـــــاف
تســـل سليل المـا   تخطم على الاســلاف
يرمي ولايخطـــــي   يقعد ولاينشـــــاف

المعنى :

ياللبكرة الحرة .. ما أسرع سيرها ! .
راكبها ممدوح .. يتقدم دون خوف .
تسيح كما يسيح الماء .. فتتجاوز المقاتلين المتقدمين .
إنه [أي ممدوح] يرمي لا يخطىء .. إذ يقعد [متهيئًا للرمى] فلا يرى .

كان ممدوح أصغر أبناء الأمير سطام وأجرأهم . لم يكن أي عدو يستطيع الصمود أمامه في الهيجاء ، بل يفر فيضربه ممدوح من الخلف فيسقط على عنق مطيته .

يقلط : تعنى إما " ينحنى " أو " يدفع رحلاً أو راكبًا إلى الأمام " . سليل الماء : طوفان هائل ينحدر مندفعًا بغتة ثم يختفى كما ظهر . هنالك أودية ، أو على الأصح ، قنوات ، يصل طولها إلى مائتى كيلومتر ، وتظل جافة سنين عديدة . فإذا هطل مطر كثير ، ودَامَ طويلاً ، فإن الماء يندفع ، بسرعة البرق ، عبر القناة (الشِّعْب) مفاجئًا البدو الذين ربما كانوا يحلون في جانبها المنخفض، ثم يختفى كما جاء . مثل هذا الطوفان ليس (سيلاً) بل (سليلاً) . وناقة ممدوح تبدو غير متوقعة مثل هذا (السليل) ، كما تختفى مسرعة مثل اختفائه ، لمقدرتها على الوخيد السريع .

السلف : جماعة من المقاتلين يتقدمون القبيلة الراحلة . وناقة ممدوح دائمًا تسبق (السلف) .

يقعد : تعنى أن ممدوحًا ، الذى ما فتىء صغيراً ، ينحنى مع كل طلقة لِيُتْقِنَ " التهديف " ، ولذلك لا يرى الجزء الخلفي لِعُنُق بعيره . لقد كان عمره عام ١٩٠٩ ثماني عشرة سنة ، لا أكثر .

تربية الأطفال

يظل الصبيان والبنات معًا مع أمهم حتى السابعة ، ويذهبون إلى أبيهم للتحدث معه ، بين الحين والحين ، فحسب . فإن لم يكن أبوهم قد طلق أمهم فإنهم يقيمون في قسم النساء ، ويتولون أداء الأعمال الخفيفة . وإن اقترفوا مايوجب العقاب ضربوا بعصا ، ولا يضربهم أبوهم أو أمهم وحسب ، بل والعبيد ذكوراً وإناثًا . ويرى الرولة أن أصل العصا من الجنة (العصا اظهرت من الجنة) ، وأنها أيضًا تقود الإنسان إليها .

ويعتني الصبيان الأسن بالأمهار فيرعونها ، ويسقونها ، ويركبونها حين

ينتقلون من مكان إلى آخر ، و يأتون بالحطب إلى قسم الرجال ، وبالماء للأضياف ... إلخ . ويجلسون القرفصاء ، مع الرجال ، حول النار ، مصغين للأحاديث ، كما يتعلمون تلاوة القصائد والأناشيد ، فيتعرفون بهذا على الشئُون العامة كافة .

ويتعلم الصبيان الرماية قبل بلوغهم الرابعة عشرة ، كما يشتركون في غارة واحدة على الأقل قبل أن يبلغوا السادسة عشرة . وفي هذه المرحلة لا يكتفى الأب بمعاقبة ابنه إذا عصاه بعصًا فحسب ، بل يستخدم سيفًا أو خنجراً بدلاً منه . إنه ، بجرح أبنائه أو طعنهم ، لا يعاقبهم فقط بل يعودهم على الصلابة والقوة لمستقبل أيامهم .

إن الابن الذى لا يطيع أباه ، قد اقترف ، في رأي البدو ، جريمة العصيان التى لا عقاب لها كالسيف (السيف لمَن عصى) .

ألعاب الصبيان

لايبقى الأولاد دون عمل أبداً ، فإن لم يشتغلوا بمساعدة أبويهم فإنهم يلعبون. وبعض ألعابهم خطرة ، وكلها ، على أية حال ، فيها تصليب لعودهم ، وإذكاء لملكاتهم :

الرَّمْحَه : في هذه اللعبة ، يَصُفّ الصِّبْيَة صَفَّيْن ، يُمْسك الصافُّون بكل صف بعضهم أيدي بعض ،ويقفون في مكانهم ، ثم يتقدمون نحو الصف الآخر ، ويرفسون أندادهم إلى أن يتدحرج جزء كامل من الصف (يْتَرَامِحُون) . ولا تنتهي اللعبة حتى تغدو بطون كثيرين منهم سوداً وزرقًا ، لكنهم يظلون واقفين طالما استطاعوا تحمل الألم .

الشَّارَهْ : وهى لعبة بمكان من الخطورة عظيم . يأتى الصبيان بمحاذفهم (مِقْلاع ،

والجمع : مِقَالِيع)[٣٧٩] ، ويجمع كل منهم عدداً من الحجارة الصغار ، ثم ينفصلون إلى جماعتين متعاديتين ، ويعلنون الحرب فيما بينهم ، ثم يقذفون الحجارة من محاذفيهم (يِتْشَارُون) ، ويسيل الدم دائمًا . وغالبًا ما خسر صبي عينًا ، أو شُجَّ رأسه ، أو كسر عظم ذراعه أو ساقه . بل إنه ربما سقط ميتًا . وعلى ذلك لا يمنع الآباء بنيهم أبداً من اللعبة . وإن مات صبي فعلى أهل اللاعب الذى قتله دفع الدية ، ونصفها عن الجروح الخطيرة الأخر . فإن لم تمكن معرفة الجانى وجب أن يدفع أهل الصبيان المشاركين في اللعبة جميعًا عِوَضًا من هذا النوع يسمى " المِدَّهْ الغَشْيَّهْ " .

الْمَعْكَالَه : لعبة أخرى ، ليست بخطورة سابقتها ، يخلع الصبى غترته ، ويعقد عقدة في وسطها ، واضعًا فيها حجراً ، ويقف لدى الباب (باب الميدان : المِيدْ) ، ثم يرمي الغترة إلى رفاقه المنتظرين على بعد خمسين خطوة ، ومن يتمكن من إمساكها يضرب الآخرين وهم يعدون نحو الباب ، ثم يعود إلى مكانه ، ويلقى الغترة بين الأولاد الذين يصيحون به : أعط الغترة من أعطاكها " عَطْهَا مِنْ عَطَاكِيها " ، وتستأنف اللعبة من جديد .

وهنا ، أيضًا ، قد يعود غلام إلى بيته وفي رأسه شجة منتفخة أو في جسمه جرح يسيل منه الدم .

مُذْمَحْ سَارَهْ : يلعب الصبيان ليلاً ، لعبة تسمى " مذمح ساره " فيأخذون عوداً حاد الطرفين " شْظَاظ " من ذلك الضرب المستخدم لربط رواق البيت الخلفي لسقفه . يقف أحد الصبيان لدى باب الميدان " المِيد " ويلقي العود لرفاقه الذين يقفون على بعد نحو عشرين خطوة منه . فيهتف الصبي الذى يلتقفه : (مذمح ساره ، مِذْمَحَ معِي) ، وينطلق في الحال نحو الباب ، فيرمي الآخرون بأنفسهم عليه محاولين أخذ العود وصائحين : أنا ذو القوة ، سأحطمك ! " ابا العِرْيَكْ والعارِكْ " . أما الغلام المهاجَم فيذود المهاجِمين بكل ما أوتى من قوة ، طاعنًا

إياهم بالعـود ، ورافسًا ، وعـاضًا ، آمـلاً أن يصل إلى البـاب والعـود مـعـه . ومعظم الكلوم الناتجة من هذه اللعبة ، ترى آثارها ، بطبيعة الحال ، على ملابس اللاعبين .

الحـاجْيَه : وعند إرادة لعب " الحـاجْيَه " تحـفـر حـفـرة في مكانٍ مُسْتَوٍ ، وتحـفـر وسطها حفـرة أصغـر منها وأعـمق . وتوضع على جانب الحفـرة الكبيـرة حصاة مدورة " حاجْيَة " ، ثم ترمى من الباب حصاة مشابهة " سِيك " ، لكنها أكبر ، نحو الحصاة الأولى لإسقاطها في الحفرة الكبيرة حيث لابد أن تتدحرج في الحفرة الصغيرة . وحين يؤدى الأولاد جميعًا (أدوارهم) ، يمتطي الصبية الذين نجحوا في وضع الحصـاة في مـوضعـهـا رفاقـهم ذوي الحظ الأقل حسنًا الذين يجب أن يحملوهم من الحفـرة حتى البـاب . وغني عن الذكر أن هؤلاء الراكبين نادراً ما غاب عنهم أن ينخسوا جوانب أفراسهم لقسرها على الإسراع !

خيل وخيل : وفي هذه اللعـبة تختـار الأفـراس والراكبـون بالقـرعـة ، ثم يستـوى الراكبـون على متـون " الخـيل " التى تحـملهم حتى الهـدف المحدد ، وهنا تصـيح " الخـيل " : (الخـيل أَقْلاب) وتنقلب على جـانب واحـد لتـتخـذ مـقـاعدها على ظهور راكبيها .

الطقـه : وفي هذه اللعبـة يتسلح كل صبى بأحد أعـواد البـيت الكبيـرة ، ثم يضع صبي يقع الاختيـار عليه بالقـرعـة ، عـوداً صغيـراً مدبب الطرفين " شظاظ " على أعلى حجر قريب ، ويضربه بعوده الكبير ، لكى يجعله يطير في الهواء قليلاً ، ثم يصكه ، وهو في الهواء ، صكة عنيفـة تقذف به نحو اللاعبين الآخرين الذين ينتظرون على بعد نحو ثلاثين خطوة أو أربعين ، فيحاول كل منهم أن يصد العود الصـغيـر الحـاد المنطلق بعـوده ليـعـيـده من حيث أتى . وطالما لم يفلح أحـد في ذلك ، فإن العـود يعـاد للصبي الأول الذى يمضى في اللعب إلى أن يتمكن أحد رفاقه ، أخيراً ، من إصابته ، فيحل محله .

وحين يحاول اللاعب صَدًّ " الشظاظ " ، غالبًا ما ضرب رأسه أو كتفيه مما ينتج عنه آثار لا يصعب تصورها .

الدِّهْدْوَهْ : وفي هذه اللعبة تتقطع غتر كثيرة مزقًا إذ يدحرج صبي حجراً كبيراً من أعلى مكان منحدر قليلاً ، في حين يحاول الآخرون إيقافه " عكشه " بغترهم .

ولمن يفلح في ذلك الحق في أن يدحرج الحجر " يدهديه " .

عِقَى عَقَبْ : وهى لعبة يعدو فيها الصبيان نحو الهدف الذى يقع على بعد مائة خطوة تقريبًا . ومن يصل أولاً يهتف : (عِقَى عَقَبْ) ، وهو أمر للآخرين بأن ينحرفوا ويعودوا نحو نقطة الانطلاق عدواً . وأول صبي يصل إليها يصيح بالكلمات نفسها : (عقى عقب) ، ويطير مع الآخرين نحو الهدف ، ويكرر ذلك حتى يَكِلَّ الجميع ، وأخيراً يهتف الذى يصل إلى الهدف أولاً : (كُرُكُبْ خشب) أى : كوم خشب ، ويسقط على الأرض ، ويحذو الآخرون حذوه ، فيرقدون دون حراك هنيهة ، لكنهم ، بعد ذلك ، يبدأون في رفس كل مَنْ حولهم وضربه بغض النظر عمن يضربون .

أهازيج تغنيها البنات

ليس للبنات ألعاب كهذه ، ولهذا فهن يؤلفن من وقت لآخر ، في الليل ، مجموعتين (جوقتين أو كورسين) ، ويغنين بالتناوب (يِسِمْرِنْ) أهازيج منوعة (سُمَّير) .

تفولوا بالفضـــــا   يا اللى طلب فالي

فالـي رشيد والرشد   طيب الفـــــال

المعنى :

تفاءلوا بأن تجلسوا في مكان فسيح ، يا من طلب فألي ، إن فألي طيب ، والطيب ذو الفأل الحسن .

حين توشك النساء والصبايا ، على ابتداء (سميرهن) يجتمع الرجال والشبان غير بعيد . وقبل الغارة أو أى حدث ذي شأن يهتم الرجل بأول كلمة تتلفظ بها المرأة أو الفتاة التى يحبها ، ويتفاءلون بتلك الكلمة أو يتشاءمون ، ويحاولون أن يخمنوا منها ما إذا كان سينجح أمرهم أو لا . ولمعرفة الفتيات بذلك فإنهن يبدأن بالأهزوجة المذكورة أعلاه .

الفضا ، أى السهل الفسيح الذى لا يمكن أن يُكْمَن للبدوي فيه ، فأل حسن ، في نظره . وخير من أي فأل ، على أي حال ، الحظ نفسه أو النتيجة الناجحة .

انحودروا للسمير	والزمل بالمسراح
من هو يهد الطير	معلوق قليبه راح
يلفي على مرته	يانجمة المصباح
ارخي طريف السير	قيفي على المبطاح

المعنى :

اجتمعوا (للسُّمَّير) ، والرواحل في المرعى ..

والذى يدرب الصقر ، لقد انقطع شريان قلبه ..

وسيفد على زوجته ، يالها من نجمة صباح ! ..

أرخي طرف السير (الحزام) ، وقفي على عمود الرحل ..

تدعو الفتيات والنسوة الجميع لحفلهن (السمير) ، لأنه ليس ضروريًا الاستيقاظ باكراً في صباح اليوم التالي ، لأن رواحل الشيخ لما تعد بعد من

المرعى ، فيسمعن من يدرب صقره فيرثين له ، لأن الصقر ذهب بعيداً وعاد إلى زوجه . وقبل أن يرحلن يدعون أجمل امرأة في المعسكر بأن تقف في رحلها ، وتضيء ما حولها إضاءة نجمة الصباح .

تستعمل كلمة (انحودروا) أى (اجتمعوا أسفل) أو (انزلوا معًا) ، لأن (السمير) يعقد دائمًا في مكان خفيض يتوفر فيه (الذرى) في الريح .

أرخي طريف السير : أرخى طرف حزامك (بريمك) . تلبس كل امرأة حزامًا ذا سيور رقيقة من جلدٍ على جسدها العاري ، وعند دخولها الهودج ترخى هذا الحزام لكيلا يضايقها خلال الرحلة .

قيفي : قفي .

يا ربي يا خالــق الليل	هات المطر من سحابه
مازال نواف على الخيل	والمــــــال كل يهابه
يستاهل الـورد والهيل	والنذل يقمح شــبابه

المعنى :

يا ربى يا خالق الليل أنزل المطر من سحابه ..

مادام نواف (ماضيًا في الغارة) على الخيل فلا يجرؤ أحد على مساس مال القبيلة[٣٨٠] .

إنه لخليق بأن يهدى إليه الورد وحب الهال (الهيل) : أما الرجل النذل فليكبح شجاعته الفتية .

الورد : تعنى رائحة الورود ، بالإضافة إلى الوردة نفسها ، وحب النساء .

الهيل : (حب الهال) يضاف للقهوة ، والتى تعد على هذا النحو لا تصب لسوى الأبطال .

النذل : تعنى هنا الشيوخ الأكبر سنًا وهم الأكثر حذراً ، الذين لا يسمحون ، وعلى رأسهم الأمير النورى ، لنواف وصحابه الشبان ، أن يوالوا الغارات حتى على القبائل المعادية ، لأنهم يخشون طلب الثأر[٣٨١] .

يا ربي يا معــول	تعــول على هلنا
نبني بيوت العــز	ننزل منـــازلنا
نرحل عن هالديره	وعن وسطها جلنا
يســلم ابو نواف	يرحـــل وينزلنا

المعنى :

يا ربى يا معيد ، أعدنا إلى أهلنا ..

نبنى ....

نرحل عن هذه الأرض ، ونذهب عن وسطها ..

فليسلم أبو نواف يرحلنا من مكان ، وينزلنا مكانًا آخر ..

إن لم تف أراضي الرولة بحاجتهم ، وتوافر الخصب (الربيع) في الأراضي المتنازع عليها ، فإنهم ، عادة ، يمضون إلى المستوطنات التابعة لهم في البر الداخلي ، ويفرغون إمداداتهم ، ورحالهم ، وبيوتهم الكبيرة ، ويدعون النساء والأطفال والشيوخ هناك ، وينتقلون بقطعانهم إلى تلك الأراضي مدة شهر من الرعي ، على الأقل ، وهناك يسكنون بيوت شعر صغيرة ، وبعضهم في الفضاء ، ويطبخون طعامهم بأنفسهم ، أو يكلون إلى امرأة واحدة أو جارية الطبخ لعدد من البيوت .. ودائمًا يقيمون بيوتهم بين قطعانهم ، متأهبين للدفع عنها ليلاً ونهاراً . وسرعان ماتضيق النسوة والصبايا اللواتى يرافقهنم ذرعًا بهذا النمط الحياتي ، كما عبر عنه في أغنيتنا .

بيـوت العز : هى البـيوت الكاملة التى تتطلبـها مكانة مالكيـها الاجتـماعـية .

جالوا : " اختفوا من هذه المنطقة " انجال الغيم " : اختفى الغيم ، تلاشى " .

يا ربي يا مالـــي	عطنى فضا بـالي
فوق اوضح عـالي	مع وسـط حيـاني
وجوز على بالـــي	وزميم حمـــراني

المعنى :

يا رَبّ يا من ليس لى سواه ، هب لى راحة بالى ..

(يسر لي) أن أركب على جمل أبيض عـالي المتن ، وسط أهلى ، وزوجًا موافقًا لهواي ، وزمامًا ذهبيًا صغيراً[٣٨٢] .

فضا بالى : الذهن الصافى ، والضمير الطيب ، والروح السليمة غير المقهورة.

تتـمنى كل صـبيـة أو امـرأة ان تـركب عند الـظعن في هودج مـزركش على جمل ناصع البـيـاض . وتفـخـر كل من القـبـيلة والأسـرة بمثل هذا الجـمـل ، وتكون الزينات التى تعلق عليه جلية جلاءً تامًا .

وتكون الفتاة وسط أهلها آمنة تمامًا .

ولا يعلق " الزمام " في الأنف في الحاضر عدا نساء رويليات قليلات .

يا راكـــــــب هميلع	راعيه مايومي عصـــاه
يا من ذِكَرْ لي صويحبي	يادايره يامن لقـــــــاه
ارعه مع ذويد عـــزيـــب	ومْزَرْفِـــــلٍ يم الفـــلاه
ولا لقيت الا الخــــــلا	والذيب جلاني عـــواه

المعنى :

أيا راكبًا بعيراً وديعًا ، لا يحتاج راكبه حتى للإيماء بعصاه[٣٨٣] ، من يذكر لى أنه رأى حبيبى (الذى فقدته) في أى مكان ؟ من بحث عنه ؟ من رآه ؟

إنه مع ذودٍ ، من الإبل ، قليل قد عزب في المرعى ، وإنى منطلق إليه في الفلاة .

لكنى لم ألف سوى الخلاء الذى أبعدنى عنه عواء الذئب .

لم يجد العاشق حبيبته في المنزل الجديد ، فشرع يسأل ويبحث عنها . لقد اعتادت أن تركب في هودج على جمل وديع (هميلع) ذي هيكل قصير ، وتشير لحبيبها بالعصا التى تسوق بها مطيتها .

الذويد : الذود الصغير من الإبل ، يكون للعائلة الواحدة ، وإذا خرج الابن ، الذى يهتم عادة بالقطيع ، في غارة انتقل الاعتناء به للابنة .

العزيب : هو المرعى الذى يكون على مسافة من المنزل بحيث تقضى الإبل ثلاث ليال أو أربعًا ، على الأقل ، بعيداً ، ولا يردن الماء أو يأتين للحي حتى اليوم الخامس .

مْزَرْفِل : مثل (ذُوَمل) تشير إلى خطوة البعير العجلى .

الفلاه : المرعى ذو النَّبْت الطيب والأشجار الدائمة الاخضرار .

شـدوا من الزمل عَلْيَانْ	شـيل اللهد مايدانيه
والحكم حكم ابن شعلان	مقرود يا اللى تراجيه

المعنى :

ضعوا الرحل على البعير المسمى " عَلْيَانْ " من بين الرواحل .

إنه لا يحب مطلقًا الْعِبْءَ الثقيل .

والحكم حكم ابن شعلان . يالك من سيىء حظ يامن تعارضه !

الزَّمِل : تطلق هذه الكلمة على الأظعان التى تحمل الأثقال ، وهى دائمًا جمال تحمل بيوت الشعر ، والمؤمن ، وعدة الشيخ كلها . وفي نخوة الرولة ، تدعى القطعان كلها " عَلْيَا " التى عنيت الإبل بها هنا في كلمة (عليان) .

اللَّهَد (الجمع اللّهُود) : هى الجراح الصلبة أو القروح على متن الجمل أو جانبيه التى يسببها الحمل الثقيل ، أو الموزع توزيعًا غير متساو ، أو الرحل غير المستقيم سواء كان رحل حَمْلٍ " حداجه " ، أو ركوب " شداد " . فإن اختفت تلك البقع الصلبة فبها ونعمت ، وإن صارت قروحًا وانفتحت فإن النتيجة هى الجراح المتقيحة (دبْرَه ، الجمع : دُبَر) .

الإبل التى يملكها الرولة لا تطيق الأثقال التى تجرح ظهورها ، وأسرة ابن شعلان الحاكمة لن تطيق المعارضة .

يا ربعة بنيت	شدت عراويها
وروحت زرفات	يرجى العشا بيها
تحوفها منيفه	يفرح بطاريها

المعنى :

يا لها من (رَبْعَة) بنيت ... لقد شدت عراها ..

وقد راحت [الأمهار] زرافات .. وكل فارس يرجو العشاء فيها [أي في الربعة] ..

وتعد منيفة العشاء .. تلك المرأة التى يفرح الشبان إذا ذكروها .

الربعة : قسم الرجال في بيت الشيخ ، كما تطلق أيضًا على بيت الشعر كله .

العراوي : العرى ، أو عقد حبال البيت المثنية التى يمكن توسيعها أو تضييقها حسب قوة الريح .

رَوَّحَتْ زِرْفَات : العبيد والخدم والشبان الآخرون الذين يخرجون ، في المساء ، على ظهور الخيل ليحموا القطعان العائدة من أي هجوم ممكن . وكلمة " روح " تحمل دائمًا دلالة على السكن الليلى .

ياخيي ياعــزوة لــي   طريحكم لايضـــــام
وسلاحكم مستجـــل   يقصم صليب العظـام
عدوكـــــم مستمل   عيت عيونه تنـــام

المعنى :

ياأخي ، يامن هو مثيلى في النسب ، إن من تطرحونه عن حصانه لايضام .

وسلاحكم مشهور ، يكسر القوي من العظام[٣٨٤] ! وعدوكم خائف ، أبت عيناه أن تغمض !

تثني الصبية على بسالة حبيبها ، الذى هو من أقاربها الأدنين . حين تقال كلمتا " عزوة لي " بسرعة فكأنهما كلمتا " عزوج اللي " ، لأن الصوت " ان " يضاعف المقطع التالي . " لِي عِزْوةٍ " تشير إلى القرابة من جهة الأب - " مْن اين يِعْزَى فلان ؟ " تعنى : إلى أين ينسب فلان ؟ من أى قبيلة هو ؟ " يعزى من آل فلان " وينسب لآل فلان " .

الطريح : تعنى المقاتل المتدحرج على الأرض بعد أن أُلْقِيَ من على سَرْجِهِ .

ياخيي يامـــــالي   وراك لى شنـــيان
يا خيي ابغـي اماري   بلمـــــة العربـــان
فوق اشقح عالـــــى   نوف على القعـــدان
أمــــــه عتيـــبيه   وابوه من العـــدوان
والايفه هجمـــــــه   سود كما الغــربان

المعنى :

يا أخي ، يامن يساوى كل ما أملك ، إن أمك وأختك كلتيهما تمقتانني[٣٨٥].

يا أخى إنى أود أن أظهر جسارتى حين يلتئم شمل القوم ..

على جمل أبيض عالي الظهر ، ينوف حسنه وقوته على حسن الجِمال كلها وقوتها .

أمه عتيبية ، وأبوه من العدوان .

وألافه هجمة (قطعة) من النياق ، سود الألوان كالغربان ..

تتمنى هذه الصبية أن تصحب عربها في أشد القتال ضراوة ، أملاً في أن تكسب ود أم حبيبها وأخواته .

ورَاك : " وراءك " تشير هنا إلى الأقارب الإناث . يجلس أعضاء الأسرة الذكور في الجزء المخصص لهم من البيت ، وظهورهم إلى الحاجز الذى يفصلهم عن قسم النسوة . وأى شخص لديه شأن مع الرجال يقعد مواجهًا لهم ، وإن أراد ذكر أعضاء الأسرة الإناث قال بإيجاز : " وراءك . وراءك "[٣٨٦] .

لمة العربان : تعنى " العرب سيجتمعون لصد هجوم معاد " .

تقطن قبيلة عتيبة في شرقي المدينة ومكة ، والعَدْوان إلى الجنوب الشرقي منهم .

ولون الإبل السائد في نجد هو الأسود " الاملح " .

يا ربي تســـــــاعفني	علـــى كل ما اريـــــد
فـــوق اوضح عالـــــي	بزين المعاليــــــــــق
وغليم يثــــــــــــني	ليـــا يبست الـــــريق
صفـــــــــر اسحوبيــه	قَرْمَ الاواليـــــــــــد

المعنى :

يا ربى أعني على تحقيق كل ما أريد ..

[أود أن أجلس] على جمل أحمر اللون عالي السنام، في هودج مزركش ..

(ومعى) شاب يحميني ، حين يجف الريق ..

شاب جسور ، على فرس صفراء أصيل ذات ذيل طويل ..

زين المعاليق : رحل " قتب " قد زركش بزينات كثيرة ، ووضع على جمل أبيض عالى الظهر .

غلام : تعنى رجلاً شابًا ولكن باسلاً . يجف الريق من الخوف حين يهجم العدو على القبيلة الظاعنة ، ويحاول سلب الحسان من كل من الإبل والهوادج المزركشة . إنها ساعتئذ تحتاج مدافعًا جريئًا .

يا ســـــما ربنا	بـــــذراك ندرق
نطلبك طولة الـ	ـعمر ما نفترق

المعنى :

أيا سماء ربنا[٣٨٧] . إننا نلوذ بحماك ..

(يارينا) نطلبك ألا نفترق طول العمر ..

لن تفارق الحبيبة حبيبها .

ريــد بغى ريــد	سحب درج ماها
يلفى على شوقه	واحلـــو لامـاها
يعجبــه بالظلما	ملاعج ثنايــاها

المعنى :

المحب الذى يشتاق للحبيب ، كالسحب التى يهطل ماؤها ..
وحين يأتى إلى حبيبته ، ذات شفاه ما أحلاها ..
يعجبه تلألؤ ثناياها فى الدُّجَى ..

يا مرحبا يا مرحبا　　　بطويرش القبله لفى
وليا لفى جـــانا الحيا

المعنى :

مرحبًا بالمسافر نحو القبلة (الجنوب) الذي عاد ، وإذا عاد جاءنا الغيث .
طْوَيرْشَ القِبْله : ريح الجنوب التى يتبعها مطر عادة .

يا طارش القبلــه　　　عينت حيـاني
واللى ورا بصـرى　　　واللى بحوران

المعنى :

أيهـا المســافـر القــادم من القــبلة (الجنوب) أرأيت أهلي ، ومن وراء بصرى ، ومن بحوران ؟

تُرْجَى ريح الجنوب أن تجود بالغيث أيضًا على المناطق الواقعة إلى الشمال الغـربي من بصـرى ، والمناطق المحـيطة بحـوران كـافـة لتـجـد قطعـان أهل الفـتـاة منتجعًا طيبًا حين يقطنون هناك[٣٨٨] .

الفصل التاسع

الغُرَبَاءُ في الحَـــيّ

* الجيران أو (القْصَرَا) *

في كل حي من أحياء الرولة يعيش عضو من قبيلة أخرى ، يكون قد ترك قومه لسبب ما ، ويكون راغبًا في أن يستوطن أرضًا أخرى ، ولو مؤقتًا ، على الأقل . يتفق مثل هذا الغريب ، في العادة ، مع أحد الرولة على أن يكونا جارين (قْصَرَا ، المفرد : قصير) ، وسيدافع كل منهما عن الآخر لهذه الصفة . ولا يستطيع رويلي أن يكون (قصيراً) لرويلي آخر ، لكن له أن يتخذ من أحد أعضاء العشائر العنزية الأخرى (قصيراً) له ، سواء أكانت تلك العشيرة صديقة أم معادية . ويحمى الرويليُّ (قصيره) من الرولة كما يحمى (القصيرُ) الرويليَّ من قومه .

إن " القصير " والضيف ، والرفيق في السفر " الخَوِيّ " ، وكلهم يتمتعون بامتيازات خاصة ،لا تنطبق عليهم أنظمة القبيلة الاعتيادية (لا يمشــون الحق) ، ولعصاهم قوة سيف البدوي الآخر (عصاهم سيف) . ويعامل " القصير " على أنه رجل ذو منعة (عزيز) ، ويعامل دائمًا بالقسط (حَقّهْ حاصل) .

وحتى حين ينازع رويلي جاراً من مكان آخر ، يَحظى جار الرويلي ، ولو بالقوة عند الضرورة ، بِحُكْمٍ عادل ، أو كما يقال : بسيف مسلول ، وميزان عدل مائل " بِالسَّيف الطَّايِلْ والحَقّ المايِلْ " . وإذا كان لرويلي دعوى على " قصير " ، فعليه ألا يدعى بنفسه ، بل يضع ادعاءه بين يدي الرويلي " قصير " الرجل الغريب . فإن كان تاريخ الدعوى يعود إلى ما قبل كون الغريب جاراً للرويلى ،

فإن الإجابة المألوفة هى " ولِمَ لَمْ تطالب بحقك قبل أن يضحي جاراً لي ؟ مادمت قد انتظرت حتى اليوم فالآن انتظر إلى أن تنتهى مدة جواره لي " .

ولا يحق لرويلي أن يطالب " قصيراً " بحق لدى القاضى . وعلى ذلك فلو فعل ، وحكم الشيخ عليه ، لجهله بأنه " قصير " ، فإن الحكم لا يسرى مفعوله أبداً ، وسيقول الجار الرويلي للمدعى : " ماذا تفعل ؟ انا خَصِيمَكْ انا قدِيمَكْ لِلطَّلَايِبْ لا " قصيري " . طالبنى أنا أما جاري فدعه بسلام ! " .

وإن سرق رويلي شيئًا من " قصير " غريب ، بلغ به حالاً (قصيره) فيذهب هذا في الحال إلى الجاني ويقول له : (ألا تعلم أن (س) عزيز عليّ كعزة أهلى وقومى الذين في هذا الحى جميعًا (قصيرى بين العنايا والثنايا) ؟ لم أخذته منه ؟ ، ثم يختطف الشيء المسروق بالقوة ، إن لزم الأمر ، ويعيده إلى " قصيره " .

ولو اعتدى رويلى على امرأة " قصير " غريب في بيتها ، فإنها تصيح منادية " قصيرها " الرويلي ليهب لنجدتها ، وهو أمر لا مندوحة له من عمله . فإن قَتَلَ المعتديَ في بيت " قصيره " فإنه لا يكون بمأمن من التعرض لطلب الثأر فحسب ، بل يجب أن يدفع أهل القتيل أو المجرم نفسه ، إن لم يكن قُتِل ، الدية لانتهاكه حرمة بيت جار .

أما إن قتل " قصير " غريب رويليًا فإنه ينطلق إلى " قصيره " الرويلي متوسلاً : (أعِنّى على الفرار) " هزِّمْنى " فيدعو الأخير أهله : " أريد أن أساعد جارى على الفرار " وعليهم كافةً مساعدته في ذلك . فإن أبدى " القصير " الغريب رغبته في دفع الدية ، حماه قصيره الرويلي إلى أن يُحَلَّ كل شيء .

وان هاجم عدو معسكراً رويليًا ، وسلبت إبل " القصير " الغريب أو فرسه مع غيرها ، فإن واجب " قصيره " الرويلي أن يعيد إليه كل ما سرق منه من الغنيمة التى يستولى عليها الرولة في غارتهم التالية الناجحة . ويعطى المغير

مكافأة ناقة عن الفرس " ومجيديتين " (١ , ٨٠ من الدولار) عن الناقة .

وعلى النحو نفسه ، يحمى الجار الرويلي " قصيره " الغريب من قبيلة الأخير .

وحين تعلن كلتا القبيلتين الحرب إحداهما على الأخرى ، ويستولى في هذه الحرب على ممتلكات الغريب ، يكون الجار الرويلي ، في هذه الحالة وحدها ، في حل من نجدته ما لم يكن الرويلي قد أبرم اتفاقًا مسبقًا بذلك . وعندئذ يعلن في بيت الشيخ : " أيها الرولة ، كونوا شهوداً لي ، وأنت أيضًا يا ابن شَعْلان ، لقد ربطت أنا وجارى أنفسنا باتفاق بأن يحمي كل منا الآخر في أي حدث . قومه لا يأكلون من مالي ، ولن آكل من مالهم : " يا رْوَلهْ ، اشهدوا واشهد يا ابن شعلان تراني مْعَايْفٍ قِصيرِي فلان الفلاني إني هم ماياكْلُون حلالي وانا ما آكُلْ حَلالْهُمْ " .

ويعلن " القصير " الغريب الإعلان نفسه ، إما بنفسه ، أو رسوله كتابة في بيت شيخ قبيلته ، فإن سرق رجال قبيلته بعدئذ أي شيء من " قصيره " الرويلى ، وجب عليهم إعادته ، والعكس بالعكس .

وإذا استأجر رويلي رجلاً من قبيلة معادية ليرعى إبله ، فهاجم قوم الرجل الإبل التى عهد إليه بِرَعْيها ، ترك المغيرون ثلاث نوق للرويلي ، واحدة مطية ، واثنتان حلوبتان " قَعَدَهْ وْمَنَايْحهِ " أو " رُكُوبَهْ وْحَلُوبَهْ " .

الباعة الصغار المتجولون ، أو " الكبيسات "[٣٨٩]

يعيش في كل حي تقريبًا بائع متجول يدعى " كُبَيسِي " الجمع : كبيسات " ، على أنه ليس دائمًا من مستوطنة " الكُبَيسة " ، قرب " هِيت " ، على ضفة الفرات الأوسط اليمنى .يأتى ببعير أو بعيرين محملين بضائع ، ويحل ضيفًا على أحد البدو ، وينصب خيمته المدورة البيضاءبجانب خيمة مضيفه السوداء .

ويبدأ في بيع غتر ذات أثمان زهيدة ، وثياب رجال ، وأدوات لملابس النساء ،

وأحذية وأشياء ذات صلة باللبس كثيرة (بضائع) ، وأيضًا دخانٌ وبُن وحَبٌّ هال (هيل) وقليل من أدوية ، ويعطي صاحب البيت الذى حل بجانبه من القماش ما يكفيه لصنع بزة واحدة . أما الشيخ فلا شيء له البتة .

وقليل من البدو يشترون بثمن نقد ، بل يكادون جميعًا يشترون بالدين ، ويدفعون فائدة قدرها ٢٥٪ في خمسة أشهر . ويظل الدائن (الديان) يضغط على مدينه (مَدْيُونِهْ) طوال الوقت ليدفع ما لَهُ عليه . ويمسك بإبله ، وغالبًا حتى بفرسه ، لئلا يضيع له أي شيء ، لأنه لا بدوي يقضي دينه ما لم يجبر على ذلك . وعلى هذا يجد حتى هو ، أحيانًا ، أن الإلحاح الدائم لا يطاق .. لقد قيل : " لا هَمّ إلا هَمّ الدَّينْ ، ولا وجَعْ إلا وِجَعَ الْعَين " . ويجب أن تدفع فائدة (فايض) النقود المستدانة نقداً ، في الحال ، فمثلاً عند استدانة ١٠ مجيديات (٩,٠٠ دولارات) تدفع فائدة سنة وقدرها ٢,٥ مجيدية مقدمًا ، وعلى الدائن أن يظهر أنه استدان ١٢,٥ مجيدية ، وكل ما بقى له ، في الحقيقة ، ٧,٥ مجيدية[٣٩٠] .

ويجب أن يدفع الدين والفائدة ، حين تقام أسواق الإبل ، أى في يولية أو أغسطس ، حين يبيع البدو القاطنون في الأراضى المزروعة إبلهم (وقت الموسم) . يأتي كل رجل مدين بكفلائه الذين يبينون بحضرة الدائن أن قدر الدين كيت وكيت ، وأن المجموع مع الفائدة (الْمَرْبَح) سيدفع في تاريخ محدد . وإن مات الكبيسي خلال تلك المدة ، جمع مضيفه (مْعَزِّبه) المبالغ المستحقه له وسلمها ورثته . إن البدو يدفعون الديون التى عقدوها مع الكبيسات بانتظام كاف لأنهم ، بصفة أساسية ، يخشون ألا يأتي إليهم تجار إن لم يفعلوا ذلك .

وحين ينزل الرولة إقليمًا مأهولاً ، يرسل بعض التجار وفداً إلى الأمير ليستفسرواعما إذا كان سيأذن لهم بالمجيء ببضائع ليبيعوها في معسكره ، فإن أخذ الوفد من الأمير ضمانًا بأن يجعلهم تحت حمايته (بْوَجْه الشيخ) فإن تاجر

الجملة لا يدع وقتًا يمر قبل أن يبعث موظفيه إلى المعسكر ، وسرعان ما ترى في مخيم الشيخ من خمسين إلى سبعين خيمة . ويباع في هذه الخيام كل ما يتوق إليه قلب البدوي ، ويسلم للأمير ، حقًا له عن كل من هذه الخيام ، رَحْلُ حَمْلٍ جَدِيدٌ (حداجه) ورطل بُنٍّ أخضر (٥٦ . ٢ كيوغرامًا) . وتنتهي مدة لبثهم في المعسكر قرابة منتصف أغسطس ، لأن الرولة يقفلون أدراجهم ، في العادة ، في أواخر ذلك الشهر عائدين إلى البر الداخلي .

ويأخذ كثير من التجار في الإقليم المأهول الإبل مقايضة عن بضائعهم ، وبذلك يمكنون البدو من أن يوفروا لأنفسهم كل شيء يحتاجونه أو يرغبون فيه . وأبناء البراري ، في هذا الجانب ، كالأطفال يريدون كل ما تقع عليه أعينهم ، أو أي شيء يعجبون به ، ولا يبالون بما إذا كانوا حقًا بحاجة إليه أو لا ، فيشترون كل صنف من الأشياء ذات الثمن الباهظ ، وغالبًا ما كانت هذه لعبًا ، يفسدونها بعد قليل ، ثم يقذفون بها ، ببساطة ، بعيداً كشيء عديم الصلاح .

وطالما كانت لديهم إبل أو ، على الأقل ، نقود تسلموها ثمنًا لها ، فإنهم يبتاعون بنقد ، وحين تفرغ هذه فإما أن يقترضوا نقوداً ، أو يبتاعوا على أن يسددوا الثمن فيما بعد دون اهتمام بمتى سيوفون بدينهم ، إن كانوا سيوفون به ، .. وثمة قول سائر في الصحراء : الدين ياكل ربح المستدين (الدَّينْ قَطَّاع الرِّزْق المِقْبِلْ)[٣٩١] .

قصائد عن " القُصَرَا " و " الكبيسات "

ثمة إشارات عديدة لكل من " القصير " الغريب ، والتاجر في القصائد البدوية :

١. الله ، ومع هذا لك الله لنا كـار	عن جارنا ما قــط نخفي الطريفه
٢. نرفا هدامه رفوة العش بالغــار	نودع لـــه النفس القويه ضعيفـه
٣. نبغيه اليا بدل الـــدار بديـار	وكل من بجيرانه يعـــد الوصيفه
٤. أحــــد لجيرانه بختري ونـوار	وأحـــــد لجيرانه صفاة محيفـه

معنى الأبيات :

١) الله ، ومع هذا القسم ، لك الله أن لنا عـادة[٣٩٢] ألا نخفي ما لدينا من طعام طريف عن جارنا .

٢) سنرفو ما يمزقه جارنا كما رفي العش في الغار ، وسنجعل النفس القوية ضـعـيـفـة له (أي حـتى إن كـان طبـعنا عنيـداً ، فـإننا نكون وديعين معه)[٣٩٣] .

٣) نريد أن يذكـرنـا بخـيـر حين يبـدل بالمنزل منزلاً آخـر ، ويشـرع في وصف جيرانه السابقين .

٤) يكون بعض الناس لجيرانه طيبًا رقيقًا نافعًا كالبختري والزهور ، وبعضهم يكون في معاملته لجيرانه كَصَفَاةٍ صماء .

الشـاعـر غـيـر مـعـروف . وراويتـاها هـمـا : حـمـار أبو عـواد ، ومنديل القطعي . وقد وصف البدوى علاقاته بجاره الغريب .

البيت -١- : يؤنب جاره لشيء عمله ، لكنه يقبل أن الجار تحت حماية الله ، وإكـرامـه واجب . الطّرِيفهْ : الطعـام الشـهي مـثل (البِرِيرهْ) وجـبـة نادرة لذيذة[٣٩٤] .

تعشش الجوارح الطير في بعض شقوق الغيران الكثيرة ، ولتحول دون سقوط صغارها تسوى أرضية العش بمناقيرها ، ثم تبنى حائطًا متينًا من العيدان والعظام .

١. هنيت أني بالليـــــل ديك يعــاعي	لا واهنيك بالتصـــــــاويت ياديك
٢. يـــاونتي ونة قريص الافـــــاعي	يشـــــظاه من سم الحيايا ســواهيج
٣. واحالي اللى كنها حـــــال ســاعي	خلي على درب الخطـــر والدواريج
٤. على عشيري عقصته وقم بـــــــاع	ومصوره فتاح باب الشــــــــبابيك
٥. سميها اللي عالـــــــــي بارتفـــاع	ياعارفين القاف من هو سمي ذيك
٦. عقيدها اللى باول المـــــال راعـــي	ولا يِرْتَع إلا بالرياض الســــواهيق
٧. خلـــــوا متاحي للغنم والرجـــــاع	حدب الظهـــــور ناقلين المســابيق
٨. مثل النسور براس خـــــبرا مقـــاع	واني من اللى قفـــوهم قاعـد هيك
٩. ماني مع جباية الفود ولانى براعي	وانقـــز مع الوغدان لعــابة الصيك
١٠. مار يا الله يا اللى عالي بارتفـــاع	تفرج لمن هو قسيم على الضيــــــق
١١. ما اقـــوى أقوم واقف على كراعي	واحاكى المخلوق وارضى المخاليق[٣٩٥]

معنى الأبيات :

١) لقد هنأت ، ذات ليلة ، ديكًا يؤذن . ما أهنأك أيها الديك بأصواتك !

٢) يالأنتي الشبيهة بأنة من لدغته أفعى ، فسرى السم في جسده ، وأضحت عروقه تضطرب من الألم .

٣) يالحالي التى كأنها حال رسول ترك وحيداً في سبيل خطر .

٤) شوقًا لحبيبى ذي الضفيرة التى طولها قدر باع ، وقد صوره الله سبحانه (فتح باب الشبابيك) !

٥) سميها ذلك الشيء العالى المرتفع ، أيا من يعرف الشِّعر من سمي تلك ؟[٣٩٦]

٦) إن خطيبها ذلك الذى انطلق مع أوائل الإبل ليرعاها ، وهو لايرعى إلا في الرياض ذات العشب النضر الكثير .

٧) وقـد تركني رعـاة الغنم والمعـز والإبل التى تحـمل على مُتُونِهَا الحُدْبِ الزينات ذات الشكل المخروطي .

٨) كـالنسـور التى تضع ذيولهـا على ضـفـاف غـدير ، وأنا الذى أجلس هنا خلفهم عن بعد .

٩) فلست مع جـالبى الطعـام ، ولا مع الرعـاة ، ولا أتسلى إلا بالقـفـز مع الأطفال ، وهم يلعبون في الطين .

١٠) لكن ، يا الله ! ، يامن هو عال ومرتفع ، أدعوك أن تفرج هَمَّ من قُدِّرَ عليه معاناة الضيق .

١١) إنى لا أقـوى على القيـام على قـدمي ، وأتحدث كـإنسـان وأشـتـاق لبني الإنسان .

الشـاعـر هو يوسف بن مْجَيد . وكـانت مهنتـه سوق الغنم والمعز بالإضـافـة إلى الأظعـان التى تحمل الأقـمشة الفارسيـة من العراق إلى الشـام . وبينما كـان ، ذات مـرة ، في رحلة عـبـر شمـال غـربي تدمـر اعـتل اعـتـلالاً خَطِراً ، فـاضـطر إلى الإقامة في بيت بدوي من عشيرة (الْحْسِنِهْ) قـوم ابن مِلْحِم . وقـد مضى رفاقه في رحلتـهم تاركـيـه خلفـهم . ولإحـسـاسـه بالإهمـال ، وقـد عـذبه الألم ، فـاضت قريحته بهذه القصيدة التى تلاها عليٌّ بليهان بن مصرب .

البيت -١- : عَاعَى ، أذن " الديك " .

البـيـت -٢- : يَشْظَاني راسي " تعنى مـا تعنيـه عـبـارة " يوجـعني راسي " أى " يؤلمنى رأسي " . السّوَاهِيج : الممرات التى ينتـشر بواسطتها السم أى العروق والشرايين .

البـيـت -٣- : السـاعي : المبـعـوث الذى يمتطى بعـيـراً قـاطعًا البـراري التى بين دمشق وهيت وحده .

البـيـت -٤- : باب الشِّبابيك : بوابة السـوق المحـاط بالأسـوار التى تفـتح عليـهـا

شبابيك أكشاك البيع . يحفظ الله أرباح التجار أو يمحقها - فهو لذلك يفتح بوابة سوقهم ، ويصبغ وجه حبيبة الشاعر بالجمال .

البيت -٥- : عارْفِين القاف : هم الرجال الخبيرون بقيافة الأثر ، سواء كان أثر إنسان أو حيوان ، وبمعرفة سن صاحب الأثر ، وهل هى آثار إبل من إبل النفود أم من إبل الحرة[٣٩٧] . لقد كان اسم المحبوبة رمحه .

البيت -٧- : يَتْحِي ، أو : يْتَاحي : يدعو الشاء أو المعز ، بقول : اتْحِي ، أو : تْحَا . المِسَابِيق : هي ، كما قيل لى ، زينات مخروطية الشكل ، يصل علوها أحيانًا إلى نصف متر ، وتؤلف الجزء الأخير من رَحْل الحَمْل . وحين تظهر على الأفق ظهور الرواحل التى تقطع سهلاً شاسع الأنحاء ، تشبه هذه الزينات ، في ليلة صافية ، النسور الواقفة .

١. يا راكبٍ حمرا من الهجن مهذاب	جذعية قطــع الفيافي مناهــــا
٢. ياتقل ربدا عانقت راس مرقــاب	كن الضــواري تِنْهَشَهْ مــع قفاها
٣. الياتونت بس هـــــوزه بمشعاب	مادنق الرقـــــــاع يرقع حذاهــا
٤. مر باعها بمفــرع الهري وصـواب	ليما تكامــل شحمها بيقــــراهـا
٥. فوقها غـــلام مايحسب للاجناب	صقار بعوداللجـــــــاوي جداهـا
٦. ركبتها من ديرة الشــــــام جلاب	أبيع على اللى ثمنه واشـــــتراهـا
٧. تلفي لابو صلفيق ضد للاجنــاب	عوق الردوم اللــــــى تطرق ذراها
٨. سكر عسل حلو على الكبد لو ذاب	سم على كبد المعادي ســــــقاهـا
٩. سبع السباع الفرز للحكـم دولاب	لو اعظمت كــثر الدواعي قضاها
١٠. لوهو على النهرين والشط والزاب	ولا على كـــنزين مالٍ فَنَاهــــا
١١. ترى الثلاث اللى تقولون بذيــاب	ترى الثـــلاثة عند فارس حـواها
١٢. غاب النجم وسهيل والجدي ماغاب	فارس على كل الجـــزيرة غطاها

١٣. من فوق شقراً صدرها كنه الباب شلفـــاه من دم المعادي سقـــاها
١٤. صفوق عقب لـه صيارم للاجنـاب صـــواقع من عقب عمشا زماها

معنى الأبيات :

١) أيا راكبًا ناقة حمراء سريعة الخطى ، جذعة ، مناها قطع الفيافي .
٢) ما أشبهها بنعامةٍ صعدت إلى رأس تل . كأن الوحوش الضارياتِ تنهش مؤخّرها فتمعن في الهرب !
٣) وإن فتر سيرها فما عليك إلا أن تومىء إليها بعصًا .. ولم يسبق أن خفض الإسكافوأسه ليرقع ما بخفيها من حفى (أى ليس بهما حفى).
٤) تقضى فصل الربيع حيث يبدو (الهِرْي) و (الصّواب) ، إلى أن يَسْتَتِمَّ تراكم الشحم في قَرَاها (ظهرها) .
٥) وعليها غلام لا يبالي بالأجانب[٣٩٨] إنه أنا ، صقار ، أسوقها بعصا من شجر اللوز .
٦) ركبتها من بلاد الشام جالبًا بضاعتي ، وأبيعها من يدفع ثمنًا مناسبًا .
٧) ثم تحل [الناقة] على أبي صَلْفِيق ، وهو عدو للأجانب [المعادين] .. جزار النوق التى لا تكاد ، لسمنها ، تقوى على الحراك (التى تهتز أسنمتها لكثرة ماعليها من شحم) .
٨) إنه سكر .. بل عسل .. إذا ذاب على البطن ، وهو سم يسقي كبد العدو.
٩) سبع السباع ، وهو في إدارة الحكم كالدولاب (عجلة الطحن) ومهما عظمت الدعاوى فسيحلها .
١٠) لو أقام على النهرين أو الشط (الفرات) أو الزّاب أو على كنزي مال لأفناها .
١١) إن الفضائل الثلاث المنسوبة لذياب كُلّها قد حازها فارس !

١٢) غربت النجوم وسهيل .. أما الجدى فما غَرَبَ .. وهكذا فارس يشرق على الجزيرة كلها .

١٣) وإذا امتطى صهوة فرس شقراء صدرها كالباب سَعَةً .. سقى رمحه من دم العدو .

١٤) خلف (صْفُوْق) أسيافًا باترةً تُسَلُّ على العدو .. صواعق وَلَدَتْهُم (عَمْشَا) رمى بها جبروت الأعداء .

كان الشاعر (صقّار) وهو مواطن من أهل مستوطنة الكُبَيسة ، يعمل بائعًا متجولاً بين فرع من قبيلة شمر كان نازلاً بين الفرات الأوسط ودجلة ، وكان مجيره هو الشيخ فارس الجربا (من عائلة الجربا الحاكمة) . كان اسم أبى الشيخ (صْفُوق) ، واسم أمه (عَمْشَا) ، وكان الأب والابن كلاهما يمقتان الأجانب الأتراك مقتًا شديداً من جراء المظالم التى عانياها من حاكم الموصل .

يفخر صَقّار ، في القصيدة المدونة أعلاه ، بنفسه ، ويمجد شأن (فارس).

راوِيتا القصيدة هما محمد القضيب وحمار أبو عواد .

البيت -٣- : هَوزَهْ : بدلاً من هَزّ : (فعل أمر من هَزَّ يَهُزّ)[٣٩٩] .

يغطي أخفاف بعض الإبل جلد رقيق جداً .. فإذا سارت طويلاً في دروب صخرية ، ولاسيما في الأماكن البركانية التى تغطيها قطع حادة من الحمم ، فإن جلد الخفاف يمسى مغطى ببقع صلبة أو خدوش حتى أن الدم ليسيل مع كل خطوة. وحين يتكلم الرولة عن بعير في هذه الحال يستخدمون الفعل " حَفَتْ " ، ويعنى " أصبحت متجردة الخف ، فهى تسير حافية القدمين " . ولكى يمنع الراكب خسران ناقته الدم ، فإنه يعمد إلى جلد بعيرٍ متين فيقطع منه قطعة في مثل حجم منسم الناقة ، ويرقع بها الخف الجريح ، وتحاول الناقة التخلص من هذه النعل غير المريحة فتحكها بالصخور ، وغالبًا ما قطعت الخياطة ، التى لابد أن تعاد في الحال ، مما يسبب للراكب نَصَبًا جَمًّا وتأخيراً (انظر كتاب " شمال

الحجاز " نيويورك ، ١٩٢٦ ، ص ص ١٩٤ - ١٩٦) .

البيت -٤- : " الهِرِي " و " الصّوَاب " : واديان في الجزء الشمالي الشرقي من صحراء الحماد .

البيت -٥- : عود اللّجَاوي : عصا تُصْنَع من غصن شجرة لوز .

البيت -٧- : صَلْفِيق : ابن لفارس . عَوق الرّدُوم : عبارة شاعرية . " الرّدُوم " هنا تعنى " النوق التى لاتكاد تتحرك لسمنها " .

البيت -٩- : عاش فارس على خلاف دائم مع الحكومة التركية ، رافضًا الاعتراف بدعاواها ، محطمًا إياها تحطيم الطاحون .

البيت -١١- : كان ذياب بن غانم شهيراً بِجَسَارته (فَرْسِه) وكرمه ، وعقله . وقد أكسبته هذه الصفات الثلاث الحميدة لقب " صاحب الْمَرْوَّة " التى قد تعنى أنه " معروف بحصافته " ، أو " جنتلمان " .

البيت -١٢- : ليس فى وُسْعِ الراكب في الصحراء أن يهتدي ليلاً بالنجوم التى تسير فيتغير مكانها . أما الجدي ، لأنه يكاد يكون واقفًا ، فهو أوثق قائد للمسافر .

البيت -١٤- : صْوَاقِع : صواعق ، نيازك تحطم كل شىء تقع عليه .

الرقيـــق

لا يملك الأرقاء الشيوخ وحسب ، بل والبدو الاعتياديون أيضًا . وليس بالإمكان بعد الآن شراء العبيد البالغين ، لكن الأطفال الزنوج الصغار مافتئوا ، على أية حال ، يجلبون من نجد ويعرضون للبيع . (................)[٤٠٠] .

وليس ثَمَّةَ زنجي مملوك لسيده [ملكًا تامًا] ، لأنه لا يُبَاع أو يقتل ، كما أن له أن يختار سيداً آخر . وفي العادة ، يظل العبيد ، على أية حال ، مع

الأسرة عينها ، ولا يستبدلون بها غيرها (من جدودهم) .

ولكل عبد متزوج بيته الخاص وإبله وأسلحته. فقد أعطاه سيده ذلك كله ، وعليه أن يرد إليه كل شيء إن أراد تركه ، وحتى كسوة العبد يوفرها له السيد . ويعيش العبيد في بيت الأمير أو الشيخ الكبير عيشة لا يكدرها مكدر . وإن لم تَحْرِس المؤنَ أُمُّ سيدهم أو زَوْجُهُ حراسة تامة ، مدوا أيديهم متى شاء وا إليها فطبخوا وشووا وقلوا في بيتوهم دون إعارة بالٍ لأن يبقى للأمير أو الشيخ شيء . وإذا فرغت الْمُؤَن قالوا ، ببساطة ، : " نحن جائعون " ، وعلى السيد أن يملأ خزانته من جديد .

وإن أقام الشيخ وليمة لأضيافٍ ، أكل العبيد السؤر كله ، فيبيت الشيخ الطوى .

ويتجنب العبيد العمل ما أمكن ذلك . وإن لم يتفقد السيد نفسه العمل ويَسْتَيْقن من إنجازه ، ظلوا متكئين بهدوء على رحال إبله ، مدخنين تبْغَهُ ، وشاربين قهوته . وعملهم الأساسي سقي الإبل . فإن كان للشيخ قطيع كبير من الإبل البيض (المغاتير) ، وقطيع من الرواحل (الزمل) ، بالإضافة إلى قطيعين أو ثلاثة من النياق ، فإنهم غالبًا يستخرجون ماء للحيوانات طوال ليلتين ويوم ، أو يومين وليلة ، ولا سيما إن كان الشيخ حاضراً .

ويقوم العبيد بتحميل الإمدادات ، وإنزال الأحمال ، وقيادة الإبل المحملة ، كما يعينون النساء على إنزال الأحمال ، والتحميل والنقل ، وضرب بيوت الشعر ، لكنهم يقومون بذلك حين يكونون خائفين من السيد . وإن علموا ، على أية حال ، أنه مغاضب لنِسائِهِ وقفوا معه في الحال ، ولم يحركوا ساكنًا البتة لعمل أي شيء للنساء . وهم لا يعملون طوعًا ما لم يتوقعوا أن ينتفعوا من عملهم . وحين يحل أضيافٌ جدد ، فإن وداعة العبيد ورقتهم لا حدود لها . لكن إن لم ينفحهم الضيف عند رحيله بشيء من المال ، فلن يعيروه بالاً إذا جاء

ثانية . وهم حريصون على الاشتراك في الغارات ، وهدفهم الأساسي ، لا شك ، النهب . وكل ما يستولي عليه العبد من خيلٍ يجب أن يسلم لسيده ،الذى عليه ، على أي حال ، أن يَهَبَ العبد بعيراً عن كل حصان ، كما إن نصف ما يغنمه العبد من الإبل لسيده والنصف الآخر له .

ويربي العبيد أبناء الشيخ الصغار ، فَيُصَادِق أولئك الأبناءُ أبناءَ العبيد ، وكل ما يعملونه يتم بمشورة العبيد ومعونتهم . وكثيراً ماكان العبد مؤتمنًا على أسرار حبيبة ابن سيده الأولى ، فيفاوض أهل الفتاة ، وَيَدْفَع عن زوج سيده وأطفاله عند حدوث هياج أو غارة معادية . وغالبًا ماكان ولي الأمر الحق لأيتام سيده الذين يُعِينُهُم أيضًا على استعادة سلطتهم وممتلكاتهم .

وإن تزوجت ابنة السيد في قبيلة أخرى ، رافقها إلى هناك ، عادة ، عبد موثوق به[٤٠١] .

والعبيد أهم مايعتمد عليه الشيخ ، فهم يدفعون عنه ضد أي هجوم مباغت ، وينفذون أي أمر يأمر به ، وعلى ذلك لا أحد يفصل الشيخ أو يقتله بسرعة أو بكثرة أكثر من عبيده أنفسهم .

وفي النزاعات التى تنشب ، في بعض الأحيان ، بين أفراد الأسر الحاكمة يكون القرار بأيدي العبيد ، حتى إن الشيخ الواهن غالبًا لا يكون سوى أداة في أيديهم .

ولكل عبد مكان معين في الحي ، قد خصص له ليقيم فيه ، ويحيط العبيد ببيت سيدهم من كل جوانبه ، وبهذه الطريقة يمنعون دخول الأضياف غير المرغوب فيهم . ومن يريد أن ينجح شأنه مع الشيخ عليه أن يكسب تأييد كبير العبيد أولاً . وهذا العبد لا يعارض سيده أبداً ، لكنه ، عمومًا ، يرتب الأمور على نحو يجعل الشيخ ليس بوسعه ، في نهاية المطاف ، إلا الموافقة على أي شيء أراده العبيد . ويدعو العبيد سيدهم " عمهم " ، مدعين أنهم أبناء عم

لأهله[٤٠٢]. ويستخدم العبد فعل الأمر " سَمّ " أى : " اذكُر " أو " اطْلُبْ "[٤٠٣] ، كما يستخدمه المغير وحتى البدوي إذا دعاه سيده أو شيخه ، وهى دعوة للسيد لإبداء رغبته أو طلبه .

وللعبيد ، فيما بينهم أهل كالبدو ، ويُكَوِّنون العلاقات الزوجية دون إبداء أية مبالاة بسيدهم ، والشيء الضروري ، في هذه الحالة ، هو موافقة أهلهم.

وليس للسيد الحق في اختيار زوج لعبده ، أو في إبعادها عنه .

وهم يأخذون بالثأر بالقتل والاغتيال لا بين أنفسهم وحسب ، ولكن من البدو الأحرار أيضًا . والسيد الذى يقتل عبده يعرض نفسه لاقتصاص أهله ، وعليه دفع الدية . وإن أبى وضع المطالبون بالدم أنفسهم تحت حماية عبد أكثر قوة ، ويكون عادة عبد الشيخ الرئيسي ، الذى يجبر البدو على إعانته لإخضاع الجاني . وللعبد أن يطارد [الجاني] أو أن يحميه (لِهْ وَجْهْ يْعَدِّي وِيْسَدِّي) كما لسيده . ومن يؤذ (دخيلَه) أو من تحت حمايته لا يجر على نفسه عداوة العبد وحده بل وأهله عن بكرة أبيهم ، وسيد العبد أيضًا ، الذى يجب أن يساند العبد ليخيم السلم والهدوء على البيت ، وينال [السيد] وسائل راحته الاعتيادية .

وبالرغم من هذا ، فمهما كان العبد قوي السلطان لا يمكنه أبداً أن يتزوج ابنة بدوي حتى إن كان أفقر الناس . ومن ناحية أخرى ، فإن أخفض الرعاة شأنًا لن يدور بخلده أن يتزوج ابنة عبد لأن كل بدوي (حر) ، ويظل العبد عبداً إلى الأبد . وحتى أبناء القبائل المُزْدَرَاة أَشَدَّ ازْدِرَاء[٤٠٤] لا يقبلون أن يتزوجوا جارية، فهم ، على نحو ما ، جميعًا أحرار بالرغم من المقام غير المرموق الذى يحتلونه ، ويظل العبد عبداً مهما كانت قوة سلطانه . ولا يدخل في علاقات تؤثر في الدم مع العبيد سوى أبناء الحدادين البيض (الصنّاع) وبناتهم . وإن تزوج عبد أسود فتاة بيضاء ، ابنة (صانع) ، ثم تزوج ابنها أيضًا ابنة (صانع) مرة أخرى ،

فإن الجيل الثالث والرابع من هذه الذرية يكون أبيض تمامًا ، ومع هذا لا يمسون (أحراراً) ، بل يظلون دائمًا (عبيداً) . وفي المستوطنات ، وبخاصة الأقاليم المزروعة ، ينسى أصل أمثال هؤلاء البيض في بعض الأحايين ، أما لدى بدو البر فلا ينسى أبداً .

تجار الجملة ووكلاؤهم عْقَيل

لأن الرولة منشغلون بتربية الإبل دون سواها تقريبًا ، فإنهم لا يحصلون على الحبوب ، والقماش ، والسلاح ، والرحال ، وضروريات الحياة الأخرى ، إلا بمقايضتها بالإبل . ولايكاد يشتري ما يبيعونه من إبل ، سواء في البر الداخلي أو في الأماكن المأهولة ، إلا تجار الجملة نفسهم الذين يسكنون في المدن الكِبَار على حدود بلاد العرب ، وفي مصر والهند . وأشهر هؤلاء أسرة ابن بسام ، من مستوطنة بسام[٤٠٥] في القصيم ، فإن لأفرادها بيوتًا تجارية في البصرة وبومبى ، والطائف والقاهرة ودمشق . وهم يصدرون الإبل من بلاد العرب ، ويعملون وكلاء لتوريد البن والتوابل والأرز ، لا بالنقل البحرى أو سكة الحديد وحسب ، بل وبالرواحلمن الإبل أيضًا . وهم يمدون البدو بالأسلحة . وليس ثمة مستوطنةٌ كبيرة في بلاد العرب الداخلية لا وكيل لابن بسام فيها . وأسرة آل سالم ، أيضًا ، تزاول الآن بيع الإبل وشراءهادون أي عمل آخر تقريبًا . وينحدر هؤلاء التجار من الدرعية ، لكنهم يقيمون في بغداد ودمشق . وقد أعان بعض أفراد هذه الأسرة ذات يوم أمراء أسرة آل سعود الوهابيين[٤٠٦] بالمال ، وحتى الآن لهم أصدقاء كُثْرٌ في نجد . والجماعة الثالثة التى تعمل في تجارة الإبل - وفي الألبسة أيضًا - أسرة آل عيسى ، ويقيمون في دمشق ، ويتاجرون بصفة رئيسة مع قبيلتى عَنْزِهْ والْحوَيطات .

ولا يكاد تجار الجملة يزورون بلاد العرب الداخلية أبدا ، فلهم وسطاؤهم الذين يتسلمون منهم مالاً للتعامل به عنهم . وهؤلاء الوسطاء أو الوكلاء جميعًا من أهل القصيم ، ويقال لهم " عقْيل " سواء كانوا من القبيلة المسماة بذلك الاسم أو لا . يأخذ الوسيط (العقيلي) مالاً من تاجر الجملة ليبتاع به إبلاً من قبيلة بعينها ، فيسوق الحيوانات التى ابتاعها إلى مصر أو البصرة بحيث يأخذ الأخير ثلثيه أو نصفه . وإن اتفقا على أن يكون نصيب تاجر الجملة ثلثي الربح ، فعليه أن يتحمل مُجْمل الخسارة التى قد تنتج عن الصفقة ، وفي الحالة الأخرى يشترك في الخسارة بالتساوي . ولإيضاح ذلك ، ينبغى القول بأن طلب الإبل ليس دائمًا على وتيرة واحدة ، فغالبًا ماكانت الأسعار في مصر والبصرة ترتفع بغتةً ، فيعلم البدو بذلك فيرفعون أسعار إبلهم أيضًا فيضطر الوسيط ، أو المتوقِّع ، كما قد يسمى ، إلى أن يشتري بسعر مرتفع ، لكن حين يجلب الإبل إلى السوق قد يكون السعر قد انخفض فيضطر إلى البيع بخسارة .

ويستأجر مثل هذا الوكيل (الْعقَيلي) مساعدين ، عادة مواطنيه من القصيم ، ويتزود بخيام خِفَافٍ وبُنٍّ وأرز ، وغالبًا أيضًا بأسلحة للبيع والمقايضة ، ويمضى ومعه رسائل تزكية لأمير القبيلة التى يريد الابتياع منها ، أو شيخها ، وبعد تسليمه الرسائل والهدايا التى أرسلها تاجر الجملة لأولئك الوجهاء ينصب خيامه إما في معسكر الأمير أو ، إن سمح له ، في معسكر أحد الشيوخ .

وشيخ المخيم الذى نصب التاجر فيه خيامه هو مضيفه (معزبه) أيضًا فيما يتعلق بحمايته كضيف ، لكنه لا يطعمه أو يؤويه ، فيأتى البدو بإبلهم إلى خيامه ويبيعونها عادة بثمن نقد . ويبيعونها مقايضة ببضائع في حالة ما إذا كان التاجر قد جلب معه أسلحة وذخيرة من الكويت أو العقير فقط . وللأمير أو الشيخ نصف مجيدية أو مجيدية واحدة (٤٥ . ٠ من الدولار ، أو

٩٠ , ٠ من الدولار) عن كل بعير يباع . ثم يوسم البعير المبتاع عندئذ بسمة عقيل (وسم عقيل) ويترك ليرعى مع غيره في القطيع . ويستأجر (العقيلي) شبانًا من القبيلة التى يشترى منها ليكونوا رعاة له إبان ذلك . وكثير من الرعاة يرافقون (الْعُقَيلي) إلى أماكن بعيدة مثل مصر . وعند عودتهم يطفَقون يتحدثون عن العجائب التى شاهدوها أو تعلموها في رحلتهم . فإن اشترى العقيلي إبلاً في البر الداخلي مكث مع القطعان المبتاعة أسابيع عديدة ، أو حتى شهوراً ، مع القبيلة نفسها ، منتظراً انتقالها إلى المناطق المأهولة ، أي في آخر يونية ، في الغالب . وإن اشترى من القبائل التى لا تبرح البر الداخلي أبداً فإنه يسوق ما اشتراه من قطعان من قبيلة إلى أخرى ، إلى أن يصل إلى عشيرة من قبيلة يكون من عادتها ، غالبًا ، أن تنتقل إلى المناطق الزراعية في مايو أو يونية لكى تتزود بالميرة لمدة مقامها في البر .

وعند الوصول إلى حد الصحراء يمضي العقيلي إلى أقرب مدينة كبيرة يكون فيها أسواق للإبل ، فإن أمكنه بيع حيواناته هنالك بيعًا مربحًا فعل ذلك وعاد من حيث أتى إلى القبيلة التى جاء منها ، واشترى مرة أخرى إبلاً . أما إن غلب على ظنه أن سيربح في مصر ربحًا أوفر ، فإنه يشترى ما يستطيع من الباعة الذين يصادفهم في المدينة ثم يمضي في رحلته إلى مصر .

وقد تتعرض القطعان التابعة لعقيل للسلب على أيدي مغيرين غرباء ، تمامًا كقطعان أفراد القبيلة التى يصادف مرورهم بها ، ولذلك فإن لعقيل في كل عشيرة كبيرة أخاهم الذى يدفعون له (يِخْيِه) من أربع ليرات تركية إلى خمس (١٨ دولاراً إلى ٥٠ , ٢٢ من الدولار) ، وراحلة جيدة ، وعباءتين أو ثلاثًا حسنة الشكل . وهذا الأخ ملزم بأن يعيد إليهم كل بعير يسرقه فرد من عشيرته.

ولِعُقَيل إخوة لدى الرولة وولد علي في الأفخاذ التالية : ابن مشهور ،

وابن دِرْعـــان ، وابـن جَنْدَل ، وابن مْجَيــد ، وابـن معْجِل ، وابـن حَمَد الوِلْدْعـي أو الوَهْبي (الولدعي : نسبة إلى ولد علي ، ويسمون أيضًا بني وهب) .

وإن جلب الرولة ، في إحدى غاراتهم إبلاً عليها سمة عقيل (وسمهم) ، وليس ثمة عقيلي مقيم معهم ، ساق الأخ هذه الإبل وأدخلها مع قطيعه ، وانتظر إلى أن يأتى عقيلى ليطالب بها . وهكذا ترعى عين الأخ عقيلاً حتى في غيابهم (عينِهْ وَرَاهُم) .

الحَـــدَّادون

يرى الرولة ، أن الله خلق من أول بدوي أول حـداد (صـانع : والجـمع صنَّاع) أيضًا . ولكل حي وكل مستوطنة في بلاد العرب الداخلية حداده الذى يعمل للقبيلة أو الواحة كلها . وغالبًا ماكانت عائلة الحداد تقيم مع العشيرة الواحدة مذ زمان موغل في القدم ، وعلى ذلك لا تضمها العشيرة إليها لأن (الصناع) يظلون غرباء إلى الأبد . ويؤلف الحدادون وحدة قرابة فيما بينهم ، وحدادو الرولة أقرباء (بني عم) لحدادي بلاد العرب جميعًا . ولا يكاد أسلوبهم في العيش يختلف عن أسلوب البدو أو الحضر . وهم عرضة لدعاوى الثأر فيما بينهم ، لكنهم لا يحاربون بتاتًا ، ولا يشاركون في الغارات حتى كحلفاء للبدو . وفي أثناء الهجوم على الحي الذى فيه بيوتهم يمضون في عملهم دون مبالاة بما يحدث ، ولا يدافعون عن أنفسهم ولا عن جيرانهم ، لأن لهم أخاهم في كل قبيلة ، وواجب ذلك الأخ إعادة أي شيء يسرقه منهم أحد أفراد قبيلته .

ويكون أخو (الصِّنَّاع) عند الرولة من آل مِجْوَل . وإذا آذى بدوي حداداً أى لون من الأذى ، فإن الأخير يشكوه إلى ابن مِجْوَل الذى عليه أن يرفع عنه الأذى ، ويعيد الأمور إلى نصابها . وإن جاء المغيرون بإبلٍ مع ما غنموه عليها

سمة الصنّاع (وَسْمِهُمْ) أخذها أخوهم جميعًا وضمها إلى قطيعه ، وأرسل إلى حدادي القبيلة المغار عليها قائلاً : " إبلكم لدى " . ثم يأتون ، ويعزلون إبلهم عن غيرها ، وينطلقون بها إلى بلادهم . فإن وجدت مع إبل الصناع إبل عليها سمة قبيلة الأخ فإنه يعيدها لقبيلته . ويحتفظ الأخ لقاء (أتعابه) بكل خامسة خمس من الإبل ، بالإضافة إلى تلك التى لم يأت أحد من الحدادين للتعرف عليها وتسلمها .

ولا يقوم الصانع بإنعال الخيل فحسب ، بل يصلح البندقيات والخناجر وغيرها . ويصنع ، في الغالب ،بندقيات جديدة ، وسيوفًا ورماحًا جيدة الصنع ، لأن ثمة كثيراً من المتخصصين المهرة في هذه المهنة . وهو لا يطلب أجراً لإنعال حصان ، فأجرته ناقة عمرها سنتان (حِقَّةْ) عن كل حصان يُغْنَم ، وكل سُرُجِ الخيل التى يؤتى بها من الغارات ، فيبيعها حينئذ ويأخذ ثمنها حقًا له .

وحين يحوز البدو المؤن من الحبوب في الأراضي المزروعة لاستهلاكها في البر الداخلي ، يطلب الحداد مجيدية واحدة (٠.٩٠) من الدولار عن كل رأس من الخيل ليشتري بالمال مؤونة . وأي شخص ينحر بعيراً عليه أن يهب للحداد كل مصرانه وعظام ساقيه .

ولا يفكر بدوي ، حتى إن كان من القبائل المحتقرة[٤٠٧] ، بالتزوج من ابنة حداد ، ولا يزوج ابنته حداداً ، لأن (الصانع) ، على أنه أبيض ، ليس (حراً).

الفصل العاشر

الشِّعــــر

*   الشعراء وقول الشعر   *

الرولة مولعون بالاستماع إلى القصائد وتلاوتها ونظمها . ويسمى بيت الشعر (قاف) ، ويتألف عادة من نصفين الأول (نُصّ القاف) والثاني ، الذى يكون دائمًا على روى واحد ، (آخر القاف) لكونه (القاف التالي) . ويقول الشاعر عن نفسه : (قلت قصيدة ، قَصَدْت) ، أو : (قلت القصيدة) . وأحيانًا لا يقول الشاعر إنه نظم قصيدة (قصد) ، بل يكتفى بالقول بأنه تلفظ بقصيدة (قال قصيدة) . ويقول الحاضرون للشاعر : اتل علينا قصيدتك (إبْدَهَا علينا) . وإن جاء شاعر متكسب إلى شيخ ، وكان ناظمًا قصيدة في مدحه ، فإنه يبادره قائلاً : " لديَّ كُلَيْمَاتٌ أود إبداءها لك ياطويل العمر " (عندى كْلَيَمات أَبْغِي إِبْدِيها عليك يا طويل العمر) . فيجيبه : (هاتَهَا) ، فيبدأ الشاعر في تلاوة قصيدته بصوت أغَنّ ، متلفظًا الكلمات الأولى بدون اعتناء بها ، ثم مبتلعًا نصف الكلمات التى بعدها ، وناطقًا الكلمات بصوت عال متكلف . فإن أعجب الشيخ بالقصيدة نال صاحبها جائزة .

والشعراء المتكسبون بالشِّعر لا ينظر إليهم نظرة إكبار ، فيلامون لجشعهم ، ولتَحَاشيهِم الصدق ، إذ يمدحون الأنذال من أجل مكافأة ، ولأنهم يكذبون ويسرقون ، يسرقون أفكار غيرهم وعباراتهم ، بل وأبياتهم الكاملة ، وغالبًا ما حدث أن هاجم السامعون شاعراً بقولهم : " إنك لَكَاذب ! فقد سرقته من فلان " ، فيدفع الشاعر عن نفسه ، داعيًا آخرين ليشهدوا لصالحه ، لكن ثقة

سامعيه تكون قد نزعت ، ويقولون : إنه شاعر كذاب (قَصَّادْ كَذَّابْ) . وإذا علم شاعر أن شعره أو بعض أبياته قد نحلها شخص آخر ، رفع ضده دعوى إلى الشيوخ ، أو حتى المحاكم ، لكنهم يأبون جميعًا أن يعيروه أذنًا صاغية ، لأن الشاعر لا يوثق به . وحين يسمع البدو قصيدة جديدة يسألون : لمن هذه ؟ .

ولا تكتب القصيدة إلا نادراً ، إذ يحفظها أصدقاء الشاعر عادة ، عن ظهر قلب ، ويتعلمها منهم غيرهم . ويعرف كل بدوي عدداً من القصائد ، لكنه لا يكاد أبداً يعرف قصيدة منها بتمامها ، وهو يروى في العادة من ستة أبيات إلى عشرة ، ثم يقول إن أحداً غيره ربما عرف الباقي . وحيث إن كل قصيدة طويلة لابد أن تجمع تدريجيًا من عدد من الرجال ، فإن ترتيب الأبيات المفردة نادراً ما أمكن الوصول إليه بدقة . وإذا كان بدويان يعرفان أبياتًا بعينها من قصيدة واحدة ، فإنهما لا يتلوانها أبداً على النحو نفسه تمامًا ، بل يغيران الكلمات الأصلية ، وأحيانًا أبياتًا بِرُمَّتها ، وتكون هذه التغييرات في بعض الأحايين ، تحسينات أجراها الشاعر نفسه ، لكن اللوم يقع ، في معظم الحالات، على صحابه غير الواعين أو غير المُبَالين . وغالبًا ما تَنَازَعَ البدو حول الكلمات الأصلية للأبيات ، وكثيراً ماكانوا يسألون الشاعر نفسه عن ذلك ، لكن حتى هو لا يكون دائمًا متيقنًا تيقنًا تامًا . وغالبًا ماكان يُصِرُّ على أن بيتًا كانت كلماته في بادىء الأمر كيت وكيت ، لكن أصدقاءه يخالفونه الرأى .. مما يجعله يهتف بأن الروايات كلها جيدة وأصيلة . ثم ينهي كلامه برد الأمر إلى الله العالم بكل شيء . وبعد سماعي هذا الجواب من عدد من الشعراء توقفت عن البحث عن اللفظ الأصلي لأن تلك المهمة ما هي ببالغة الصعوبة وحسب ، بل عديمة الجدوى تمامًا . وفي أحايين أخر ، ألفيت الشاعر نفسه لا يكاد يعرف سوى الأبيات القليلة الأولى من قصيدته هو ، وقد نسي باقي الأبيات ، وكان سعيداً لأن أصحابه تذكروا أبياتًا أكثر مما تذكر .

ولا يسير في الآفاق ويبقى في الذاكرة سوى القصائد التى تعالج موضوعات تهم الجميع ، في حين لا يتلو القصائد التى تصف حالات خاصة إلا الأشخاص المهتمون بالأمر ، وحين يتوفى أولئك الأشخاص تتيه تلك القصائد في عالم النسيان .

وكون البدو ذوي مواهب شاعرية شأن لا يمكن إنكاره ، فهم يجدون إنشاء الأهازيج والأغانى على اختلاف أنواعها سهلاً كاللعب ، ولا يترددون حتى في قول القصائد الطِّوال ، ويرون أيضًا أن الكلمات التى تُكَوِّن القصيدة يجب أن تكون غير اعتيادية ، وألا تكون من الكلمات التى تسمع في الحياة اليومية العامة . وكلما ازداد عدد الكلمات غير المألوفة التى يتمكن البدوي من تضمينها قصيدته ، أضحت في نظره أحسن ، ولذلك يراجع الشاعر كل بيت مراجعة مجهدة جداً ، ويكرره عدة مرات ، مستبدلاً ببعض الكلمات غيرها ، ومستشيراً رفقاءه قبل أن ينتج قصيدته .

ويشرح الرويلي سبب أصل كل قصيدة أو مناسبتها ، ويرى أن ثمة حافزاً دفع الشاعر لإنشائها ، وغالبًا ما كَوَّن رأيه الخاص عن أصل بعض القصائد القديمة اعتماداً على مضمون أبياتها فقط ، ويكون متوطد الثقة بأنه غير مخطىء ، وعلى ذلك ، فلا أحد ، عدا الشاعر نفسه ، يستطيع الإخبار بما دعاه لإنشائها .

قصائد بدوية

أذكر فيما يلى قصائد للرولة وغيرهم ممن يقيمون معهم . وقد تولى الشعراء ، في بعض الحالات ، بأنفسهم شرح قصائدهم لي :

عويل رجل ذي جَدٍّ متعثر :

١. ياراكـــب اللي مالهجها الجنين	حمرا تشوق اللى على الدو صبار
٢. ترعى من الشامه ليم الشنــــين	اليما غدا فوق الاباهر تقل طـــار
٣. يغدي العمـــاس قرانها والذّمال	وركابها مـــا مل من كثر الانشار
٤. تلفـــي لابوبيدر من الغـــانمين	بقرايـــض ماحافها كل فشـــــار
٥. أقشـــر ماعندي نهار الظعـــين	كيــف الزمايل بـــس ثنتين وحوار
٦. بلكي يغدي من شطـــون تجيـني	عبي السبيل وحط بالعظم لي نـار
٧. عـــزي لْمِنْ مثلي عـــدوه بطيني	لاهو مشاورني ولايطيع الاشـــوار
٨. ياالله طلبتك قارعات الحنــــين	بمعاقـــب البدوان ورد وصـــــدار
٩. حتى ان افرح اليا المسير يجيني	يازين من خلـــــوه والجيش طيار

معنى الأبيات :

١) ياراكبًا ناقة لم يسبق أن رضعها ولد (أى بكرة لم يسبق أن ولدت) ، حمراء اللون ، يشتاق لركوبها كل من اعتاد تحمل الظعن والسفر في البيداء .

٢) ترعى فـيـمــا بين (الشّامــه) و (الشِّنين) ، إلى أن بات على مـقـدمـة ظهرها شيء مرتفع كجانب جرف عميق عال (أى من الشحم لسمنها حيث ترعى في مكان مخصب) .

٣) إن وخـيــدها وذملهـا (سـيـرها السـريع) يطردان النوم(٤٠٨) (عن عـيـني راكبها) الذى لا يسأم ركوبها مهما كثرت غاراته عليها .

٤) ثم تصل إلى أبى بيدر وهو رجل كريم ، من الغـانمين المفلحين من الرجال ، بأبيات من الشعر ، لم يلقها ثرثار كذوب .

٥) إن أسـوأ يوم ، في نظري ، يوم الرحـيـل ، إذ ليـس لَدَيَّ من الرواحل سـوى اثنتين وحُوَارٍ صغير .

٦) فاملأ إذن غليونى الصغير (سبيلي) ، وضع في جوفه العَظْمِيِّ جمراً فلعله يسلينى من هموم تَنْتابنى .

٧) إنى لأرثي لمن هو مثلي حيث أحمل عدوي في جوفى ، فلا هو يستشيرنى فيما يريد عمله ، ولا هو يستمع لنصحى .

٨) يا الله ! ، انى أسألك أن تمنحني نوقًا يُرَجِّعْنَ الحنين ، لكى يَكُنَّ مع البدو واردات الماءَ ، وصادرات عنه .

٩) لكي استطيع إبداء السرور إذا جاءنى زائر ، يا ملجأ من تركه رفاقه [في ساحة المعركة] وَفَرُّوا على ركابهم .

كان عَمْلُوش ابا الُوكَلْ الكويكبى ذا جَدٍّ متعثر ، فإن اشترك في غارة لم يعد منها صفر اليدين فحسب ، بل بعد أن يكون قد خسر ، في العادة ، حتى مطيته . وإن قعد في بيته هوجمت ماشيته ، ونهب بعض إبله . وأخيراً لم يبق له من كل ما يملك خلا راحلتين وحُوَاراً (بعيراً صغيراً في شهره الأول) . كان في تلك المحنة ، إذ فاضت قريحته بهذه القصيدة التى أرسلها للشيخ أبى بيدر (؟) الذى كان عائداً على التو ومعه غنائم كثيرة .

البيت -١- : الجنِين : الحوار قبل ولادته .. لَهَجْهَا : أي الحُوَار ، أي رضعها (٨٠٤ب) .

البيت -٢- : الناقة التى تكون قد رعت جيداً ، وهى تسير في رحلة ، إلى أن سمنت ، أمنية كل رجل ذي أسفار . الشَّامه : هى الإقليم الواقع في شرقي وسط وادي السِّرْحَان . الشَّنِين ، (أو : أم الشَّنِين) : غدير على الطريق من الجوف إلى تيماء . الطَّار : جرف طويل وعال وذو انحدار شديد . ويشبه سنام الناقة السمين من أي جانب نظرت إليها ، بمثل هذا المنحدر .

البيت -٣- : الْقِرَان : خطوة واسعة . الذِّمِيل : عَدْوُ البعير [السريع] . تْذَومِل : معناها كمعنى " تْدَرْهِمْ " : تعدو عدواً سريعًا . وسير الجمل وعدوه

من الهـــدوء والاستواءبحـــيث يُمَكِّنان الراكب من أن يغـــفـــو آمنًا (العَمَاس أو النّعاس) ، وهو لذلك ، لا يسأم وإن كثرت رحلاته الطّوال . أنْشَار : تستعمل " انشــروا " ، في بعض الأحـيــان ، في مكان " امــشــوا " أى " اذهبــوا " أو " امضوا " .

البيت -٤- : الغانمين : هم الرجال الذين يأتون بالغنيمة . نهار الظعين : اليوم الذى يحمل فيه البيت ومحتوياته كافة على الإبل للانتقال إلى منزل آخر .

الظعائن : مجموعات صغيرة من الإبل تحمل ممتلكات البدو (الظاعنين) .

البـيت -٦- : شَطْنِه (والجمع شطون) : فكرة ، هَمٌّ ، أو نبض قلب البدوي (الهواجس اللى بالقلب) . أرسل عملوش توسله إلى الشيخ (أبى بيدر) ثم ظل ينتظر النتيجة ، وخلال ذلك ملا غِلْيُونَهُ القصير (السِّبيل) بالتبغ وصار يدخن ، وحتى هذا الغليون لم يعد مكتملاً . ينحت البدوي ، في العادة ، له مثل هذا الغليون من الحجر الأملس ، وعادة ينكسر صحن الغليون سريعًا فيوصل بعظم .

البـيت -٧- : ظَلّ عَمْلُوش ، وهو يدخن ، يفكر في حَظِّهِ العاثر ، ويتأمل هذا اللغز ، الذى بدا له كما لو كان بنفسه يحمل عدوه في بطنه (بطين) ، فسواء عمل بعد مشورة أو بدونها ، فلا مندوحة من الإخفاق .

البـيت -٨- : والآن ، توجه بالدعاء إلى الله أن يرزقه ناقتين تَحِنَّان حنينًا مؤلًما - أي ناقتين تركتا صغيريهما وراءهما ، وما فتئتا ممتلئتين حليبًا . والنياق التى فصلت عنها صغارها الفطيمة تظل تَحِنُّ طوال الليل والنهار(يِقْرِعْن حَنِينهِنْ) .

وإذا أقام البدو بعيداً عن الماء جعلوا ناقتين تجلبان الماء بصفة مستمرة ، تكون إحداهما صادرة تحمله والأخرى واردة لتأتي به ، وذلك خشية العطش .

المْسَيِّر : إما أن يكون موفداً خاصًا أرسله عَمْلُوش إلى أبي بيدر ، أو بدويًا

يأتي لزيارته مساء ويخبره أنه سيتسلم ناقتين .

رجل سباب يدعى إلى التأكد من أصله هو قبل لوم غيره :

١. يامْكَيِّل الحمـــلات ليتــك تتشبى   عليك من جوف القبايل طـــلابـه

٢. سقـــم عيالك ليت هوشــك يهبى   ريس نور يلعـــب على عرس يابه

٣. لو انت من حصن الرمك ماتشبى   من عذرة الساجور واللى ربى بـــه

٤. يا الهبد يا اللي بالقصـــايد ملبى   تركي لقـــم له لقمة ما اهتنى بـه

٥. يجيك ابو نواف من فــــوق قبا   مع سربة الآذان هم والشـــــيابـه

معنى الأبيات :

١) أيا كائل حملات [اللوم والذم]ليتك تتأكد من نسبك ، فهنالك شكاوى ضدك من وسط القبائل .

٢) احرم أبناءك الصغار الصحة ، ليت نخوتك تنبعث من مرقدها ، إنك شيخ (نور) يلعب في عرس ، يا بابا .

٣) لو كنت من الخيل الرمك [فحول التركمان] لما اتخذت فحلاً ، وحتى لو كنت منحدراً من أكوام السماد التى على ضفاف نهر الساجور أو ممن عاشوا في صغرهم هنالك[٤٠٩] .

٤) يا أيها الهبداني ، يا من زين نفسه بالأشعار ، لقد ابتلع تركي لقمة غير هنيئة .

٥) سيأتيك ابو نواف على فرس ذات حوافر عالية ضيقة ، ومعه سربة (الآذان) و (الشيابه) .

هاجم مِحْدَى الهَبْدَانِي ، وهو شاعر من قبيلة الفدْعان ، الرولة بقصيدة مطلعها :

عندي لابن شعلان حمول تعبى   ....

فأجابه محمد آل مهلهل بقصيدتنا[٤١٠] .

كـان مِحْدَى ابن رجل انضم إلى الفِدْعَان ، وتزوج امـرأة منهم ، ولما يمض أمـد طويل بعـد الزفـاف حـتى غـاب .... وقـيـل إن أباه لم يكن بدويًا ، ولذلك مـا كـان له أن يتزوج بدوية ، وأنه اختـفى خشـيـة القـتل لو تبين أنه خـدع أهل زوجته . لذلك ينصح محمدٌ محدى أن يتثبت من سلامة نسبه قبل أن يخوض في شئون ذوي النسب العريق من البدو[٤١١] .

البـيت -٢- : لأنه غـامض النسب ، وهو جبـان ، فـمن الخيـر له أن يحرم أبناءه الصغار من صحتهم (سقم) . الهَوش : هو الإثارة والشجاعة التى تسيطر على الرجال وهم يقاتلون (يْتَهَاوِشُون) أو (يْتَحَارِبون) . هِبّ : تقال عند الغضب ، بدلاً من (اِخْسْ) أو (أُعْقُبْ) . ومـعناها : اسْتَحِ ، بعـيـداً . ليت هَوشك يْهَبَّى : تعنى ، كما شرحها لي الشاعر ، : عسى أن تستيقظ شجاعتك . أما الآخرون ، على أية حال ، فـيـقولون إن العبـارة تعني : عـسى أن يبـصق على شجاعتك ! ، عساها تذهب ! فلتسقط شجاعتك ! .

تقيم قـبيلة الفِدْعَان نحو ستة أشهر قرب الحضر الذى يَدْعُون (النَّوَر) لحفلات زفافهم للتسلية .

البـيت -٣- : ليس المهم ، في الأمـاكن القـريبـة من نهـر سـاجـور ، حـيث يقـيم الفِدْعـان ، أن يكون نسب الخيل عـريقًا ، فـالفرس يحمل عليـها فـحل من أى نوع كان . لكن ، حتى هنـاك ، لم يتمكن مِحْدَى من أن يجد فتاة تقبل به زوجًا بسبب الخـوف من أن يخلف بنين جـبناء مـثله . وقـد سـمى شـاعـرنا المراعي التى على ضـفـاف نهـر سـاجـور (عَذْرَهْ) أى ملوثة ، لأن روث قطعـان لا تحـصى قـد لوثها[٤١٢] . ولا يشترى رويلي واحد فرسًا من المناطق القريبة من ساجور .

البـيـت -٤- : تِركِي بن مْهَيـد[٤١٣] شـيخ الفِدْعـان وقـائدهم ، انتـصـر مـرة على الرولة ، لكنهم بعد ذلك بقليل هجموا عليه وقتلوه ، فـهو لذلك لم يهضم اللقمة

التى ازْدَرَدَها بانتصاره عليهم . هَنِيًّا : تعنى هنيئًا لك تقال للشخص بعد أن يتناول شرابًا من الماء . ولم يقل ذلك أحد لتركي (ما اهْتَنَى بِهْ) .
البيت -٥- : ابو نَوَّاف : أمير الرّوَلة النُّورِي . الآذان : أفراد عشيرة آل اذِن .
الشّيَايَه : الوحوش ، أو الذئاب : اسم يطلق على أفراد أسرة ابن نايف الحاكمة، أقارب النُّورِي .

في مدح المؤلف :

١. أيْدي بذكر الله على كل نيه — رب كريم عالم بالخفيات
٢. ياراكب من فوق حمرا ثنيه — حره هميمه من ركاب الشرارات
٣. ماسامها الشراي بعداد ميه — ولانوخت للشيل ، دوم معافاة
٤. مرباعها باطراف نجد العذيه — ترعى زهر نوار ورد الذوابات
٥. فوقه شداد والميارك زهيه — وسفايفه لب البْرِيسم حليات
٦. مدت من بيت علومه طريه — الشيخ شيال الحمول الثقيلات
٧. من بيت ابو نواف ذيب السريه — زيزوم مجلس كاسبين النفالات
٨. فوقه غلام مايهاب الدويه — يوصل كلام لديار بعيدات
٩. اليالفيت ديار هاك السميه — ابدي بشاره وزد من السلامات
١٠. قل حر لفى من عندكم له نويه — نجم شبيه سهيل ما به غباوات
١١. باج البلاد العامره والخليه — بعقل رجيح مايهاب العسيرات
١٢. الشيخ موسى علومه شفيه — حافظ علوم من دهور مزمنات
١٣. ماجابت الخفرات مثله حليه — ولا له شبيه بشيوخ البداوات
١٤. حاكم وزير عارف كل شيه — ولا له مثيل كود ابازيد بصفات
١٥. حلو المثايل بكفوف سخيه — شبيه حاتم مايهاب الخسارات
١٦. سنه ضحوك وجرعته باسليه — فرز القناصل والمشاور صعيبات

١٧. ليث غضنفر مايدانـــي الرديـه   درعًا حسينًا يذخرونه لعـــازات

١٨. وان يســر المولى وزانت النيه   لازم يجيكم بعلـــوم مثمـنات

١٩. علوم البوادى وحضرها والرعيه   ديار الروله وفدعان وارض العمارات

٢٠. وديار نجد والفـــروع الخلـيه   مع ديرة الصـوان وارض الحويطات

٢١. هذي أفعـال اللي خصاله وفيه   كنز الفخر بحر الندى والمـروات

معنى القصيدة :

١) أبدأ بذكر الله قبل أن أعمل شيئًا ، إنه رب كريم عالم بالخفي من الأمور.

٢) أيا راكبًا ناقة حمراء لَمَّا تبلغ الخامسة من عمرها ، نجيبة سريعة من نوق الشَّرَارَات (المشهورة بأصالتها) .

٣) . لَمَّا يستـمهـا مُشْتَرٍ بعـد بمائة من النوق ، ولم تبرك أبداً لتـحمل الأثقـال ، وهى دائمًا في صحة حسنة .

٤) تقـضى الربيع في أنحـاء نجـد ذات الهـواء الطّيب ، ترعى براعم نبـاتات كثيرة كالأزهار الطرية .

٥) وعليها رَحْلٌ ووسائد (مَيَارِك) زاهيـة الألوان أنيقة ، والأشرطة التى يزين بها رحلها من الحرير الخالص .

٦) خرجت صباحًا في رحلتها من بيت تحمل آخر الأنباء .. من الشيخ الذى يحمل الأحمال الثقال .

٧) من بيت أبي نواف ذئب السَّرِيَّة ، موئل أولئك الذين يجتمعون هناك .. الذين غنيمتهم الصدقة[٤١٤] .

٨) وفـوقـهـا فـتى جسـورٌ لايرهب الفـيـافي الفسـاح ، يُبَلّغ الكلام (الرسـالة الشفاهية) دياراً نائية .

٩) فـإذا وَصَلْت تلك الديار ، فبشر من تلقاهم بالأخبار السـارة ، ثم أضف إلى ذلك سلامنا .

١٠) قل : " لقد جاءنا من عندكم صقر ذو عزيمة قوية .. إنه نجم شبيه بسهيل لا يخفى .

١١) اخترق البلاد عامرها وغامرها بعقل راجح ثابت لا يهاب العسير من الأمور .

١٢) إنه الشيخ موسى ذو الأنباء الشافية ، الذى يحفظ قصصًا جرت أحداثها مذ دهور قديمة .

١٣) لم تلد النساء مثله ، ولا مثيل له بين شيوخ البدو .

١٤) إنه حاكم .. وزير .. عارف كل شيء ، ولا مثيل له سوى أبى زيد فَخِصَالُهُ كخِصَاله .

١٥) ما أجمل الأمثلة التى تضربها يداه الكريمتان ، إنه مثل حاتِم لا يخشى الخسارات(٤١٥) .

١٦) ضحوك السن ، ذو عزيمة لا تقهر .. يمتاز على جميع المستشارين حين يستشار في أمور مستغلقة الفهم .

١٧) إنه لَيْثٌ غِضَنْفَرٌ ، لا يحب العمل الرديء(٤١٦) ، ودرع حسن تُدَّخر لوقت الحاجة .

١٨) وإن يَسَّر المولى أمره ، وحسنت نيته ، أتاكم بأخبار مهمة وثمينة .

١٩) أخبار البوادي ، والحضر ، والرعاة ، من سكان ديار الرولة ، وديار الفدعان ، والعمارات .

٢٠) وديار نجد وأوديتها الواسعة ، وبلاد الصَّوَّان وأرض الحويطات .

٢١) هذه أعمال وافى الخصال ، كنز الفخر ، بحر الندى والمروءات .

قال هذه القصيدة الأمير النوري بن هزاع بن شعلان بمساعدة موظفه جواد

الذى تلاها على المؤلف .

البيت -١- : يربي الشرارات أحسن الإبل التى تتخذ للركوب .

البيت -٣- : إنها لا تباع ولو بمائة ناقة من السلالة العامة .

البيت -٥- : المِيركِهْ (الجمع : المَيَارِك) أريكة من جِلْدٍ محشوة صوفًا أو وبراً ، تتدلى من مقدمة الرحل مغطية عنق البعير ، يريح الراكب عليها قدميه . وتكون هذه الحشايا ، أحيانًا مزركشة زركشةً كثيرة ، ويصل ثمن إحداها إلى عشر ليرات تركية (٤٥ دولاراً) ، السِّفَايِفْ : أشرطة منسوجة منوعة يكون عرضها ، في الغالب ، من خمسة سنتيمترات إلى ثمانية ، وطولها أكثر من متر ونصف ، تربط وراء الرحل ، وتتدلى على جانبي بطن البعير .

البيت -٦- : شَيَّال الحمول الثقيلات : تعنى " يجمع الأخبار المهمة التى يثقل بها ذهنه "[٤١٧] .

البيت -٧- : ابو نواف : هو الأمير النوري . بيته مَقَرٌّ المعوزين الذين يمضون بما يجود به سماحه .

البيت -١٠- : الحُرّ : صقر الصيد الذى يكون من أفضل الأصناف . النجم الصغير يخفيه بكل سهولة قليل من القتام ، أما " سهيل " فيتألق حتى في ليلة ذات ضباب .

البيت -١٢- : الشيخ موسى : هو كاتب هذا العمل .

البيت -١٤- : أبو زيد : هو بطل قصص عنتر[٤١٨] .

البيت -١٩- : الرّعِيّة : هم الفلاحون (!) الذين يرعون شياههم ومعزهم في نواحى الصحراء ويسكنون بيوت شعر . الفدعان والعمارات أعضاء في الجماعة العنزية .

البيت -٢٠- : الفروع الخلية : هى مناطق " الوُدْيان "الممتدة حتى ضفة الفرات الأوسط اليمنى . ديرة الصَّوَّان : المنطقة الواقعة غربي وادى السِّرْحَان . يستوطن الحويطات الصَّوَّان الجنوبي ، وعلى ساحل البحر الأحمر .

البيت -٢١- : النِّدَى : التجربة التى تنجح كل عمل كما تعين الرطوبة النبات على النمو[٤١٩]. المْرُوَّات : هى الخصال النبيلة التى ينبغى أن يتحلى بها البدوي المثالي .

عبدالله يرد على فيحان[٤٢٠] :

١. ياراكب من عندنا صيعريات	من ساس عيرات عراب تلاد
٢. بنات حر فحلوه الشرارات	بالجيش يعنى له جميع البوادي
٣. بتر الفخوذ وروكهن مستقلات	خضع الرقاب مفتلات العضاد
٤. شيب الغوارب والمحاقب مشيبات	من القفل مازين لهنه توادي
٥. بالشد وطنات وبالمشي عجلات	غَفٌّ المسامع والنواظر حداد
٦. مرباعهن كبشان للبدو مشهاة	لما بدا نجم التويبع وكاد
٧. وان هاض منبين النحيفين هيضات	يرعن زهر مالاق بكل وادي
٨. جا حقنا بيهن وهن حقهن فات	قطع الخرايم والديار البعادي
٩. الصبح من راعي نفي مستلجّات	يشدن ريد مظير مع حماد[٤٢١]
١٠. والعصر في دار ابن عسكر مويقات	عيرات ظيرهن سمار البلاد
١١. ابن حسن راعي طروق محلاة	عبدالله اللي للمعاني سداد
١٢.مناسف بهن صحون مملاة	يرمى بهن اذناب حيل وزاد
١٣. الصبح دنوهن [هن] مستذيرات	ومن حايط الديره لهن اجتلاد
١٤. غب السرا معزلات وضمرات	مثل الحنايا اللى حناهن ستاد
١٥. مشوا وخلوهن على وجه زافات	مسراحهن طرق وارض حماد
١٦. وقت المعشى مشرفين على ابيات	مال كما الحره وقب تقاد
١٧. وانشد عن الرخمان والعلم مافات	زمل التخوت لشيل حمل وكاد
١٨. ولا عن اللى هم وعلوى حرابات	ما بينهم كود اصْطْفَاقْ العوادي

١٩. دوشان علف سيوفهم كل جمـهات	على القدا ولا على غير قــــادي
٢٠. ولا عن اللى بالقصا يذبح الشـــاة	فيحان بن قاعـــد حريب البـوادي
٢١. قل دزيت لي هجــن عَرَاوي معراة	عندك خبر محسوبهن والعـــــداد
٢٢. ساعة لفنا صار بالصدر فرحــــات	ليله علينا مثـــــل ليل العيـــــاد
٢٣. يــــوم لفنا والنجاير مســـــــواة	والخرز ترز وراعي الصــوف سادي
٢٤. يبن خشب وصــوف وجلـود وآلات	وعيـــال ظرفين خفــاف التنـادي
٢٥. وعصيان اهلهن كلهــن خيزرانات	وقوف على الرجلين ما من قعـــاد
٢٦. خـــبرت راع التيل دق المكيـــنات	طقه شمال وشـــرق واجنب وعـاد
٢٧. عطيت راع التيل حسبة ريــــالات	عدم الخـــبر عنـــه جميع البـــلاد
٢٨. وخليت نصف الجيش حفايا ورذيات	والنصف الآخر جـــا لهن ارتعـاد
٢٩. وسندت لنجد شيخان وراعـــــات	ومن شافني بهالحال قال الركــــاد
٣٠. ياشين لاتمشي على غـــير مشهـاة	والعمر مايأتي بعد الفقـــــــاد
٣١. تبغـــــي تعجزني عل كل مرمـاة	وتحطني ما بـــــين قاف وضـــاد
٣٢. مدموح كذبك يامعزي سلامـــــات	ومقبول صـــدقك يامظنة فـــوادي
٣٣. مشعوف قلبي قبل قلبك بهيهـات	ولانـــــي مثلك ياردي الجــــــلاد
٣٤. ماينفع المضيوم كثر المناهــــــات	ولايزي الظامي خضيض الــــوراد
٣٥. راع الهوى كذاب وابليس ما مـات	دور عشيرك من فريقك وغـــــادي
٣٦. بينك وبين حبيبك تسعـــة ابيـــات	على القليـــب ومنزله بالـــــركاد
٣٧. والهقوه انك تنظـــره بالحَبيبـــات	من المـــــراح للذرى للهـــــوادي
٣٨. ولامــــع اللى بالحجـا مستكنات	الهقوه انه يسمعــــــك لو تنـادي
٣٩. لك شــوفة وحده وللناس شوفـات	ولا وادى سيلـه يفيض بـــــوادي
٤٠. وليـــا بغيته سو للرجل مـــــرقاه	أخاف يدري بك خطاة الربادي (٤٢٢)
٤١. ولاتاخذ الدنيا خراص وهقـــوات	يقطعك من نقل الصميل الــــبراد

٤٢. لاتحقر المخلوق ترى بهم آفـــــات	ان طعتنى ياخـــــوك اتبع مـرادي
٤٣. النفس لاتغويك وابليس مامــــات	ترى عشيرك محرم على الجـــــواد
٤٤. ان كان توته الاخت بالحسن واللذات	والا العن الملعـــــون مغوى العبـاد
٤٥. ادخـــل على اللي عالم بالخفــيات	وابليس لايغويك بدرب الفســــاد
٤٦. الشيخ مثلك مايـــدور الخنابـــات	والزين عند علوى من ادنى البـوادي
٤٧. كب السوالف والعلـــوم الرديـــات	واترك دروب مامشوها الاجـــداد

معنى الأبيات :

١) أيا راكبًا من عندنا نياقًا عنيدة ، ينحدر نسبها من أعرق الإبل !

٢) تلك النياق بنات فحل نجيب خصصه الشرارات للنسل .. يقصده البدو كافة بنوقهم[٤٢٣] .

٣) ذوات أفخاذ كأنها مبتورة ، وأوراك مستديرة ، ورقاب خاضعة وأعضاء مفتولة .

٤) غوارِبُها بيض ، وفي مَحَاقِبِها (ما تحت البِطَان) بقع بيض . ولما توضع على حلمات ضروعها الملازم بعد .

٥) إنهن هادئات حين تشد الرحال على متونهن ، سريعات حين يسرن ، رافعات آذانهن ، حادات البصر .

٦) وهن يقضين وقت الربيع في " كَبْشَان " ، وهو مكان محبب للبدو ، إلى أن يبدو نجم " التَّوَيبِع " بُدُوًّا مؤكداً .

٧) وإن فاض مطر (التّويبع) في المنخفض الذى بين التلين الدقيقين اللذين أحرقتهما الحرارة ، فإنهن يرعين زهراً لا يرى في أي واد آخر .

٨) لقد حل حقنا بهن ، أما حقهن فانقضى .. إن حقنا هو قطع الشعاب والأراضى النائية .

٩) يرحلن في الصباح من لدن صاحب (نِفِي) كأنهن نعائم وجلات تعدو في أرض صلبة .

١٠) ويُظْلِلْنَ عصراً على بيت ابن عسكر وقد أجفلن إذ لاح لهن سواد البلاد .

١١) إن ابن حسن لذو خلق خليق بالثناء،إنه عبدالله الذى يجيد تفتيق المعاني.

١٢) خِوَانات عليهن أطباق مليئة طعامًا .. ترمى فيهن أليات نعاج حائلات .. والمزيد من الطعام .

١٣) وفي الصباح يُدْنُونَ النياق وقد أجفلن وفزعن من حيطان البلدة المبنية من الطين .

١٤) فرغت بطونهن وضمرن من جراء سُرَاهُنّ ، فأضحين كأقواس صنعها صانع حاذق .

١٥) وفي أول الرحلة ساروا وأرسلوهن يسرن مسرعات ، الواحدة تلو الأخرى ، يرعين في تلال صغيرة وأرض ذات حجارة صغار .

١٦) وعند حلول وقت العشاء يكونون قد أشرفوا على أبيات حولها إبلٌ سود كثيرة كأنها حرة ، وخيلٌ تُقَادُ (من مكانٍ لآخر) .

١٧) ثم اسأل عن (الرِّخْمَان) ولن تعدم من يُنْبِؤُك عنهم . إنهم حقًا كالإبل التى تحمل الأثقال[٤٢٤] .

١٨) أو اسأل عن أولئك الذين يتحاربون مع (عِلْوَى) فليس بينهم سوى اصطكاك الرماح .

١٩) إن الجماجم لهي طعامُ سيوفِ الدُّوشان .. بالحق أو بالباطل[٤٢٥] .

٢٠) أو اسأل عمن ينحر النعجة في الشدة[٤٢٦] : فيحان بن قاعد الذى يحارب البدو .

٢١) وقل له : لقد أرسلت لى مطايا جاءت دون رحال ، وإنك لتعلم ثمنهن وعددهن .

٢٢) حين وصلن إلينا أفعمت صدورنا بالبهجة، وباتت الليلة كليالي الأعياد .

٢٣) حين وصلن إلينا كانت المكافآت قد دفعت ، والتكلفة جمعت ، وظهر بائع أكياس الصوف متعطشًا للكسب[٤٢٧] .

٢٤) إنهن بحاجة إلى رحال ، وحقائب صوف (خروج) ، وقرب توضع عليهن، وأسلحة ، وشبان ذوي ظرف وخفة إذا دعي أحدهم هب مسرعًا لمن يناديه[٤٢٨] .

٢٥) وعِصِيٌّ أهلهن جميعًا من خيزران .. وقد وقفوا ولم يقعدوا .

٢٦) أخبرت عامل المبرقة بما ينقصهن " فشغل " الآلات ، وأرسل البرقيات تسأل عنها شمالاً وشرقًا وجنوبًا ثم أتاني بالجواب .

٢٧) وأعطيت صاحب المبرقة عدداً من الريالات ، لكنه لم يجد ما ينقصهن في البلاد التى أبرق إليها كلها[٤٢٩] .

٢٨) وقد تركت نصف الإبل لأن أقدامها قد حفيت لكثرة السير ولضعفهن ، والنصف الآخر صرن يرتعدن .

٢٩) فصعدت إلى نجد ، إلى الشيوخ ، وإلى الرعايا . ومن رآني على تلك الحال قال : امكث !

٣٠) أيها الرجل المسيء في عمله[٤٣٠] ، لا تسر في طريق لا يريده أحد .. والعمر لايعود مرة أخرى بعد انصرامه .

٣١) تريد أن تظهرني عاجزاً عن مواجهة الصعاب ، وتضعني وسط صراع المدافعين عن أنفسهم وأندادهم .

٣٢) إني أصفح عن كذبك يا (مُعَزِّي سلامات)[٤٣١] ، وأقبل صدقك يا حبيب قلبي .

٣٣) قلبي معروف قبل قلبك بكثير ، ولست مثلك أيها الضعيف الذي لا جلد له ولا قدرة على تحمل المشاق[٤٣٢] .

٣٤) إن كثرة التنهد لا تجدي المضيم شيئًا ، ولا يَنْقَعُ غُلَّةَ الظمآن خَضٌّ ما بقي في الرَّاوِيَة من ماءٍ قليل .

٣٥) ومن حل به الهوى يكثر من الكذب فإبليس لما يمت بعد ، ابحث عن حبيبك ابتداءً من قطينك فما وراءه .

٣٦) إن بينك وبين حبيبك تسعة أبيات ، قرب البئر في المكان الفسيح .

٣٧) وإنى لأظنك ستراها مع الحبيبات .. من مراح الماشية إلى الستارة التى تصد الريح .. إلى الأثافي !

٣٨) أو مع أولئك النسوة المستكنات في الزاوية .. وإنى إخالها تسمع نداءك لو ناديتها .

٣٩) لك رأي ، وللناس آراء أخر ، ولا يفيض سيل واد في واد آخر [!] .

٤٠) وإذا أردتها فاصنع لرجلك مرتقى (لا يرى)[٤٣٣] ، فإنى أخشى أن يعلم بك بعض من لا خير فيهم .

٤١) ولا تعتمد في شئونك على الظن والتخرص .. ولا تدعونك برودة الجو إلى عدم نقل السقاء [معك][٤٣٤] .

٤٢) لا تحتقر الناس فتبدو لك عللهم[٤٣٥] ، إن كنت مطيعًا لي فاتبع ما أقوله لك .

٤٣) لاتغوينك نفسك ، فإن الشيطان مافتىء حيًا .. فإن معشوقتك محرمة على الرجال الأصلاء .

٤٤) لو رضي بإحدى قريباته ، وهى جميلة ساحرة[٤٣٦] . وإلا فالعن الشيطان اللعين مغوي العباد .

٤٥) الجأ إلى العالم بالخفيات ، ولا يغوينك إبليس ويقودنك إلى سبيل الفساد .

٤٦) فالشيخ مثلك لا يبحث عن الدنايا ، وسَتُلْفي الحسان لدى عِلْوَى التى هى من أقرب البدو إليك .

٤٧) دع الحكايات والأخبار السافلة ، وتجنب سبلاً ما سلكها أجدادك .

الشاعر هو عبدالله بن سْبَيِّل ، صاحب واحة نِفي . أما الذين تلوها عليَّ فهم : عبدالله المطرود ، ومحمد القضيب ، وحمار ابو عواد[٤٣٧] .

بينما كان عبدالله بن سبيل يبحث عن حسناء يرغب فيحان بن قاعد بن زريبان في وصلها ، علم أنها ابنة حداد (صانع) ، ولذلك فهي فتاة يجب ألا يقترن بها حتى البدوي الاعتيادي ، ما لم يكن يحب أن تنبذه عشيرته . لذلك أخبر فيحان بثمرة بحثه ، لكنه لم يفلح فى إقناعه ، لأن فيحان جَزَم بأنَّ عبدالله إما غير راغب في أداء هذه المهمة ، أو أنه كان يخشى انتقام خاطب الفتاة لكونه وجد لها عشيقًا جديداً . فأجاب عبدالله بهذه القصيدة التى يروي فيها ظَعْنَهُ من مستوطنة نِفِي إلى فيحان ، ويَنْعَت رَوَاحِلَه ، ويؤنب فيحان لخيانته إياه في تسليمه نياقًا أخر ، إضافة إلى اتهامه بالخَوَر والضعف ، وأخيراً يطلب منه أن يلتمس فتاة أخرى قد يجدها في حيه القريب جداً .

البيت -١- : عِرْاب : تعنى سلالة معروفة عالميًا .

البيت -٢- : الشرارات مشهورون بتربية المطايا العِتاق .

البيت -٤- : ألواح أكتافهن وُرْق الألوان (رمادية) ،وعلى بطونهن بقع بيض (شيب الغوارب والمحاقب مشيبات) لأنهن دائمًا سائرات . يحتك لوحا الكتف بالأريكة التى يريح عليها الراكب إحدى قدميه ، في حين تلمس القدم الأخرى البقعة التى يغطيها حزام الصدر (المحاقب) التى تشد الرحل خلف اليدين إلى عظم الصدر . والنوق المشار إليها لا صغار لها ، لذلك لم يضطر الرعاة لأن يشدوا حلمات ضروعها بالملازم الحادة لمنع صغارها من رضعها متى شاءت .

البيت -٥- : لا يصدر عن الجمل الكريم أي صوت ، والرحل يشد على مَتْنه ، وهذا شأن فى غاية الخَطَرِ في الليل وفي الأماكن الخطرة . ويتوقع من الناقة أن تصغي جيداً في الرحلة القسرية ، وأن تَرَقُّب المكان من مختلف الجهات لتستطيع

تنبيه راكبها بأى خطر محتمل ، وذلك بالتنفس السريع ، أو بِحَنْيِ ظهرها ، أو بحركة من عنقها .

البيت -٦- : كَبْشَان : جرف كبير في بلاد عتيبه . إذا صادف هطول مطر غزير ، حين ظهور " التّويبع " (تابع النجم ، الدبران) ، وذلك نحو منتصف ديسمبر [٤٣٧ب] ، فإن هذا المطر يروي البرك كلها ، وينبت في نجد كَلأً مزدهراً ، وتنبت النباتات الدائمة الخضرة هناك .. وكَأَنَّ ذلك من عمل السحر .

البيت -٨- : تترك النياق ، بعد السير الطويل المضني ، ثلاثة أشهر على الأقل ، للراحة . وهن يستحققن تمامًا هذه الفسحة ، لأن ركابها غالبًا ما طلبوا منها أن تخترق ليلاً ونهاراً بلاداً لا ماء فيها ولا مَرْعَى . وحين تتم هذه الأشهر الثلاثة ، فلدى الراكبين ما يسوغ القيام برحلة جديدة . الخَرَايم (جمع خَرِيمه) : منخفضات أو ممرات بين منحدرات عميقة .

البيت -٩- : راعي نِفِي ، تعنى ، هنا ، صاحب واحة نِفِي ، راعي الجوف تعنى أحد سكان واحة الجوف . وكثيراً ما سمع المرء : " راعي مارِدْ " " راعى قَنَا " أى " هو من سكان حصن مارد " ، " .. مستوطنة قنا " ، " راعي القرية " ، " هو حضري " .

البيت -١٠- : عبدالله بن حسن بن عسكر ، صاحب مستوطنة أخرى . تجفل الإبل البدويات بسهولة من ظل النخل ، وحفيف عسبها ، ومن الحيطان العالية التى تطيف بها .

البيت -١٤- : " غِبّ السّرَى " ، أو " عقب البارحة " تعنى بعد أمس (بعد البارحة) . كانت النياق التى أحسن إطعامها مافتئت كسلى قليلاً في مسيرتها أمس ، لأن بطونها ملأى ، وكثير من طعامها لما يهضم بعد ، ولأنهن لم يجدن ما يرعين طوال الرحلة من " نِفِي " إلى ابن عسكر ، وكل ما ألفينه في بيته قليل من الكلأ الجافّ ، فهضمن كل ما في بطونهن ، وأفرغن ما في أمعائهن ، مما

ضمر أصلابهن .

البيت -١٦- : كانت أبيات البدو السوداء منتصبة في حوض الوادي ، وكانت النياق تسير عبر السهل ، ولما بدت للعيان ، بعث البدو راكبًا ليقابلها ، ويرى مَنِ الركب ، وما وِجْهَتُهُم ، وليسأل أيضًا عن منازل أصحابهم .

البيت -١٧- : كان ابن رخمان شيخًا لفخذ من عشيرة الدُّوشان[٤٣٨] . زمل التّخُوت: أو زمل الثقال : بعير قادر على حمل الأعباء الثقال (أكثر من ثلاث قناطر) .

البيت -١٨- : الدُّوشان من عِلْوَى من مْطَير ، لكنهم غالبًا ماكانوا في حالة حرب مع المطيريين الآخرين ، لأنهم لا يقبلون الانصياع لأمر الشيخ العام .

البيت -٢٠- : عرض فيحان بن قاعد بن زريبان شيخ الدوشان ، الذى أمر بالبحث عن الحسناء ، على عبدالله أن يعينه بعدد من رجال قبيلته يمتطون الإبل ، لكنه خانه في ذلك[٤٣٩] .

البيت -٢١- : عَرَاوِي مْعَرَّاهْ : هى الرواحل التى يجلس الراكب على متن إحداها على خرقة مربوطة بين السنام والوركين .

البيت -٢٣- : النِّجَايِرْ مْسَوَّاة : قال لى محمد إنها تعنى " الاشدِّه " أى " الرحال " . ويرى حمار أنها تعنى " الحلوى " أى المكافأة أو المنحة التى يعطاها الرعاة[٤٤٠] . الْخَرْزْ تَرْزْ : تعنى ، حسب شرح حمار لها : المساومة على المبلغ الذى يعطاه راكبو الإبل المستأجرون ، بينما فهمه محمد على أنه مجمل النفقة على الحملة . راعي الصوف : بائع الحقائب المزركشة التى توضع على سرج الخيل ، ورحال الإبل[٤٤١] .

البيت -٢٤- : قبل أن يتمكن من استخدام هذه الإبل ، لا بد له من الحصول على رحال جيدة (خشب) ، وحقائب (صوف) ، وقِرَب ، أو روايا (جلود) ، وأسلحة لراكبيها (آلات) . وللركاب أيضًا رغبات كثيرة فطلباتهم لا تنتهي .

البيت -٢٥- : يرمز توقفهم ، وهزهم عصيهم الصغيرة التى يستخدمونها

ليوجهوا إبلهم نحو الاتجاه الصحيح ، إلى التهديد بالذهاب إن لم يلب عبدالله مطالبهم كلها[٤٤٢] . كانت عصي الخيزران تباع بأكياس .

البيت -٢٦- : يروي عبدالله ساخراً ، أنه حاول أن يرسل برقيات يطلب فيها كل ما أراده الركب ، لكنه لم يستطع الحصول على شيء في أى مكان[٤٤٣] .

البيت -٢٨- : حَفَايهْ : هو الاسم الذى يطلق على النياق ذات الأخفاف المجرحة التى يسيل منها الدم مع كل خطوة تخطوها ، ولذلك لا يمكن استخدام مثل هذه النياق في الرحلات الطويلة . ارْتْعَادِ : تعنى ارتعاد الخاصرة ، وهى علامة مؤكدة على الحمى والمرض .

البيت -٢٩- : ولأن عبدالله قد خدعه صديقه فيحان ، فقد التمس العون من شيوخ آخرين في نجد ، وكان شديد الاستعجال بهذا الشأن بحيث أثار استغراب الجميع .

البيت -٣٠- : يخاطب فيحان . يا شَيْن : تستعمل في معنى ودود ، وفي معنى عدائي معًا .

البيت -٣١- : فيحان يلومه مع الخوف بأن يكسب الحسناء له .

البيت -٣٣- : رِديّ الْجِلادِ : الرجل الأصلع[٤٤٤] .

البيت -٣٤- : الخَضِيض : ما يبقى من الماء في القِرْبَة المطوية .

البيت -٣٥- : يقترح لفيحان فتاة من أقاربه الأدنين ، لأن الأقارب يؤلفون عادة (فريقًا) أي قطينًا أصغر خاصًا بهم .

البيت -٣٧- : إنه يستطيع أن يراها وهى تطبخ وراء الحاجز الضيق الذى يحمي موقد النار من الريح (الذَّرَى) .

البيت -٣٨- : الْحِجَى : زاوية في قسم النساء ، تستريح فيها النساء عند الولادة ، أو إذا عانين من عادة شهرية غير اعتيادية .

البيت -٣٩- : يُقَدِّرُ فيحان حُسْنَ حبيبته بعينيه هو ، أما الآخرون فيحكمون على جمالها حكمًا مختلفًا . لكل مستوطنة تقريبًا في نجد واديها الخاص بها

الذى لا منفذ له . وهذه الأودية ، في غالبها أحواض ضخمة يتجمع فيها ماء المطر ، فتتشربه الأرض الرملية ، ويظل نقيًا حِينًا غير قصير . وهذه الأحواض لا يتصل أي منها بغيره لئلاً يسيل الماء من واد لآخر .

البيت -٤١- : المجازف الذى لا يبالي سيموت ، وإن كان الأقوى . والماشي الذى معه ماء بارد يغلب راكبًا قد مات من العطش .

البيت -٤٣- : البدوي لا يتزوج ابنة (صانع) .

عبيد بن رشيد يكمن في شعب منتظراً ليحارب آل علي :

١. هيــــه يا اللي لك مع النــاس وداد	ما ترحمون الحال ياعزوتي ليه[٤٤٥]
٢. ماترحمــون اللى غدا دمعـــه أبداد	طول الزمان وحرق الدمــــع خديه
٣. مــن شوفتي للغـــرو مزبور الانهاد	متمشلح ياطـــا على اقدام رجليه
٤. الشــــوك ماله عن مواطيـــه رداد	أيضــًا ولا سبت قوي يوقيه[٤٤٦]
٥. ابن رخيص نازل حد الاجـــــــراد	قال اقبلــوا وانتم هل البيت ياهيه
٦. قلت الحضري مايستوي كود ببـــلاد	ولايستــوي عقب التحضري تبدويه
٧. ليا عــــاد مامرن يزغــرتن بالاولاد	ترى الموصي يذهل اللى يوصيه[٤٤٧]
٨. ليا عاد ماناصل ونضرب بالاحـداد	هبيت ياسيف طـــوى الهم راعيه
٩. ليا عاد مانروي حدوده من الاضداد	وده يـــــم العرفجيه ترويــــــــه

معنى الأبيات :

١) هيه ، يا من له في الناس صحاب يحبونه ! لِمَ لا ترحمون حالي يا أقاربي ؟

٢) ألا ترحمون من تناثر دمعه هنا وهناك ، طوال الوقت ، فأحرق خديه ؟

٣) مذ رأيت الكاعب ذات النهدين الرَّيانَيْنِ المنتصبين ، وقد رمت كُمِّيْ ردائها على كتفيها .. ومضت تتهادى على أطراف أصابعها .

٤) إن حبيبتى لا يمكن منعها مما تريد الذهاب إليه ، ولا حِذَاءَ لها يقى قديمها (الحجارة ونحوها)[٤٤٨] .

٥) دعانا ابن رْخَيِّص الذى يقيم قرب " الاجْرَاد " إلى أن نَحلَّ ضيفًا عنده قائلاً : " انزلوا ، وأنتم أهل البيت ، يا هيه " .

٦) فقلت له : " إن الحضري لا ينعم بالعيش إلا في المدينة ، ولا يطيق حياة البدو بعد أن تَحَضَّر " .

٧) لعل أولئك اللاتى قد حَزِنَّ على أولادهن يفرحن ، إن الموصِّى لا يجد من يملل عليه وصيته[٤٤٩] .

٨) إذا نحن لم نَدْنُ من عَدُوِّنا ، ونَضْرِبْهُمْ بنصال سيوفنا ، فلتخرس أيها السيف الذى طوى الهَمُّ صاحبه .

٩) إذا نحن لم نُرْوِ غَرْبَيْهِ من دم الأعداء ، فاذهب به إلى " العرفجيه " لترويه .

المؤلف : عبيد بن رشيد ، والرواة : محمد القضيب وحمار أبو عواد .

طَرَدَتْ أسرةُ آل علي ، بدعم من الأتراك ، عَبْدَالله وأخاه عبيداً من حايل ، فعرض عليهما " ابن رْخَيِّص " شيخ " عَبْدِه "[٤٥٠] أن يكونا تحت حمايته ، فلجأ عبدالله إليه . أما عبيد وأتباعه فظلوا في بناءٍ بُنِيَ في شِعْب " عِقْدِه " الذى لا يكاد دخوله يكون ممكنًا ، الواقع في غربى حايل ، وتربصوا هناك فرصة معركة أخرى .

البيت -٣- : كانت زوجه تأتيه بالطعام خلال الشعاب التى تنحدر إلى (عُقْدِه) التى يكاد يكون عبورها مستحيلاً .

البيت -٤- : كانت قدماها مجرحتين ، ونعلاها قد انسحلتا .

البيت -٦- : اسم عشيرة ابن رشيد الضَّيَاغْمَه ، وهى تنحدر من قبيلة عَبْدِه .

البيت -٧- : تزغرد النساء حين يَدْعون الرجال للقتال ، ويُرَحِّبْنَ بهم حين يعودون بالغنائم .

البيت -٩- : العَرْفِجِيِّة : امرأة سمت قاتل زوجها ، فانتقمت لنفسها في حين اكتفى أهله بطلب الديه[٤٥١] .

عبدالله بن رشيد يتفجع لطرده من حايل :

١. [يا] الربع دنوا ضمر تطوى الامراس هجن يِفِلّـــــــــنْ حيل راع الرديـه
٢. تغـــازوا المعبار من عنــــــد دواس وانـــــا على الخابور مالي مطيـــه
٣. كل تذكـــــــــــــر عزوة يم الاطعـاس وانا اتذكـــــــــــــر عزوة الشمريه
٤. لولا سبيل هـــــاز بقلة الـــــــــراس غربي كهف حمه بهاك الزويـــــه
٥. مزيت ما يبس معاليقـــــــي ايبـاس يبرد لهيب القلـــــب لو له خطـيه
٦. لـــــــو دك ببالي ثمانين هوجـــــاس الشـــــاوري بالكيس والنار حـيه
٧. والله لا انصى نجد لو لقطعة الراس وابيع انا الغالـــــــي واذبح بنـيه
٨. الحكـــــــم ماياتي بحبر وقرطـــــاس الا بضرب السيف وترك الخطيـــه
٩. من عقب ماني شيخ وتهابني النـاس اليـــــوم ما اهيب راع الرعيـــــه
١٠. بكيت انا حالـــــي ولابه علي بـــاس طاعت لى البــــدوان هم والرعيه
١١. واخذت عشر المال وحسبت الاغـراس ومحســــــوية العمال ألفين وميـه
١٢. ماظــــل ليه مناحي مع جملة النـاس البـــــدو والحضران كلهم ســــويه

معنى الأبيات :

١) لقد أدنى أصحابى رواحل ضامرة تطوى الأعنة لسرعتها (ليظعنوا عليها) .. إنها رواحل قوية تُنْهِك راكبيها .
٢) شَخَصَ كل منهم مسرعًا ليصل إلى المعبر عند (دَوَّاس) قبل غيره ... وبقيت على ضفة (الخابور) لا مطية لي .
٣) كل منهم تذكر أهلاً له لدى الكثبان .. أما أنا فأتذكر أهلى لدى شَمّر .

٤) لولا غليوني الصغير (السِّبيل) لأخذ رأسي الدوار ، غربي (كَهَفْ حَمِّه) في تلك الجهة .
٥) مصصت ما أيبس أوعية قلبي إيباسًا ، وبرد لهيب القلب ، وإن كان خطيئة .
٦) وحتى لو اعترى بالي ثمانون همًا .. التبغ الأصفر (الشّاوْرِي) لدي في الكيس ، والنار لما تخمد (أي أشعل من السجائر ما شئت) .
٧) والله لأقصدن نجداً (لقتال أعدائي بها) حتى ولو ذهبت إليها لقطع رأسي .. وسأبيع أغلى ما لدي (أي حياتي) لأقتل " بْنَيِّه " .
٨) الحكم لا يدرك بالرسائل (الحبر والورق لن يعيد حكمك إليك) بل يدرك بضرب السيف ، وتجنب الخطيئة .
٩) بعد أن كنت (شيخًا) يهابني الناس كافةً بت لا يهابني حتى راعي الغنم !
١٠) أبكي على حالي ، ولا بأس عليَّ من ذلك البكاء .. فقد كان البدو ومربو الشياه والمَعْز مطيعين لي .
١١) وكنت آخذ عشر أموال الناس خراجًا لي ، وَأحسِبُ النخيل (لآخذ نصيبًا من ثمارها) ، وما عده العمال بلغ ألفين ومائة .
١٢) لم يك نزاعي مع فئة دون أخرى بل مع الناس قاطبةً .. مع البدو والحضر معًا .

الشاعر عبدالله بن رِشِيد ، الرواة : عبدالله المطرود ، ومحمد القضيب ، وحمار ابو عواد .

هَزَمَ أمير آل علي السابق ، بمعونة الأتراك ، عَبْدَالله بن رشيد وطُرِد . وكان ابن بْنَيِّه الرويلي على رأس الوهابيين[٤٥٢] الذين يناصرون آل علي . فر عبدالله وأتباعه ، في بادىء الأمر ، إلى " ابن رْخَيِّص " ، وبعد ذلك من فورهم إلى قبيلة " الفدِْعَان " الذين كانوا ، إذ ذاك ، مقيمين على ضفاف نهر الخابور .

وانطلق أتباعه أبعد من ذلك إلى " شَمَّر الْجَرْيَا " على القسم العلوي من النهر . لم يثق عبدالله بشيخ آل جربا ، لأن له قرابة ببيت آل علي الذين كان عبدالله يود خلعهم وطردهم . وكان الفِدْعان يؤثرون الوهابيين على شَمَّر ، لأن أسرة الوهابيين الحاكمة يعود أصلها مثلهم إلى قبيلة (عِنْزِه) ، وكثيرون منهم يعرفون ابن بْنَيِّهْ حق المعرفة ، وكان عبدالله مُدْرِكًا أنه لن يتوقع من قبيلة الفِدْعَان إعانة نشطة ، وأنهم ما لانوا له إلا لكونه ضيفًا عليهم .

البيت -١- : " الامْرَاس " : هى الكلمة التى يستخدمها أهل الحضر للأعنة .

البيت -٣- : اَطْعَاس ، أو الطَعُوس : كثبان الرمل (الدُّعُوص) التى تنتشر في صحراء النفود حيث كان يقيم ، في الوقت الذى قيلت فيه قصيدتنا ، الرولة وولْد سليمان ، وعشائر كثيرة من العْمَارات ، وكلهم مؤيدون لابن بْنَيِّه ، وكلهم أقرباء للفِدْعان الذين يهتمون جداً بمصالحهم .

البيت -٤- : حَمِّه : إقليم ذو رواب ذات أصل بركاني بين ضفة الخابور اليمنى ، وضفة الفرات اليسرى .

البيت -٥- : يُحَرِّم الوهابيون تدخين التبغ لكونه خطيئة ، لكن عبدالله مع ذلك يدخن طالبًا العزاء في غليونه .

البيت -٦- : الشَّاوْرِي : صنف من التبغ الأصفر متميز عن غيره .

البيت -٧- : الغالي : تعنى الروح ، الحياة .

أب يرثى ابنيه اللَّذَيْنِ قتلا في معركة :

١.هنيت قلـــــب داله مثل صنقـور	ماهمه إلا الطـــار واللى شقى بـه
٢. ماهمه اللى حطوا العصر بقبـــور	ولا بكنه بيض تلاعج عــــذابـه
٣. البـــارحه يوم الخلايـــق ورا الدور	خطيـــب ياعظني وقلبي يهذى بـه
٤. بكيت انا سالم من الغوش مسطور	حوض المنـــايا وارده مـــايهابـه

٥. ألــف فدا سالم والف وصنقــــــور ولا مهنا مايعــــــــــدد حســابه

٦. عبدالعزيز ليـــــا لحق هو وصابـور ســــوى على دار المعادي ضبــابـه

٧. ياالله ياجابر عظم كل مكســـــــور مالي سواك من يدور الطـــــلابـه

٨. آخذ قضــاي من العدا مالي صبور ولا اظن انام الليـــل وحقي غدابه

٩. عليك يا اللى تعلــم الغيب بســرور اظهـــــرت حق يعقوب من الذيابـه

المعنى :

١) أهنيء قلبًا مخبلاً كقلب (صنقور) لا هم له سوى طبله ومن يدق عليه.

٢) فهو غير مُبَالٍ بمن وضعوا في القبور عصراً ، ولم تبكه نسوة تَبْرُقُ ثناياهن .

٣) البارحة حين كان الناس[٤٥٣] (في المقابر) خلف الدور ، كان (الخطيب) يعظني ويحثني على الصبر ، لكن قلبى لا هم له سوى الفقيدين[٤٥٤] .

٤) بكيت سالمًا ، الذى قطعه الشبان إِرْبًا إِرْبًا .. لقد كان جسوراً يرد حوض المنايا غير هائب له .

٥) ألف رجل فداء لسالم ، وألف أخرى ، وصنقور أيضًا .. أما مْهَنَّا فلا يُحْصَى من هم فداء له .

٦) إذا انضَّم إلينا هو والجيش ، أثار على بلاد العدو قَتَامًا يغطيها .

٧) يا اللّه ياجابر عظم كل كسير ، ما لى سواك من يحقق لى مطلبى !

٨) إنى آخذ حقى من العَدُو .. فلا طاقة لى بِتَحَملُ جناياتهم ... ولا إِخالي أسْتطِيع إغماض جفني في ليل ضاع به حقى .

٩) إنى أتكل عليك يا عالِمَ الغيب ، يا من أظهرت حق يعقوب من الذئاب !

الشاعر : حمُود بن عْبَيد بن رشِيد .

الــرواة : محمد القَضِيب ، وجواد العانى ، وحمار أبو عواد .

أغــار عــبدالعـزيز بن مـتـعب على بلاد ابـن سـعـود ، وكـان يـصـحـبـه عـمـه

حْمُود بن عْبَيد وابنا حمود سالم ومهنا ، ولما وصلوا قطين العدو مكث حمود وعبدالعزيز مع قوة الاحتياط التى شُكِّلَت من راكبي الإبل ، وقام الفرسان ، ومن بينهم سالم ومهنا ، بالهجوم . وقد صُدَّ الهجوم ، وقتل سالم ومهنا كلاهما . هَبَّ عبدالعزيز باحتياطيه لنجدة الفرسان ، ورد خيالة العدو إلى الخلف ، وأحاط بالقطين ، وبعد استباحته سلبًا ونهبًا ، عاد بغنائم كثيرة . حمل حمود ابنيه ليدفنا في المقبرة خلف حايل . وقد سار مع الجنازة الزنجي صنقور الذى ، لكونه معتوهًا ، كان يقطع أسواق حايل ليلاً ونهاراً يَدُقّ طبلاً صغيراً ، وكان يدعو الأولاد الذين يلقاهم جميعًا لأن ينضموا إليه ، ويدقوا الطبول مثله . وكان صنقور في شبابه فتى وسيمًا ، حتى إن ابنة أحد مواطني حايل البارزين فُتنت ببهاء طلعته ونضارته ، فقبض الأب الحانِق على الفتى العاثر الجَدِّ ، وَرَضَّ عضوه الجنسي ، ومذ ذلك الحين وصنقور فقيد العقل .

البيت -٣- : الخطيب : رجل يعلم الدين ، ويصلي بالناس أحيانًا ، ويفسر القرآن ، وغير ذلك ، لكنه يكون ، في الوقت نفسه ، صاحب حرفة ، أو يزاول التجارة .

البيت -٤- : ما يهابه : تعنى لا يَجْبُن أو يرتعد أمام أحد . الحوض : عند البدو ، وعاء عميق من جلد ، يقف على ثلاث أرجل ، تسقى به الإبل . ويستخدم الحضر الكلمة لِحَوْضٍ داخل البيت يتجمع فيه ماء المطر .

حوض المنايا : (المكان الذى يشرب فيه الموت) هو ساحة القتال . من يجرؤ على دخول ساحة القتال يعلم أن الموت ينتظره هناك .

البيت -٥- : كان ينبغى قتل ألفين من العدو انتقامًا لسالم .

البيت -٦- : الضباب : سحابة غبار كثيفة ، مثل " العجاج " . يطلب الشاعر في البيت السابع (من الله) عَوْنَه على الانتقام .

البيت -٩- : أكد أبناء يعقوب أن الذئب قد مزق يوسف ، فاشتكى يعقوب ببالغ

الأسى إلى الله عن هذه الجريمة . فوهب الله هذه البهيمة هبة الكلام ، فجاءت إلى يعقوب وأثبتت براءتها بشهود .

في مدح محمد بن رشيد :

١. ياهيه ياهــــل الخاليات المزاهيـــــب	هجن تلافـــــى من بعيد المغيبـــه
٢. شيب الغـــوارب سايجات المحاقيب	الفين مشـــــــدودات كل ش تجيبه
٣. اللى عليهن مشتهين المعـــــــــازيب	شاموا لراعي مسند يرتكــــــى به
٤.لعقــــــــب خل يفج العراقيـــــــــب	لنـــــار عبدالله يوقد لهيبـــــــــه
٥. شاموا لمن فـات الاوادم على الطيب	الضيغمي كل فِعْلــــهْ درى بـــه
٦.حـــــــر شهر بعاليـــــات المراقـــيب	فحـج على الفِتْخَانْ من زود طيبه
٧. لو يشتهى حـــــط الاوادم حواطيب	غصب بحد السيف غلـــب غليبـه
٨. من البيض يهين له عيون التشابيـب	والمشتبه ينهج لشبهــــــــه يجيبـه
٩ بنـــــات ما دبر عليهن بتحسيـــــــب	ولاخايلن ورد الدبـــش من عزيبه
١٠ لبنات عقـــب ملغمين المغاليـــــــب	ضياغم عقـــب الجدود العَرِيبَـــهْ
١١.ياما عطوا من زاهيــــات الدبـاديب	وقـــت تنسف بالمعــــــــاذر سِبِيبَهْ
١٢ خــم الجنوب وخم شرق وتغريـــــب	وكونه على الوديان ما ينحكي به
١٣ أذوى عليهم قبـــل وقت التغاريـب	وتزين البشــــــري شرايد ذهيبـه

المعنى :

١) يا هيه ! ، يا راكبى النياق ذات الحقائب الفارغة ، .. نياقُ هِجَانٌ تتوافد من بلاد بعيدة .

٢) ذوات غوارب وُرُقِ الألوان ، وحبال الصدر رِخْوَةٌ .. ألفان عليها رحالها .. تأتينا بكل شيء .

٣) وراكبوهن مشتاقون إلى الوصول إلى مضيفيهم .. مشتاقون إلى الوصول إلى رجل متكىء على أريكة .

٤) لِعَقب صديقهم (ولد خِلِّهُم) الذى يجعل دروب المنحدر لاحبة ميسورة السلوك .. لنار عبدالله التى يتلظَّى لهبها دائمًا .

٥) إنهم يريدون الوصول إلى من فات الرجال إلى الرجولة .. إلى ذلك (الضيغمي) الذى سمع الناس جميعًا بِفَعَاله الجليلة .

٦) إنه لَبَازٌ أصيل ، صَفّ جناحيه في عالي المَرَاقِب .. وقف جاعلاً البُزَاة الأُخَرَ بين ساقيه ، لأنه بزها في جسارته(٤٥٥) .

٧) ولو شاء لجعل الناس كلهم حَطَّابِين .. قسراً بحد السيف .. إذ يغلبهم كافة .

٨) تصوب الحِسَانُ إليه نظراتهن بِمُقَلٍ كَمُقَلِ الأرْآم التى تحرس أسرابها . وشبيه الشيء منجذب إليه " (حرفيًا : والشبيه يتبع الشبيه ويود كسبه) .

٩) وبناته لم يحسب ما صرفه عليهن من نفقة .. ولا حُمِلْنَ على انتظار عودة المواشى من مرعاها النائي .

١٠) إنهن سليلات من يقذفون بالرماح المزركشة كالبروق .. أولئك الضياغم سليلو الأجداد العرب الأقحاح .

١١) كم وهبوا من نوق كُومٍ ، وأفراس قُبٍّ تتمايل نواصيها في المرعى يمنة ويسرة .

١٢) سيطر على الجنوب والشرق والغرب أيضًا .. وهجومه على (الودْيَان) يصعب وصفه .

١٣) حيث وقع عليهم قبل ظعنهم إلى بلاد الحضر .. ولجأت إلى " البِشْرِي " قطعانهم الهاربة التى لم تقع في يديه .

الشاعر : زنجي كان مرافقًا قافلة تجارة من العراق إلى الأمير محمد بن رشيد .

الرواي : عبدالله المطرود .

البيت -١- : المِزْهَبه (أو المِزْوِدَة) : [مفرد المَزَاهِب ، أو المَزَاوِد] وهى حقائب تحتوى الطعام الذي يحتاج إليه في الرحلة تحملها الإبل .

البيت -٢- : شِيب الغَوَارِب : هى الإبل ذات الشعر الأورق أو الأبيض . يَبْيَضُّ الشعر الذى تغطيه الأريكة التى يريح الراكب عليها قدميه ، بسبب العرق المستمر . الحَقَب : حبل الصدر ، حبل من الوبر ، يُوَثِّق الرَّحْل . وحين تتسبب رحلة طويلة مضنية في خسران البعير سنامه ، فإن الرحل يأخذ في التحرك إلى الأمام تارة وإلى الوراء تارة ، ويتحرك معه الحبل .

البيت -٣- : في المستوطنات ، يجلس المضيف على سجادة ويتكىء على أريكة .

البيت -٤- : العَرْقُوب : منحدر ، أو جانب تَلٍّ صخري شديد الانحدار . وفي السبل التى تمر عبر هذه المنحدرات ، يفتح التجار أعينهم جيداً حَذَرَ اللصوص الذين يرتادون هذه الأماكن . وغالبًا ما سقطت الإبل إذ تفقد الأحمال التى على متونها توازنها ، وفي حين يلتقط أصحابها الطرود الساقطة ، ويُحَمِّلونها ثانية ، ويدفعون بالبعير في الطريق مرة أخرى ، غالبًا ما استغل اللصوص الاضطراب للقيام بهجوم ناجح على القافلة . وقد نظف محمد بن رشيد المنحدرات من أولئك المؤذين متممًا ما بدأ به أبوه عبدالله مؤسس السلطة التى في يد بيت ابن رشيد.

البيت -٥- : تنحدر عشيرة ابن رشيد من عشيرة الضياغمة .

البيت -٧- : يقوم بجمع الوقود في السهول والجبال لقطين ابن رشيد أو مدينته الخدم والعبيد من أفراد العشائر غير المحترمة .

البيت -٨- : يْشَبِّب : يراقب بتمعن ، وتستعمل الكلمة للظبي الذى يقف في مكان عال يرقب السِّرْبَ الذى يرعى ، وحين يرى شيئًا مُشْتَبَهًا فيه ينظر إليه

كما تنظر النساء لابن رشيد وأفراد أسرته . مشتبه : هو الرجل الذى يَدَّعي بأنه ذو نسب أصيل ، ويعده أناس كثيرون كذلك ، على أنَّ هنالك ، في الحقيقة ، مغمزاً من نوع أو آخر في نسبه ، وليس ثمة بدوى أصيل ، ولو كان أفقر الناس يرضى بأن يزوجه ابنته ، فيبحث عن شخص نبيل ذى ، أصل مشكوك فيه مثله، ويتزوج ابنته .

البيت -٩- : ليس هناك شيء غال بحيث لا تستطيع بنات أسرة ابن رشيد نَيْلَهُ، فهن يَنْتَقِين من حانوت التاجر أبدع الملابس وأغلاها ، ولا يُقَاسِين أبداً من جوع أو عطش ، وليس عليهن الانتظار بشوق حتى يدخل رِعَاءُ الإبل لسقيها بعد عودتها من مرعاها القَصِيِّ ، لكى يحظين بشراب من الحليب . العَزِيب : مرعى لا تساق الإبل منه كل مساء لتعود إلى أصحابها ، وهذا هو سبب بقاء الحيّ دون حليب . وليس بإمكان النساء والصبايا شرب ما يُرِدْنَ من حليبٍ قبل اليوم الخامس أو السادس ، حين تُسْقَى الإبل .

البيت -١٠- : الْمَغَالِيب : رماحُ مُزَيَّنٌ كل منها ، فيما دون الحد ، بإكليل صغير من ريش النعام يسمى (غَلَب) .

البيت -١١- : كان من عادة ابن رشيد أن يقدم ناقة وفرسًا لكل ضيف متميز . الدِّبَاديِب : الإبل العِتاق ، التى رعت طويلاً ، ونالت قسطًا وافراً من الراحة . الْمَعَاذِر : المراعي المحجوزة للخيل دون غيرها . وتكون عادة في أودية تحيط بها مرتفعات ذات جوانب شديدة الانحدار ، حيث يمكن الدفع عنها بيسر.

البيتان -١٢و١٣- : في منطقة الوِدْيَان ، كما يدعى نصف شمالي بلاد العرب الشرقي الواقع جنوب جرف (البِشْرِي) ، منازل العْمَارات والدَّهَامْشِه الذين ينتقلون في الصيف إلى ضفتي الفرات الأوسط اليمنى واليسرى - أي إلى الشرق ، على أنَّ رحلتهم هذه تُدْعى " تَغْرِيب " (أى الذهاب إلى الغرب) أَذْوَى : تدل على الانقضاض المفاجىء للجوارح من الطير على فريستها .

في مدح بندر أمير شمر :

أعْلَن تتويج بندر الابن الأكبر للأمير طلال أميراً لشمر في عام ١٨٦٩ مُوفَدون ، مَضَواْ يُغَنُّون البيت التالي الذي ألفه راشد الهَجْلِي :

يا من يبشر شمر شـــاخ بندر والناس قبلـه من غلا ابوه تغليـه

أي : " من لي بمن يبشر شمر بأن بندراً أضحى شيخًا لها ، والناس يحبونه لحبهم أباه من قبله " .

ومن جَرَاءِ بيت الشعر هذا سجن الأمير محمد بن رشيد ، الذى أطاح ببندر ، راشداً ثلاثة أشهر .

محمد بن عرفج يصف رحلة إلى حايل :

١. آه واعـزاه من جفن جفـــاه جرهدي النـــوم من برد صـــريم

٢. جال عقلي والتهدت وقمتالــوج واتقلـــب واجتلد كـنى قصـيم

٣. ذكـــرن برد الشتا عصر مضــى لذة الدنيـــا وجنات النعـــيم

٤. اليا عشنا شبــاط وحر سمـــه عنـــد اهلنا كنها ايـــام الحميم

٥. لو تخلبص وقتنا فرجت لــــي بالمنادي والوحـــى خاز الكلـيم

٦. لي مع الويلان هوجا فاطـــر لي من سطـــرها تصطفق قود الهميم

٧. أصل ابوهـــا من عمان وامهـــا وسمها المغـــزل على ورك يتـــيم

٨. ما ينوش معـذر راسها العصـــا صيعـــريه معرمه نعـــم النديم

٩. المرافق والعضود وزورهـــاذا لذا من وســـيع ذاعن ذا قـــريم

١٠. ما حلـــى نوضة مزبر وركهـــا للرديـــف محصرة رشق حسـيم

١١. كن عينه عين شمس يوم تبـــدي يـــوم تقلبها كما عـــين العـذيم

١٢. شبهروا به واعجبتهم يوم جتـــنا واعذتها بالله من عين الرجـــيم

١٣. تكــــل بالله اركبها وســـــم واعتصـــم بالله ياقـــاك الكريم

١٤رقده ليلين والثالث عشـــــاك	عند أهل جبـــه ولو عقب العتيـــم
١٥واصبح الثالث وفيد تلتفت لـــه	من ورا منبــوز وركها مقـــــــيم
١٦.والعشـــا الرابع بديرة عـــزوة لي	محكـــــم البتوت نقـــاض البريم
١٧.خصهم لي بالســـلام وقل لهـــم	حاير بالجـــوف والمرعى وهـــيم

المعنى :

١) آه ، كم أنا موجَعْ بسبب جفنى الذى حاربه الكرى لشدة البرد ! .

٢) ذهب عـــقلي ، وضـــقت ذرعًا بحـــالي ، وبدأت أتقلب من جنب لآخـــر ، وأستدير كأنى كسير عَظْمٍ .

٣) ذكرنى برد الشتاء عهداً مضى ، كان لذة الدنيا ، بل جنات النعيم[٤٥٦] .

٤) كان شباط ، إذا حل بنا ، لا نحس ببرودته [لسعادتنا في وطننا][٤٥٧] .

٥) وإذا انتـهى وقـتنا فـإن من ينادي سيـفـرج همى ، وسيـريح ذلك الصـوت المتكلم .

٦) ولي ناقة مسنة (فاطر) سريعة ، ترعى الآن مع إبل " الويلان " ... تهز رأسها مرحًا ، وتقاد كما تقاد النَّجيبة .

٧) أبوها ذو أصل عـماني ، وسمـة (وسم) أمـهـا كيـة على الفـخـذ ، على شكل مغزل واحد .

٨) لا يبلغ العـصـا رأسـهـا .. حادة المزاج و [فى الوقت عـينه] أليـفـة .. إنها لنعم الرفيق ! .

٩) إن مرافقـهـا وأعْضَادَها وزورها .. أولها بعيـد عن ثانيـهـا ، لكن هذا قـريب من الثالث[٤٥٨] .

١٠)ما أبدع رفعها وركيها القصيرتين السمينتين اللتين بقي عليهما فراغ ضيق للرديف ، وما أبدع شكلها كله !

١١) كأن عينها عين الشمس إذا بزغت صفاءً ، وإذا قلبتها[٤٥٩] فكعين البطل المستَفَزّ .

١٢) صوبوا إليها إذ جاءتنا أعينهم ، وأعجبوا بها ، وأعذتها بالله من عين الشيطان الرجيم .

١٣) اتكل على الله ، واركبها ، وسم الله ، واعتصم بالله الكريم يَقِكَ [كل شر] .

١٤) دعها تنم [خلال الرحلة ليلتين ، وسيكون عشاؤك في الليلة الثالثة مع أهل (جبه) ، وإن لم تحصل عندهم إلا بعد حلول الظلام .

١٥) وفي صباح اليوم الثالث يمكنك أن ترى (فيداً) إذا التفتَّ إليه من وراء سنامها المنيف[٤٦٠] .

١٦) وسيكون العشاء في اليوم الرابع في مدينة قوم لى ، أهل حَلٍّ وَعَقْد (يجيدون إحكام الفتل كما يستطيعون نقض الحبل المحكم الفتل " البرِيم ")[٤٦١] .

١٧) اِقْرَأْ عليهم سلامى ، وقل لهم إنى حائر بالجوف والمنتجع رديء .

الشاعر : محمد بن على العرفج[٤٦٢] .

الرواة : عبدالله المطرود ، وحمار ابو عواد ، وجواد العاني[٤٦٣] .

كان محمد بن عرفج ممثلاً لابْنِ علي أمير حايل في مستوطنات واحة الجوف . ولم يك هانىء البال هناك ، فَعَلَى أَنَّ الجوف غير بارز لريحي الشمال والغرب ، فإن محمداً كان يشكو من البرد القارس ، ويتمنى العودة إلى حايل . وكان يريد أن يقوم بالرحلة على راحلته الضخمة المتمرسة بالأسفار . وسوف يصل إلى جنوب الجنوبي الشرقي ، على الطريق إلى حايل .. ثم يبرح جُبَّة بعد منتصف الليل ، ويصل إلى " حايل " في اليوم الرابع ، في وقت وجبة العشاء ، فقد عزم أن يقطع مسافة ٣٢٠ كيلومتراً في أربعة أيام ونصف ليلة . وينبغي أن يؤخذ في الحسبانأن هذا الدرب يمتد قرابة ٢٨٠ كيلومتراً عبر كثبان ، وأنه سيضطر ،

بسبب هذا ، إلى أن يبيت ليلتين في الطريق[٤٦٤] .

البيت -١- : جَرْهَدِيّ : مدمر[٤٦٥] ، تقال في النوم لكونه يضعف المرء ويشعره بأنه متعب .

البيت -٤- : " شباط " فبراير " عندنا . ريح الشمال لا تجعل سكان الجوف يرتعدون من البرد وحسب ، بل وسكان حايل ، وقد جربت ذلك بنفسي . ومحمد يبالغ ليخلع على حايل من الثناء أكثر مما تستحق[٤٦٦] .

البيت -٥- : المنادي : هو أمير حايل الذى تتبعه مستوطنات الجوف لأن الأمير يستطيع دعوة واليه إلى حايل .

البيت -٦- : لا مراعى للإبل في الجوف وما جاورها ، وما ينبت هناك من بَقْلٍ يقطعه الحضر ويجففونه ليدخروه علفًا لإطعام ماشيتهم وحيوانات أضيافهم ، وليبيعوه أيضًا على قوافل التجارة . ولابد من سوق الإبل خمسة عشر كيلومتراً خارج الجوف قبل أن تجد ولو مرعى واحداً ذا كَلأٍ شتيتٍ . وأي حضري لديه ناقة جيدة فإنه يستودعهابدويًا ثقة يقطن مع عشيرته في منطقة الجوف ، ويطلبها منه قبل أن يزمع التَّرَحُّل بعدة أيام . وكانت ناقة محمد ترعى مع قطيع بدو (الويلان) .

تمد الناقة النشطة التى نالت ما تحتاجه من راحة عنقها إلى الوراء ، في الغالب ، وتمسك بطرف ثوب راكبها بِشفْرَيْها ، وتمسه برأسها .

البيت -٧- : تستورد الإبل النجائب من عُمَان . وتَسِمُ كل قبيلة وعشيرة إبلها بعلامة تدعى (وَسِم) ، ولكل علامة أيضًا اسم خاص بها ، وتسمى علامة محمد " مِغْزَل " لشبهها بالمغزل .

البيت -٨- : أي أن عنق الناقة مفرط الطول .

البيت -٩- : تكون ركبتا الناقة الأماميتان ، حين تبرك ، ممدودتين بعيداً إلى الأمام ، وكتفاها مجرورتين إلى الوراء إلى أن توشكا أن تصلا إلى عظم الصدر (الكلكل) الذى يلتصق بالأرض . ذال : بمعنى " ذلك "[٤٦٧] .

البيت -١٠- :ولِتَقِفَ الناقة الباركة على قوائمها يجب أن تقوم بثلاث حركات : أولاً ترفع صدرها وتنحنى على يديها أى (تنهض) ، ثم ترفع ظهرها (نَوضَهْ) متكئة على أطراف رجليها ، والفعل المستخدم لهذا العمل هو : " تِنُوض " ، ثم تقف أخيراً على الأربع كلها (تِثُور) .

الرديف : شخص يجلس خلف الرحل متمسكًا بمؤخرته . وهذا الجزء الأخير من ظهر الحيوان قصير جداً لأن الوركين تسقطان بحدة نحو الذيل .

البيت -١٢- : كانت الناقة قد أهديت للأمير آل على ، وأهداها بدوره لواليه محمد[٤٦٨]. شَبْهَرَواْ : تعنى أنهم فحصوها بأعينهم جيداً بحثًا عن أية عيوب محتملة . وإذا أهدى شيخ تابع أميره هدية ، وتبين بعد فحصها أن بها عيبًا من أى نوع ، فإنه يُلْحق بنفسه من الضرر أكثر مما لو لم يهد شيئًا البتة . ومثل هذه الهدية يأخذها العبيد الذين يقولون للأمير إن الشيخ لم يأت إلا بما يستطيع الاستغناء عنه استغناء تامًا لأنه لا أحد يريد ابتياعه .

ليَحُولَ محمد بين ناقته وبين الحسد أعاذها بعناية الله . سَمّ : سَمٍّ . سَمٍّ اللّه . يقولون : بسم الله ، لكى يودعوا الناقة تحت رعاية الله .

البيت -١٥- : جَوّ فَيد : يقع على الطريق جنوبي جُبَّة . لذلك ففيد ، عند غروب الشمس ، يقع إلى الشمال .مَنْبُوزْ وَرْكها : هو سنام الناقة المُكْتَنِزْ . تستخدم (مَنْبُوزْ) في الغالب ، بدلاً من (سنام) .. ومن هنا استعملت في البيت :

يا راكب من فوق منبوز الظهر   هو منوة اللى ناحر قرايبه[٤٦٩]

وكلما كان السنام أكبر وأسمن تَحَمَّل البعير السَّغَب والنصب مدة أطول ، فإن طالت الرحلة دون العثور على مرعى خصيب فإن الجمل يُفيد من الشحم المتراكم في السنام . وإذا استعمل ذلك كله بلغ من الضعف بحيث لا يقوى على

النهوض ، ثم قد تمضى شهور قبل أن يعود إلى سابق حاله تماماً .
البيت -١٦- : " البرِيم " استعملت من أجل القافية بدلاً من الكلمة الصحيحة " حَقُو " وتعنى : حزاماً من سبعة سيور من الجلد إلى عشرة يلبسه الرجال على أجسادهم العارية . أما " البرِيم " فتلبسه النساء . إنه سيستمتع كثيراً بالعشاء الذى يقدمه له أقاربه (فيكثر منه) بحيث تتمزق تلك السيور .

شيخ سجنه الترك في حماة يتوقع تحريره على يد عُقَيل :

١. يقول فرهــود وهو بالحبس مكتــوف	واويلتي من ضيم شى جــرى لى
٢.يابــد مايقفن بنا الهجــن بزلــوف	يبغن هيــت قبل عشرة ليالــي
٣. واحْدَعَشْ دنى لهن كل مشحــوف	نقطع بهن شــط الفرات الزلال
٤. واثنا عشــر يرمى بهن حزة الشـوف	اما المشــارع واما سدر عوالــي
٥. ياما حلى ان هافن على الشيخ معروف	وزبيدة اللى راس مبناهــا عالي
٦. تلفــي على القصمان ربع بهم نــوف	أولاد علي مرخصــة كل غالي
٧. سلاحهم جوز على ورك مرصــوف	دق الفرنجــي مثل نجم المحالــي
٨. ملبوسهم ماهود يشرى لعمل صـوف	ورجالهــم بينين ســواة الجمال
٩. زبن الغريب ليا نخاهم على الشـوف	الجيش حاضر وبالفعل يعتنى لـي
١٠.ماقلت هذا إلا أنا بالضيق مكتـوف	عيــال ياتونا حين الســوال
١١.مجهودهم يدوه ولاهم هل حســوف	مايصير مثل اليـوم كود هم قبالي

المعنى :

١) يقـول فـرهود ، وهو مكتـوف الأيدى في السـجن ، ويلي مما حل بى من ضيم ! .

٢) [لكن] لابد أن تنطلق بنا النجائب في الموعد المحدد ليصلن إلى (هِيت)

قبل أن تمضي عشر ليال .

٣) وفي الليلة الحادية عشرة أعِدّ لكل منهن مركب من جلد معبأ هواء ، وبالمراكب نقطع نهر الفرات الزلال .

٤) وفي الليلة الثانية عشرة مع بزوغ النور تبدو لهن " المشارع " أو أشجار سدر باسقات .

٥) ما أجمل تلك اللحظة التى يمرقن فيها بحذاء " الشيخ معروف " ، و " زبيده " ذات المبنى الشاهق !

٦) ثم يحللن على " القِصْمَان " .. وهم قوم ذوو فضل .. أولاد علي الذين يَجُودُونَ بِكُلٍّ نَفِيس .

٧) أسلحتهمبندقيات مثبتة على الأوراك ، من صناعة الإفرنج كالكواكب تَأَلُّقًا .

٨) ولباسهم من القماش الرقيق المنسوج من الصوف .. ورجالهم لا يخفون على أحد فكأنهم الجمال(٤٧٠) .

٩) هم مأوى الغريب حالما يرونه يطلب النجدة .. فجيشهم حاضر ، وهم يَدُلُّون بِفَعَالِهم على عقولهم النبيلة .

١٠) لم أقل هذا إلا وأنا في ضيق حال ، مكتوف اليدين .. وسيأتى الشبان إلينا حين نطلبهم " .

١١) إنهم سيقومون بكل ما في طاقتهم عمله ثم لا يأسَوْن عليه .. ولن يَمُرَّ شهر من لَدُن اليوم إلا وهم أمامى .

ألقى باشا الشام القبض على الشاعر فَرْهُود ، وهو أحد شيوخ العِمَارات ، في سوق حلب ، وزَجَّ به في السجن . فأرسل إليه أصحابه " عُقَيل " من عشيرة (علي)(٤٧١) ، الذين كانوا في ذلك الحين يصحبون القوافل التجارية من بغداد إلى الشام ، رسالة تتضمن أنهم سيخرجونه من السجن في يوم معين ويعودون به إلى بغداد . وفي القصيدة يصف فَرْهود ، الذى هيمن عليه الابتهاج ، كيف

سينفذ " الْعقَيلات " خطتهم .

وقد تلاها عليٌّ محمد القضيب .

البيت -٢- : سيركبون أولاً من حماة شرقًا نحو الفرات ، ثم يمضون بمحاذاة ضفته اليمنى إلى هِيت ، قاطعين نحو ٧٠ كيلومتراً في اليوم .

البيت -٣- : ومن هِيت ، سيقطعون في يوم آخر ٥٥ كيلومتراً ، بمحاذاة الضفة اليمنى . وفي اليوم التالى سيعبرون النهر من لدن النقطة المواجهة لمحطة (رَبّ). المشحوف : مركب من جلد ، أو مركب صغير .

البيت -٤- : حَزّة الشُّوف ، أو ، ساعة الشُّوف : تعنى أول طلوع للفجر ، أول ما يمكن تمييز الأشياء . المِشَارِع ، عِلْوب السدر : خانات على الطريق بين الأنبار وبغداد.

البيت -٥- : النصب المقامة للشيخ معروف و (السّتّ) زبيدة زوج هارون الرشيد ، على الضفة اليمنى لدجلة ، حيث تقيم " عُقَيل " .

البيت -٦- : القصمان : هو الاسم الذى يطلق على من هم من أهل القصيم من " عقيل " . وهذه القصيدة يعرفها كل " عقيلي " .

شيخ يؤنّب على ابتزازاته :

١. دار بها الحقران وش مقعدي به — ليا صرت جار وعن هوى النفس مردود

٢. ياصفوق تهمز علتي وانت ذيبه — هزيت قومي هز كف بعرجود

٣. هذي تصدرها وهذي تجيبه — وهذي تصدرها عن الحق بشهود

٤. كم سابق ياشيخ حنا نجيبه — نجيبها ياصفوق والحرب مشدود

المعنى :

١) كيف أظل في وطن ألاقى فيه الاحتقار ؟ إذا كنت جاراً قد حيل بينه وبين ما يشتهى !

٢) يا صفوق ، إنك تتحسس علتى وأنت ذنبها .. لقد هززت قومي كما يُهَزُّ عُرْجُون تمرٍ بِكَفٍ .

٣) فهذه الدعوى تنهيها ، وهذه الدعوى تأتى بها ، وهذه تبعدها عن الحق بشهود زور[٤٧٢] .

٤) كم من (فرس) سباق أيها الشيخ نأتي بها إليك .. نأتى بها والحرب قائمة على أشدها .

الشاعر شيخ عشيرة شمرية صغيرة كانت مقيمةً في العراق .

والراوي : الأمير النوري .

صَفُوْق آل جَرْبَا ، أحد كبار مشايخ شمر في العراق ، قهر القبائل والعشائر التابعة له قهراً استبداديًا ، وكان يبتز الأموال منها بمختلف الطرق ، وكان يغير عليهم إذا بدا له قيامهم بأدنى مقاومة كما لو كانوا عَدُوّاً . فابتعد من جراء ذلك عن أرضه عدد من الشيوخ الصغار مع أتباعهم (قَوم ، أو : جِماعة) ، وأقاموا جيرانًا لقبائل أخرى . وقد اضطر شاعرنا أيضًا إلى النزوح ، لكن ، لخوفه من فقدان حريته التامة (هوى النفس) لكونه جاراً لشيخ أجنبي بخيل ، أنَّبَ " صفُوق " في هذه القصيدة على ابتزازه وحَمْلِه على الهجرة .

البيت -٢- : العَرْجُود : العُرْجُون ، عُرْجُوْن التمر ، قِنْوُ التمر . وإذا هُزَّ العرجون بعد الإمساك به في اليد فإن الرُّطَبَ تَسَّاقط على الأرض . وعلى نحو شبيه بهذا ، هَزَّ صفُوق قوم شاعرنا ، مبتزاً منهم غرامات ومكوسًا عديدة .

قائد ثائر يطلب منه شاعر مصالحة شيخه :

١. ياسمير بن زيدان وش لك بالابلاش	وش لك بربع مالك والله يطيعون
٢. وش لك بنقل السيف تشريه بدباش	ليا عاد مابالسيف روس تقصون
٣. ليا عاد مابالبيت تسعين حراس	تسعين مع تسعين والف يعنون

٤. عبدالكريم الــــــداب للَسَّاقْ نهاش	ان هـــــز ربعك يابن زيدان ياتون
٥. والله ماتقعـــــد مريح على فــراش	ولاتهتنى بالنوم مثل ال به جنون
٦. ليـــا عاد مالك من ثنـاياك نتاش	ترى اللحــم ما ينتش غير بسنون
٧. سيف بليـــا رجال مايطيع هــواش	مار الصلح احسن مما تقولــــــون

المعنى :

١) ياسمير بن زيدان ما تُجْدِيك محاولاتك اليائسة ؟ وما تريد بصحاب لن يطيعوك ؟

٢) وما تريد بحمل السيف الذى ابْتَعْتَه بحيوانات مقايضة إن كنت لا تُطيح به الرؤوس ؟

٣) مادام ليس في البيت تسعون حارسًا فإن تسعين مع تسعين وألفٍ سيخرجون عليك .

٤) عبدالكريم حية نهاشة للساق .. إن دعا رفاقك ، يا ابن زيدان ، أتوه طائعين .

٥) وعندئذٍ لن تقعد ، والله ، على فراشك مطمئن البال ، ولن تهنأ بالغَمْض ، كمن به مَسٌّ من جنون .

٦) إن لم يكن لك أسنان تعرش بها اللحم ، [فلن تذوقه لأنَّ] اللحم لا يعرش إلا بأسنان .

٧) والثائر لا يرضخ لسيف لارجال تحت ظلاله ، فالصلح إذن خير مما تقولون .

الشاعر : شَمَّرِيّ من رعايا عبدالكريم ، مقيم في الجزيرة .

الراوي : محمد القضيب .

خرج على شيخ الجربا عبدالكريم أَحَدُ أقربائه ، وهو سْمَير بن زَيْدَان ، وقد كسب ، في بادىء الأمر ، إلى جانبه أتباعًا كثراً بتوزيعه قطعانه العديدة (دْبِشهْ) عليهم ، لكنهم سرعان ماانفضُّوا عنه الواحد تلو الآخر لما أَلْفَوْهُ لا يجيد القيادة . لذلك دعاه الشاعر للجنوح للسلم .

البيت -١- : أبْلاشْ أو بَلْشَات : محاولات يائسة ، مغامرات ... " ليه تْبَلِّشْ حالِك " تعنى " لماذا تتعب نفسك ؟ " .

البيت -٤- : الدّابّ : نوع من الثعابين الطّوَال .

البيت -٥- : ولا تهتنى : ولا تهنأ ، وستتنهد كمن به مَسٌ من الجن[٤٧٣] .

أب مشتاق يرسل رسالة إلى ابنيه الغائبَيْن في حوران :

١. ياراكب من فوق عشراً على اللون	شعـــل يهاوزن الاظلـــه خوات
٢. عشر على عشـــر اهلهن يتبـارون	مثل الجريد ارقابهن جاســـيات
٣. فـــج المناحر طولهن تقل مـازون	قـــب الضلوع متونهن نابيـــات
٤. ياغوش كان انتم لحــوران تبغون	ياموفقين الخـــير صلوا وصـاتي
٥. خوذوا كـــلام بالصناديق مكـنون	كلام احلـــى من حليـــب الفتاة
٦. بالله عليكم ريضوا شرب غليـون	ليـــا ما نحط الحـــبر فوق الدواة
٧. وحوفوا عليهن ليانويتو تمـــــدون	وحطوا قراميـش الخَــلا الْوَالْمَاتِ
٨. حطـــوا الجدي يمينكم لاتتيهـون	وارعـــوا النعايم سبعــة بينات
٩. سلم على اللي مددوني وخلــــون	سيف وشوردي نور عيني شفاتـي
١٠. قل لهم ابوكم حالــــف غير تاتون	وان ما لفيتو حالـــف غير ياتي
١١. إن كان صيدك قلة المـــال وخزون	ماتطوّل العمـــر القصير الغنـــاة
١٢. دنياك مادامــــت للايدا وسعدون	وتــف على دنيًا وراهـــا الممات

المعنى :

١) أيا راكبًا ناقة من عشر نياق ذات لون واحد .. شُعْلِ الألوان[٤٧٤] ... يُجْفِلْنَ من الأظِلَّة .. كأنهن أخوات[٤٧٥] .

٢) عشر نياق ومعها عشر أيضًا ، وراكبوها يتبارون في سيرهم . أعناقها صلاب كجريد النخل[٤٧٦] .

٣) صدورها عراض .. وأطوالها متساوية كما لو قيس طول كل منها [بحيث لا يزيد طول الواحدة عن طول الأخرى] ، مقوسات الأضلاع .. نابيات المتون .

٤) أيها الشبان ، إن كنتم تزمعون الذهاب إلى حوران ... فيا موفقين إلى الخير (إن شاء الله) احملوا وَصَاتي .

٥) خذوا كلامًا أكنه في صندوق صدري . كلام أحلى من حليب الناقة الفتية .

٦) أرجوكم أن تنتظروا قدر تدخين غليون ، إلى أن نضع الحبر في المحبرة .

٧) ضعوا الأحمال كلها عليهن ، إذا عزمتهم على المسير ، واحملوا عليهن كل أداة السفر .

٨) ضعوا نجم " الجدي " عن يمينكم لِئَلاَّ تَضِلُّوا ، وانظروا إلى نجوم " النَّعَايِم " وهي سبعة بادية للعيان .

٩) أَقْرِئُوا سلامي من ذهبوا وتركوني .. (سَيْف) و (شْوَرْدِي) ، نور عيني .. شفائي .

١٠) قولوا لهما : إن أباكما قد آلى أن تَأْتِيَا .. وقد آلى لئن لم تأتيا لَيَذْهَبَنَّ إليكما .

١١) إن كان سبب عدم مجيئكما قلة المال [والرغبة في البقاء لتوفير قدر أكبر منه]فَلْتَعْلَمَا أن الثراء لا يطيل العمر القصير .

١٢) والدنيا لم تدم لِلأَيْدَا أو لِسعْدُون .. فَأُفٍّ لحياة يتلوها الموت .

كان لشمري ابنان : (سيف) و (شْوَرْدِي) ، وقد سافرا إلى حوران لطلب الرزق . وهذا مايفعله كل عام كثير من سكان مستوطنات بلاد العرب الداخلية . وهم ، في الغالب ، ينضمون إلى الرولة في رحلتهم إلى الشام التى تتم في أواخر يونيه ، وفي حوران يعملون رعاة وحصادين وذُرَاة[٤٧٧] . ويتسلمون لقاء عملهم قمحًا ، ثم يعودون ، كرة أخرى ، مع الرولة إلى أوطانهم ، وبعضهم يظل في الخارج شهرين ليس إلا ، بينما يظل آخرون عدة سنوات . ولأن ابني شَمَّرِنا لَبِثَا طويلاً في الغربة ، فاضت قريحة أبيهما بهذه القصيدة التى تلاها عليّ طراد بن سطام .

إذا أرسل شيخ وفداً فإنه يأخذ في الحسبان أن تكون مَطِيُّهُمْ كلها ذات لون واحد . وأمير الرولة يبعث سِفارة من هذا الضرب كل عام إلى حوران قبل أن يذهب بنفسه إلى هناك ، ويرسل خطابات ورسائل شفاهية إلى كبار سكان المستوطنات المختلفة ، وإلى الموظفين ، وإلى أصدقائه المخلصين ليضمن لنفسه مسيراً لا يُكَدِّرُهُ مُكَدِّر ومؤنًا كافية . وصادف أن رأى شمرينا هذه الجماعة ، مؤلفة من تسعة شبان على عشر نوق شعل .. وهذا اللون هو المفضل في هذه الحيوانات ، وكانت كلٌّ منهن تشبه الأخرى كالأخوات .

البيت -٢- : كلها كبار وفي بطونها أولاد ، ويتبعها مالكوها الذين لا يرغبون في بيعها في الخارج ، فتعود الحيوانات إلى قطعانها لتجلب للمالكين مزيداً من الربح بعد الولادة " هم يِتَبَارَوْا " تعنى " هم يتبعون " أو " يتبعوننا " . تِقِلْ : بدلاً من الصحيحة " تقول "[٤٧٨] .

البيت -٣- : وعليه فالعنق الصلب المستقيم ، والزَّوْر العريض ، والأضلاع المقوسة ، والأكتاف الضّخام النابية تعد من الصفات التى تمتاز بها بعض الإبل .

البيت -٤- : موفقين الخير : لها نفس معنى " شايفين الخير " . " صُلُّوا " أى " وصلوا " أو " صِلُوا " . الغَوش : أو " العيال " تعنى الفتيان الذين تتراوح سِنُّ أحدهم بين الثامنة عشرة والعشرين ، وتعنى كذلك " الأبطالَ المقدامين في الحرب " .

البيت -٥- : صندوق : صندوق صغير ، أو حقيبة ونحوها ، وهذه الصناديق نادرة الوجود عند الرولة ، فلدى الأمير وحده صندوق طوله ٥٠ سنتيمتراً ، وعرضه ٣٠ ، وارتفاعه ٢٠ ، يحفظ فيه أوراقه ونقوده . وعلى المسافر أن يلف حقائبه التى تحتوى آلات علمية بأكياس ، لئلا تثير رغبة في الغنيمة لدى البدو الذين يحسبون كل صندوق مملوءاً ذهبًا . الشبان سيحفظون رسالة شاعرنا كما يحفظ الكنز في صندوق .

فتيِّهْ : ناقة تتراوح سنها بين السادسة والعاشرة ، ويقال : إن حليب مثل هذه " الفتاة " هو الألَذُّ طعمًا .

البيت -٦- : ربّضُوا ، وقفوا ، وَقِّفوا أو " تَعَوَّقُوا " : كلها تعنى " قِفُوا " .

الغليون : أنبوبة تبغ ذات ساق طويلة ، وعند الرولة تستعملها النسوة . الحبر : مسحوق جاف معمول من العفص والزَّاج الأخضر ، يوضع في محبرة ويمزج بماء .

البيت -٧- : حُوفَوْا عليهن : يصيح قائد القافلة لرفاقه حين تنهض الإبل المحملة بأحمالها ، وبذلك يطلب منهم أن يتفقدوا المنزل ليروا إن كان ثمة شيء قد نسي ، وليروا أُوضِعت الأحمال على الإبل على نحوٍ لا يسبب عدم التوازن ، أو يضايق الحيوان ، وهل شدت الحبال شداً محكمًا ، وأن الأحمال لا تميل إلى جانب واحد ....إلخ . قَرَامِيش الْخَلاَ : العُدَّة التى يحتاج إليها في الصحراء ، كالحقائب المقاومة للماء (الرَّوَايا) مملوءة ماء ، والدقيق ، والجراد الجاف ، وصناديق الكبريت ونحوها . ورُبَّ راكب يأخذ عادة كل أنواع المؤن حين يذهب إلى الصحراء ، لكنه إن اضطر إلى السَّفر على عَجَلٍ فلابد له من أن يرضى بما

هو جاهز (وَالْمَات) .

البيت -٨- : يتجه الطريق من الجوف إلى حوران مباشرة تقريبًا نحو الشمال الغربى ، لذلك فالجدي في مقابل كتف الراكب اليمنى . النعايم السبعة : هى نجوم الدب الأكبر السبعة الأساسية .

البيت -١٢- : الايدًا : من " وِلْدْ عَلِي " معروف بالثراء كالسِّعْدُون وهى أسرة شيخ قبيلة (الْمِنْتِفِق)[٤٧٩] .

بدوي يتمنى أن يعيش في بلاد الحضر :

١. ليتي من الحضران واسكن بديره — بديرة نبتـه بساتين ونخيـل
٢. بير وسـيع وقمته مسـتديره — وادني عليه الرجـع الكنس الحيل
٣. ودلينا ماقيـل بيهن صغـيره — وسـاع الفروغ مجذفات الشخاليل
٤. واقول حلالولاه يا النخيل الكثيره — ماهـو غلا بمكركمات الشماشيل
٥. مناخ مايرث علينا معـسيره — وتنصاه من بعد الرجـال المراميل
٦. نجـر ومحماس على جال كـيره — وادني دلال الشـام هن والفناجيل
٧. قلبي يود اللى صخيف ضمـيره — الصاحب اللي وذر القلـب توذير
٨. ياغصـن موز ناعم بي قبـيره — راسه على طل وجذعه على سـيل
٩. عذروبها ماغير توها صغـيره — ياما ل ، ياغصن الشباب ، التماهيل
١٠. نهـده زبيدى لبة بيمحـيره — يا نَزّ مزن مقذفـات الهماليل

المعنى :

١) يا ليتني من الحضر وأسكن بلدة ذات زرع ، بلدة نبتها البساتين والنخيل .

٢) بئر واسعة ، وحولها مر واسع ، وأقرب إليها النياق المجربات السمان الحائلات [ليستخرجن منها الماء] .

٣) ولا أحد سيقول إن دلاءنا صغار .. بل هى واسعة الأفواه ، سيندفع الماء منها عند إفراغها كالسيل .

٤) واقول : ما أحلى النخيل الكثيرة ، ليس حبًا للنخيل ذات القِنْوَان المبعثرة الصُّفْر [٤٨٠] .

٥) بل من أجل منزل كريم لا يجلب لنا العار ، ويقصده من بُعْدٍ الرجال الذين استنفدوا مؤنهم .

٦) هاوَنٌ ومحماس على جمر ، وأُدْنِي أواني القهوة الشامية هي والفناجين .

٧) إن قلبى ليحب صاحب الحشا الضامر .. الحبيب الذى مزق القلب تمزيقًا .

٨) يا لك من غصن موز ناعم في بستان .. يبلل رأسه الطَّلّ ، وجذعه يشرب من بركة ماء .

٩) لا عيب فيها سوى أنها لما تَفْتَأ صغيرة .. أتمنى لك ، ياغصن الشباب ، الإمهال الطويل (أي طول العمر) [٤٨١] .

١٠) نهدها ككمأة (الزَّبَيدِى) النابتة في واد ارتوى من المطر .. يا قطرات عرق المزن التى تلقي زخات المطر القوية .

الشاعر : عَدْوَان الهِرْبِيد من السِّوِيد من قبيلة سنجارة من شَمَّر نجد [٤٨٢] .

الرواة : عِبْكي ،وهو شَمَّري يعمل راعيًا لدى الرولة ، ومحمد القضيب ، وحمار أبو عواد .

كان الشاعر قد زار المستوطنات الواقعة على الفرات الأدنى مرات عدة ليبتاع القمح ، ولأنه سعد ببقائه هناك ، فقد اشتاق إلى الإقامة فى البلاد المأهولة بصفة دائمة ، وهو يعبر عن هذه الأمنية في قصيدتنا . تمنى أن له جَنَّةً من نخيلٍ، وحديقةَ فاكهةٍ كثيفة ، يسقيها من بئر واسعة بغربٍ ، بمعونة نوق سمان . وفي بستان النخيل أراد أن تَبْرُزَ قِنْوانٌ كثيرة صُفْرٌ فيها وفرة من التمر، وبيت لإكرام الضيوف ، وأواني قهوة . ثم سيتزوج فتاة صغيرة جداً

يضطر إلى انتظار أن تكبر .

البيت -١- : دِيرهْ : هو الاسم الذى يطلقه البدو ، حين يمضون للتزود بالمؤن ، على الأراضي المزروعة التى يكرمهم سكانها .

البيت -٢- : قِمّته مِسْتَدِيرِه : تعنى جادة مستديرة قد سارت عليها الحيوانات التى تستخرج الماء . الرِّجَّع الكِنّس الحِيل : النياق التى اعتادت على إدارة بكرة السانية (المَحَاله) اللواتى لايتخذن للنسل ، وهن يرعين في البستان .

البيت -٣- : يُعَلّقُ ، في الغالب ،على بَكَرَةِ السَّنْي الكبيرة عشرون دلواً مصنوعة إما من الفخار أو الجلد (دِلْيّ) . وهى تفرغ في حوض يخرج منه الماء إلى بركة ، أو إلى قناة رَيّ . مْجَذّفَات الشُّخاليل : هى تلك الغروب التى يندفع منها الماء بغزارة.

البيت -٤- : مْكَرْكُمَات الشِّمَاشِيل : القنوان ذوات الشماريخ الصُّفْر .

البيت -٥- : تبنى في المستوطنات ، عادة ، غرفة على حدة للأضياف حيث يقيمون في أثناء سفرهم ، وحيث يقدم لهم أيضًا الزّاد الذى يرسل إليهم من مُخْتَلف البيوت بالترتيب . ويجب أن تكون على غرفة الأضياف هذه أمارة من الخارج ليهتدى إليها المسافر بيسر .

البيت -٧- : وَذَّر القَلْبْ تَوذِيرْ : في هذا تلميح إلى أنه سيتزوج ، عن حُبٍّ ، فتاة تقطع قلبه كما لو قُطِّعَ بِمِقَصٍّ أو سكين ، وتحتفظ به .

البيت -٨- : القِبِيرِه : بستان فاكهة أجيد غرسه ، تزدهر فيه أشجار الموز . لابد أن حبيبته تشبه غصن موز ينمو من جذع قوى ، وهو رقيق الوسط لكنه يمتد نحو الأعلى حيث يحمل الثمرة الناضجة .

البيت -١٠- : الزِّبِيدى : كمأة صغار ، مستديرة ، وذات طعم شهي . المِحِيره: حوض ضحل ، يخصبه ماء السطح المتبخر . تنهمر في فصل الصيف " هماليل " المطر من السحب الداكنة غزيرة لكنها لا تدوم طويلاً . يقال إنه بعد مثل هذه الأمطار تعرق التربة فتبدو قطرات العرق على شكل " فُطْر " . وواحدة الفُطْر

التى تخرج من الأرض تدعى " نَزّ " .

صلبي يتمنى أن يكون بدويًّا :

١. يا الله طلبتك غفــــرا وجنه	وعسى نصيبى عند مولاي ما بيح
٢. سلم جواد عند اهلنا مضنى	ذرعــــانها يشدن لـذرف السبابيـح
٣. أطعن لعيني جل خلفــاتهن	وعشاير ترجــــع لحس المصـاليـح
٤. أطعــــن والحق العــود فنه	ليا ذل عشــيق البنيات الطماميـح

المعنى :

١) أسـألك يا الله الغـفران والجنة ، وعسـى أن يكون نصـيبى عند مـولاى بينًا لي[٤٨٣] .

٢) بلغ سلامي فرسا معروفةً لدى أهلنا ، تشبه أذرعها أذرع السابحين .

٣) لأطعـن (عليـه) من أجل عـيني الخلفـات[٤٨٤] الكبـيـرات ، والعـشـراوات اللواتى يعدن إذا سمعن أصوات الرعاة الحذرين .

٤) لأطعن وأضـرب بالرمح طعـن خـبيـر ، حين يملأ الرعـب قلب عـشـيق النسـاء اللاتى نشزن عن أزواجهن .

الشاعر : صلبى غير معروف .

الرواي : نواف بن النوري بن شعلان .

أجَّرَ صلبي ، أو أحد أفراد قبيلة الصلبة غير المحترمة ، نفسه خادمًا حراً " فـداوي " للشـيخ الرويلى ابن جَنْدَل ، آمـلاً أمـلاً قـويًا في أن يُضْحِيَ فـارسًا ومحاربًا كأيِّ رويلي . وعبر عن أمنيته بهذه القصيدة .

البيت -١- : مولاى : الله ، الذى قَدَّر قَدَرَ كل إنسان منذ الأزل .

البيـت -٢- : يتـصل " الصليب " بالبـدو حين يقـيمـون فـي البر الداخلي ، وبذا

يجد أقرباء الشاعر فرصة لرؤية الحصان الذى يركبه الآن بصفته (فْدَاوِي) .

البيت -٣- : الْخَلْفَات : النياق التى تحلب بعد ولادتها . العشاير : هو الاسم الذى يطلق على النياق نفسها ، حين تقاد إلى الفحل بعد عشرة أشهر أو اثنى عشر ، وتُضْحي عُشَرَاوَاتٍ (حاملات) مرة أخرى . ثم تجف ألبانها . وحين تسمى الناقة حاملاً تدعى (عْشَرَا) ، وإن ظلت دون حمل (حايل) . وفي طريق العودة من المرعى ، يظل الراعى الجيد صائحًا بعبارة معينة صياحًا دائمًا لكى يرشد إبله ، حتى لا تضل أو تذهب مع إبل أخر .

البيت -٤- : فنَّهْ : هى الطرق المتنوعة والحيل المستعملة للطعن بالرماح التى يود " الصلبي " تعلمها . الطَّمَامِيح : النساء المتزوجات غير الراضيات بأزواجهن اللاتى يشتقن لأزواج أفضل وأجرأ . والشخص المفضل لدى أمثال هؤلاء النساء يَبُزُّ الآخرين جميعًا في الإِقدام ، لكن " صلْبِيًّا " يعنى أن يصمد حتى يدب الخوف إلى الشخص المفضل ويفر .

بدوي يحذر الصلبي من تغيير مهنته :

تحدث " صلْبِيًا " كرويلي أصيل ، لكن رفيقه ، وهو رويلي يعمل عند ابن جَنْدَل ، أجابه كما يلي :

١.	يابا الخلا حطيت بالقلب ونه	كب الخياله يامسوي الزنانيح
٢.	كارك بويت بالخلا لاتزل عنه	وكلاب جدك كثرن التنابيح
٣.	يا اللى حميرك كل رس وطنه	ترفى هدامه بالخشب والصلافيح

المعنى :

١) يا صاحب الخلاء (يا من تقطن البَرِّيَّة) .. لقد أودعت القلب حزنًا

(حرفيا : أنة) .. دع الفروسية يا عامِلَ رُقَعِ الجِلد للمَرَافق والركب .

٢) عملك في بيت في البراري لا تفارقه ، وكذلك الكلاب الموروثة عن جدك .. ذات النباح الدائم .

٣) يا من حميره قد وطئن كل رِسٍ[٤٨٥] (حيث وردنه) .. وما هَدَّمْنَه من جدران الرِّسٍّ فإنك تصلحه بالخشب والحجارة .

يحذر الرويلي الصلبي من تغيير مهنته ، ويحثه على العودة إلى قومه .

البيت -١- : يدعو الرولة كل صلبي " أبا الخلا " أى " أبا الصحراء " أى الذى يستوطن الصحراء . و (الْخَلا) عند البدوي : أى إقليم لا تستطيع إبله العيش فيه في سنة معينة ، لكن الصلبي يظل مع حُمُرِه وعددٍ من المعز قليلٍ حتى في مثل تلك الأمكنة . وفي صيغة الجمع ، لا يقال للصليب " أولاد الخلا " بل " أولاد غانم " لاعتقادهم أن لهم جميعًا جداً أعلى واحداً هو غانم .

جَلَبَ الصلبي الغَمّ إلى قلبه لأنه سيكون خائب الأمل . تستخدم الكلمة (كبّ) لسكب الماء القذر ، أو ترك عمل لا خير فيه .

الزَّنَانيح : قطع بَيْضِيَّة الشكل من جلد الظبى يشدها " الصليب " على رُكَبِهِمْ ومرافقهم حين يزحفون خلف الصيد . وهم ، عادة ، يغطون أنفسهم بأغصان الشجر ، بحيث يضفون على أنفسهم مظهر الشجر الطِّوال ، ثم يزحفون حذرين على مرافقهم وركبهم إلى أسراب الظباء والغزلان وحتى النعام .

البيت -٢- : يحتفظ " الصليب " بكلاب كثيرة لحراسة قطعانهم ليل نهار من الذئاب والضباع .

البيت -٣- : إنهم لا يقطنون أبداً قرب الموارد الكبيرة ، حيث قد يلاقون البدو الذين يحاول (الصليب) تجنبهم ما أمكن ذلك . وهم على أية حال ، يعرفون كل بئر ضحل الماء (رِسّ) في قنوات مغطاة بالرمل الخشن . وفي فصل المطر، يسيل الماء منحدراً في تلك القنوات الصخرية ، مؤلفًا ، بعد الأمطار التى تدوم

طويلاً ، جدولاً يملأ القناة التى سفعتها الشمس طوال أيام عديدة ، إلى أن يتبخر ماء السطح في الشمس الحارة ، ولا يسيل تحت الرمل الخشن إلا المتبقي ، فيملأ التجويفات والحفر التى في القاع الصخري كلها . وهذه التجويفات يعرفها الصليب ، الذين يزيحون الرمل والحصباء ، ويبنون جداراً على التجويف لئلا يذهب الماء إلى باطن الأرض ، ويغطونه بالأغصان والأعشاب ، ثم يقيمون كومًا من الرمل ليحجب الشمس ، ويخفى الماء عن أعين الغرباء . وإذا احتاجوا الماء فتحوا تلك التجويفات ، وسَقَوْا حُمُرَهُمْ ، وملأوا قِرَبَهُمْ ، وحملوها إلى بيوتهم . وغالبًا ماكانت تُكْثِر الْحُمُرُ العِطَاش من الوَطْء على (الرِّسّ) الذى عُرِفَ ماؤه ، فتضطر الصلبي إلى إصلاحه قبل مجىء الأمطار الجديدة ، إن لم يكن يريد لأسرته وقطيعه أن يعانيا من الظمأ .

شاعر عضه كلب مسعور وتخلى عنه أهله يشكو حاله إلى صديق له :

١. ياونتي ونة غريب الدراويش قطيع الحاج اللي على الدار خلي
٢. ياحمود عضد لي واني طحت بغشيش ولا من هلي ولدة حلال فطن لي
٣. انا عضيض الغلث لو قيل مابيش الاربعين مقرب حتنهن لي
٤. أمشي على عين العرب كن مابيش أمشي ولو ماخاطري مسفهل
٥. المعنى ياجاويد عافين هلي ليش نشون مثل الكلب ولاكن هل لي
٦. تم الوعديا اجواد وبانت طواريش اليوم واليومين ماني تملي

المعنى :

١) يا لأنتي ، أنة رجل من " الدراويش " غريب ، انقطعت به السُّبُل عن رفاقه من الحجاج ، وترك في الحي .

٢) يا حمُوْد مُدَّ لي يد العون ، فقد وقعت في شرك ، وليس من بين أهلى

امْرُؤٌ كريم وقف بجانبى .

٣) أنا من عضه الكَلْبُ الكَلِبُ ، وإن قيل أن لا شيء يؤلمنى .. والأربعون يومًا قد دنا أجل تمامهن .

٤) أسير أمام الناس وكَأَنْ لا أعانى من أي شيء ، أسير ولو أن بالى غير سعيد .

٥) المعنى أيها القوم الكرام : لِمَ نبذنى أهلى ؟ طرودنى كالكلب وكأن لا أهل لي .

٦) لقد تم الوعد أيها الأجواد ، وبانت الأعراض ، ولن أستمتع بالحياة مدة يوم أو يومين .

الشاعر ، أحد أفراد قبيلة الدَّهَامْشه ، عضه كلب مسعور فَجَرَّهُ أقاربه إلى مورد ماء ، وأعطوه ملحًا ودقيقًا وتمراً يكفيه أربعين يومًا ، وهددوه بالموت إن برح المكان واقترب منهم قبل أن تمضى الأربعون ، وحينذاك يفترض أن يُظهِرَ دَاءُ الكَلَبِ نَفْسَه . وعلى الرجل المصاب أن يمكث في الخلاء وحده ، وكان صديقه الوفي حمود في ذلك الوقت مغيراً ، ولما عاد سمع بالمحنة التى حلت بصاحبه فهرع إليه على الرغم من تحذير قومه له من العدوى ، حيث لما يمض على الحادثة سوى ثمانية وثلاثين يومًا . ويفترض أن الرجل السقيم قد قال هذه القصيدة مخاطبًا بها حموداً .

الراوي : طارِش بن مِلْفِي الدَّهْمِشِي .

البيت -١- : يأتى الدراويش المتجولون من الصين والهند وفارس إلى العراق حيث ينضمون إلى العشائر الظَّاعنه والحجاج ، لكى يصلوا إلى المدينة ومكة ، ويتولى البدو رعايتهم ، فتسلمهم كل قبيلة للأخرى ، لكن الحجاج لا يعيرونهم اعتناءً . فإن اعْتَلَّ الدرويش تركوه طريح الفراش في المنزل ، دون أى مبالاة بمصيره الذى عادة ما يكون الهلاك .

البيت -٢- : وِلْدَ الْحَلال : الإنسان الصادق الطيب .

البيت -٤- : مِسْفِهِلّ : لها معنى " مْكَيِّفْ " نفسه أى : سعيد ، مبتهج .

الألغـــاز

يحب الرولة حل الألغـاز (خَبَاوَه) وهم يكسـونها دائـمًا كسـاء شـعريًا . والألغـاز التـالـية علمنيـهـا جـواد العـانى ، والثـالث منهـا يعـرفـه أيضًا حـمـار أبو عواد :

* أَنْشدْكْ عن سبع مْسَمَّيَاتْ

لا يِتِيهِـــــنْ لا يِبِيهِـــنْ　　　عتيقـــات جديــــدات

كل مِنْ مِشَى مِشَى بِيهِـــنْ　　　اللـــى حيٍّ واللـــى مات

المعنى :

أسألك عن سبعة أشيـاء مُسَمَّاة ، لا يَتِهْنَ ولا ينسين ، عتيقات جديدات ، كل من سار سار بهن ، من هو حي ومن قد مات .

الجواب :

الأسبوع : أيام الأسبوع السبعة .

* أنشـــدك عن خمس جل　　　لا هـــن خيل ولا هــــــن بل

اثنين بشمس وثلاث بظل

المعنى :

أسألك عن خمسة أشيـاء مـهـمة .. مـا هي بِخَيْلٍ ، ولا هي بِإِبل ، اثنان منها بالشمس وثلاثة بالظل .

الجواب :

الصلوات الخمس .

* أنشـــدك عن شي سـلى الخيل والنوق   وكل البـــوادي بالمحبة ســـــلاها
تضحك له البيض العذارى سهف روق   يرمى قرانيص القطـــا من سماها

المعنى :

أسـألك عن شيء يسلى الخـيـل والنوق ، ويسلى البـدو جـمـيـعًا .. بالحب تضحك له البيض العذارى ، ومن أجل الخوف عليه تسقط الصقور من السماء !

سَهَفْ رَوُقْ : الحزن ، والقلق على الأطفال . جواد قال " قرانيس " وحمار : " قرانيص " والقَرَانِيس الصـقور التى قـد نبت ريشـهـا ، فـهى لذلك (بالغة) . قـرانيس القطا : هى القطا الكبـار اللواتـى يلغين رحـلاتهن حين يسـيطر عليـهن الخوف على صغارهن ، وهن يبنين أعشاشهن عادة في السهـول المنخفضه التى تغطيـهـا الحـشـائس المزدهرة والشـجـر التى تكوِّن بذورها الطعـام الأول للصـغـار . وتطير القطا ، في الغـالب ، من أماكن أعشـاشهن إلى ما يبلغ مـائة كـيلومتر إلى المناهل . ويرى حمار أن المقصود بـ (قرانيص القطا) الصقور التى تصيد القطا وهن ، أيضًا ، يتخلين عن الصيد حين يغمرهن الخوف على صغارهن .

سَأَلَ شَرَارِيٌّ لم ير في حـيـاته إوزة قط رويليـًا عن شكلهـا وقـال : (مـا وجه الشبـه بينها وبين الغـزال ؟) فكانت الإجـابة " تَقَلُّب مزاجـهـا وجبنهـا " . وبينهـا وبين الظبى الأبيض ؟ " نعـومـة شعـرها وعـيناها " ، وبينهـا وبين النعـامـة ؟ " ، " الساقـان الدقيقتـان والمشية " فقـال شرارينا سعيداً : الحمد لله ، الآن أعـرف ما شكل الإوزة .

حواشي المؤلف

1. Alois Spenger, Ein Beitrag Zur Statistik von Arabien, in: Zeitschrift der Deutschen Morgenlandisohen Gesellschaft, Vol. 17, Leipzig, 1863, P. 226.
2. Carlo Guarmani, il Neged Settentionale, Jerusalem, 1866, PP. 196 - 198.
3. W. S. Blunt, A Visit to Jebel Shammar (Nejd), New routes through northern and central Arabia in: Proceedings of the Royal Geographical Society, New monthly series, Vol. 2, London, 1880, P. 81.
4. Alois Musil, Arabia Deserta, New York, 1927, PP. 238 - 243.

(5) يدعى إبهام الرجل " بْهَام " ، الأصبعان الثاني والثالث في الرجل " الخنصر " ، الإصبع الرابع للرجل " خنيصر " ، الإصبع الصغير للرجل " بنيصر " ، الظفر " ظفر " ، أصابع الرجلين " أصابع الرجلين " ، بطن القدم " خَفّ " ، وسط الرجل " كَبْد الرِّجِل " ، العَقب " عَقْب " ، العرقوب " عرقوب " ، الساق " ساق " ، الجلد " جربوعه " ، الركبة " عين الركبة " ، رأس الركبة " زْلاله " ، تجويف الركبة " مابِضْ " ، الفخذ " فخذ " ، العانة " حدَّهْ " ، الذكر " عير " أو " زبّ " ، الخصيتان " خصْيَان " ، الحشفة " فَصْعهْ " الخاصرة " خاصره " ، الورك " ورك " ، العجيزه " شطيه " ، أو " طيز " ، السرة " سرة " ، الصلب " جنب " ، الاضلاع " ضلوع " ، الصدر " صدر " ، حلمة الثدى " ديد " ، الغضروف الخنجرى " ensiform cartilage " غضروف القلب ، البطن " كبد " ، الأمعاء " قصبان " ، الكلْيَة " كلْوَه " ، الطحال " طحال " ، الكبد " ستار " ، المرارة " مراره " ، القلب " القلب " أو " صندوق القلب " ، الرئة " ريه " ، الظهر " ظهر " ، أسفل الظهر " دْقَيِّق " ، فقر الظهر " خَرَز الظهر " ، عضل الكتف " دَفّه " ، لوح الكتف " كتف " ، قفا الكتف " رُمّان الكتف " ، الرقبة " رقبه " ، جزء ا قفا الرقبة العضليان " علْبَا " ، التجويف بينهما " نْقَيرَه " ، الفهقة (فقرة العنق الأولى) " فاعوس " ، التُّرقُوَه " ترْقَه " ، حفرة

الحلق (أو الثُّغْرَة) " ثغيره " ، الوريد " وريد " ، الحنجرة " براقه ، تفاحة آدم أو الحرقدة (عقدة الحنجرة) " زْرِدَهْ " ، الذقن " عَدَسَهْ " ، الحنكان " حنوك " ، الشفاه " بَرَاطِم " ، أو " بِلاجِم " ، جانبا الفم " شْدُوق " ، الخدود " وجنات " ، الأنف " خَشِم " ، المنخران " مناخر " ، عرنين الأنف " عِرْنون " ، جسر الأنف " مقرون " ، عظم الخد " رُمَّانه " ، العينان " عيون " ، إنسان العين " صْبَيّ " ، الجفون " جفون " ، هَدَب العين " رمش " ، الحاجب " حجاج " ، الجبهة " جبهه " ،الأصداغ " صَوَابْر " ، الأذن " إذن " ، شحمة الأذن " شْحَمَه " ، الأسنان " سنان " ، الثنايا " ثنايا " ، الأنياب " نِيبَان " ، الأضراس " رْحِيّ " ، الزُّرْدُمَة " حْلَيق الموت " ، المرىء " بلعوم " ، أعلى الرأس " غاذْيِه " ، الهامه " هامة الرأس " ، الدماغ " دماغ " ، العضد " عضد " ، المرفق " كوع " ، الذراع " ذراع " ، الإبط " دِغْدِغْ " ، قفا اليد " مِشْط " ، الكف " كف " ، البهام " باهم " ، السبابة " طويل " ، الخنصر " خنيصر " ، اليد " يد " (أو إيد ، المثنى ايدى والجمع ايدين) ، ثلاث أَيْدِ " ثلاث ايدين " ، خمسة أقدام " خمس رجلين " .

(6) منسوبًا إلى المدينة الفرنسية (سانت إيتيان) ، وفيها مصنع قديم للسلاح .

حواشي الترجمة

(١) يخلط كثيرون ممن ليست أعلام بلاد العرب مألوفة لديهم بين (عِنْزِه) هذه القبيلة وبين (عُنَيزِه) ثاني مدن القصيم لتشابههما لفظًا ورسمًا .

(٢) هذا ، على أي حال ، كلام تعوزه الدقة . فعشيرة الرولة ، بلا شك ، عشيرة بدوية قُحٌّ ، لكنها يقينًا ما هي بالعشيرة الوحيدة التي يصدق عليها هذا الوصف في تلك الجهة . وحتى هم ، من الأرجح ألا يقروا الكاتب على ما كتب ، فكيف بمجاوريهم .

(٣) نسجل أدناه ما يقابل الأحرف العربية من أحرف لا تينية ورموز وإشارات اعتمدها المؤلف لأنا أوردنا بعض الألفاظ والجمل بأحرف لاتينية كما أوردها .

(٤) أي كالتلفظ بالثاء والذال .

(٥) يبدو أن هذا التصور الذي كان لدى الرولة حول القمر وأثره في حياة الإنسان من قبيل تلك العلاقة التي تراها القبائل البدوية عربية وغير عربية بين الكواكب ومظاهر الحياة التي انبثق عنها التنجيم . وفي هذا الفصل إشارات إلى بعض الخرافات المتعلقة بالشمس والقمر وبعض مظاهر المناخ ، وفيها دلالات على فشّو الخرافة في مجتمعهم كفشوها في غيره قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله التجديدية والتنور العلمي الذي قادت إليه .

(٦) في الأصل " الحوت " . وأنثناها لتلائم الإشارات الكثيرة إليها في النص على أنها أنثى ، ومن ذلك ذكرهابالتأنيث في قول الرولة الذي سيأتي " يا حوته أطلقي القمر " .

(٧) ترجم المؤلف " الظالمين " بـ " أولئك الذين يسيرون في الظلماء " !!

(٨) الشائع في نجد " صَكَّةْ عَمْيّ " بدون (ال) .

(٩) أي التوائم (ربيعان وجماديان) .

(١٠) هكذا فسر المؤلف (غشانا) ، ولعل الصواب (أصابنا) .

(١١) " اسْتَهَلَّت " تعني " نزل المطر بغزارة " ، لا ما ورد هنا .

(١٢) هكذا فسر المؤلف (غدينا ذهاب) ، وهو خطأ . والصواب (ضعِنَا واضْمَحْلَلْنا) أي لم يأتنا غيث ينقذنا .

(١٣) الحديث عن " الذهب " هنا نتيجة خطأ المؤلف في تفسير (ذهاب) بـ (ذهب) في

العبارة ، كما ذكرنا في التهميشة السابقة .

(١٤) في الأصل (ستّة) لكن المؤلف ذكر خمسة ، فلذلك عدلناها .

(١٥) بل ينتظر أي عراف ما سيخبره به الجن ، ما لم يك مدعيًا أن وحيًا ينزل عليه .

(١٦) هكذا ، وصحة الجملة (ليا طلع سهيل) .

(١٧) هذا مثال صارخ على الممارسات الشركية التى كانت سائدة لدى مختلف الأقوام في بلاد العرب حتى أوائل القرن الهجرى الماضي ، وقد انقطعت تلك العادة وأمثالها ، ولله الحمد .

(١٨) " المدّ " هو المكيال المعروف ، بضم الميم . ربما كان هذا هو المراد كما ترجم المؤلف اللفظة ، وربما كانت بفتح الميم أي " من عطاء الله وإمداده " .

(١٩) هكذا . ولعل صوابها (يا طقعه) ولا أظن (تقعه) معناها (جائعة) .

(٢٠) ترجم المؤلف عجز البيت الثاني هكذا : (لبكائي على من فصلوه عني) ، وما أثبتناه أدق ، كما يدل عليه نص العبارة لأن الفعل الأخير رسم هكذا (Farakuni) لا (Farrekuni) .

(٢١) الظاهر أن البيت الثاني بصيغةاستفهام لأن (عَيَّنْت) إذا ابتدىء بها الكلام تقدر أداة الاستفهام قبلها ، عادة ، كما في قولهم : (عَيَّنْت من الْحَيَا لَوْن) ؟ أى (أرأيت شيئًا من مطر ؟) فكان ينبغي ترجمتها " أرأيت عليا وأبا زيد ...الخ ؟

(٢٢) وهذه خرافة ساذجة أخرى مما كان فاشيًا في عهود الجهالة .

(٢٣) هذا ، كما يرى القارىء الكريم ، مضحك لا أساس له في الإسلام . ثم إن جبريل عليه السلام ليس الملك الموكل بالسحاب .

(٢٤) قولهم (مْطِر باللّيل وراح يْتجَنَّى الهَوير) إنما هو مثلٌ يضرب لمن يتعجل حدوث الشىء . ومعناه إن فلانًا أصابه مطر فى الليل وفى الصباح خرج يجنى (الهوير) وليس المعنى أن (الهوير) ينبت بعد مطر الليل .

(٢٤ب) بل يرسله الله تعالى رب القمر والكواكب والسموات والأرضين وما فيهن . لكن لعلهم أرادوا أن الطل يتحلب من القمر .

(٢٥) في الأصل (السلايته) وهو تحريف . ومعنى (السّلاته) التي " تسلت " السحب ، أى تمحوها ، وهذا معروف عنها ، وقد سمتها العرب (مَحْوَة) .

(٢٦) الليالي مشرقة لتألق نجومها .

(٢٧) هكذا . والمعنى الدقيق المراد : " أيها الضباب ، جاءك الثعلب " أى فاهرب !

(٢٨) فَرَاعِل جمع فُرْعُل ، وهو ولد الضبع .

(٢٩) هذا الكلام الذى يقوله صائد الضبع حين يمسك بها له أصل عند العرب ، فقد نسب إلى علي كرم الله وجهه قوله حين أشار إليه ابنه الحسن بلزوم بيته حين عارضه طلحة والزبير رضي الله عنهما : " أتريد أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال : دَبَابِ ، دَبَابِ[أى دبي] ليست هاهنا ، حتى يخلعرقوباها ، ثم تخرج " . انظر أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تاريخالطبرى ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٣م) مج ٤ ، ص ٤٥٦ ؛ومجلةالعرب ، ج ٣ و ٤ (س ٢٠) ص ٢٦٢.

(٣٠) إن الاعتقاد الخرافي بِنَفْعِ بعض الأشياء ، إذا علقت على عضو أو ربطت به سائد مع الأسف في كثير من المجتمعات الإسلامية . ونشاهد في الوقت الحاضر بعض المسلمين يربطون بأحد أصابعهم ، مثلاً ، أو حول أحد سيقانهم ، خيطًا معتقدين فيه درء ضُرٍّ ما . ولا ريب أن شيوع الوعي ، والاطلاع على مصادر الشريعة ، كفيل بمحو أمثال هذه الخزعبلات .

(٣١) القيول : ضرب من آلات الكمان الموسيقية .

(٣٢) المعروف أن (الْبَوّ) هو جلد الْحُوَار المحشوّ تبنًا ، يوضع ، عادة ، لدى الناقة إذا مات ولدها لتَسْلُوَهُ ، فتعطف على الولد الزائف (الْبَوّ) وتَدِرّ . وربما عطف عليه أكثر من ناقة . وهذا معناه في اللغة ، وما فتئت اللفظة مستخدمة في بعض اللهجات العربية . وتشبه العامة به البليد الضخم الجثة فيقولون : " فلان بَوّ " .

(٣٣) الوخيد : ضرب في سير الإبل .

(٣٤) هكذا ، ولعل العبارة الأخيرة (ياوي خَوِيٍّ ما خَلّى خَوِيِّهْ) أى : يا له من رفيق (يعني نفسه) لم يهمل رفيقه ! .

(٣٥) ينبغي أن يكون كلام المؤلف هنا عن أكل لحم الثعلب ، ومضمونالحكاية بعد ذلك موضع شك كبير. وإذا كان ثمةإشاعات رائجة عن إحدىالقبائل في هذا الاتجاه فليست قبيلة الرولة .

(٣٦) هكذا ترجم المؤلف العبارة إلى الإنجليزية ، والاختلاف جَلِيٌّ بين النصين ، ومعنى آخرهما : لِمَ تنكر وتنسى الجميل ؟

(٣٧) أى لخوفها منها فإنها تتراءى لها حتى في الأحلام .

(٣٨) التشاؤم من حيوان أو طائر من رواسب الجاهلية التى أبطلها الإسلام " لا عدوى ولا طيرة ... الحديث " .

(٣٩) ترجم المؤلف كلمة (الشَّرْمَا) بـ (البيضاء) ، وهو وهم .

(٤٠) هذا تعريف ترجمة المؤلف لمعنى (ضَفِيِّه) ، مع أن المتبادر إلى الذهن أن المقصود (ضافيه) أى (سابغة) ، فلعل الكلمة (دَفِيِّهْ) لا (ضفيه) كما وردت في الأصل.

(٤١) ترجم المؤلف (راعي البِلِيِّهْ) بـ (راعي الإبل) ، وهو وهم ظاهر .

(٤٢) من يعرف البادية لن يصدق مثل هذا الزعم البتة ، فمهما فشا الجهل بين القوم فلن يصل بهم إلى جهل أن هذا اللحم محرم بنص الكتاب . وشبيه بذلك حديث المؤلف عن لذة لحم النِّيص إذ يوحي بأنه يؤكل لدى الرولة . وكذلك قوله بأن القنفذ يصاد لطيب لحمه ، وأن لحم (الجِرْدِي) غير لذيذ . فهذه كلها لا تؤكل اللهم إلا عند الضرورة القصوى التى قد تبيح المحرم .

(٤٣) هذه من الخرافات الفاشية قبل انتشار الوعي والعلم بالدين .

(٤٤) الجِرْدِي : الجرذ ، وهو ضرب من الجرذان متوسط الحجم عادة .

(٤٥) ما بين المعقوفين إضافة ضرورية ، إذ سقطت من الأصل ترجمة (مع عشرة) سهواً كما يبدو . ومعنى العبارة : (إنني أكفي لإطعام عشرين شخصًا دون أن تكون قوائمي ضمن لحمي المقدم لهم) .

(٤٦) أى في الأراضي التى بها جحور فئران (خَبَارِي جمع خَبَارَهْ) .

(٤٧) هذا البيت أصله من الشعر العربي الفصيح ، وهو مشهور ، ونصه :

إذا حـــل الثقيل بأرض قوم فمـــا للساكنين ســـوى الرحيل

وكذلك البيتان اللذان قبله فأصلهما هكذا :

ونفسك فز بها إن خفت ضيمًا وخل الدار تنعى من بكاهـــا

فإنك واجـــد أرضًا بأرض ولســـت بواجد نفسًا سواها

انظر مثلاً معجم الأدباء ٤/ ٨٥ ، وقبلهما هناك :

إذا لم تحـظ في أرض فدعها وحث اليعمـــلات على وجاها

ولايغررك حظ أخيـــك فيها إذا صفرت يمينك من جداهـــا

(٤٨) جِحْرَهْ : جُحْرُهَا . يحذف الرولة كغيرهم من أهل شمالي الجزيرة ، بمن فيهم أهل حائل ، بل وحتى أهل القصيم ، الألف من هاء التأنيث ويقفون على الهاء . وستكرر في الأشعار بعد ذلك .

(٤٩) من عادة المسلمين على اختلاف أعمارهم ذكر الله عند التعثر أو السقوط ، ولا معنى لأن يخص الأطفال في هذه الحكاية الخرافية بذلك .

(٥٠) الرِّقَيعي : طائر بحجم العصفور . وسيرد ذكره في آخر هذا الفصل حيث قال عنه المؤلف بأنه (الخطاف) أو (السنونو) .

(٥١) البيزرة والبزدرة : تربية الصقور (البُزَاة) والصيد بها .

(٥٢) لعلها (يِدْلِي) لا (يِدْله) .

(٥٣) في الأصل (مَسْحِالرِّبضان) ، وهو خطأ جاء من كون الميمين تدغم أولاهما في الأخرى .

(٥٤) هذا ، بطبيعة الحال ، حسبما هو شائع لدى الرولة .

(٥٥) المعروف أن " الحَلَم " كبار القردان لا صغاره ، وإن كان ورد فيها القولان قديمًا ، جاء في اللسان (ح ل م) : " والحَلَمَةُ الصغيرة من القردان . وقيل : الضخم منها . وقيل : هو آخر أسنانها . الأصمعي : القراد أول ما يكون صغيراً قمقامة ، ثم يصير حَمْنَانَة ، ثم يصير قراداً ، ثم يصير حلمة . إ . هـ . قلت : وقول الأصمعي هو الموافق لما هو معروف الآن .

(٥٦) شرح المؤلف العبارة بما ترجمته : (احذر المخيريز - تصغير المخراز - إنه سَيَخِزُ لَهَاتَكَ) . وقد ابتعد عن مدلولها ، فهي دعاء عليه ، لا تحذير له .

(٥٧) التشاؤم بالغراب من عادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام .

(٥٨) جَنَّهْ : جَنَّها : أي جِئْنَها . وفي الأصل : " يا حَظّ العين ... " وهو تحريف .

(٥٩) تستعمل " حُبَارَى " للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث . انظر لسان العرب (ح ب ر) .

(٦٠) هذا تعريب ترجمة المؤلف الحرفية للعبارة . وكلمة (حُرّ) لا تعنى (آمر) بل : " عتيق " أو " نبيل " .

(٦١) كانت ترجمة المؤلف للعبارة بما تعريبه : (أنا ساحر حيات ! ابن ساحر حيات ! أسحر الحية فلا تؤذيني ! [!!] .

(٦٢) وردت (سْحَله) في الأصل (سْخَلَهْ) . لكنْ أنَّى للسخلة بفرع النخلة ؟ ثم إن المؤلف ترجمها بـ (التمره) والتمرة يقال لها (السَّحَه) ، وهي قريبة لفظاً من (السحله) ، لكن (السحله) هي الإناء لا التمرة ، كما ترجمها المؤلف . و(السّحَه) لا تؤلف سجعة مع (النخلة) .

(٦٣) الخِيط : جماعة النعام .

(٦٤) وهذا أغرب كثيراً من كل ما مضى عما يؤكل من وحش الصحراء .

(٦٥) هكذا أورد المؤلف العقرب ضمن الزواحف ، والأولى أن ترد مع الحشرات .

(٦٦) الخَشْرَم : جماعة النَّحْل ونحوه .

(٦٧) كلمة (وَلَد) قد يقصد بها (فتى) أو (رجل) .

(٦٨) ترجم المؤلف العبارة هكذا " بلادهم واسعة ، ويطردون عدوهم بعيداً جداً عن حيهم " .

(٦٩) يريد بعض العشائر التي ، وإن كانت انضمت إلى قحطان والمنتفق وصارت تعد منهما ، هي ذات أصول عنزية .

(٧٠) (رويلي) و (رويلية) هي النسبة السائرة لـ (روله) ، واستخدمناها مع أن الأفصح (رُوَلِيّ) و (رُوَلِيّة) .

(٧١) ترجم المؤلف هذه العبارة هكذا : " الأولون " - أي الأعمام - يزودون (المرء) بالنشاط العضلي والقوة ، والآخرون - الأخوال أرحام !

(٧٢) لعل المؤلف أراد أنهم من عنزة بالحلف ، وأن صحة العبارة (وهم من فخذ قحطان مع عنزة) .

(٧٣) من التقاليد المعروفة في البادية حماية المستجير . ويتم ذلك ، في العادة ، إذا أعلن أنه (بوجه فلان) فلا يمسه أحد بسوءٍ . وإن أوذى ، أو استولي على مال له ، تولى الجار عقاب من آذاه ، ورد عليه ماله من مغتصبه .

(٧٤) هذه الرواية للأحداث بين الرولة والكواكبة ، وبينهم وشمر ربما لا تكون ، على أي حال ، شديدة الدقة ، لأن المؤلف إنما سجل ، على الأرجح ، رواية لوقائع هم طرف فيها دون إيراد لرأى الطرف الآخر أو روايته .

(٧٥) هكذا ، والظاهر أن المقصود (ابن مْهَيد) .

(٧٦) بل أصلها (أخوة) .

(٧٧) في الأصل (الرّحيباويات) . وهو خطأ ، لأنها جمع (الرحيباوى) بالتذكير ، ومثل هذا الجمع عندهم يكون بزيادة الألف والتاء بعد حذف ياء النسب في المفرد كما في (الشرارات) جمع (الشراري) و (الحويطات) جمع (الحويطي) .

(٧٨) انظر ص ص ١٥١ و ٣٢٩ .

(٧٩) في الوصف التالي لبيت الشعر ، تشير الحروف داخل الأقواس في النص إلى الشكل (١) .

(٨٠) يمثل هذا الشكل بيتي الكبير [أي بيت المؤلف] وهو من النوع الذى تستخدمه (عْقَيل) تجار الإبل ، ويختلف رواقه الخلفي وأوتاده عن أروقة أمثاله وأوتادها عند الرولة.

(٨١) يلاحظ أن لا ذكر لذى الأعمدة الستة .

(٨٢) هكذا . ونجاسة الكلب معروفة في الإسلام ، لا عند الرولة وحدهم .

(٨٣) هكذا . ولعل الصواب : " معشّى " . كما هو معروف في البادية بعامة .

(٨٤) هذا شرح المؤلف لمعنى البيت . ونرى أن صواب معنى الشطر الثاني " أتمنى أن تكون يا منزل حبيبي مخصبًا بعد المحل " . فقد أهمل المؤلف كلمة (ودِّي) الدالة على الرغبة والتمني .

(٨٥) نرى أن صحة معنى عجز هذا البيت هي : " لقد حللت لديك ضيفًا ينشد الحقيقة التي لا تشوبها شائبة " ، وليس في البيت ما له صلة بمصافحة اليد اليمنى . ويبدو أن المؤلف توهم ذلك من عبارة (مْهَزْهَز الصدق) .

(٨٦) في الأصل : (اعطني عن E^{c}teni^{c}an) والصواب ما أثبتناه من تقديم الطاء على العين . وما ورد في البيت الرابع يؤكد ما ذهبنا إليه .

(٨٧) هكذا ، والصواب (مْزَيّنَةْ) .

(٨٨) عجز البيت مكسور ، وليستقيم وزنه ينبغي أن يكون : (يِدْعِنْ سَكْرَان المِجانين يُوعي).

(٨٩) ورد عجز البيت الأول هكذا : W - la zenn wakaf bgenabec ngu i

أى : " ولاكِنّ وِقَفْ بْجَنَابِك نْجُوعِ " . وقد وهم المؤلف في تسجيله للفظة " tsenn " = كِنّ = كأن ، فسجلها ، كما وضحنا أعلاه " Zenn " ، وشرحها على أنها (قِن) وهو ، كما وصفه المولف ، " رَحْلٌ قصير مستطيل للنساء والأطفال " ، فيكون المعنى: (وكأن لم يقف بك قوم ملتمسين النجعة والمرعى (نْجُوع) .

(٩٠) كانت ترجمة عجز البيت الثالث هكذا : " شاقُّو الدروع بالرماح الطِّوَال " وما هذا بمعناه . وأثبتنا ما نرى أنه المعنى الصحيح . وصواب (مْظَفَّرين) في عجز البيت (مْظَافْرِين).

(٩١) هكذا وردت ترجمة المؤلف لعجز البيت السابع . ونذهب إلى أن معناه : " ولا إخال شمل القوم – قومي وأعدائهم – مجتمعًا بعد الشتات نتيجة لهذا القتال " .

(٩٢) لكنها ، في الحقيقة ، ما عدا البيت السادس ، من قصيدة ذات ستة عشر بيتًا للفارس الشاعر العنزى الشهير مِحْدَى الهَبْدَاني . انظر محمد بن أحمد السديرى أبطال من الصحراء، (الرياض : الدار الوطنية السعودية للنشر ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص ص ٢٢٩ – ٢٣١ ، وانظر مناسبتها هنالك. وفي الأبيات التى أوردها المؤلف، تحريف كثير.

(٩٣) بينا في الحاشية رقم (٨٩) أعلاه ما رأيناه من أن المؤلف استبدل واهمًا عبارة (ولا قن) بعبارة (ولا كن) .

(٩٤) " خَيَّال العَرْفَا " العرفا : الفرس ذات الشعر الطويل على عنقها لا (القطعان) .

(٩٥) سمعت هذا البيت على هذا النحو أيضًا :

اليا لفيت لديرة أصحـــــاب من قوم   فخبر ترى حمـــــض الرجال العـــلام

وكلمة الروى فيه تناسب ما قبلها إذ بقي الرِّدْف فيها الألف .

(٩٦) معنى العبارة (وصار بالقلب حرقة لِخُلُوِّ " المراح ") مما به من مواشٍ ، وبالتالي خُلُوّ المكان كله من كانوا يقطنونه) .

(٩٧) المقطوعة معروفة تنسب لعبدٍ لا بن هذال ، واسمه مسعود ، قالها بعد نزوح العمارات إلى الجزيرة وبقائه في الحناكية مع زوجته وغنمه . انظر مثلاً إبراهيم اليوسف ، قصة وأبيات ، (الرياض ، د . ن ، ١٤١٢هـ) ص ٣٠٥ . والقطعة أطول مما هنا (١٣ بيتًا ليس من بينها الأبيات الثاثة الأخيرة هنا) . ومناسبة الأبيات التي ذكرها المؤلف غير صحيحة .

(٩٨) هكذا ترجم المؤلف البيت . وكان ينبغي أن تكون الترجمة : امتنع النوم عن عيني حتى طلع الفجر ... امتنع النوم عليها فأسهرتني .

(٩٩) مَرْكَى دْلالِهُمْ : المَرْكَى : عصا معقوفة من حديد يوضع طرفاها على حجرين أو على جانبي (الوجار) ، وتوضع عليها (الدّلال) . وقد يكون هو المقصود لا المكان . وربما أريدت به الأثافى .

(١٠٠) جمع (هاون) وهو ، بالعامية (النِّجر) .

(١٠١) في ذلك إشـارة لكرمـهم ، إذ يكثـرون من صنع القـهـوة ليقدموها للأضـيـاف ، وهم يسحقونها بالهاونات التي يسمع أصواتها القاصي والداني .

(١٠٢) ترجم المؤلف (خَبّ لزَّام) بما معناه : (حتى ولو دنا الموت) ، والظاهر أنه موضع بعينه .

(١٠٣) الكناية واضحة . إنه يقصد بالمشالح الدروع ، ولم يفت ذلك المؤلف .

(١٠٤) هكذا ؟ ، والمقصود نبي الله داود عليه السلام .

(١٠٥) هكذا شرحه المؤلف . وهذا المثل معروف في أماكن أخرى من بلاد العرب بلفظ : " بَطْنَ الشَّبْعـان على الجـوعـان وني " ومعناه أن الشبعان لا يحس بما يحس به الجائع ، فهو ، لذلك ، لا يسرع في تقديم الطعام له .

(١٠٦) السرقة ، كما هو معلوم ، محرمة سواء كانت من جار أو قريب أو غيره . وما ذكره المؤلف عرف قبلي . على أنَّه من غير المحتمل صحة ذلك ، فالذى لا شيء فيه عند كثير من القبائل هو الكسب عن طريق الغارة ، لا السرقة اختلاسًا .

(١٠٧) يستعمل بعض العامة كلمة (سَمْح) و (سمحة) بدلاً من (سبع) و (سبعة) تجنبًا للتجانس اللفظي بين هتين الكلمتين وبين السباع .

(١٠٨) الغرض من ذلك منعها من الشم .

(١٠٩) أى يعودونه عليها . وكلمة (ضَرَا) تعني (التعود على الشيء) ، وليس في الأمر خدعة .

(١١٠) يدعى ذلك : (الضَّرّ) لدى البدو وفي اللغة .

(١١١) ربما : أبناء حلال .

(١١٢) يقصدون أنه لا يسمى قمحًا بعد طحنه بل دقيقًا ، لا كما ظن المؤلف .

(١١٣) يبدو أن المؤلف قصد (رحلة طويلة) فقال عن غير قصد ، " قصيرة " .

(١١٤) نشك بصحة ذلك ، فاستهلاك الدّم محرم في الإسلام ، كما هو معروف .

(١١٥) المعازيب جـ المُعَزِّب : المُضيف ، أو صاحب المنزل الذى يحل به الضيف ، ويسمى في اللغة العربية الفصحى " رَبُّ المَثْوَى " فتقول لمضيفك : " رَبّ مَثْوَاي " .

(١١٦) هذا ما أورده المؤلف ، على أنّ آنية القهوة كلها " دْلال " جـ " دَلَّه " فلعل الرولة

يخصون الإناء الرابع بالتسمية .

(١١٧) " شاذْرِى " محرفة عن " شاذلي " . والمراد أبو الحسن علي بن عمر الشاذلي (ت . سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م) في قول . انظر مثلاً عبدالرحمن بن زيد السويداء ، القهوة العربية (الرياض : دار السويداء للنشر ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ٢١ .
وما برحت القهوة تنسب أحيانًا إليه فيقال (شاذليه) .

(١١٨) الواقع أنه يأخذ الفناجين بيده اليمنى ، ويمسك (الدلّه) بيده اليسرى ، كما هو معروف .

(١١٩) يقال عادة : " سَوّ لِنا فِنْجَالْ قْهَوَه " ، والمراد قليلاً يكفينا منها ، لا فنجانًا واحداً بطبيعة الحال .

(١٢٠) ترجمة المؤلف : في آنية كالْبَطّ السود السِّمان .

(١٢١) يقول الشخص الذى يمر بقوم يعملون عادة : " قَوّكُم ! " وهي اختصار " قَوّاكُم اللّه " ، أو " العوافي " جمع (العافية) . لكن المقصود بهؤلاء الأناس في البيت من يرتادون المجالس ، ويجيدون الكلام ، لكنهم ليسوا من أهل الفعال ، بل إنهم (يِلْبِدُون) عند الحاجة إليهم ، أى يلتصقون بالأرض ولا يتحركون .

(١٢٢) البهار : ما يضاف إلى القهوة من التوابل ، وخاصة حب الهال .

(١٢٣) " يَضْحَكْ حْجَاجُه " تعبير مجازى معناه : " يستبشر ويبدو سعيداً " والْحْجَاج : الحاجب . واللفظة فصيحة .

(١٢٤) قد تكون من " يْعَدِّى القهوة " أى يقدمها لشخص بعينه ، نظراً لسنه أو أحقيته أو أهميته ، قبل الآخرين .

(١٢٥) ليس المقصود أن معظم القهوة يذهب لصاحب البيت بل المقصود بقوله : " واِثْنِي على اللي وان لِفَوْا لِهْ مَعَاوِيدْ " أن شخصًا هذه صفته من الكرم خليق بأن تصب له القهوة ، وأن يؤكد عليه في شربها ، ولا يقتصر على تقديم فنجان واحد بل أكثر ، بخلاف أولئك الكذابين الذين لا خير فيهم " الكِذُوب الْهِلافِي " .

(١٢٦) والبيت شائع أيضًا بلفظ : " هَمَّاقْةَ الْمَجْلِس ..." ، والهَمَّاقة جمع هَمَّاق ، والْهَمّاق : كثير الكلام الذى لا جدوى منه .

(١٢٧) الشائع : " كبار الانفس " ، وهو الأسلم لوزن البيت .

(١٢٨) ترجمة المؤلف : " تشبه البط ذوات الظهور السمينة ".ويروي البيت (قم .. لذْياب).

(١٢٩) ليس في البيت معنى " شرب البيض الحسان القهوة " بل صَبْغُ شفاههن بالوَرْسِ .

(١٣٠) قد يكون هذا وهمًا من المؤلف . فالكُركُم (لا الكُركُبْ) غير الورس .

(١٣١) هكذا . والضبضاب الضباب . وأراد غبار الخيل المغيرة .

(١٣٢) هذه الرواية لقصيدة القاضي في وصف القهوة مختلفة كثيراً عن الروايات الأخر الأكثر شيوعًا ، وقدمت فيها أبيات وأخرت أبيات . كما أنها رويت بلهجة الرولة بينما لهجتها الأصلية لهجة حاضرة القصيم . وفيها عدد من الأخطاء .

وازن مثلاً ، محمد سعيد كمال ، الأزهار النادية من أشعار البادية ، الطائف : مكتبة المعارف ، د . ت) ، ج ١ ، ص ص ١٤٠ - ١٤٢ . ولكثرة الاختلاف فيها ، عزفنا عن الإشارات إلى ذلك تحاشيًا للإكثار من التعليق . ولأن القصيدة مشهورة جداً ومدونة في عدد من كتب الشعر العامي .

(١٣٣) ترجم المؤلف البيت الخامس ترجمة بعيدة عن الأصل ولم نعربها هنا .

(١٣٤) الشِّمَطْرِي : البهار السومطرى .

(١٣٥) استقى المؤلف العبارة الأخيرة من قول الشاعر (على الطَّاقْ مَطْبُوقْ) . ونرى أن المعنى أن رائحتها ستتضاعف بإضافة العنبر إليها ، فالعامة يستخدمون هذه العبارة للدلالة على مضاعفة الشيء .

(١٣٦) ترجمة المؤلف : لو أمكن تحقيق أمانيٍّ فخير ما أتمناه فتاة حسناء تلصق شفتيها بشفتي وقد ثنت عنقها .

(١٣٧) المؤلف : إذا سطع على مقبض خنجر . وليس في البيت ذكر للخنجر .

(١٣٨) هذا تعريب ترجمة المؤلف للبيت ، والذى نراه أن المعنى هو : والله لو سارت عارية بالأسواق لقتلت الناس جميعًا من فرط حسنها ، فما عاش أحد ليأكل (ثم يلعق أصابعه الخمس) .

(١٣٩) " القاضي " لقب الأسرة التى منها الشاعر ، وهي أسرة معروفة ، وليس لقبًا خاصًا به ، كما إنه لم يتول القضاء .

(١٤٠) هنالك ، على أى حال ، رواية أخرى هي أن له زوجًا فَركَتْهُ وتركته وكان متعلقًا بها فأخذ يزور أهلها . وذات مرة ، وبينما كان فى إحدى زوراته لهم ، راهنه أحدهم أن

يقول قصيدة دون أن يُلِمَّ فيها بذكر المرأة . ولما شرع في الإنشاد متخذاً القهوة موضوعًا مَرَّت امرأته (أو مُرِّرَت) ، وهو ينشد ، فولج من فوره في وصف المرأة ، وخسر الرهان .

(١٤١) المشهور أن " بريدة " مركز عقيل . وانظر مثلاً طلال عثمان المزعل السعيد ، الشعر النبطي (الكويت : دار السلاسل ١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ص ٨٢ .

(١٤٢) الصحيح أن المقصود بقوله : (التم الاشفاق) اجتمعت الأشفاق (جمع شفق) أي جَنَّ الليل بعد زوال الشفق .

(١٤٣) خُفُوق : خَفَقَان .

(١٤٤) بل " الاطراق " خَفْض الرأس مع الانغماس في التفكير .

(١٤٥) يلحظ أن المولف أورد كلمة القافية لهذا البيت في القصيدة (شُفُوق) لا (شعُوق) ، وهذا ما دعانا إلى الاشارة في التهميشة " ١٣٧ " أعلاه إلى أن لا ذكر للخنجر في البيت ، لكنه عاد ففسر (شعوق) التي فيها دلالة على ما ذكر .

(١٤٦) أصل هذه الممارسة ما كان سائداً عند العرب قديمًا من جَزِّ ناصية الأسير عند المنِّ عليه وفَكِّه بلا فداء .

(١٤٧) هذه رواية الرولة لغارتهم تلك على بني صخر وأسبابها ونتائجها . وربما كان لها من الأسباب والنتائج غير ما ذكر .

(١٤٨) نرى أن صحة معنى المثل هو " تَسَلَّ بالمرأة ذات الشَّعَر المنفوش (أي غير الأنيقة المظهر) إلى أن تنال المرأة الجميلة (حرفيًا : المتجملة) ". لأن " النقش " يعني هنا الزِّينَه . قال الشاعر :

صاحبي ينقش الحنا بْكَفٍّ حَسِين   مثل نقش المطوع بالقلم والدواه

(١٤٩) النساء ، عادة ، لا يشمن سوى وجوههن وأطرافهن .

(١٥٠) يعني المؤلف بـ " قميصهم " القميص المعروف في كل مكان ، وكان سائداً قديمًا في بلاد الغرب وحسب .

(١٥١) أي الصديرية السائد لبسها في الغرب .

(١٥٢) ترجم المؤلف المثل بما تعريبه " من لا يرتدي ملابس ثقيلة لن يدفأ بحملها " . وقد تكون (يْنَقِّل) كناية عن " العمل " ، الذي هو ، في الحقيقة ، " نقل أشياء من

مكانٍ إلى مكان " . والملابس الثقيلة تمكن الإنسان من العمل لأنها توفر له الدفء ، ومن لا يثقل نفسه بها لن يستطيع العمل .

(١٥٣) يؤخذ على المؤلف هنا تعميمه أمراً كالسرقة على نساء الرولة .

(١٥٤) انظر أيضًا ص ٣٣٠ .

(١٥٥) الهدوم : الملابس .

(١٥٦) ثمة في القصيم رواية أخرى لعجز هذا البيت هي : (والشَّيْنْ شَيْنٍ لو لِبِسْ كلّ ماله) . ومعناه يلائم صدر البيت أكثر ، وتستعمله النساء .

(١٥٧) ترجم المؤلف الجملة هكذا : " ولكن أيها الجديد ؛ وأيها القديم ؟ " وهو غير المقصود .

(١٥٨) السِّرْدِيّة : اسم عشيرة معروفة .

(١٥٩) ذكر المؤلف أن الدِّمْن يلصق ، والصحيح أنه يذر ذَرًا بعد سحقه بحيث يمسي مسحوقًا لين الملمس ، ويكون له قدرة على امتصاص السوائل ، ويسمى " سِرْقِيد " .

(١٦٠) (الزِّنْد) كلمة معروفة في كثير من أنحاء بلاد العرب . وهي قطعة فولاذية يستخرج بها الشرر من الصوان .

(١٦١) ما تشعل به النار كمشتقات النفط السريعة الالتهاب ، وكخرقة أو سعفة أو أوراق نبت يابسة .

(١٦٢) بل الذي قالها هو الشيخ عقاب بن سعدون العواجي .انظر تعقيباً لعبدالله بن عبَّار العنزي في مجلة العرب (س ٢٤ ، ج ٥ و ٦ ، ذوا القعدة والحجة سنة ١٤٠٩هـ ، ص ص ٤٢٤ - ٤٢٦) حيث سرد رواية أخرى لها فيها اختلاف عما هنا وزيادة ثلاثة أبيات .

(١٦٣) كان من عادة القوم دفن اللحم في الزّاد ، الذى غالبًا ما كان (جرِيش) أى حبًا مكسراً من ضرب من القمح ذى حبوب كبار الحجم نسبيًا ، يدعى (لُقَيمي) . وإذا ما كان (العيش) تحت اللحم فربما قيل له (فِرْاش) .

(١٦٤) الظاهر أن المراد : يا رب أسألك ألا تخلط أشراف الناس بأراذلهم أى : الفضة بالنحاس ، أو « ليست الفضة كالنحاس » ، وهو مثل .

(١٦٥) ترجم المؤلف الشطر الثاني هكذا : ستختفي ، ومع ذلك تسكن في القلب كما لو كانت حقيقة ناصعة .

(١٦٦) هذا ما وضح به المؤلف (حَبّ اللّقيمي) وقد وصفناه في الحاشية " ١٦٣ " أعلاه .

(١٦٧) هَوز : الهوز التلويح بالضرب دون فعله ، أى التهديد ، والمقصود يفعلون ولا يكتفون بالتهديد . ويقول مثل معروف : (من هَازِك ضَرَبْك) أى : إذا سمحت لامرىء أن يهددك فالخطوة التالية التى قد يقوم بها هي ضربك .

(١٦٨) المؤلف : " ... لألذ وأحلى من الخبر الطيب الذى تخبرك به أية فتاة ... " ، لكن (نِبَا) ليس معناها ، في العامية ، (خبراً) بل (كلامًا) أو (حديثًا) .

(١٦٩) المشهور : جاز .

(١٧٠) ترجم المؤلف هذا البيت هكذا : " يا من تدخن التبغ ! لو دخنت طويلاً ويحك وويحي لأن ثمة أحداً يدنو ! " . وهي ترجمة بعيدة عن المعنى كثيراً .

(١٧١) ترجم المؤلف عجز هذا البيت ترجمة هذا تعريبها : " إن دخن أحد أكثر مما ينبغي وجب تحذيره " وهي ترجمة غير دقيقة .

(١٧٢) ترجم المؤلف صدر هذا البيت ترجمة هذا تعريبها : " إنه لا يمكنه العيش من غير تبغ كابن هذال " ، وهي غلط .

(١٧٣) هذا تعريب ترجمة المؤلف لصدر البيت . والأدق : " مع بندقية ما تلفظه من فمها (أى من رصاص) يصيب غَرَضَهُ ، لا محالة " .

(١٧٤) آثرنا عدم ذكر اسم القبيلة .

(١٧٥) حذفنا هذه الفقرة إذ تضم كلامًا مخرجًا من الملة ، نعوذ بالله من ذلك ، مرويًا على لسان أحد العشاق الجاهلين .

(١٧٦) موضع النقط اسمان لقبيلتين آثرنا عدم ذكرهما .

(١٧٧) سرد المؤلف هنا أسماء خمس من القبائل آثرنا عدم ذكرها .

(١٧٨) أى ابن عم أبي الفتاة .

(١٧٩) هذا قول المؤلف . ويقصد أن الشاعر سمى نفسه أخًا لها للتقرب منها والرغبة في الفخر. ونحن نخالفه الرأى ، ونذهب إلى أن الشاعر أراد التقرب إليها بالثناء على أخيها ، وهو بذلك يثني على أفراد أسرتها الأدنين من قومها . ويصفهم بالشجاعة والإقدام .

(١٨٠) (الشول) : الإبل عامة ، ولا علاقة للكلمة بـ (الشيل) أى حمل الأثقال كما توهم المؤلف.

(١٨١) هذا الربط العجيب بين السحابة والحليب جاء من ظن المؤلف أن معنى (ضِيحَه)

" حليب " لأنه خالها مشتقة من (الضَّيْح) وهو الحليب الممزوج بماء ، في حين أن معناها " لَمَعَان " أى لمعان البرق .

(١٨٢) تعبر هذه الأهزوجة القصيرة عن أشجان الشاعر لعدم تمكنه من لقاء حبيبته ، فهو يئن أنينًا قويًا يشبه صوت (الربابة) وهي آلة موسيقية بسيطة . وفي البيت يثني على رائحة الحبيب الذكية .

(١٨٢ب)هذا غير صواب . فمعنى (ريحه) " رائحة " عطرةً كانتْ أو غير ذلك .

(١٨٣) هكذا ، ولعلها (العَضْلِ) .

(١٨٤) التمّن : نوع من الأرز .

(١٨٥) هذا تعريف المؤلف لكلمة (نِيش) وهو خطأ . فهو صيغة ما لم يسم فاعله من (نَاشْ ينُوش) أى (يلمس) والمعنى : لم يصل إليه لبعده .

(١٨٦) الكُدْرِيّة جمع (الكُدْرِي) وهو نوع من القطا .

(١٨٧) المقصود هنا الطير على العموم لا الصقر ، لأن العبرة هنا بقدرة الطائر على الطيران.

(١٨٨) هكذا . لكنا لا نجد في الأبيات ما يشير إلى أنه آلى على نفسه أن يفعل شيئًا .

(١٨٩) يقصد المؤلف القميص المعروف في البزة الإفرنجية .

(١٩٠) كان ينبغي أن يكون صدر هذا البيت : (يا ما حَلَى نَزْعَ الاسْلاب) .

(١٩١) هنالك رواية أخرى لعجز البيت الثاني هي (ما ذاقْ زَادٍ وِلا مَا) ، ولصدر الثالث هي (يا ليت عِلْوىَ هَل لِي) ، ولعجز الأخير هي (سَرَواْ عليك النِّشَامَى) .

(١٩٢) بل (العَسَام) الغبرة والقترة التي تعوق الرؤية .

(١٩٣) في الأصل (لكنها الشّلْفَا) وعدلناها قليلاً ليستقيم الوزن .

(١٩٤) الجال : المنحدر الطويل العميق بين النجد والغور .

(١٩٥) انظر المقطوعة في كتاب " شاعرات من البادية " لعبدالله بن محمد بن رداس (الرياض: دار اليمامة ، د . ت) ، مج ١ ، ص ص ١٧٩ - ١٨٠ منسوبة للشاعرة مويضى البرازية باختلاف في الرواية . وقد سلف القول (في مقدمة الطبعة الثانية هذه) أنها لمويضي الدهلاويةالعجمية زوج الشيخ جديع بن هذال .

(١٩٦) بل (الرَّبْخ) الشحم .

(١٩٧) " زمَيِّم " تصغير " زِمَام " وهو حلقة تعلق في الأنف .

(١٩٨) أى من عدم تقبيلي .

(١٩٩) المؤلف : إن بدر سعادتي قد بلغ أوجه .

(٢٠٠) الظاهر أن (المساويق) هم الفارُّون من أمام العدو لا المحاربون الذين ينشغلون بالدفع عن الحيوانات .

(٢٠١) صحة الكلمة الأخيرة في صدر هذا البيت (مَرْجِ) لا (مرقي) . و (المرج) : الخيل التي يسقط عن صهواتها الفرسان فتأخذ في العدو مسرعة هنا وهناك . فيكون المعنى (الإبل التي كأنها خيل هذه صفتها) لا (الناقة التي يكاد متنها ... إلخ) .

(٢٠٢) المعنى " يا أيها الرسول الذى يشتاق إلى الوصول إلى المضيفين " لا (الذى يحث سيره نحو المضيفين) .

(٢٠٣) في الأصل (ما حاشت يَمِّه خَرَاج) والظاهر أن (يَمِّه) تحريف (يمينه). ويكون المعنى (لم يسبق أن ملك مالاً كثيراً فيطلب منه خراج) .

(٢٠٤) كان اسم حبيبة الشاعر (دِرْع) ، كما اتضح من السياق بعد ذلك ، فلمح إليها بقوله (سِمِيّ مَرْصُوف الْخَدَم) ، والْخَدَم : الْحَلَق . وقد ترجم المؤلف البيت ترجمة غير دقيقة هذا تعريبها : " إن اسم حبيبتي هو " منسوج من الحلقات المعدنية " يا أبا مرجى إنها هى التى سلبت شحم قلبي وأحشائي " .

(٢٠٥) الغُرُوب جمع غَرْب وهي الدلو العظيمة .

(٢٠٦) كلمة (عِذْرُوب) أي " عيب " لا تعدو أن تكون لتأكيد المدح بما يشبه الذمّ .

(٢٠٧) ترجم المؤلف البيت بإسناده للغائب : يا لائمه .

(٢٠٧ب) أَزْوَال رُبْد : أى أشباح رُبْد ، أو أشكال رُبْد من بعيد ؛ لأن (الأزوال) جمع (زول) وهو : شَبَحُ الشيء ، أو شكله من بعيد ، لا (سحب الغبار المتصاعدة) كما ظن المؤلف .

(٢٠٨) استخدم الشاعر عبارة (سِمِيّ مَرصُوف الْخَدَم) كما لا يخفى ، لا (سمي) وحدها .

(٢٠٩) نرى أنها من (ماج ، يموج) أي " انزلق ، زلّ " وشرحناها في البيت هكذا .

(٢١٠) الذى يبدو من السياق أن (الْعَدِيل) تعنى (العقل) لا (الشحم واللحم) ، ويكون المعنى (سلب الحبيب عقلي كما يسلب (كابون) السرج الناعم من على ظهر

الحصان وينزلق عنه) ، لا هذا التفسير .

(٢١١) المقصود بالبيت تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كما ذكرنا . فالمعنى (كأن خيل الكوكبة التي يقودها أخوها عرج لتثاقلهم في الفرار من شجاعتهم) .

(٢١٢) بل (العَنُود) الظبية التي تقود سرب الظباء الذى يدعى (جميله) بالعامية .

(٢١٣) " مَزْبور النَّهَدْ " ذو النهدالبارز القوي الذى كأنه (زُبْرَة) أى (كوم صغير من رمل).

(٢١٤) " يا شِفَاتِي " تقال للصديق ، أى " يا عزيزى " ، وخاصة عند الترجي والطلب ، أى يا شفاء ما أعاني .

(٢١٥) ترجم المؤلف الشطر الثاني من البيت هكذا : " أخبروها .. تلك التي تبلغ بالأنباء تبليغًا تاما " ولا أجد لهذا المعنى مجالاً فيه .

(٢١٦) الْحِيران : جمع (حُوَار) وهو الصغير من الإبل في أشهره الأولى .

(٢١٧) ترجم المؤلف عجزالبيت الثاني هكذا : " من الغور لكي تجد [إبلهم]مرعاها لم يمس" .

(٢١٨) هكذا ، ولعل الأصح : " الله ينجيك من الغزو ، الله يفكك من الغارة ! " .

(٢١٩) ترجمة المؤلف لعجز البيت : عسى أن يعيش أطول من كل (سنجارة) .

(٢٢٠) الأرجح أن المرأة وحبيبها معًا من سنجارة ، وليس هنالك غارة ، والعبارة للتَّفْدِيَة لا أكثر ، أى (سنجارة كلها فداؤك) .

(٢٢١) هكذا . والصواب " أنت أغلى عندى ... " .

(٢٢٢) هذه ترجمة حرفية لمعني البيت كما ذكره المؤلف .

(٢٢٣) تصرفنا في ترجمة العبارة السابقة ، والترجمة الحرفية لها هكذا : قَلَعْنَا مِدَاهْ (أو أبعدناه) : نقلناه إلى مكان أبعد .. مددنا المسافة بينه وبيننا) .

(٢٢٤) تِنْساني (هكذا) ، ولعلها (تَنَاسَانِي) ليستقيم وزن البيت .

(٢٢٥) هذه ترجمة ما كتبه المؤلف . ومعنى هذا الشطر لا حصر فيه ... فلعل الأصوب (حبيبتي يعرفها خرفوش) .

(٢٢٦) " تِنْلِجِم " هكذا ، وأرى الصواب : " تِنَّجِمْ " أى " تَضِلّ ولا تسْتطيع تَبَيُّن الجهات " .

(٢٢٧) " الدِّين " ، بكسر الدال ، والصواب " الدَّين " بفتحها .

(٢٢٨) وأرى أن تكون العبارة : لئلا تتيه عن هدفك .

(٢٢٩) ترجم المؤلف عجز البيت الأخير بما ترجمته : " يا جوهرة من جواهرى " .

(٢٣٠) هذا تعريف يكاد يكون حرفيًا لترجمة المؤلف للبيتين .. ونرى أن هذه الترجمة غير دقيقة ، ولا سيما ترجمة عجز البيت الأول وصدر الثاني .

(٢٣١) يقصد بـ (العرب) في البيتين وعند العامة عادة : الناس ، لكن المؤلف يأخذها على ما يدل عليه ظاهر لفظها .

(٢٣٢) نرى أن معنى البيت : يالقلبي الذى تهشم كما يتهشم (الكِثّان) ... والكِثَّان الحصى الْهَش سهل التفتيت ، والمفرد (كِثّانة) وهو في الفصحى الكَذّان - بالذال المعجمة . وانظر أعلاه .

(٢٣٣) نرى أن يكون المعنى هكذا : يا لَهَمِّي الذى برى جسدى .. واسْتَلَّ صحتي .

(٢٣٤) " رَمَّد " لا تعني هنا مدلولها الحسي ، كما ظن المؤلف ، بل أن يفقد الوجه نضارته أسىً على فراق الأحبة الظاعنين " .

(٢٣٥) هذا من الأعمال التى نهى عنها الإسلام ، كما هو معروف .

(٢٣٦) أرى أن معنى البيتين كما يلي : لقد حل بي ، يا أماه ، البلاء الذى حل بمخلف (مخلف اسم شخص) فما حيلتي ؟ وماذا أصنع ؟ إن دمعتي لتذرف على وجنتي ؟ وأرفع عقيرتي بالصياح كما يرفع الكلب عقيرته بالعواء . أطْنِبْ : معناها أصيح بصوت عال ، ومنه العبارة العامية (طَنَبْ رْغَاهْ) أى : ارتفع صوت رغائه ، وتقال في بعير علا رغاؤه ، ومجازاً في شخص جهر بالشكوى والتذمر . وقد يروى الشطر الأخير (اقْنِبْ قِنِيبَ اشْهَبَ الْوَاوِي) والمعنى واحد .

(٢٣٧) هكذا . والصواب أن (طِنِيب) هنا تعني (عُوَاء) .

(٢٣٨) ليس هذا المقصود . الأهزوجة مجرد وصف لشجاعة محبوبها وأنه يثبت ، إذا فر الجبان ، فيصد الأعداء .

(٢٣٩) هكذا فسر المؤلف عجز البيت الثاني . لكني أرى أن المعنى هو " وقلبي يتحرق شوقًا إليه " .

(٢٤٠) برغم أن البيتين رواية أخرى لسابقيهما فقد ترجمهما المؤلف إلى الإنجليزية ترجمة مختلفة .. لذلك اختلف تعريبنا لترجمتيه .

(٢٤١) وردت في عجز البيت الثاني كلمة (جَوّدوا) هكذا (قَوّدوا) وقرأها المؤلف (جَدِّدوا) كما تدل عليه الترجمة .

(٢٤٢) دأب المؤلف على إبقاء كلمة (العرب) كما هي عند ورودها في الأشعار والصواب أن يستبدل بها (الناس) فهي المقصودة كما ذكرها سابقًا (تهميشة٢٣١) .

(٢٤٣) اضطررنا إلى هذه الترجمة الركيكة التزامًا بالنص الأصلي .

(٢٤٤) هذا البيت غير مستقيم الوزن .

(٢٤٥) فسر المؤلف (الشّعَيلة) بأنها (الرمادية) ، وهي البيضاء التي يشرب بياضها بحمرة أو (الشّعلاء) . والكلمة الأخيرة عامية فصيحة .

(٢٤٦) هذا تعريب ترجمة المؤلف لعجز البيت الأول ، وهي غير دقيقة .

(٢٤٧) هكذا ترجم المؤلف صدر البيت الثالث . ونرى أن المعنى هو : (إن رغبتي شاب جميل مع القوم " أهله ") .

(٢٤٨) هكذا ترجم المؤلف صدر البيت الثاني . ونرى المعنى : " يا أخي ، يا لقلبي الوارد ...الخ .

(٢٤٩) يبدو أن نقصًا اعترى صدر هذا البيت فهو قصير ، وغير مستقيم الوزن ، ولعل صحته (نَطّيت انا الْمِرْقَابْ يا جْوَاد واشْفَيتْ) .

(٢٥٠) هكذا ترجم المؤلف عجز البيت الثالث . لكني أرى أن معناه : (ورأيت حتى الأشجار غير البارزة للنظر) .

(٢٥١) يلاحظ في أسلوب صدر البيت الرابع اضطراب فبدل أن يكون : " فطنت لْغَرِيرٍ وْنَّيت " .. جاء النص " فَطَن عليه غرير ونّيت " .. أو لعل " فطن على " عند الرولة بمعنى " فطن ل .. " أو " خطر ببال " .

(٢٥٢) هكذا ترجم المؤلف البيت الخامس . لكني أرى أن معنى البيت هو : (إن لم يمكن أن أرتوي من ثناياها الثماني .. فواعيني التى ينتهي سهرها) .

(٢٥٣) ترجم المؤلف (عزّي) بمعنى (صبراً) والظاهر أن صحة أول البيت (عِزّي لْرَاعِي العنز ...إلخ) بمعنى : إني أعطف على راعي العنز (أى لكثرة ما لقي من نَصَبٍ في البحث عنها) .

(٢٥٤) انظر الحاشية رقم (١٨٦) .

(٢٥٥) هذا تعريب ترجمة المؤلف . ونرى أن المعنى : (يا أبا رشيد ، أشكو إليك أن قلبي مجروح) .

(٢٥٦) هذا تعريب ترجمة المؤلف ، ومعنى آخر عجز البيت (والقلب حزين = مغتل = فيه غل وهو الشر والحزن) .

(٢٥٧) هذا تعريب ترجمة المؤلف للبيت . ونرى أن عجزه هو (... وكان فيها نومي متقطعًا [شوقًا إلى] ذات الثنايا الغر) .

(٢٥٨) (الدرّاجه) بكرة مستطيلة لا أسنان لها ولا مجرى ، يمر فوقها أحد حبلي السانية (السِّريح) ، وهو الأسفل ، أما الأعلى وهو (الرّشا) فيمر على البكرة الكبرى العليا والمختلفة شكلاً عن (الدراجه) ، وهي (الْمَحَّالة) ذات الشكل الدائرى التي لها أسنان بينها مَجْرَى يمر الرشا عبره .

(٢٥٩) " زوجين زوجين " هي تعريب ترجمة المؤلف الخاطئة لكلمة (الجوازى) ألتى ظنها جمع (جوز) أى (زوج) ، والصواب أنها جمع (جازي) وهو الظبي .

(٢٦٠) في البيت وتعريبه غموض . و " السَّمِيّ " هو " المماثل في الاسم " كما هو معلوم ، وليس " الاسم " ، كما فهمه المؤلف .

(٢٦١) هكذا ، وهي ترجمة بعيدة عن الدقة ، والصواب : (افرج لمن كأنه في صندوق عاجي ، ومن هو حائر قد أوصدت السبل في وجهه) .

(٢٦٢) ولهذه القصيدة قصة . انظر فهد المارك ، من شيم العرب (دمشق : المطبعةالهاشيمة، ١٣٧٥هـ) ، ج ١ ، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٩ ، على أنه لم يرو من القصيدة سوى ثلاثة أبيات بالإضافة إلى بيتين لم يردا هنا .

(٢٦٣) ورد عجز البيت هكذا (دافِعَهْ ظَهَرْها عن ركوبٍ للنِّذَّال) ، وفيه خطأ وغموض ، وما أثبتناه خال منهما .

(٢٦٤) المعنى الدقيق لآخر شطر البيت هو : (فأسحقك في دوائها) .

(٢٦٥) أرى أن المعنى : ولعظم ما أصاب قلبي من جرح [لفقدها] لم أسْطِعْ حراكًا .

(٢٦٦) غلط المؤلف في ترجمة هذا الشطر فقد فهم أن (الكُحَيلة) : العين المكحولة ، ومعروف أن معناها (الفرس الأصيلة) . كما أخطأ في شرحه لقول الشاعر (جِلِّلَتْ كل ليلة) فالمعنى : (إنها كالمهرة الأصيلة) " بنت الكحيلة " التي تغطى [لفرط اعتناء أهلها بها ، عن البرد] كل ليلة .

(٢٦٧) لال : سراب (آل) .

(٢٦٨) بل العنكريشة الشعر المتداخل المحتاج إلى تمشيط (عكاريش) .

(٢٦٩) ترجم المؤلف عبارة (الله يخونه) هكذا : " جعله الله خائنًا " . وعبارة " الله يخونه " لا يقصد بها الدعاء عليه حقيقة ، فهي مرادفة لقولنا : قاتله الله .

(٢٧٠) ترجم المؤلف الشطر الثاني هكذا : " يوضح الأثر قطينًا صغيراً غربي سَلَمْيَا " .

(٢٧١) ترجم المؤلف " الحبّ " بـ (القُبُلات) .

(٢٧٢) هذه ترجمة شرح المؤلف لمعنى البيت .

(٢٧٣) سجل المؤلف عبارة (وِارْمَ الْهَوَادِي) أي (وِارْمَ الأثافي) هكذا : (وارْمِلْ هَوَادِي) ثم ترجم معناها طبقًا لهذا :(وألق الرمل على الأثافي التي ينصب عليها قدره) !.

(٢٧٤) في هذه الفقرة وهمان ، ففيحان بن قاعد بن زربان ليس بشيخ عشيرة الدُّوشان ، بل شيخ قوم من مُطير يقال لهم (الرُّخْمان) ، و (نِفِي) ما كانت تابعة للدوشان بل هي لقبيلة باهلة منذ البعثة النبوية ، وظل بعضهم فيها حتى هذا العهد ومنهم ابن سْبَيِّل ، ثم استقر فيها جماعة من الرّوقة من عتيبةوشيخهم تركي الضِّيط ثم عمر بن ربيعان . وانظر مثلاً محمد بن ناصر العبودى ، بلاد القصيم (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٠هـ) ، ص ١٤١٢ والتى تليها .

(٢٧٥) وكل ذلك من الممارسات غير الشرعية .

(٢٧٦) الفاطر : الناقة المُسنّة (النَّاب - البازل) .

(٢٧٧) طِمِيّه : جبل مشهور . وانظر مثلاً محمد بن ناصر العبودى ، بلاد القصيم ، ص ١٤٩٢ وما بعدها . ووهم المؤلف ففسر الكلمة بـ " التلال الرملية " أو " الكثبان " في هذا البيت والذى يليه .

(٢٧٨) وهم المؤلف ، مرة أخرى ، فشرح معنى عجز البيت هكذا : (وانظرى أَظْهَرَ خَدُّ حِصَانٍ في الأفق) ؟

(٢٧٩) يقصد زوجته .

(٢٨٠) وما ورد هنا نحو نصف القصيدة . وقد أوردها أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهرى في " العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين " (الرياض : داراليمامة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ص ٢٧٩ - ٢٨٣ . وحققها موردًا الاختلافات في عدد من المراجع . وفي الأبيات التي هنا اختلافات عما ورد هناك .

(٢٨١) الأضحية ، كما هو معلوم ، لا تذبح لذكرى ميت ، بل هي سنة مؤكدة يرجى أن يتقبلها الله تعالى ويأجر مَنْ ضُحِّيَ بها له ، فالغاية منها طلب الأجر من الله سبحانه.

(٢٨٢) هذا وهم من المؤلف كما أشرنا (التهميشة " ٢٧٧ ") .

(٢٨٣) هذا ما خَالَهُ المؤلف لقول الشاعر إنه (سيأخذ عوضها عَنْدَلاً شوشلِيَّة) أي فرسًا . لكنْ يُحتمل أنه كَنَّي عن الفتاةِ بالفرس .

(٢٨٤) التحية عند المستقرين كالتحية عند (المتحركين) . وقد خلط المؤلف ، فيما يبدو ، بين تحية اللقاء والسلام الاعتيادية وبين (التحيات لله والصلوات الطيبات) التي تقرأ في التشهد في الصلاة ، ثم ظن أن هذه هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

(٢٨٥) ترجم المؤلف عبارة (ما تَنَانِي) بما تعريبه (عليها ألا تتوقع مجيئي) .

(٢٨٦) ترجمة حرفية .

(٢٨٧) في هذه القصيدة صيغة غريبة وهي (إثبات نون بعد واو الجماعة إذا لحقت الفعل الماضي في أفعال القافية وهي : سيلونه - غلبونه - زعلونه - سقونه - طردونه - ثمنونه - قعدونه - برونه - هزعونه - حدرونه) . وهي ظاهرة نادرة . فهل هي سمة لهجة سائدة أم لا ؟ هذا ما برح بحاجة إلى بحث ، والظاهر أنها مختصة بالشعر.

(٢٨٨) توصف الإبل الشمالية بالخفة والسرعة ، ويقال للرجل السريع الخفيف في طبيعته : " بعِيْر شِمالْ " . والبكر : الفتي من الإبل .

(٢٨٩) المشعاب : العصا ، تَشَعَّب طرفه وخرج منه فرع آخر (شِغْوه) وقُصَّ .

(٢٩٠) الرِّجم : حجارة يوضع بعضها فوق بعض علامة للطريق . والكلمة فصيحة الأصل : جاء في القاموس المحيط (ر ج م) : " وبضمتين .. وحجارة تنصب على القبر " .

(٢٩١) هكذا . والصواب « وإن مت فَضَعُوها عن صدري » . أي دعوها على صدري حتى ألفظ آخر أنفاسي .

(٢٩٢) يرمى من وصفها بعدم الاكتحال إلى نعتها بالعفة وعدم التبرج .

(٢٩٣) الحلف بغير الله من الشركيات الشائعة بين المسلمين ، مع الأسف . وفي البيت شبهها بفرس في قوله (وحياة مِنْ هو بالشَّوابِرْ لكَدْهَا) أي بحياة مَن ضربها بالأسواط (الشوابر جمع شابور وهو السوط) ، أي ركبها وضربها .

(٢٩٤) ترجم المؤلف قول الشاعر (شِيمَةْ حَمُولِهْ كلّ مِنْ جَا حَمَدْهَا) على النحو الذى عربناه . والظاهر أن المعنى غيره ، فلعل الشاعر يقصد الإشارة إلى أن تزويج المرأة بدون مهر مرتفع من عادات القبيلة الطيبة التي يحمدها كل من علم بها ، وهذا يستشف خاصة من استعماله كلمة (شيمه) .

(٢٩٥) لم نتقيد هنا بالترجمة التي أثبتها المؤلف .

(٢٩٦) ترجم المؤلف الشطر الثاني من البيت هكذا : (ومتى همست فكأن عيني قد طرقها الرمد) ولا نرى ذلك صوابًا .

(٢٩٧) قلِيل الْمَيِز : هو الشخص الذى لا تمكنه قواه الفكرية والعقلية من التمييز بين ما ينبغي وما لا ينبغى عمله . ويوصف أحيانًا بعبارة أخرى هي (ما يْمَيِّز) أو أنه (جاهل) من الجهل المضاد للحلم والعقل ورباطة الجأش .

(٢٩٨) " الصقرة " مؤنثُ الصقر " . جاء في المخصص ، السفر الثامن ، ص ١٤٨ : "والأنثى صقرة ، وأنشد :

والصقرة الأنثى تبيض الصقرا ثم تطير وتخلي الوكرا " .

(٢٩٩) حرفيًا : (مِنْ سَحَر نَجْد) أى من جوف نجد . وظن المؤلف أنها (سِحْر نجد). بكسر السين ، وترجمها حسب ذلك .

(٣٠٠) هذا ما ترجمه المؤلف لشطر البيت . وهو غير دقيق ، والنص الأصلي لا يوازن بين جمال نبي الله يوسف عليه السلام وبين جمال المرأة ، بل يشير إلى (الجمال اليوسفي) على أنه مثال للجمال الرائع وحسب .

(٣٠١) هكذا ورد في الأصل ، ونحن المسلمين نعلم أن القرآن الكريم هو الذى وصف يوسف عليه السلام بالجمال : ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ " سورة يوسف ، من الآية ٣١ .

(٣٠٢) الصحيح أن معنى (قمار) في البيت تملق أو جذاع .

(٣٠٣) ورد أول البيت في الأصل : (والله انت) وهو تحريف . وكذلك في أول عجز البيت الذى قبله ورد (والله الخساير) وهو تحريف ما أثبتناه .

(٣٠٤) ترجم المؤلف البيت بما تعريبه هكذا : (من فقد حبيبه ، يا من هو كثير النواح ، إنه كصقر يحوم ، صقر الهوى الذى كل عامة الناس ضحايا له) . وهو ، كما لا يخفى ،

مختلف عن معنى البيت .

(٣٠٥) ترجم المؤلف هذا البيت بما تعريبه : (إن منغصات الحياة كأفراخ الصقر التي لا تبالي بالأشواك ، بل تمزق بمخالبها الحبارى) .

(٣٠٦) تصرفنا في إيضاح معنى هذا البيت حسبما نراه مناسبًا ، ولم ننقل ترجمة المؤلف التي نصها : (لماذا ، إذا لم تأتك هدية شرف سنشتريها لك ؟) .

(٣٠٧) يجب أن يؤخذ هذا التعريف بحذر ، فالكلمة العربية الفصحى تعني (الْخَلْق)عامة، وفي الشعر العامي ، ومنه هذا البيت ، لا تختص بالمعنى الذى أشار إليه المؤلف .

(٣٠٨) هذا تعريب ترجمة المؤلف للبيت . والظاهر أن(الخَزْعَلِي) صفة للناقة دالة على السرعة ، لا ما ذهب إليه المؤلف . والبكرة : الفتية من الإبل .

(٣٠٩) هكذا ترجم المؤلف معنى عجز البيت الثاني . وفي تفسيره افتعال غير خفي ، إذ المعنى هو (والشَّعْر الجعد كثيف بعضه فوق بعض (لِيَّةٍ فوق لِيَّهْ) .

(٣١٠) ترجم المؤلف " لولا الحيا " بما تعريبه : (ولو فقدت حياتي) وهي ترجمة بعيدة عن الدقة .

(٣١١) مَفْرِيّة الجَيبِ : ذات الجيب المشقوق ، وهي عبارة فيها دعاء عليها بأن تضطر إلى فري جيبها لحزنها على فقد عزيز . وعبارة (فَرْي الجيب) شائعة عند أهل البادية ، ومن صيحاتهم عند الحزن : يافَرِي جيبي جيباه ! يا هَدِمْ بيتي بيتاه !

(٣١٢) قال المؤلف بأن " الْمَهَا " هو الهواء الطلق وترجمها طبقًا لذلك ، والمها : بقر الوحش ، كما هو معروف ؛ فمعنى عجز البيت : « إنها تقتدي بالمها ، وأنا أقتدي بها » لأن معنى « لا تعِتّذِي » : تقتدي .

(٣١٣) هكذا . على أنه ليس في القصيدة ما يدل على تنفيذه الفرار بها ، وكل ما فيها قوله إنه لولا الحياء لَفَرّ بها .

(٣١٤) فسر المؤلف ، كما ذكرنا في التهمشية « ٣١٢» ، الْمَهَا ، خطأ ، بأنه هواء الصحراء النقي !

(٣١٥) الْقَذَيلة ، تصغير القذله : القَذَال ، و " هَيهْ " كلمة يقصد بها حث المخاطب على الانتباه ، وظنها المؤلف : (هَيّا) ، فترجمها (أسرعى).

(٣١٦) ترجمة المؤلف : لا ثقة لديك بإخلاصي .

(٣١٧) ترجمة المؤلف : يا ذات الوشم اللطيف . يا ذات الأسنان الجميلة .

(٣١٨) القابْله : الليلة التي تأتي بعد نهار الغد . وترجم المؤلف البيت الثاني : واكسرى رقبة الجبان حتى الليلة القادمة .

(٣١٩) وهم المؤلف فظن المقصود بالذابلة المرأة ، وهي وصف للوشمة .

(٣٢٠) ترجمة المؤلف لعجز البيت : قبليني واكسرى رقبة الجبان حتى العام القادم (!) .

(٣٢١) هذا تعريب ترجمة المؤلف للبيت الثاني ، على إنه قد يختلف عن معنى البيت .

(٣٢٢) هكذا في الأصل . ولعلها " وخيانة الشوق " كما تدل عليه ترجمتها .

(٣٢٣) جُودهْ : اسم امرأة .

(٣٢٤) تعريب ترجمة المؤلف لهذا البيت هكذا : لم أسمع اليوم حججًا (أو أعذارا) .

(٣٢٥) ترجمة هذا البيت بعيدة عن المعنى الحرفي له .

(٣٢٦) ترجم المؤلف عجز البيت ما تعريبه : في ساعة لا يسر تذكرها .

(٣٢٧) جمع راوية وهو الرجل الذى يجلب الماء .

(٣٢٨) الرواية المعروفة لهذا البيت : (ليا ما تعشى ... ويضحك ليا اصبح) .

(٣٢٩) ترجمة المؤلف لعجز هذا البيت خطأ . والصواب هو : ذلك " أى السفر البعيد على متون المطي (مبِعْدَات الْمْعَشّى) " هو الذى يكشف عيوب الشبان .

(٣٣٠) وردت الكلمة الأخيرة في الأصل بدون الباء .

(٣٣١) هذا تعريب حرفي لترجمة المؤلف لعجز البيت . والمعنى كما نراه : إنك لأحب إليّ من فتاة ذات خلخال مُوَسْوِس .

(٣٣٢) تعريب ترجمة المؤلف : (آه ، عسى من يمتحن القلوب يحقق رغباتي . والله هو الذى يحل في قلب حبيبتي وقلبي) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وهذا الخطأ الفاحش نتيجة لخلط المؤلف بين الاسم الموصول (اللي) واسم الجلالة (الله) .

(٣٣٣) هذه ليست كلمة واحدة بل هي (لو) و (انى) : هَنِي لو انِّى لَلْمَعَاليقْ فَتَّاشْ .

(٣٣٤) ترجمة المؤلف للبيت هكذا : " لماذا تعقد حاجبها نحونا قائلة : إن المغير من القرية جيد فقط لاتخاذ صنعة " .

(٣٣٥) ترجم المؤلف كلامها هكذا : (..... إن فارس القرى لا يناسب سوى حرفة أو مهنة) ، والحادثة مشهورة ، واسم الابن بداح .

(٣٣٥ب)الذي قالها ، كما هو معروف ، بداح بن فيصل ، لا فيصل العنقري .

(٣٣٦) هكذا . والعبارة المألوفة (يا اريش العين) أي يا صاحب العين ذات الريش الجميل ، أي ذات الأهداب الطّوَال الجميلة .

(٣٣٧) الواقع أن " هَبَّة الرِّيح " تعني النجدة والشجاعة والأريحية ، فهي هبة مجازية .

(٣٣٨) المحذوف بيت معناه كفر .

(٣٣٩) في الأصل : (لا تَبِت الْخَلا) .

(٣٤٠) سَمِّني : أي : كأنه قتلني بِسُمٍّ .

(٣٤١) في الأصل (قلب المخاليق ...) وهو خطأ تطبيعي .

(٣٤٢) ترجم المؤلف البيت على هذا النحو : (أيتها الفتاة إني أخشى قومي على أنَّ أي من يريدك أقل مني) .

(٣٤٣) ترجم المؤلف الكلمة بأن معناها : " الشاب الذي يطوف في الليل ليلقى حبيبته " . وهو خطأ ، فالكلمة فعل ماض وليست اسمًا .

(٣٤٤) في اللهجة النجدية : " ذَلَفْ " تعني " ذَهَبَ " وفيها معنى ذَمٍّ ، تقال عادة في شخص ذهابه مرغوب فيه ، والأمر منها : اذْلِفْ .

(٣٤٥) هذا مثال من الحلف بغير الله ، وقد استبدل موزل به " بالله " . والحلف بالنبي شائع، للأسف ، في بعض البلاد الإسلامية .

(٣٤٦) هكذا . والمقصود في البيت اسم فاعل (حدا) ، أي اضطر شخصًا إلى أمر .

(٣٤٧) بل (اللال) السراب (الآل) .

(٣٤٨) ترجم المؤلف البيت الثاني بما تعريبه : (بعد إذلاله قحيصان حتى أن الأخير أضحى كَقَعُودٍ فطيم يتيم) ! .

(٣٤٩) الحلف بالنبي من مظاهر الشرك السائدة ، كما يبدو في هذا البيت ، وكما لاحظنا سالفًا (انظر حاشية ٣٤٥) .

(٣٥٠) ترجم المؤلف العبارة : (قسمًا بالله نفسه) ، وهو خطأ فاحش .

(٣٥١) ترجم المؤلف " أقرشت " : "مضت كشيء مشترى " . والكلمة لا تتحمل كل هذا المعنى ، بل معناها : ذهبت مسرعة ، انطلقت .

(٣٥٢) دعاها (النِّيرَات) ، بصيغة الجمع ، تلطفًا لها .

(٣٥٣) ترجم المؤلف عجز البيت الثاني هكذا : (يا ليتني أحْيَى أطول من العشيرة كلها) ، وهي ترجمة خاطئة . ومعنى العبارة معروف كما أثبتناه .

(٣٥٤) هكذا قال المترجم ، والكلمتان لا تختصان بالقبيلة ، بل هما عامتان للفرد وللجماعة ... إلخ .

(٣٥٥) هكذا ترجمة تفسير المؤلف لعبارة (لَيَا بَعَد) . وأشرنا في حاشية (٣٥٣) أعلاه إلى أن ما ذكره خطأ .

(٣٥٦) ترجم المؤلف صدر البيت الأول هكذا : (لقد قصرت رجلي بصعود التلالالعالية) ! .

(٣٥٧) ترجم المؤلف البيت الأول هكذا : (وعيني تجرني نحو القمة) ! .

(٣٥٨) الأصل : العين عين من تتسلل مع مجاري السيل . إنها قد ملكت فؤادي حتى ليكاد يتوقف عن الدّق .

(٣٥٨ب)قال المؤلف بأن (القرم) صيغة خطاب شاعرية . وهو خطأ .

(٣٥٨جـ) بِرْد ورواف : جبلان يقعان قرب تيماء . انظر في تحديدهما حَمد الجاسر ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، شمال المملكة ، ص ١٧٧ -١٧٩، وص ٦٠٤ .

(٣٥٩) ليس هذا هو المقصود . بل مدح أبي ثَمَد بأنه شجاع يقيم عوج كل متجبر معتد .

(٣٦٠) لعل صحة العبارة : (يا ضْيوفْ ، تَرَى راعَ البيت ما هو حاضر) .

(٣٦١) لا شك أن ما أشار إليه المؤلف من فرار المرأة المتزوجة عن زوجها نادر جداً .

(٣٦٢) بعد هذا موضوع في نحو صفحة عن (عقوبات عدم العفة) آثرنا حذفه من الترجمة لأسباب لا تخفى .

(٣٦٢ب) بل لجمالها الفاتن .

(٣٦٣) هكذا .وربما تكون(نضير وجهك) أي (مثيل وجهك) في الحسن = أي حَسَن . وهذا ما دلها على اسمه .

(٣٦٤) هكذا في الأصل . ولعل الصواب " عَيِّل " (الجمع : عيال) ، كما لدى أهل كثير من المناطق الأخرى .

(٣٦٥) ليستالضحية لذكرى الميت ، وحكمها معروف ، وانظر (ح ٢٨١) . وقد ظن المؤلف أن عيد الأضحى عيد تذكارى لذكرى الميت ، وليس الأمر كذلك ، كما هو معلوم .

(٣٦٦) لعبة (الدَّحّة) التي وصفها المؤلف كانت معروفة في أماكن كثيرة ولدى جماعات

عدة في بلاد العرب في الماضي ، ذكرها فهد المارك رحمه الله في كتابه (من شيم العرب) جـ ٣ ، ص ٧٢ (حاشية) . وقال عنها إنها (لعبة يقوم بها فتيان البادية وفتياتهم ، فترقص إحدى الفتيات على نغمات الفتيان الذين يرددون بيتًا من الشعر يقوله شاعر هذا المسرح .. ثم يصفق الجميع بعدما ينشد البيت ويلحنه .. وتأتي الفتاة فترقص على هذه النغمات) . كما وصفهاعبدالرحمن بن زيد السويداء في كتابه (نجد في الأمس القريب) ص ٢٥٥ ، لكنه ذكر أن فيها اختلاطاً والواقع أن لا اختلاط فيها .

أما عن مزاولتها لدى الرولة فقد اتصل بالمترجم بعد نشر هذا الفصل في مجلة (الدارة) الشيخ نايف الشعلان ، وقال إن أغلب الظن أنها كانت تقام بين من كانوا مع الرولة من القبائل الأخرى التي كان الرولة ينظرون إليها ، في ذلك الحين ، على أنها أدنى شأنًا .

(٣٦٧) هذه ترجمة تفسير المؤلف لمعنى البيت ، ولا يبدو أنها تلتزم بمعنى البيتين .

(٣٦٨) هذا تعريب تفسير المؤلف لكلمة (كَزّ) ، وهو معنى غير معناها المعروف لدى مختلف القبائل الأخرى ، وهو : (أرسل) ، أمر من (كَزّ - يكِزّ) : أَرْسَلَ ، يُرْسِلُ .

(٣٦٩) هكذا ورد الرجز باختلاف الروي .

(٣٧٠) ترجمة معنى صدر البيت الثاني حسب ترجمة المؤلف : فلأسمع بأخبارهم وأنهم قطنوا ليقيموا .

(٣٧١) المؤلف : " ... فإني (في مكانك) عليّ ألا أبالي إن غضبن " .

(٣٧٢) المؤلف : نواف ، يا طارد الحزن .

(٢٧٣) ترجم المؤلف معنى عجز البيت الثاني ما ترجمته هكذا : " فأى قطيع سيخافه " . ونرى أنه بعيد عن المعنى المراد .

(٣٧٤) ترجم المؤلف " الاشْقَح " : الرمادى ، والمعروف في اللهجات الأخرى أنه " الأبيض بياضاً غير ناصع ، أما البياض الناصع فهو الأوضح " ، ويستبعد أن يكون عند الرولة هو الرمادى .

(٣٧٥) بل تشتد سرعته فتسقط الوسائد من على ظهره .

(٣٧٦) " بينما كان الآخر يرمي الفرسان برمحه " . هذه ترجمة شرح المؤلف للعبارة الأخيرة . وقد ابتعد نوعًا ما عن المعنى وإن كان المضمون واحداً .

(٣٧٧) بل المقصود يحلون في الأماكن الخطرة .

(٣٧٨) تِنْلاع : تصيبها لوعة .

(٣٧٩) مَحَاذِفْهُم ، جمع مِحْذَاف . وهو في العامية " مِقْلاع " أيضًا كما ذكر المؤلف ، وهو مؤلف من خيطين يتصلان برقعة صغيرة من صوف ، يوضع فيها حجر ، ثم يديرها الرامي عاليًا ، ويطلق أحد الخيطين فيقذف بالحجر . ويستخدم ، عادة ، في طرد العصافير أو الجراد عن مزارع الحبوب ، ويتقاذف به الصبية حين يتشاجرون .

(٣٨٠) المؤلف : " فكل ممتلكات العدو تخشاه " وهي ترجمة خاطئة .

(٣٨١) معنى (النِّذل) معروف ، ويستبعد أن تعني في الأهزوجة معنى مختلفًا ، وأن تقصد فتيات القبيلة إطلاقها على الشيخ النورى أو غيره من شيوخ قبيلتهن .

(٣٨٢) الزّمَام (وتصغيره زْمَيِّم) : حلقة تتحلى بها المرأة تعلقها في منخرها المثقوب .

(٣٨٣) أى أنه سريع لا يضطر راكبه لحثه على السير . أما المؤلف فوضحه بما تعريبه " يا من تركب غالبًا بعيراً وديعًا ، إنها لا تشير بعصاها " ، وشرح ذلك ، فيما بعد ، بأن المقصود أنها تشير لحبيبها بعصاها التى تستخدمها لسوق جملها . وبرغم هذا الشرح مازلنا نرى أنه أخطأ في ذلك ، فمن عادة الشعراء ، بصفة عامة ، مدح المطية بأنها لا تضطر سائقها لسوقها .

(٣٨٤) المؤلف : " يكسر عظام الظهر فيفصلها لى قسمين " .

(٣٨٥) هذا تعريب ترجمة المؤلف . أما معنى عجز البيت فهو : " لِمَ أَنْتَ لي شانِىءٌ ؟ " .

(٣٨٦) لكن معنى (وَرَاكْ) في الأنشودة ليس هذا بل (لماذا أنت ؟) .

(٣٨٧) المؤلف : " يا اسم ربنا " . والكلمة في البيت " سما " لا " اسم " وخلط المؤلف بينهما. وفي الأهزوجة شرك (دعاء غير الله) .

(٣٨٨) ليس هذا بالمقصود ، وإنما المنادى في الأُحْدِيَة مسافر حقيقي تسأله قائلتها عن أهلها في الجنوب وأقربائها فيما وراء بصرى وفي حوران .

(٣٨٩) سبق حديث عن الباعة المتجولين أيضًا ص ١٥١ .

(٣٩٠) من الغني عن الإشارة أن دفع فائدة على هذا النحو من الربا المحرم .

(٣٩١) في الأصل : قطاع رزق . . . ومعنى المثل : أن الدَّيْن يقطع الرزق المقبل ، حيث إن الرزق يذهب للوفاء بالدَّيْن .

(٣٩٢) المؤلف : العمل عملنا . ترجم (الكار) بمعنى العمل ، وهذا صحيح ، لكن المقصود بها هنا العادة والعُرْف .

(٣٩٣) والمراد برفوهم ما يمزقه جارهم الصفح عن زلته ، والتغاضي عن نقائصه وسترها .

(٣٩٤) كانت " الطِّريفه " تطلق لدى حاضرة القصيم أحيانًا على " اللحم " .

(٣٩٥) اختلف روي أبيات هذه القصيدة بعضها عن بعض فرَوِي الأبيات ١ و ٤ و ٥ و ٨ و٩ كاف ، ورويّ البيتين ٢ و ٣ جيم ، ورويّ الأبيات ٦ و ٧ و ١٠ و ١١ قاف . على أن هذا الاختلاف يبدو كتابيًا أكثر من بدوه لفظيًا ، فالكاف تنطق (تش) أي نطقًا قريبًا من الجيم المعطشة ، كما تنطق القاف نطقًا بعيداً جداً عن القاف الفصحى إذ يشبه التلفظ بها التلفظ بدال وزاي ساكنتين ملتقيتين .

(٣٩٦) المؤلف : يا من له خبرة بمعرفة الأثر ، ما اسمها ؟ ونرى أن المؤلف ابتعد كثيراً عن المعنى المراد .

(٣٩٧) هكذا وضح المؤلف معنى " عارفين القاف " ونراه غير مصيب هنا ، بل " عارفين القاف " هم الذين يحسنون فهم معاني الشعر ، ويقصد من لهم خبرة بحل الألغاز .

(٣٩٨) المؤلف : " عليها غلام غير أجنبي " . ونراه ابتعد عن المعنى .

(٣٩٩) الهَوزه : اسم مَرَّةٍ من " هَازْ يهُوزْ " أي أشار بعصًا نحو شخص أو غيره مهدداً .

(٤٠٠) حذفنا جملة فيها ذكر لأصل أولئك الأرقّاء .

(٤٠١) لعل المراد أنه يرافقها مع رفقة .

(٤٠٢) كلمة (عَمِّي) بمعنى (سيدى) إذا قالها العبد ، ولا تعني أنه عَمُّهُ أخو أبيه .

(٤٠٣) " سَمّ " كلمة استجابة للمناداة فيها تأدب مع المخاطب ، وهي أصلاً اختصار لعبارة (سمعًا وطاعة) ، أو عبارة (سم الله) .

(٤٠٤) حذفنا هنا أسماء القبائل التي ذكرها المؤلف أمثلة .

(٤٠٥) الصحيح من مدينة عنيزة .

(٤٠٦) نثبت هذه اللفظة حفاظًا على كلمات المؤلف نفسها ، مع عدم موافقتنا على هذه التسمية التي أطلقها أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية عليها

وعلى من ساندها وسار معها .

(٤٠٧) ذكر المؤلف ثلاثة أمثلة لهذه القبائل رأينا حذفها رغبة في عدم الإسهام في الترويج لذلك الوضع المنكر .

(٤٠٨) المؤلف : يجلبان النوم . ولا نراه أصاب في فهم " بِغْدِى الْعَمَاس قْرَانَها ... " .

(٤٠٨ب) المؤلف : أى ضغط على رحم أمه أو التصق بها . وهو خطأ .

(٤٠٩) ليست ترجمة المؤلف لعجز هذا البيت بصحيحة . وصحتها (من معذر الخيل على ضفاف نهر الساجور) . فليست (العِذْره) تعنى (السماد) .

(٤١٠) الذى أجاب محدى الهبداني بالأبيات هو خلف الاذن . وكان مطلع مقطوعة الهبداني :

يا خلف الآذان بالك تغبى   يذكر لنا عندك قعود جلابه

قالها بعد أن علم بمقتل شيخ الفِدْعان تِركِي بن مْهَيَد على يد الشَّعلان والرولة . والمقطوعتان في كتاب (أبطال من الصحراء) ص ص ٢٤٩ - ٢٥٠ . وإن كان بينهما اختلاف كبير كإبدال بيت ببيت ، وعبارة بعبارة ، وكنقص وزيادة .

(٤١١) ما ذكره المؤلف عن مِحْدَى بن فيصل الهبداني يبدو ملفقًا ، لأنه فارس وشاعر شهير معروف النسب فهو من آل فْضَيل وهم فخذ من الجعافرة من (وِلْدسليمان) من (ضَنَا عبيد) من بشر من عنزه ، نشأ وشب بين عشيرة (وِلْد سليمان) الذين منهم أسرة (العواجي) التي أنجبت فرسانًا شجعانًا . وكانت أمه (ذكر العواجية) ابنة أحد أولئك الفرسان فهم أخواله (خاله الشيخ مشل بن محمد العواجي) . لكن مِحْدَى ، لطموحه ، أخذ ينافس أخواله على الزعامة ، فتألبوا على التضييق عليه، فارتحل عن أرضهم في نجد إلى الأراضي السورية ، وانضم إلى الفدْعان لقرابتهم من حيث النسب لقومه (وِلْد سليمان) . فليس أبوه الذى انضم إلى الفدعان ولم يتركه لديهم رضيعًا . (انظر " أبطال من الصحراء " ، ص ص ٢٠٥ ومابعدها) .

(٤١٢) هذا ، كما أشرنا أعلاه (ح ٤٠٩) ، وهم من المؤلف فالمراد بعذرة الساجور معذر الخيل على ضفاف الساجور ، أى حيث ترعى ، لا أن المراعي ملوثة . وانظر ص٣٧٩ حيث شرح المؤلف (المعاذر) بأنها المراعي المحجوزة للخيل .

(٤١٣) في الأصل : ابن حميد ، وهو خطأ . وتركي بن حميد زعيم آخر لقبيلة أخرى هي فرع (برقا) من عتيبة .

(٤١٤) ابتعد المؤلف في شرحه لعجز هذا البيت عن الصواب الذى نرى أن يكون (زعيم مجلس أولئك الصفوة من الرجال الذين يبزون سواهم في صفاتهم الحميدة) .

(٤١٥) المؤلف : " كمن يُنْفِق ولا يخشى الخساره " دون ذكر لحاتم .

(٤١٦) المؤلف : لا يحتقر سوى المجرمين .

(٤١٧) هكذا ، وهو تفسير واضح الخلل ، فالمعنى : حمال الأحمال الثقال ، أى : يتصدى للمسؤوليات الجسام التي ينكص عنها سواه .

(٤١٨) هكذا قال المؤلف ، والصحيح بطل قصص " تغريبة بني هلال " .

(٤١٩) هكذا والصواب : الكرم .

(٤٢٠) مضت قصيدة فيحان بن زريبان التي خاطب بها عبدالله بن سبيل ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٤٢١) مْظَيَّر : مْذَيَّر : قد (ذَيَّره) الصائدون ، أى أفزعوه بكثرة الرمي والملاحقة .

(٤٢٢) صواب أول البيت : " وِلْيَا نَوَيتْ فْسَوّ ... " .

(٤٢٣) المؤلف : الذى يجمعه كل بدوى مع السرية الصغيرة .

(٤٢٤) المؤلف : ثم اسأل عن (الرُّخْمَان) ، ولن تعدم من يدلك على بيته . إنه حقًا كالجمل القوى الذى يستطيع حمل الأثقال . ا . هـ . وقد وهم فظن (الرُّخْمَان) عَلَمًا لشخص ، وهو علم لعشيرة ، كما ذكرنا في تهميشة سابقة .

(٤٢٥) المؤلف : جائعين كانوا أو غير جائعين . ونراه غير مصيب .

(٤٢٦) المؤلف : يذبح النعجة والأضياف ما برحوا بعيداً . ولا نراه تفسيراً صائبًا .

(٤٢٧) هكذا . وهو تفسير خاطىء ، والصواب : حين وصلت الركاب إلينا كانت عدة الركوب من رحال وغيرها مما يعمله النجارون (نِجَايِر) جاهزة ، وكانت القِرَبُ مخروزة خرزاً مكينًا (تَرْز : لفظة فارسية تشير إلى العمل المتقن) ، وكان من يعمل الصوف (أى نساؤنا) قد سَدَّاه (ليعمل منه أدوات تنفع المسافر مما أشار إليه في البيت التالي) .

(٤٢٨) المؤلف : كان الركب جشعين ، لم يكونوا بحاجة إلى دعوة . وهو تفسير لعجز البيت خاطىء .

(٤٢٩) الصواب : لكنه لم يجد عنها خبراً في البلدان كلها .

(٤٣٠) " يا شَين " قد لا يراد بها حقيقة معناها ، وربما كانت أصلاً (يا شيخ) .

(٤٣١) المؤلف : كذبْتُكَ يجب أن تحني رأسها يا من يعيش سعيداً في المكان الآمن ، وهي ترجمة غير دقيقة . مْعَزّي سلامات : تقال لمن يريد أن يعزى آخر فيحزنه ، وليس معناها في السياق هنا بواضح .

(٤٣٢) المؤلف : .... أيها الأصلع . وذلك خطأ لأن (ردِى الْجْلاد) إنما تعني مَنْ (جِلْدُهُ) ردىء ، أى لا قدرة له على تحمل المشاق . أما صدر البيت فمعناه : إن قلبي عالق حب الفتيات قبل قلبك بأمد طويل ، فهيهات أن تصل إلى ما وصلت إليه من معرفة بأسرار العشق والحب .

(٤٣٣) المؤلف : " فَلْيُرَاقَب الرَّجُل " . وفي ذلك بعد عن المعنى المقصود . ومعنى البيت العام " احتفظ لنفسك بخط الرجعة " .

(٤٣٤) أى فقد يتغير الجو وتشتد حرارته فتعطش . وقد شرح المؤلف هذا البيت شرحًا غريبًا ترجمته (لأن من يحمل سِقَاءً به مَاءٌ باردٌ سيدمرك) .

(٤٣٥) المؤلف : فقد تحتاج إليهم . وهو معنى بعيد .

(٤٣٦) هذه ترجمة المؤلف . ومعنى نص صدر البيت هذا غامض .

(٤٣٧) والقصيدة في ديوان النبط ، ترتيب خالد بن محمد الفرج ، (د . ن / د . ت) ، ص ص ١٧٣ - ١٧٨ . وبين الروايتين اختلافات كبيرة حتى لا يكاد يخلو بيت من اختلاف . وعدد الأبيات في ديوان النبط ٥٥ بيتًا .

(٤٣٧ب) تابع النجم ، أو الدَّبَرَان ، (وتسميه العامة التويبع) ، لا يظهر في ديسمبر ، بل في يونية ، ومدته ١٣ يومًا من ٢٠ يونية حتى ٢ يوليو ، وهو ، عادة ، لا يجود بمطر وفير .

(٤٣٨) ليس هنالك شيخ يدعى " ابن رُخْمَان " . و " الرُّخْمَان " ، كما ذكرنا سالفًا ، هم عشيرة فيحان بن قاعد بن زريبان ، وهو شيخهم ، وإليه وجهت القصيدة .

(٤٣٩) فيحان شيخ لفخذ من مطير يدعون " الرُّخْمان " كما ذكرنا في التهميشة السابقة . أما ما ورد هنا عن طلبلفيحان فغير صحيح ، ففي هذا البيت وما يليه يبين عبدالله بن سْبَيِّل أن الإبل التي أرسلها إليه فيحان للبحث عن حبيبته تحتاج إلى أشياء عديدة لتجهيزها ، كما تحتاج إلى رجال يرسلون معها يبحثون .وهذه ، بطبيعة الحال، ما هي إلا حيلة شعرية لجأ إليها ابن سْبَيِّل ليسوغ بها تأخره في الرد على فيحان .

(٤٤٠) بينا معناها كما نراه في تهميشة على تفسير البيت سابقة .

(٤٤١) بينا المقصود به في رأينا في تهميشة على تفسير البيت سبقت .

(٤٤٢) هذا خطأ فإنما ذكرت العِصِيّ في البيت لإتمام الصورة وحسب .

(٤٤٣) بل قال : " طلبت من صاحب (التّيل) أى المبرقة (التلغراف) أن يرسل برقيات إلى مختلف الجهات للسؤال عن الحبيبة والبحث عنها ففعل (لكن دون طائل) .

(٤٤٤) هكذا فسرها المؤلف . والظاهر أن معناها قليل الصبر (الْجَلَد) .

(٤٤٥) رواية صدر هذا البيت المعروفة : (قل هيه يا اللي لي من الناس وَدّاد) .

(٤٤٦) الرواية المعروفة لصدر هذا البيت : (الشّوك ما له ....) .

(٤٤٧) الرواية المعروفة : (لَى عَادْ ما مِرٌّ يْزَغْرِتْ بَالأكْبادْ) .

(٤٤٨) المؤلف : وليس ثمة حذاء سميك إلا وتُحيلُه صفيقًا . ونرى ذلك غير مراد .

(٤٤٩) هذه ترجمة حرفية لرواية المؤلف وشرحه للبيت . أما معنى الرواية الأخرى التي أشرنا إليها فهو : (إن لم يكن الرجل أبيًا لا يقبل الضيم قد خلقه الله كذلك فلن تجدي فيه الوصايا بل سينساها في ساعة الفزع) .

(٤٥٠) ابن رخَيِّص شيخ (الزميل) من سنجاره لا (عَبْدِه) .

(٤٥١) العَرْفَجِيّة : لولوة العلي العرفج . ولم تثأر لزوجها بل لابنها عبدالله بن حجيلان الذى كان أميراً على بريدة بعد أن أخذ إبراهيم باشا أباه حجيلان بن حمد آل أبو عليان إلى المدينة فتوفي فيها . وقد طمع في الإمارة أبناء عم عبدالله وقتلوه ، فدبرت أمه تفجير القصر عليهم ، وتلقت هي وجواريها من خرج منهم بالسلاح الأبيض . وهذا الخبر متداول ، وليس فيه أنها استخدمت السم كما ورد هنا . انظر مثلاً محمد بن عبدالعزيز العبدالكريم ، محمد العلي العرفج : حياته وشعره (الرياض : مؤسسة دار الكتاب السعودى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ص ص ٥٤ - ٥٦.

(٤٥٢) انظر الحاشية " ٤٠٦ " أعلاه .

(٤٥٣) المؤلف : كانت النساء .... .

(٤٥٤) المؤلف : لكن قلبي يهزأ به . ولعله خلط بين (يهذى) و (يهزأ) .

(٤٥٥) المؤلف : لشجاعته العظيمة فإنه يقف بفخر على قدميه . وهذا لا يحقق المعنى المطلوب .

(٤٥٦) ترجم المؤلف هذا البيت ترجمة خاطئة لخلطه بين نون الوقاية في (ذكّرَنْ) التي حذفت ياء المتكلم بعدها وبين نون النسوة فظنها الأخيرة .

(٤٥٧) المؤلف : كأيام الحمّامات الحارة .

(٤٥٨) هذه ترجمة شرح المؤلف للبيت ، ووجدنا البيت مضطرب التركيب وإن كان مفهوم المضمون.

(٤٥٩) المؤلف : إن ضربتها . وهو خطأ في رأينا .

(٤٦٠) المؤلف : سيكون " فَيْداً " بارزاً لها ، وسيقع خلف سنامها .

(٤٦١) ترجم المؤلف عجز البيت ترجمة غريبة هي (وقد تقرر المحكمة ما إذا كنت لن تمزق منطقتك (حزامك : البرِيم) .

(٤٦٢) المؤلف : محمد بن عرفج آل علي ، وهو غير دقيق .

(٤٦٣) والقصيدة الكاملة تصل إلى ٤٥ بيتًا . وبالنظر في الروايتين يلحظ في بعض الأبيات التي هنا اضطراب وتحريف . انظر القصيدة بتمامها في محمد بن عبدالعزيز العبدالكريم ، محمد العلي العرفج : حياته وشعره ، ص ص ٩٥ - ١٠٠ .

(٤٦٤) في هذه الفقرة وهمان: أولهما وصف محمد العرفج بأنه ممثل ابن علي أمير حايل في مستوطنات واحة الجوف . والصواب أنه ممثل الإمام تركي بن عبدالله آل سعود رحمه الله هناك ، والثاني نتيجة للأول وهو قوله إنه (يتمنى العودة إلى حايل ....إلخ) على حين أنه يتمنى العودة إلى بريدة حيث كان أميراً عليها من قبل الإمام تركي . انظر مثلاً المرجع نفسه ، ص ص ٣٧ - ٤٠ .

(٤٦٥) جَرْهَدي : عميق متواصل كالأرض (الْجَرْهَدِيَّة) أى الممتدة .

(٤٦٦) بينا في التهميشة " ٤٦٤ " أن محمداً إنما وصف بريدة لا (حايل) .

(٤٦٧) هذا خطأ . واللام التي ألحقها المؤلف بـ (ذا) حرف جر سابق لـ (ذا) التي بعدها لا جزء من (ذا) الأولى .

(٤٦٨) هذه المرة يرد اسم الأمير (آل علي) وبينا في التهميشة " ٤٦٤ " أعلاه الصواب وأنه الإمام تركي .

(٤٦٩) " مَنْبُوز " ليست مرادفة لـ " سَنَام " ، وإنما هي نعت يعني " مُرْتَفِعٌ " أو " نَاب " .

فمعنى " منبوز الظهر " في البيت " ذو الظهر النابي " أى الذى عليه سَنَامٌ ضَخْمٌ .

(٤٧٠) المؤلف : ومُحَارِبُوهُمْ كجِمَال الأثقال .

(٤٧١) يبدو أن المؤلف ظن أن " عقَيل " من قومٍ يدعون (عَلِي) أو (آل علي) لأنهم من القصيم . ويقال لأهل القصيم (أولاد علي) ، وهم ، في الواقع ، من عشائر وأسر مختلفة.

(٤٧٢) المؤلف : وهذه ترفضها على الرغم من القانون ، ومع وجود شهود . ولا نراها ترجمة للمعنى المقصود .

(٤٧٣) هكذا فسر المؤلف " ولا تهْتَنِي " . ولا يخفى أن العبارة لا تدل على المعنى الثاني ، لكن المؤلف أخذه من معنى البيت الخامس حيث شبه من لا يهنأ بالنوم بمن به جنون .

(٤٧٤) " شعْل " جمع " شَعْلاء " . والشَّعْلاء : البيضاء التي تخالط بياضها حمرة .

(٤٧٥) المؤلف : يُجْفِلْنَ من ظلال أخواتهن . وذلك خطأ ، والمراد بقوله (كأنهن أخوات) أنهن متشابهات تشابهًا تامًا .

(٤٧٦) المؤلف : وهن متشابهات وعظام بأجنتهن ولذلك يتبعهن أربابهن .

(٤٧٧) " ذُرَاة " جمع " ذَارِي " من (ذَرَى) القمح (يَذْرُوهُ) . والذِّرَاية عملية تعريض القمح للهواء برفع قدر منه باليد ليطير التبن وتتساقط الحبوب شيئًا فشيئًا .

(٤٧٨) " عَشْرٍ على عَشْرٍ " : عَشْرُ مطايا معها عَشْرٌ أُخَرُ . وليس معناها " عشر في بطونها أولاد " . و " يتبارون " معناها معروف ، لا (يَتْبَعُون) أو (يَتْبَعُوننا) .

(٤٧٩) ليس المقصود بطن (الايدا) بل شيخهم المعاصر للشاعر ، كما إن الأحرى أن المقصود بسعدون " سعدون العواجي " لا أسرة السعدون .

(٤٨٠) في الأصل : ذات الأغصان المزدهرة الصفر .

(٤٨١) في الأصل : لقد قالوا : لكنها ما برحت صغيرة ، يا عزيزتي ، يا أيها الغصن الذى ، لشبابه ، يجب أن يعطى الإمهال . وفي هذا التفسير كثير من عدم الالتزام بمعنى البيت فقد أغفل مثلاً معنى (عِذْروبها) أى (عَيْبُها) .

(٤٨٢) في الأصل : الشاعر الْهِرْبِيد بن سويد . وهو وهم .

(٤٨٣) هذه ترجمة تفسير المؤلف . مع أن معنى آخر البيت غير واضح .

(٤٨٤) الْخَلِفَات : جمع خَلِفَة ، وهي الناقة الحلوب .

(٤٨٥) الرِّسّ : المكان فيه ماء ضحل ، ونوع من الآبار .



الفهارس الفنية

الأمثـال

الأشعار

الألف المقصورة

البيــــت		الصفحة	العدد	القائل
مــسرحبـــا يــا اللــى طُــو	لــي وطُــولِــهْ سُــوا	١٩٠	٢	...

ب

البيــــت		الصفحة	العدد	القائل
الطير يا عَمّار با كاسْبَ الثّنا	تايهْ ولا له جِّرةٍ نهتدى بَهْ	٤٣-٢٤٤		...
قم سَوّ ما يَجمْدْ على الصّين يا ذْيَاب				
بِدْلال يَشْدنّ البْطُوط المحاديـب		١٢٧-١٢٨	٩	هايـس بـن مجـــلاد
يا وَنّتــى وَنّـــة الشـنّــهْ	رُبَابـــةٍ بِيـــدْ لَعّــــاب	١٧٢	٢	...
يا محَيـمـدْ والبَلا جانــى	يا عشيري كيف اسَوّى بهْ	٧٤	٥	...
حَــرّانْ يـالابْــسَ المــزْوِى	لا يـا بَعــدْ مــن نـِزلْ جُبّــهْ	١٧٧	٢	...
مِــنْ عــذرْ وجهى لْيارَمــدّ	مــن عقبكـم ياالكـواكيـب	١٩٨	٢	...
عـــزاّكْ يـا بَـــرقٍ يلُـوحْ	ورا الطـويّــل صَـويَـهَـــا	٢٥٦	٢	...
نَطّيتْ رَاسَ العَبْدْ ولاَ شفْت الادباش		٢٥٨	٢	
ولا جاني من مَضْنُون عيني مْنَابي		٢٥٨	٢	علــــي الحازمــي

البيـــت		الصفحة	العدد	القائل
يـا وَنّــــةٍ وَنَّيتَهـــا	والنَّـاسْ ما دَرْيَـو بَهَـا	٢٧٣	٢	...
يـاراكْـبَ الـمَلْحَـا	كِــــزَّ المكـاتِـــيب	٣٠٠	٢	...
تِسَمَّعُوا ياهـل الخيل	فـلان يطـوّل شـبابـه	٣٠٥	٢	...
الاشـــقح وان دنِّــى عَتَــبْ		٣٠٧	٢	...
غَـــزالٍ دَشّـكُمْ مـاهـــاب		٣٠٨	٢	...
يا ربي يا خالْـقَ الليل	هـات المطر مـن سـحابه	٣١٨	٣	...
يــا مرحبـــا يـا مـرحبـــا		٣٢٦	٣	...
يامكيّل الحملات ليتك تِتْثَبَّى	عليك من جوف القبايل طلابه	٣٥٣	٥	محـمـــد آل مهلهـــل
هَنّيتْ قلبٍ دَالْهٍ مِثِلْ صَنْقُور	ماهَمّه إلا الطار واللي شقى به	٣٧٣-٧٤		حـمـود بـن عبيد بن رشيد
يا هيه يا هل الخاليات المزاهيب	هِجْنٍ تَلافى من بعيد المغيبه	٣٧٦	٣	عَبْدٌ لِمُحَمَّد ابن رشـــيد
يا راكْبٍ من فوقْ مَنْبُوز الظهَرْ	هـو مْنوةَ اللى نَاحْرٍ قرايبـــه	٣٨٤	١	..
يا خلــف الآذات بالــك تَغَبِّــى	يِذْكَرْ لنا عندك قِعـودٍ جلابه	٤٣٦	١	مِحْدى الهبداني

ت

البيـــت		الصفحة	العدد	القائل
يا عيدْ واوَجْدى على رَبْعَنا العامْ	هذى منازلهم على العين خلوات	١٠٤	٦	...
يــا هَيـهْ يـا راكْبَ العَتْـلِ	سَـــلّمْ ورْدِ السّـــلامـــاتِ	٣٧٣-١٧٢		...

ح

البيـــت	الصفحة	العدد	القائل
هذى طوَارِفْ عرَبْ خلّى يامرْحَبا يا عرَبْ شيحَهْ	١٧١	٣	...
يا بو خلاخِلْ وزمَيِّمْ والخَدّ بَرّاق يِلُوح	١٨٣	٢	...
شوقي يا عُويدَ الصّمْعَا ومْقَيّلٍ بالشِّيحَه	٢٥٥	٣	...
ورَاكْ تزْهَدْ يا ارْيشَ العين بِينَا تقول : خيال القرى زين تَصْفِيح	٢٥٩-٦٠	١٧	فيصل العنقري والصحيح ابنه بداح
يا بنْتْ انا قلبي عليكم عصانِي راعٍ لكم ، يا بنت ، قلبى نِصوحِ	٢٧٤	٤	...
انحدروا للسُّمّير الزّمِل بالمِسْرَاحِ	٣١٧	٤	...
يالله طَلَبْتَك غفراً وجَنّهْ وعسى نصيبي عِنْدْ مولاي ما بيح	٣٩٧	٤	صلبي غير معروف
يا ابا الخَلاَ حَطّيت بالقَلْب ونّهْ كِبّ الْخيَالَهْ يا مْسَوّى الزّنانِيحْ	٣٩٨	٣	بدوي غير معروف

د

البيت	الصفحة	العدد	القائل
ياليت لي جرْوَا وياليت لي طير وقْعَيّدٍ ينْسَفْ عليه الشّدَادِ	٤٢	٢	...
والله، يا جَرْدْ، لا ارميك وَالبَسْ جديد أيّ الجديدْ وَايّ الجَردِ	١٥٢	٢	...
يا عمي ، يابنت الغرَاوي تَبْغيني وانا اريدَها	١٧١	٢	...
ما اريد انا نازِلَ الطّفّهْ ولا اللّي سكَنْ عقْلة الوادي	١٨١-١٨٢	٤	...
هَوِيّتي خابْرَهْ خَرفوشْ يا عين رِمِيّة الوادي	١٩٥	٣	...

البيت		الصفحة	العدد	القائل
راعي القعود المشذَّر		١٨٣	٤	...

البيـــــت		الصفحة	العدد	القائل
هَلاً هَلا بلابس الـمَزْوِى	لا يا بَعَدْ كلّ ســنْجَارهْ	١٩٣	٢	...
يا لَهَدْ قِمْ عَطْنى المِحْزَمْ	نَبْغِي نْغرَّبْ على النِّقْرهْ	٢٠٤	٢	...
يــا ونّــــةٍ وَنّيتَـهـا	بَاقْصَى الضمايرْ حايْـرهَ	٢٠٤	٢	...
يا راكـبينٍ هَفَـاهِيـفْ	يا وارْدِيـنٍ علـى ضْمَير	٢٠٥	٢	...
يا جْوَاد وَاعنزى وانا ادور كَلّيت	واعنزى اللى ما تبينْ خبرها	٢٠٦	٦	النوري بن شعـــلان
عزى راعى العنز يقول كلّيت	بِمَقْرَن السيلين ما احْدٍ ذكرها	٢٠٧	٣	جواد العاني
سار القلم ، ياعقاب ، بالحِبر سارا بْزَيَزف القرطاس، يامهجتي ، سار		٢٣٩	١٦	نمر بن عدوان
أنت ياراعى الـ	ـوشمة الحايره	٢٤٧	٢	...
ريحانةٍ نمْت انا بْظِلّهْ	نَطّيتها والهوا ساكر	٢٥١	٣	...
نجمة الصبح دَنَّتْ فناجيلها	عقدةٍ بي ضميري وانا اديرها	٢٥٧	٣	...
والصَّفْرا بَاولّ الغـارهْ	يا نوافْ شاعَتْ اذكاره	٣٠٦	٢	...
يا صيته مِحْزمك جبرى		٣١٠	٢	...
ياراكْب اللى ما لَهَجْها الجنينِ	حَمْرا تِشُوق اللّى على الدَّوّ صَبَّار	٣٥٠	٩	عملـــوش الكويكـبي
والصَّقْرةُ الأنثى تبيض الصَّقْرَا	ثم تطير وتُخَلّى الوكرا	٤٢٨	١	...

ف

البيت	الصفحة	العدد	القائل
فاطِـرِى تَضْلَـع الـ ـيوم مِـنْ رِجْلَهَـا	٢٥٨	٢	...
انْهـزِمْ يـا سـلِيم لا تبـاتَ الخـلا	٢٦٦	٢	...
يارنِّتى وَنَّةْ بَعَارِينْ تَلَّهْ بحوش ابن عامر تسعة ايامْ بعقال	٢٦٩	٦	حمـد بن نايف بن شـعلان
يـاربّ يارازْقٍ هَـدْلاَنْ بامّ العيون المِظاليلِ	٢٧٠	٢	...
زَاعَواْ من العيد مِقْفِين ومنشـرين الـدَّلال	٣٠١	٢	...
يـارَبِّـي يـا مـالـي عَطْنِـي فِضـا بالي	٣٠٢	٣	...
يقولْ فَرْهُودْ وِهو بالحبَسْ مكتوف واويلتى من ضيم شيٍّ جرى لى	٣٨٥	١١	فرهود «شاعر من عشيرة العمارات»
ليتى مْن الحَضْرَانْ واسْكِنْ بْدِيرِهْ بديرةٍ نَبْتَهْ بساتين ونْخيل	٣٩٤	١٠	عدوان الهربيد الشـمري
يـا ونّـتي وَنَّةْ غَريـب الـدَّرَاويـش قِطيع الحاجّ اللّى على الدَّرْبْ خِلّى	٤٠٠	٦	...
أنْشـدِك عـن خمسٍ جِـلّ	٤٠٢	٣	...
إذا حلَّ الثقيل بأرض قوم فما للساكنين سوى الرحيلِ	٤٠٩	١	...

البيـــــت		الصفحة	العدد	القائل
الـزيــن لـو هــو ورا البــابِ	لــزمٍ عيــونــى يْــرَاعــنّـه	١٧٧	٣	...
ياراكْبٍ مَلْحاً تِبُوج اشهب اللاَّلْ	ايضا ، ولا عَلَيَهْ رِدِيفٍ مَحَنْها	١٧٩	٧	...
يا عَمّ جَنّا ثلاثْ رُكــابْ	قِمْ سايْل العلـم عَنْهِنّ	١٩٢	٢	...
يا صويحبى عَـــين رِيمّــهْ	لا ياغَضِى لا تناسانى	١٩٤	٢	...
ياديك اريدَكْ مع الأمْوَات	ما تقطع الياسْ ياشَين	١٩٥	٢	...
يا خَيِّى بالليل لا تسـْرِي	لا تِنِّجمْ يا بَعَدْ عينى	١٩٥	٣	...
قلت اعرضونــي علـى الزّرقا	كـنّ الرِّمَـدْ صايبٍ عينــى	٢٠١	٣	...
يا فاطْرِى خِبّى مَحَارِى طِمِيّهْ	يوم اجْلَهَزّتْ مثل خَدًّ الحصانِ	٢٢٤	١٣	راكــان بـــن حثلين العَجْمــى
ياراكْبٍ من فوقْ حرٍّ شِمالى	ما يلحق المشعابْ عالي متونه	٢٣٢-٢٣٣	١٧	نمر ابن عدوان
عَوَيــت عـْـوَاةَ الضَّحـــى	علــى عَشِــيرٍ بَــاقِــنِـــي	٢٤٧	٢	...
لَيهْ تَصْفِقْ زَمْلِنا يوم يَشْرَعْ	روّه من مَيّ البحر دوه هْجاني	٢٤٩	٣	...
يا حمــود واعارْضي شــابِ	طَــرْدَ الهـــوى جِزْتَ انا مِنّهْ	٢٥٤	٢	...
يــاوَنّتــى ونّــة الثِّنْـتَــين	غـادِي وَلَـدْهِـنْ بْمَفْـلاهِــنْ	٢٢٥	٣	...
يا شوقْ ما تعطى الْمَبْغِـي	قبــل الْـمَـخَـالِيـقْ يــدرون	٢٦٦	٣	...
يــا شــوقْ هِــدّ القِــذْلِــهْ	واسْــمَــعْ اهْـلِـى نــادَونــي	٢٦٦	٢	...
يا صاحْبي ، والنّبي ، ما اقْفَيتْ	ولا اطْربَت انـا البـوقْ مِنْ حِيني	٢٦٨	٢	...
يا شوقْ قَلْبِي غَدَا شَطْنَين	تِفَرِّقَــنْ وانْــتْ مَلْفـاهِـــن	٢٧١	٣	...
يازيد لا تَضــرب المحبــوب	هو صاحبــي وانــت قومانــي	٢٧٣	٢	...

هـ

يـــا راكِـــبٍ هَمَيلَـــع راعِيـــهْ ما يُومِـــى عصـــاه	٣٢٠	٤	...
البيـــــت	**الصفحة**	**العدد**	**القائل**
رِيـــدٍ بَغَـى رِيـــدٍ سِـحْبٍ دَرَجْ مـــاهـــا	٣٢٥	٣	...
ياراكْبٍ حَمْرا من الهِجِنْ مِهْذَابْ جِذْعيِّـــةٍ قطـــع الفيافـــى مْناها	٣٣٥- ٣٣٦	١٤	صقـــــار الكبيسي
أنشدك عن شىٍّ سلا الخيل والنُّوق وكـــل البـــوادى بالمحبـــه ســـلاها	٢٠٣	٢	...
ونفسَـــك فُزْ بها إن خفـــتَ ضيماً وخَـلٍّ الـدار تنعـى مـن بناهـــا	٤٠٩	٤	...
صاحبى ينقش الحِنّا بكفٍّ حَســـين مثل نقش الـمْطَوَّعْ بالقلم والدَّوَاه	٤١٧	١	...
و			
يـا يِمَّــهْ جـانــى بَـلاَ مِخْلِـفْ وِشْ حِيلتِي وَيش انا اساوِى	١٩٩	١	...
ى			
انا اسهرتنى تالْي الليل فارَهْ تاخذ زهابي يم جِحْرَهْ تْوَدِّيهْ	٣٧	٤	...
الِيـــا جيـــتْ مَـزْبُـورَ النَّهَـدْ يا معيـدى سَلِّمْ لـي عليـه	٩١	٢	...
يا هَل العيراتْ سِيَرْوا يا شفاتى عن سَنَعْهِن لا تِعُوجون المِطيِّـهْ	٩١	٤	...
اَلْـــف ٍهَـــلاَ بِالشَّـــقْراَ والْـــف ٍهـلا بْرَاعـيهـــا	١٩٣	٢	...

أعـلام الأشـخاص

ق

ك

ل

م

القبائل وفروعها والأمم والجماعات

ت

ج

ح

خ

د

ر

ص

ض

ظ

ك

ل

م

ن

البلدان والمواضع

أ

ب

ح

خ

ن

هـ

و

الحيوان البري ، والزواحف ، والحشرات ، والطير

١- الحيوان البرى

٢- الزواحف

٣- الحشرات

٤- الطيـــر

هـ

الشجر والنبات والأزهار